إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا

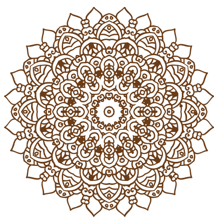
هَلْ أَعْطَيْنَاهَا حَقَّهَا ﷺ

الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
زِرُّ الطَّاقَةِ.. وَسِرُّ الإِفَاقَةِ



تأليف

توفيق بن خلف الرّفاعي



صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا



اسم الكتاب: صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

المؤلـــــــف: توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي.

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



الصف والتصميم والإخراج:



حولي- شارع المثنى- مجمع البدري

الدور الأرضي- محل ٢٩

هاتف: ٩٦٥٦٠٠٨٢٧٠٤ +

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا

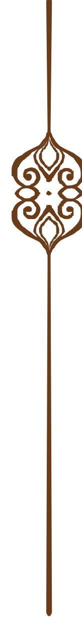
هَلْ أَعْطَيْنَاهَا حَقَّهَا

الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
زَرُّ الطَّاقَةِ.. وَسِرُّ الإِفَاقَةِ

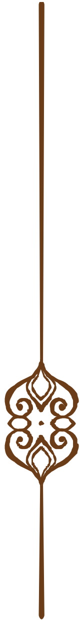
تأليف

توفيق بن خلف الرّفاعي

مؤسسة سلسبيل
للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

المطلع الشريف: هي رابط الإيحاء والإحياء:

كيف نسعى لِنقل أيام رسول الله ﷺ – وهي أعظم أيام الله – إلى قلوبنا؟

كيف تشهدها بصائرنا، كيف إذا شهدتها لا تمحى بعد ذلك أبدًا؟!

وليس هذا هو قصدنا تحديدًا بل هو أدق من ذلك، إذ هو: كيف نعيش مع رسول الله ﷺ؟ بل كيف نُعايشه؟ كيف تُشاهده بصائرنا؟ كيف نُحْيي قُربه فينا وقربنا منه لدرجة المشاهدة؛ مشاهدة البصائر له ﷺ في كلِّ أيامه... نعم في كل أيامه؟

لم أرَ طريقًا لهذا أعظم بركةً ولا أوضح ولا أثبت من طريق تفعيل الصلاة والسلام الدائمين على رسول الله ﷺ، صلاة وسلامًا دائمين ينبعثان من وسط المشهد من مشاهد رسول الله ﷺ، بل من جزئيات كل مشهد يمرُّ على قلب القارئ إذ هو يصلي على النبي ﷺ... فأنت إذ تشعل في قلبك مشهدًا من مشاهد النبي ﷺ تُطلق في نفسك وعلى لسانك الصلاة والسلام عليه حتى لكأنك حاضر بين يديه ناظر إليه وأنت تُصلِّي عليه... تشاهد بعينيك شخصه إذ هو في ذلك المشهد الذي روي عنه ولسانك من لهج ذكره ﷺ بالصلاة عليه ﷺ منطلقٌ لا تملك إيقافه إذ القلب اشتعل حبًّا وتعظيمًا وتبجيلًا واشتياقًا إليه... كيف وهذا هو رِواء الاشتياق الحقيقي إليه ﷺ وأنَّى للمشتاق المتلهف إذا اقترب أن يلتفت، وأنَّى له أن يستكثر صلاةً وسلامًا على حبه رسول الله ﷺ، أو يستطيل وقتًا ذهب

بالصلاة والسلام عليه مع هذه المعايشة مع رسول الله ﷺ، المعايشة لعيشة رسول الله ﷺ، والإيحاء من حياته لحياتنا... لقلوبنا... لأعمالنا... وذلك بما تبعثه الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في كل مشهد وموقف.

فالأمر هنا ليس أمر فهمٍ وعلمٍ ظاهر فحسب، بل هو استنباط صحيح بغوصٍ عميق، ورجاء في كل مشهد من مشاهد النبي ﷺ، متعرِّفًا على أدق ما يستطيع من عظمته في كل شيء ﷺ، والعبد إذ ذاك يحدو قلبه بالصلاة على رسول الله ﷺ، فالصلاة على النبي ﷺ هي مظهر الحب والتعظيم، وهي مثبت المشهد العظيم، وهي شاهد الاتباع له والاشتياق إليه ﷺ، وهي إرضاء لله رب العالمين، وتزلُّف إليه بحقيقة حب رسول الله ﷺ، والتذلُّل والتواضع والتحبُّب إليه، وهي فوق ذلك البيعة المطلقة ظاهرًا وباطنًا إليه موثقة الصلاة عليه ﷺ ومنطلقة منها.

هكذا تصبح الصلاة على رسول الله ﷺ هي الرابط الحي بيننا وبين رسول الله ﷺ، وتصبح هي الزكاء والنقاء، والحب المتبادَل، وهي الغيرة الحاضرة والنخوة الثائرة، وهي الإرث الحق الذي نورِّثه لأجيالنا حين نورثهم كل ذلك مختومًا في كل جزئية من جزئيات مشاهدهِ بالصلاة والسلام عليه ﷺ.

وأخيرًا؛ فهل تصورنا كيف ينبعث من الصلاة على رسول الله ﷺ الإيحاء للأمة كلها وفي كل ميدان.. ومنها ميدان الإحياء.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

كم تستطيع أن تقترب من المشاهدة؟

ليس هذا بالأمر الافتراضي ولا التخيلي، فما هو ركن الإسلام الأول؟

أليس هو: (أشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ) بعد شهادة أن لا إله إلا الله..

إذًا فهي شهادة، والشهادة مبنية على المشاهدة، وكلما اقتربتَ في يقينها من المشاهدة كنت - أيها الشاهد المتشهِّد - أصدق في الشهادة... فكم تستطيع أن تقترب من المشاهدة لتكون أصدق في الشهادة؟ وكم تستطيع أن تزيد الاقتراب وتزيد ثم تزيد... كم؟

لا تحاول أن تنقض هذا المقام للشهادة الثانية بالشهادة الأولى، وهي: [أشهد أن لا إله إلا الله]، فإنها شهادة حق وشهادة بحق وأعظم حق، ولكن الشهادة لله تعالى لها عند كل شاهد حدٌّ، وأعلاها: كأنك تراه؛ أي: كأنك تشاهده ﷻ بقلبك أو كما يقال بعيني قلبك، ذلك أنه هو الله رب العالمين، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، الله الذي ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فالله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، **وهذا قطعًا ليس في حق بشر، ورسول الله ﷺ بشر**، ومن فَضْلِ الله علينا أن فتح لنا طريق المشاهدة إلى رسول الله ﷺ واضحة جلية مشخصة، فأوصافه ظاهرة عند الكافرين قبل أن يُبعَث نبيًّا ﷺ، وقبل أن يولد، فكيف بما رواه الصحابة رضي الله عنهم؟! فعن جُبَيْرِ بنِ مُطعِمٍ رضي الله عنه قالَ: «خَرَجْتُ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كُنْتُ بِأَدْنَى الشَّامِ، لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ رَجُلٌ تَنَبَّأَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَعْرِفُ صُورَتَهُ إِذْ رَأَيْتَهَا؟، قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَدْخَلَنِي بَيْتًا فِيهِ صُوَرٌ، فَلَمْ أَرَ صُورَةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَيْنَا، فَقَالَ: فِيمَ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ، فَذَهَبَ، بِنَا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَاعَةَ مَا دَخَلْتُ نَظَرْتُ إِلَى صُورَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِذَا رَجُلٌ آخِذٌ بِعَقِبِ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْقَابِضُ عَلَى عَقِبِهِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا كَانَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ إِلَّا هَذَا، فَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ، وَإِذَا صِفَةُ أَبِي**

بَكْرٍ»[(١)].

ثم هو القائل: «مَنْ رَآنِي فِي الْـمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»[(٢)]، فإن الشيطان لا يملك قطع هذا الطريق، ولا الاقتراب منه فيما بين رسول الله ﷺ وبين أمته ﷺ.

فالطريق كله إليه ﷺ مفتوح وواضح ومنير كما في الروايات الواردة عن حياته ﷺ، فالله سبحانه قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فالأسوة من التَّأَسِّي، ولولا أن الله ﷻ حفظ ذلك له ﷺ وحفظه لنا فأنَّى لنا أن نتأسَّى به ﷺ.

وأوصافه الشخصية وملامحه وكل ما فيه واضح حتى كأننا نراه كما رآه من رآه ﷺ؛ صحابته الكرام ﭫ.

فالمحور في كل هذا هو الصلاة والسلام عليه ﷺ، هي الكنز الذي لا كنز مثله لو أنها أخذت حقها الذي شرعه الله لأجلها! واستخرجت كنوزها من أعماقها، واستوقدت أنوارها من أقمارها، وأصغت القلوب جيدًا لوحيها من مواقف صاحبها ﷺ.. هنا تنبعث الحياة من وحيها، وهذا الذي كان لأجله هذا الكتاب. فماذا في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله من إيحاءٍ لنا وحياة..؟! ماذا فيما ورد في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ مما ورد في القرآن والسنة من إيحاءٍ لنا وإحياء؟! ماذا في تحريك القلب والذاكرة بربط

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٢٣١)، وقال: لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ وَرَّاقُ الْحُمَيْدِيِّ، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥٤٥)، وقال الهيثمي في مجمع الوزائد: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ.

(٢) رواه مسلم (٢٢٦٦).

حياتنا بحياته ﷺ من لحلحة جمود المآقي، وجمود الأرواح بتحريك القلب واللسان بالصلاة والسلام عليه من إيحاءٍ لنا وحياة؟!

لا تقل كيف ذلك؟!

تعالَ هنا وأوقد فؤادك حبًّا لرسول الله ﷺ.

تعالَ هنا وأشعل بصيرتك بنور من عند الله ترى فيه رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله تسليمًا كثيرًا

تعالَ هنا ووثِّق الصلة برسول الله ﷺ بالصلاة على رسول الله ﷺ... **بل وثِّق الصلة في كل جزئية** من جزئيات حياته وحركاته، إذ أنت توقد نورها بنور الصلاة على رسول الله ﷺ، وهل يملك صاحب النور إلا أن يرى؟ وما فائدة النور إذا لم يُرِ صاحبه؟!

تعال هنا لنعرف رسولنا ﷺ معًا، لنقترب منه ﷺ ونقترب ونعيش معه ﷺ ونعايشه.. تعالَ لنزيل الوحشة التي وقعت بهجران قلوبنا لِذِكْرِهِ وتعظيمه وتبجيله وإجلاله ﷺ.

تعال هنا لنزيل الغبش عن أبصارنا الذي أَعشى على صورته الكريمة ﷺ في صدورنا، وعلى رؤيته ﷺ بقلوبنا، إذ لم تعد قلوبنا تبصر ذاك النور العظيم، ولم تعد حياتنا تهتدي بنور هداه.

تعال هنا: ولسوف نجد في كل صلاة وسلام على رسول الله ﷺ إيحاءً ورسالة، إحياءً وهداية، سنرى ذلك هنا في تفاصيل هذا الكتاب وكلياته... فلا جمود أبدًا في الصلاة على رسول الله ﷺ، بل منها يصل حادي الإيحاء وتنبعث الحياة، فالصلاة على النبي ﷺ تلازمك حياتك لو تفطَّنت لها؛ فما ظهر لك من ذكره صليت عليه ظاهرًا، وما بطن بذكرك إياه في نفسك صليت عليه في نفسك.

ثم انظر: هل القرآن كله إلا أنزل له وعليه وهو وحي، وهل هَدْيه إلا ﴿**وَحۡيٞ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٤]؟! فأي رباط بكل هذا إلا بالصلاة والسلام عليه.. فاللهم أحي الأمة بهذا الوحي، وابعث في القلوب الحياة حتى تدرك الإيحاء من الصلاة على رسول الله ﷺ فتنبعث من جديد، فيجتمع الخير كله بالإيحاء والإحياء.

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا



يتيم مُتَيَّم

دعوني أُسَلِّم عليه ﷺ في الابتداء... إنه أبي، سلام من يشاهد رسول الله ﷺ.. سلام من يسمع رسول الله ﷺ... سلامَ الولد اليتيم المُتَيَّم، وقد علم أنه الآن ليس بيتيم فإن أباه حيٌّ يُرزَق، وأنه الآن.. الآن سيلقاه.. فأي هُيام لليتيم هذا، وهل من قوةٍ قادرةٍ على منع هذا اليتيم من التقدُّم إلى أبيه.. بل هل من أحدٍ يمكن أن يُقنع اليتيم الآن بأن أباه ليس بحيٍّ وحياته أعظم من حياة الشهداء لأنه رسول الله ﷺ فضلًا عن كونه شهيدًا؟!

لقد قال لنا رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ**»[1].

إي والله إنَّ أبي حيٌّ؛ رسول الله ﷺ حيٌّ في برزخه يُرزَق كما قال لنا هو ذلك، وهو يَردُّ علينا السلام، وهو.. وهو... وكل هذا سنعرفه بإذن الله. لا والله لن يستطيع أحدٌ أن يأخذ بِحُجْزِي وأنا أتقدَّم الآن للقائه ﷺ، دعوني ولا تمنعوني...

دعوني أعيش معه كواحدٍ من خُدَّامه.. من أصحابه.. من أولاده.

دعوا أمته كلها تأتيه، فوالله إن مدينته المنوَّرة لتسعهم، وإن مسجده الأول ليسعهم، وإن بيته ليسعهم، بل والله الذي لا إله إلا هو إن صدره الطاهر المُطهَّر ليسعهم جميعًا ويزيد.

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٨)، وحسنه الألباني.

سيبكيك الثقلان يومًا ندمًا يا رسول الله ﷺ

دعوني أدعُ العالم كله بمنصفيه وحاقديه وحاسديه ﷺ للقائه هو ﷺ وجهًا لوجه... فوالله لن يندموا على شيء ندمهم على عدم معرفته ﷺ، ولن يبكوا على شيء بكاءهم على ما فَرَطَ منهم نحوه ﷺ، وكيف قابلوه بالجهل والجهالة، وهو في كل نَفَسٍ يبعث لهم المحبة الخالصة التي سوف تغمرهم، وندمهم على أنْ تأخَّرتْ هدايتهم حتى الآن، وندمهم على أنهم لم يدركوا الصلاة والسلام عليه على حقيقتها واكتشاف حقيقتها إلى الآن.

دعوني أحزن من جديد مع كل هذا العالم على موته ﷺ... دعونا نبكيه حتى نرتوي بدموعنا لأننا وصلنا إليه وقد نفض الصحابة أيديهم من ترابه ﷺ... أليس هو لنا الأب.. أليس هو أحب إلينا من آبائنا وأمهاتنا والناس أجمعين؟.. أليس هو أنفع إلى الناس أجمعين من الناس أجمعين؟ أليست مصيبة موته تُنسي كل المصائب بما فيها مصائب وفاة الآباء والأمهات...؟ أليس هو القائل: «**إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْـمَصَائِبِ عِنْدَهُ**»(١)، وصدق، ولا أحسب أن مرثية قالها بشر مثل مرثية حسان رضي الله عنه في رسول الله يوم مات رسول الله ﷺ، فقال رضي الله عنه:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ

وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ ... وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٧١٨)، وصححه الألباني، وأخرجه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن عن أبي نعيم، بلفظ: «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيذكُر مُصِيبَتهُ بي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعظم المصَائب»، قال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٣): إسناده حسن.

بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا   مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُها   أَتَاهَا الْبِلَى فَالْآيُ مِنْهَا تُجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ   وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ   عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعَدُ
يُذَكِّرْنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى   لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أَحْمَدٍ   فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ   وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنَ جُهْدَهَا   عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ   بِلَادٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا   عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٌ   عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً   عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى لَا يُوَسَّدُ
وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ   وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
يُبَكُّونَ من تبكي السّماوات يَوْمَهُ   وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ   رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ؟
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمُ   وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ   وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا   مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ   وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ

وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَا هُمُ فِي نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيْنَا هُمُ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللهِ رَاجِعًا يُبَكِّيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحُرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا فَقِيدٌ تُبَكِّيهِ بَلَاطٌ وَغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أَوْحَشَتْ دِيَارٌ وَعَرْصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
فَبَكِّي رَسُولَ اللهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً وَلَا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَالَكِ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنَكَّدُ
وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ
وَأَكْرَمَ صِيتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ
وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبَتًا وَعُودًا غَذَاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغْيَدُ

رَبَـــاهُ وَلِيـــدًا فَاسْــتَتَمَّ تَمَـــامُهُ عَلَـى أَكْـرَمِ الْخَـيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّـدُ
تَنَاهَــتْ وَصَــاةُ الْمُسْــلِمِينَ بِكَفِّــهِ فَلَا الْعِلْمُ مَحْـبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُــولُ وَلَا يُلْقَـى لِقَـوْلِيَ عَـائِبٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا عَـازِبُ الْعَقْلِ مُـبْعَدُ
وَلَـيْسَ هَــوَايَ نَــازِعًا عَـنْ ثَنَــائِهِ لَعَلِّـي بِـهِ فِي جَـنَّةِ الْخُـلْدِ أَخْـلُـدُ
مَـعَ الْمُصْـطَفَى أَرْجُـو بِـذَاكَ جِـوَارَهُ وَفِي نَيْـلِ ذَاكَ الْيَـوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَـدُ

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا

سنعرف بل سنشاهد هنا الصلاة على النبي ﷺ.. وكم قصَّرنا في فهمها وفي مقتضياتها، وبعد هذا كم هجرنا رسول الله ﷺ بهذا السبب، وكم هو الطريق رحب وسهل وواسع وواصل.. إلى رسول الله ﷺ... **فإليك إليك يا رسول الله ﷺ الآن التوجه بالسلام والصلاة عليك.. ونحوك من الآن سارت مراكب أمتك**، ولن يحول بيننا وبينك أحد، وقد ألقينا عند قدميك حالنا والمراد، والأرواح والأجساد، والمتاعب والسهاد، والأبناء والأموال والعدة والعتاد.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا



إني لأحسبه الختام بالصلاة والسلام عليه ، فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه وآله وصحبه تسليمًا



يا رب: كم يرجو عبدك بالكتابة عن الصلاة على رسولك ﷺ؛ فمن أحب في الثقلين إليك من حبيبك سيدنا محمد ﷺ...

فيا ربي: ها أنا ذا أتزلَّف إليك برسولك ﷺ وبالصلاة عليه ﷺ.

فيا رب هذا كتابي أرفعه إليك قبل أن أعرضه على خلقك فتقبَّله مني إنك سميع الدعاء.

يا رب: إنك تعلم سبحانك أني مذ عرفت التأليف وركبت بحره حدثتني نفسي مرارًا بالكتابة عن الصلاة على رسول الله ﷺ لكني كنت أنصرف عنها إلى طابور متزاحم من المؤلفات المنتظرة، ظنًّا منِّي أن من كتب فيها قد كفى ووفى وأغنى... وحسبتُ أن هذا الكتاب ربما لم يكن يُكتب له قبول ولا جديد فيه ولا تجديد!، وربما حسبت أن الحاجة لغيره من الكتب أكبر، لذا تركت الكتابة فيه ما شاء الله لي أن أترك...! فإذا به فجأة يتجدد الأمر، وتثور الفكرة في ليلة ذَكَرْتُ فيها خاطرة لأحبتي حفظهم الله ورحم مَن رحل منهم، في زيارتي للكويت في تلك السنة، وذلك في بيت أخي وحِبِّي الشيخ قيس الرفاعي - حفظه الله - في خيمة بيته... فما إن قام آخر واحدٍ منهم حتى انفردت في خيمتي واستخرتُ الله ربي أن أكتب في الصلاة على رسول الله ﷺ كتابًا أو لا أكتب؟ وما نمتُ تلك الليلة إلا والعزم قد امتطى صهوة القلم، فطار النوم من العينين، وحلَّ السُّهاد، وحقَّ السُّرى، فأسرجت جواد الهمم، وكتبت فهرس هذا الكتاب

كاملًا في ثلاث صفحات... وهذه بالنسبة لي سابقة استغربت لها كثيرًا! فما كتبت كتابًا وابتدأت بكتابة فهرسه بهذه الدقة مطلقًا...! نعم يكون لديَّ التصور عن مواضيعه مسبقًا – ولا بد – أما كتابة الفهرس وبدقة فهذا لحكمةٍ، وما أحسب إلا أنه إن لم يكن في ختام كتبي وتآليفي فإنه هو الختام والله أعلى وأعلم، وذلك أني كتبت في كل ما يعني المسلمين – ضرورة – لهذا الزمان كتابًا جديدًا في بابه والحمد لله رب العالمين، وما بقي إلا أن أختم.

فماذا بعد الاجتهاد والدعاء إلا أن أُصلي على سيدنا ونبينا محمد ﷺ..؟!

فيا رب اجعلها ختم الإجابة والقبول، ونور الإيحاء والإحياء لأمة الرسول ﷺ.

فاللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا



الفصل الأول:

القول الأعظم في الصلاة على النبي ﷺ



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

كم يحاول بعض العباد اصطناع فضائل للصلاة على النبي ﷺ، بينما عندهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾.. لقد أغناه الله بهذه الآية، وما ترك لأحد الحق أن يؤلف لرسول الله ﷺ فضيلة أبدًا.

فإليك بعض فضائل الله على رسوله ﷺ بهذه الآية العظيمة

خصائص الصلاة عليه من الآية:

أولا: ﴿يُصَلُّونَ﴾ إنها إجماع الملأ الأعلى يبتدئه رب العالمين فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

ثانيًا: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾: سبحانك ربنا كم في نسبة الملائكة لك من إكرام للنبي ﷺ، حيث قلت وقولك الحق: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ فلم تقل سبحانك: [إن الله والملائكة]، بل قلت: ﴿ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾، ففيها قد ربطتَ الملائكة بك ربنا تباركتَ وتعاليتَ، وفيها الإجماع على الصلاة والسلام عليه، فلم ولن يسع ملائكتك - يا ربنا - إلا المسارعة لِما تحب، وهل مثل حب رسولنا ﷺ عند ربنا ﷻ حب؟!

ثالثًا: يصلون ولا يفترون: هذا فعل مضارع وهو يفيد التجدد والاستمرار.. أي

يصلون على النبي ﷺ لا يفترون، والصلاة عليه ﷺ إنما هي مِنْ ذِكْرِ الله رب العالمين، إذ إن الذي عَلَّم الذاكرين ذكر الله منذ أن بُعِث نبيًّا وإلى يوم القيامة إنما هو رسول الله ﷺ.. وإذا كانت الملائكة تذكر الذين يذكرون الله تعالى من أصحاب مجالس الذكر أو حلق العلم، أو مجالس المساجد أو غيرهم.. فإن معلم هؤلاء جميعًا إنما هو رسول الله ﷺ، أفيعقل أن الملائكة تذكر هؤلاء جميعًا وتنسى معلمهم، ومعلِّم معلميهم الخير إلى يوم الدين وهو رسول الله ﷺ؟! فلا فتور ولا توقف عن الصلاة والسلام عليه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»(١).

رابعًا: وهل مثل هذا الإجماع إجماع في العالمين...

وهل رأى أحد من خلق الله إجماعًا يتوسع كتوسع هذا الإجماع، فإن رسول الله ﷺ يخبرنا بأن «**هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(٢)، فإن كلَّ هؤلاء يُصلون على النبي ﷺ إلى أنْ يرثَ الله الأرض ومَن عليها، وكم يخلق الله من الملائكة الكرام، وكم يخلق الله للجنَّة والنار وغيرهما من ملائكة، فكل هؤلاء يُصلون على النبي ﷺ، والله سبحانه يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١]، فكل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني (٨/ ٢٧٨) (٧٩١١، ٧٩١٢)، وابن شاهين في (الترغيب في فضائل الأعمال) (٢١٦) باختلاف يسير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧).

مَن يدخل في قول الله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ يدخل في الصلاة على رسول الله ﷺ...
فإذًا الصلاة على رسوله ﷺ لا تُعد ولا تُحصى، لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، فهنيئًا لك يا رسول الله بهذه البشرى التي لا يعلم حقيقتها أحدٌ مِثْلَ عِلْمِكَ يا رسول الله.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

خامسًا: استحالة حصر المصلين عليه:

ومن يستطيع أن يعد عدد الصلوات على رسول الله ﷺ حتى وإن افترضنا أن أحدًا عرف أعداد الملائكة وهذا غيب لا يعلمه إلا الله... ذلك لأن كل ملك من ملائكة الله ﷻ لا يُصلي على رسوله ﷺ مرة واحدة، بل صلاة الله وملائكته لم تكن مرة واحدة؛ عند ولادته مثلًا أو عند هجرته أو عند صلاته أو عندَ وفاته وانتهت، إنما هي الصلاة المستمرة.. أو لم يعبِّر الله ﷻ عن الصلاة عليه ﷺ بالفعل المضارع المستمر، فقال سبحانه: ﴿يُصَلُّونَ﴾، فهل أعظم من هذه الصلاة صلاة..؟!

سبحانك ربنا فنحن لا نتدخل بكيفية ذلك... فإكرامك ربنا لرسولك ﷺ فوق العد وفوق الحد وفوق كل كيفية.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

سادسًا: بالصلاة عليه تجتمع كل خصائصه، فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه وآله:

حاشاك ربي أن تُقَدِّم أحدًا من خلقك على خلقك... دون حكمة.. فأنت الحكم العدل وأنت أرحم الراحمين، وقد قلت سبحانك مذكِّرًا بتحقق إجابة دعوة خليلك إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقلت سبحانك وأنت ربي أصدق القائلين فيما سيصنعه رسوله ﷺ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وذكَّرتنا ربي بمنَّتك العظمى علينا فقلت يا رب - وقولك الحق -: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وذكَّرت يا رب رسولك ﷺ بعظيم مننك عليه، فقلت - وقولك الحق المبين -: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وثمار ذلك الفضل والمنن كلها آلت إلينا نحن أمة محمد ﷺ.

يا رب فما هذا العطاء المنقطع النظير...؟! يا رب إذا لم ندرك هذا العطاء ولا مداه... فهل يمكن أن نحيط بسببه ومعناه؟! والجواب: نعم والله، وكل شيء بيَّنْته لنا تبيانًا في الكتاب ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وسوف يكون هذا الأمر العظيم من أهداف وثمرات هذا الكتاب بإذن الله.

سابعًا: انفراده وحده بصلاة الله وملائكته عليه.. ﷺ:

ولِمَ لَمْ يجمع الله ﷻ غيره معه في هذه الصلاة ﷺ ؟!

لِمَ لَمْ ينزل الله ﷻ على غير رسوله ﷺ هذه الآية ولا مثلها لغيره بأي كتاب من كتب الله التي أنزلها من قبل؟! ولِمَ لَمْ يجمع الأنبياء معه في هذه الآية ﵈؟!

والجواب: أنَّ هذه الآية هي من أعظم خصائص النبي ﷺ.

وإن أعمال الأنبياء عليهم السلام ودعوتهم قد انقطعت بل شُوِّهَت بل حوَّلها المشركون إلى شرك كما حوَّلوا الكعبة بعدما بُنِيَت لعبادة الله وحده لا شريك له... حوَّلوها إلى مركز الشرك في الدنيا، وانتهى الأمر إلى هذا ومضت أجيال وأجيال، وتبنَّت قريش إمامة الوثنية، وأصبحت الكعبة قِبلتها، فكان الإنقاذ لأعمال الأنبياء عليهم السلام على يده هو وحده ﷺ، وكان ابتداؤه في ذلك من الصفر، بل من تحت الصفر، ومن ثَمَّ حُسِب له هو ﷺ العمل كاملًا، وكانت صلاة الله خاصة به وعليه، وصلاة ملائكته كذلك..

وهذا بعض الحكمة في كون فتح مكة جاء من المدينة، وقد كانت قبل ذلك الهجرة والإخراج من قبل سَدَنة الكعبة والملأ المشركين لرسول الله ﷺ وصحبه الكرام... فكان دخول مكة هو الفتح المبين، حيث فتحت ففتحت معها أبواب الأجور والفضائل لرسول الله ﷺ؛ لأنه أحياها بإذن الله بعدما أماتَها المشركون، وابتدأ عملًا جديدًا كأن لم يكن من قبل... فكان له هو ﷺ كل ما يتعلق بالكعبة من لحظة الفتح إلى يوم القيامة.. بالإضافة إلى أنه له مثل أي عمل عمله خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام؛ لأنه ﷺ هو مَن أحيا أعمالَهم الصالحة وسننهم الحسنة، مع كل ما أضافه هو ﷺ بفضل الله ورحمته.

فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد

والسؤال أين الأنبياء عليهم السلام في الصلاة على النبي ﷺ ؟!

لِماذا خصوصية هذه الصلاة لرسول الله ﷺ من دون الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ؟!

والجواب: أيها الإنسان المكرم: إلى أين كانت البشرية تتجه؟ لقد كانت

البشرية في أحضان الشياطين، ولقد اختطفت الشياطين البشرية بعد كل الجهد الذي بذله قرابة مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي عليهم السلام[(١)]، وما لا يُحصى من المصلحين طوال تاريخ البشرية، فلقد أسلمت البشرية قيادها للشياطين في كل جوانب الحياة، إلا بقايا قليلة من الحنيفية... كما جاء في الحديث: «**وإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ[(٢)] عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطَانًا**»[(٣)].

فمن الذي خلَّص الإنسان بعدما اختطفته الشياطين وغيبته بعيدًا...؟!

ألم تر كيف كانت رقعة عبودية الإنسان تتسع حتى كان الرجل في الممالك المنتشرة على الأرض يملك أحيانًا الآلاف من إخوانه في الإنسانية؟!

أرأيت كيف كان الرجل يرث الآلاف من الرجال والنساء وذراريهم كما يرث الحيوانات والمتاع وما إلى ذلك؟!

ألم يكن أولئك السادة مطلقي التصرف في عبيدهم يأكلون ثمرة جهدهم، ويستبيحون أعراضهم، ويرثون أبناءهم، ويتلاعبون في حياتهم وهم يتضاحكون، إذ العبيد يقتل بعضهم بعضًا بالحراب وغيرها استعراضًا أمام أسيادهم.

فليخبرنا العالم: مَن غَيْرُ رسولِ الله ﷺ خلَّص العالم من العبودية ـ عبودية الإنسان للإنسان ـ بل خلَّص الجن من عبودية الشيطان، لعنة الله عليه!

---

(١) عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَمْ وَفَاءُ عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا». أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨٧١)، وأحمد (٢٢٢٨٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).

(٢) فاجتالتهم: أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. قال شمر: اجتال الرجل الشيء ذهب به، واجتال أموالهم ساقها وذهب بها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

إذًا أليس له ﷺ الحق أن ندعُوَ نحن الإنس والجن - جميعًا ربنا أن يصلي عليه... فمن ذا الذي خلَّصنا وخلَّص ذرارينا سواه ﷺ...؟!

وهل رأيت الحكمة في كون الصلاة على النبي ﷺ هي التي نطقت بمطلوبنا ونحن لا ندري، ونحن نرددها ولا نشعر؟! أليس عنوان الدعاء أن نقول في ابتدائه: (اللهم)؟

فماذا شرع الله ﷻ أن نقول إلا: اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد.

فكيف سيكون حالنا نحن اليوم لو استمر الانحدار منذ ذلك الوقت حتى الآن؟!

من كان سيبقى منا لم تَجْتَلْهُ الشياطين - نعوذ بالله منهم - لو لم يبعث الله سيدنا رسول الله ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟! وإن شئت قلت: كم سيتبقى من البشرية ومن عالم الجن غير مخطوف خلال ألف وأربعمائة عام، والأجواء أجواء الشياطين في هذه الأرض؟! فماذا صنع الله بالأرض وبخطط الشياطين ومكرهم حين بعث لهم رجلًا واحدًا فقط اسمه محمد بن عبد الله ﷺ...؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد

يا أيها الناس: هل تعلمون كم نبيًّا بعث الله ﷻ؟ فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَمْ وَفَاءُ عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»(١).

فما جزاء من خلَّصنا من المصير المجهول، بل المصير المعلوم في قعر العبودية، وظلمة الجهالات، وظلمات الظلم؟ من الذي انتزعنا من أحضان الشياطين، بعد أن كنا مخطوفين، وردنا إلى ربنا سالمين مسلمين...

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨٧١)، وأحمد (٢٢٢٨٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).

نعم إنه فضل الله وحده لا شريك له، لكن من الرجل الذي كان هو اختيار الله لفضله هذا؟ من الذي نجح هذا النجاح الفذ الذي لا نظير له منذ أن خلق الله السماوات والأرض؟ ومن الذي أنقذ أعراضنا ونساءنا كما أنقذنا من العبودية؟ من الذي أنقذ الشرف والغيرة وحمى النسل والأجيال والأنساب من الاختلاط؟

فكيف يجب علينا أن نرفع الصلاة عليه ﷺ ونحن ندعوه ونصلي عليه، ونكرر الصلاة عليه، وهل تكرار الصلاة عليه إلا نوع من الإلحاح في الدعاء على ربنا سبحانه أن يصلي عليه ﷺ، وهذا الإلحاح نابع من الإحساس العميق والراسخ أنه فرض لازم علينا وليس فضلًا منا، وليس لأَنَّا نريد رفعة درجاتنا فحسب، فكل فضل علينا يلزمنا بالصلاة عليه ﷺ، وهذا في الوقت الذي هو أخف ما يمكن أن نقدمه فهو أعظم ما يمكن أن نرفعه إلى ربنا، وهو أحب دعاء إلى ربنا سبحانه وتعالى، ولا ينبغي أن ينقطع هذا الدعاء أبدًا؛ لأن الصلاة عليه من ربنا سبحانه وتعالى لا تنقطع أبدًا، وكذا من ملائكته سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾.

ولأن فضله ﷺ كذلك لا ينقطع عنا أبدًا، وهو لا ينقطع عن أجيالنا وذرارينا إلى يوم القيامة، كما لم ينقطع عمَّن قبلنا ﷺ، ثم إن فضله ليس من جهة واحدة، بل من كل جهة من جهات الحياة... ومن ظاهرها وباطنها على حدٍ سواء

فهل عرفنا مَن المنقذ الحقيقي الذي أنقذنا الله عز وجل به من الدَّجل والسحر والشعوذة والخرافات والأساطير وما إلى ذلك؟ وهل عرفنا المنقذ الذي أنقذ الأجيال المتعاقبة وهو ينقذ ذرارينا وذراريهم إلى آخر نفس مؤمنة على هذه الأرض كما أنقذ الأولين.

ومن الذي حرر عقولنا، وقد كان العقل يئن من شدة القيود التي أصبح تحتها؟

فاللهم صلِّ عليه وسَلِّم وآله و صحبه أجمعين

ولو رأيتم من الذي حمى أموالَنا من العبث ومن الحرام ومن سرقة أباطرة المال المجرمين وعلى رأسهم الطغاة واليهود؟

ومن الذي حمى حياتنا من الفوضى والانفلات والعدوان على حرية الآخرين وقد ضرب لنا مثلًا بالسفينة في البحر في وجوب التزام النظام ﷺ فقال: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**»(١).

كيف يجب علينا أن نصلي على من كُنَّا قعودًا على شفا حفرة من النار فجاء فأنقذنا منها؟... ثم كيف نصلِّي على من أنقذنا من نار الله الموقدة؟...

فاللهم صلِّ على محمد وآل محمد وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا

وهل رأيت لماذا صلاة الله تبارك وتعالى مستمرة وكذا صلاة ملائكته؟!

هل انقطعت أعماله ﷺ؟... هل انقطعت آثار أعماله؟ ألم يزل الخلق يرفلون في الخير الذي أوصلهم إليه وخير العقل الذي خَلَّصه لهم؟ أوليس عماد هذا الخير الذي يرفلون به إنما هو إيقاظ رسول الله ﷺ العقل الإنساني، وتحريكه حتى تعود الحركة إليه، وتدريبه على التحليق والطيران حتى أصبح يطير في الآفاق وفي ملكوت السماوات والأرض وفي النفس.. وهذا القرآن الذي أنزل عليه ﷺ شاهد على ذلك، وكم فيه من الأمر بالتدبُّر والتفكُّر والأمر بالادِّكار.. ولا يمكن لإنسان أن يفهم القرآن وحديث

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

النبي ﷺ ما لم يستخدم عقله، والمتميزون منهم في فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ وهديه إنما هم الذين يستخدمون عقولهم أكثر، ولذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، والنبي ﷺ يجعل غاية حفظ ما ورد عنه هو فقه ما ورد ولذا أمر مَن حفظ أن يبلغ الأفقه «**فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»(١)، «**فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ، غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»(٢).

فهل عرفت إذًا لِمَ صلاة الله في هذه الآية وصلاة ملائكته خاصة له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾؟

ولهذا لا تنقطع صلاة الله عليه وملائكته ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا كثيرًا

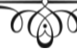


(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٤١)، والترمذي (٢٦٥٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٣١)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

الفصل الثاني

فضل الصلاة على النبي ﷺ



لا فضل أعظم من القول الأعظم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

الفضل الأول: طابع الصلاة على النبي ﷺ أنَّ نفعها متعدٍّ إلى الغير

لِماذا الصلاة على النبي ﷺ أفضل الأذكار أجرًا، وأعظمها أثرًا، وأكثرها خيرًا - وكل أذكار الله ﷻ - خير؟

وليست خاصية الفضل المتعدي في الصلاة على النبي ﷺ التي سأذكرها هنا للتحديد، وإنما هي عينات رئيسة في موضوع لا يعلم منتهاه إلا الله ﷻ.

والجواب: ثَمَّ طابع إذا طبع به أي عمل من الأعمال الصالحة افترق عن الأعمال المماثلة وتحول إلى أفضل الأعمال، حتى لو كان العمل في عين الناس صغيرًا... ألا إنه الفضل المتعدي من العمل الصالح، ولهذا يقول النبي ﷺ في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْـمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْـمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ**

شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ»[(١)].

انظر لهذه الأعمال؛ ما أصغرها في أعين عامة الناس من غير أصحابها الذين يعيشونها ويحتاجونها... إلا أنها أعظم ما تكون من الأعمال، لِذا أصبحت أحب الأعمال إلى الله، وصاحبها أحب الناس إلى الله ﷻ، حتى إن المشي في حاجة أخٍ أيّ حاجة كانت وأي أخٍ كان وأي وقتٍ استغرقت حتى لو ساعة واحدة من نهار أو سويعة ـ أحب إلى الله ﷻ من الاعتكاف في مسجد النبي ﷺ شهرًا كاملًا.

وهذا لا يعني أن الاعتكاف في المسجد الحرام أفضل من المشي في حاجة المسلم، بناءً على أن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة والصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، لا ثم لا، وذلك لأن النبي ﷺ ذكر أنَّها أفضل وأنها أحب إليّ ولم يذكر أفضل بكم، ولم يقل أن الاعتكاف في المسجد الحرام يساويها، ثم إن النبي ﷺ يتحدث عما حوله وأفضل ما يكون مما حوله هو عبادة الله في مسجده الذي يتحدث منه، ولهذا جاءت الإشارة القريبة «هذا»، فكيف بحبس النفس اعتكافًا في المسجد وهو يقتضي الصلوات وما معها من أذكار وطاعات، وقراءة قرآن، وحلقات، ومدارسات وما إلى ذلك من كل ما يتصور من العبادات الذاتية على نفس صاحبها داخل المسجد، فإذا بالنبي ﷺ يبين أجر ما هو ضد ذلك - فيما يظهر - وهو عبادة تخرجه من المسجد، نعم تخرجه من الاعتكاف وهي المشي في حاجة أخ، ولم يذكر النبي ﷺ هنا إن كان شهر رمضان أو غيره، ولم يذكر نوع العبادة التي كان المعتكف مُنشغلًا

---

(١) أخرجه الطبراني (١٣٦٤٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٠٦).

فيها، ولم يستثنِ النبي ﷺ ذكرًا ولا عملًا أفضل من قضاء حاجة أخيه كأن يقول: [إلا أن يكون كذا، أو يعمل كذا، أو قائم ليله، أو يقرأ القرآن، أو نحو ذلك، فلا شيء من ذلك أبدًا يعدل قضاء حاجة الأخ.

والسؤال هنا هو: هل الصلاة على النبي ﷺ فيها عمل متعدٍّ إلى الغير؟

والجواب: نعم.

والسؤال هو: من هو هذا الغير؟

والجواب: هو الرسول ﷺ، فإذا كانت الأعمال المتعدية يكون أجرها بحسب من تعدت له الحاجة ولا شك، فالفقراء أنواع، فمنهم مثلًا: سائل، ومنهم ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فأيُّ غَيْرٍ هذا الذي يقارب رسول الله ﷺ؟! بل لو وضع الغير كله من بعثته إلى قيام الساعة في كفة، ووضع هو وحده في كفَّة، لَما ماثلت تلك الكفة كفة رسول الله ﷺ، بل كيف وكل أعمالهم الصالحة في كفته هو ﷺ، كما لو أن أعمالهم الصالحة في ذروة الكمال والتمام كما علمهم إياها رسول الله ﷺ، وهل الصلاة على رسول الله ﷺ إلا لأجل رسول الله ﷺ في ابتدائها؟ ومن ثم افترقت الصلاة عليه ﷺ بمقداره هو ﷺ، بينما ذِكْر الله سبحانه هو لله تبارك وتعالى، والله غني عن العالمين وغني عن عبادتهم وغني عن ذِكرهم لله، وهم حين يذكرون الله إنما يرجون لأنفسهم الأجور الموعودة على الأذكار، مع ما فيها من حفظٍ لأنفسهم، وتزكية لنفوسهم، وخيرٍ لأنفسهم... بينما الصلاة على رسول الله ﷺ تجمع كل ذلك وزيادة، ثم ما هو أعظم من ذلك كله من كونها متعدية النفع لرسول الله ﷺ الذي هو رسول الله ﷺ وكفى.

ولعل قائلًا يقول: فماذا عن قول النبي ﷺ: «وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١) أليست أفضل من الصلاة والسلام على النبي ﷺ؟

والجواب: لا شك أن هذا الذكر هو مفتاح الدخول في الإسلام، وبدونه لا دخول في الإسلام، فكيف يكون ثمة ذِكر من الأذكار أفضل منه؟ وكيف يكون لأي ذِكر أجر ولا دخول للإسلام بعد؟ ثم إن الصلاة على النبي ﷺ لم تكن قبل ولادة النبي ﷺ فكيف تكون أفضل من «وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»؟!

ولكن من حيث شمول أحدهما للأخرى من حيث المعنى فإن لا إله إلا الله لا يمكن مقارنة شيء بها مطلقًا، ولكن الصلاة على رسول الله ﷺ أخذت قيمتَها ومقامها من (لا إله إلا الله)، وما بكم من نعمة فمن الله.. ولهذا فلا مقارنة.. فأنت حين تقول: اللهم، فهذا دعاء، والدعاء يقتضي الطلب من الله وحده لا شريك له، وهذا المعنى لا يمكن إلا أن يشمل معنى لا إله إلا الله، كيف وقد كان النص على قول (الله) في قوله: (اللهم صلِّ) وهي تشمل بغير شكٍّ إثبات عبودية رسول الله ﷺ لربه تبارك وتعالى.

وإن الصلاة على رسول الله ﷺ تشمل بغير شكٍّ الشهادة الثانية، وهي: (أشهد أن محمدًا رسول الله)، وهل جاءت الصلاة على رسول الله ﷺ إلا لأن المُصَلِّي مؤمن يؤمن بأنه رسول الله ﷺ، بينما شهادة (أن لا إله إلا الله) وحدها لا تقتضي شهادة أَنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، فإنَّ من المعلوم أن (لا إله إلا الله) كانت قبل الرسول ﷺ ولم تكن تعني شهادة (أن محمدًا رسول الله) ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)، وحسنه الألباني.

وأنا لا أحب هذه المقارنات ما بينَ الأذكار ونحو ذلك؛ لأنها ربما أفضت عند بعض الجهلة إلى استنقاص مَن ظن أنه مفضول من الأذكار، عياذًا بالله!

فالله سبحانه قد قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فالله سبحانه نصَّ تحديدًا على الصلاة على النبي ﷺ بالأمر الصريح المحدد، ولهذا فإن «ذِكر الله» لا شك أنه فريضة، لكن «ذِكر الله» تبارك وتعالى عام ويشمل كل الأذكار، ويتحقق الأمر بذِكر الله بأي ذِكرٍ من الأذكار، ولا شك أَنَّ مِن ذِكرِ الله تعالى الصلاةَ على رسول الله ﷺ.

ولعلَّ من أسباب رِفْعَتِها أكثر كذلك كونها دعاء، والدعاء أفضل، وكونها لِرسول الله ﷺ، فما أعظم هذا الاجتماع؛ دعاءٌ ولرسول الله ﷺ! ولِهذا اختصت صيغة الصلاة على رسول الله ﷺ من دون الصلوات على الأنبياء عليهم السلام بصيغة الدعاء؛ فعلى الأنبياء عليهم السلام تقول مخبرًا: (عليهم السلام)، أما في الصلاة على رسول الله ﷺ فتقول نصًّا قاطعًا داعيًا: (اللهم صَلِّ على محمد وآل محمد).

وهنا يأتي اجتماع الفضائل كلها في الصلاة على النبي ﷺ وهي: كونها دعاء، وللغير، ولخير أصلٍ، ولا أقول غير وهو رسول الله ﷺ، وأنها فريضة بصيغة الدعاء له ﷺ.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

الفضل الثاني: دعاء شامل وجزاء كامل

الصلاة عليه هي أحسن دعاء له ﷺ .. فلماذا؟

تقول لي: نحن لا نَدْعو للنبي ﷺ بدعاءٍ يناسب العمل الذي اتبعناه به ﷺ، حتى تقول: إن هذا شكر له على ذلك العمل، أو تلك السنة، أو نحو ذلك؟!

أقول: سبحان الله العظيم، فهذا إما أن يظهر تخصيص النبي ﷺ بالصلاة والسلام عليه.. وهو ما يظهر المعنى الكبير الذي لا حدَّ له لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، وهذا أن كل ما ذكره الذاكرون من علماء الإسلام في الصلاة على النبي ﷺ وكل ما ذكره المفسرون في معنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ فإن الصلاة على النبي ﷺ تجمع كل ما ذكره الأولون والآخرون، بل تزيد بشكل مطلق لا يمكن حده، فإن الدعاء هنا بالصلاة بقولنا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد **إنما تعني أنه توكيل الأمر إلى الله وتفويضه** ﷻ **بالجزاء** الذي يَرتضيه هو سبحانه لرسوله ﷺ كيفما يشاء، فهو يُعطيه سبحانه فضلًا منه وجزاءً من ربك عطاء حسابًا، والله أعلم بحاله، وما من أحدٍ يرعى رسول الله ﷺ رعاية رب العالمين له وخصوصًا بعد موته، إذ الآخرة له ﷺ كلها صفاء ونعماء وهناء ولا كرب فيها ولا بلاء، وهي كما قال في آخر حياته ﷺ: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**»(١).

فسبحان الله: ما أنسب أمر الله سبحانه بالصلاة على رسوله ﷺ، لفظًا دون سواها؟! وسبحان الله فإن الله سبحانه يعلم أن أعمال رسول الله ﷺ وتشريعاته لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وأنها متنوعة لا تحصر ولا تحسب وأنها تتعاظم في كل لحظة، وبناءً على هذا فإن جزاءها منوَّع لا يعلم بحقيقته وحقيقة تنوعه إلا الله ﷻ، ولهذا جاء الطلب الشامل بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ليشمل كل جزاء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]،وقال سبحانه: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾ [النبأ: ٣٦].

أرأيت الحلقات القرآنية المنتشرة في أرجاء هذه الأرض طولًا وعرضًا.. أرأيت

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢).

الآحاد من البشر في المساجد وفي رمضان وغير رمضان.. أرأيت القائمين الليل جماعات ووحدانًا، أرأيت الحافظين وهم يسعون لحفظ القرآن، والحافظين وهم يسعون لِتثبيت ما حفظوا من القرآن حتى يحفظوه كاملًا، أرأيت أئمةَ المساجد وأئمة الصلاة بشكل مطلق.. أرأيت النساء العالمات والمعلمات والحافظات والمحفظات، أرأيت البراعم الصغيرة في بيوت الله وفي البيوتات...

وهل تخلو الأرض في لحظة واحدة من حلقاتٍ للقرآن أو متعلمين أو مثبتين حفظهم أو متعاهدين الحفظ قائمين بالقرآن ليلًا أو نهارًا...؟

فكل واحدٍ من هؤلاء، وكل حلقة، وكل عالم، ومعلم، لهم أجورهم كما علموا ولرسول الله ﷺ مثل أجر الجميع كاملًا غير منقوص، مضاعفًا غير معدود ولا محدود...

ذلك أن كل واحدٍ من هؤلاء قد اغترف القرآن الكريم من قلب رسول الله ﷺ الطاهر المبارك المنير، لأن قلب رسول الله ﷺ هو موطن كلام الله حين نزل فهو المنتهى، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

إذًا فمن هو مُعلِّم المعلمين ومَن هو مبلغ القرآن الأول للناس أجمعين.. ومَن علَّم الناس الإتقان بأعلى وجوه الإتقان، ومَن الذي يسعى كل واحد من القراء إلى شرف الاقتراب من قراءته.. ومَن.. ومَن... من غير رسول الله ﷺ؟! إذ علَّم رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم، فعلَّموا الخلق، وهم جمعوه في المصاحف كما جمعه رب العالمين في صدره الشريف ﷺ، فقال سبحانه أول الأمر: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٩].

وهو ﷺ لم يكتف بتعليم ذلك الجيل، بل حض الأجيال كلَّها على تعلم القرآن وتعليمه... فكانت كلماته ﷺ هي الباعث الحقيقي لجميع الأجيال على تعلُّم القرآن العظيم وإلا فأي شيء يقنع العلماء والصغار والكبار ليقرؤوا القرآن ويحفظوه إلا بما جاء في القرآن نفسه وفي سنة النبي ﷺ وهديه وكلاهما من الوحي الذي أوحاه الله؟!

وإلا فهل من أحدٍ ولد من هؤلاء العلماء عالمًا أو حافظًا...؟ فمن علَّم كل أحدٍ منهم...؟ فهل أعطى رسول الله ﷺ من نفسه وروحه أكثر مما أمره الله ﷻ به...؟ وهل أوصى وشدد بالوصية على القرآن... أليس مَن أوصى فقد أعذر، كيف وقد رَغَّبَ رسول الله ﷺ وحَفَّز ودلَّ، وما إلى ذلك؟!

إذًا فهل يستطيع حاسب أن يحسب ما له عندَ الله من المضاعفات...؟ هل يستطيع حِسابَ ذلك على عدد الخلق من الإنس والجن من هؤلاء الذين ذكرنا مع القرآن؟ وهل نستطيع عد الأحرف التي تحركت بها الشفاه كلها بالقرآن؟ وهل تستطيع أن تحسب ذلك كله على مستوى الكمال الذي لا نقص فيه أبدًا...؟ فكم له من الأجر...؟ بل كم له من حقٍّ بالدعاء بالصلاة والسلام عليه حتى نشركه ﷺ؟! وهل من كلمة جامعة تجمع ذلك أعظم من اللهم صل على محمد وآل محمد؟

فمن يذكر من كل هؤلاء المتعلقين بالقرآن الكريم من طلبة وعلماء ومهتمين وخادمين وغيرهم رسولَ الله ﷺ.. من يذكر منهم رسول الله ﷺ؟ من يذكره ﷺ دائمًا وأبدًا في كل جزئية مما ذكرنا؟ أليس هو المعلم كل جزئية..؟ من يذكره عند كل حرفٍ يتعلمه؟ ويذكره عند خطوة يغدو بها ليحفظ وليتعلم أو ليعلم أو ليثبت حفظه؟ من يذكره، ومن، ومن، ثم من..؟ ومن يذكره

عند كذا وكذا وكذا ثم كذا...؟ إن الأمر مستحيل.. ولهذا جاء أمر الله بالصلاة على النبي ﷺ لأنك إنما تفوض الله سبحانه، والتفويض يكون بكلمة، لكن لا بد أن تصلي عليه، ولا بد أن تذكره بهذهِ الصلاة تحديدًا، ولا بد أنْ تَدْعُوك الصلاة إلى المزيد من الصلاة لا إلى العجز والتوقف عند صلاة واحدة، فإنه إذا ما استحضر المرء رسول الله ﷺ وفضله وتأسيسه وسَنَّه ذلك العمل إذ لم يكن موجودًا أو كان في حكم العدم فأحياه ﷺ.

أو لم يقل الله سبحانه ذاكرًا أصحاب رسول الله ﷺ - لأنهم أساس الأمة الأول كله - ومقدِّمًا رسول الله ﷺ عليهم، لأنه الفارس والساقي والحارث والحارس فقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، أليست هذه الشجرة وهذه أغصانها وثمارها وكل خير جاء الأمة فمن بذر هذه الشجرة ومن سقى فسائلها... أليست هذه هي الأمة كلها.. هي أُسُّها وقاعدتها... فإنه من الأدب من كل شيخ وقبل أن يبتدئ مجلس القرآن خاصة أو أي مجلس علم وذِكْرٍ يجلس ليشبع اشتياقه ويشبع شكره بالصلاة على النبي ﷺ.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

ولربما كانت هذهِ الصلاة بعد عمله ذاك أو جلسته تلك أو ما إلى ذلك، أو تخللت الصلاة على رسول الله ﷺ عمله أو كل ذلك، وبهذا تكون أنت قد فوَّضتَ ربك ﷻ، وأوكلت له سبحانه أمر جزاء حبيبه ﷺ، وبهذا تكون قد

حمدت الله وشكرته، وحمدت فعل رسول الله ﷺ وشكرته عند الله وعند رسوله ﷺ، والله يقبل منك ذلك... والله يتولى جزاءه بعد ذلك، والأمر كما قال النبي ﷺ نفسه: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(١)، وقوله ﷺ: «**والْحَمْدُ لِلهِ تَمْلأُ المِيزانَ**»(٢).

أرأيت الشفاه المتمتمة بذكر الله، أم رأيت الأكف الضارعة بدعاء الاضطرار، أم رأيت الحناجر الصادحة بالحق على المنابر، أم رأيت الواعظين المذكرين بالله والدار الآخرة، أم رأيت الناصحين الدالين على الخير، أم رأيت الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر... واذهب إلى رقعة الأرض وتأمل، ووسِّعْها على مستوى الزمان منذ أن بُعث رسول الله ﷺ لتعلم أن هذه نعم لم يكن هؤلاء يعرفونها لولا رسول الله ﷺ... فهل يلزم العبد شكر الله أم لا يلزمه؟ وهل من شيء أسبق من أن يقول في كل موقف وكل مرة: ﷺ شكرًا لرسول الله ﷺ.

ولسان حال العبد يقول: يا رب أنا والله عاجز عن شكر فضل رسولك ﷺ، فأنا أوكل أمري إليك، فأنت نعم المولى ونعم الوكيل يا ربنا الأكرم، فأنت سبحانك قد قلت وقولك الحق أول ما قلت لرسول ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، فاللهم إنا نشهدك وحدك لا شريك لك، ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أن رسولك قرأ، وأنه ﷺ أقرأنا، وعلمنا، وبين ﷺ لنا، وبلغ ﷺ البلاغ كاملًا، وحرص ﷺ على تعليمنا القرآن أشد من حرص الآباء والمعلمين، وأنه ﷺ رغبنا بذلك وحضنا، وأنه ﷺ أوصانا بكتابك أعظم الوصايا وأوضحها، وأنه لا حجة لأحدٍ منا إن قصر أبدًا أبدًا.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣).

فهل عرفنا لِمَ قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد

الفضل الثالث: الصلاة عليه لها في كل جزئية فضلان

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا؛ لأنه ما من مُهتدٍ يهتدي في هذه الدنيا منذ أن بعث الله ﷻ رسول الله ﷺ وإلى يوم القيامة من إنس وجن إلا ولرسول الله ﷺ مثل أجر هدايته كله، ومثل عمله الذي سيعمله كله، ومثل ما سيرثه من هدايةٍ في ذريته إلى قيام الساعة... وذلك في الجن والإنس على حدٍّ سواء.

فاللهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

هذا الفضل الأول، وأما الثاني: فإنه ﷺ هو من أوقف الباطل، وهو من أوقف انحدار الأمم وهي على السفح المنزلق إلى الهاوية السحيقة... وربما قال قائل: إنهم حين اهتدوا أخذ مثل أجر هدايتهم، وحين زكوا أنفسهم أخذ مثل أجرِ تزكيتهم أنفسهم، وحين أطاعوا الله وعملوا الصالحات وتقربوا إلى الله تعالى أخذ ﷺ مثل أجر صالحاتهم وزيادة وهكذا، **فما معنى قولك إنه يأخذ أجر إيقاف الباطل؟!**

والجواب: إنَّ أَخْذَ أجر إيقاف الباطل شيء، والهداية وما بعدها شيء آخر، ولإيضاح هذه المسألة: فلو أن عندك رجل يشرب الخمر، فحاولت معه حتى ترك شرب الخمر.. أليس لك أجر ذلك؟ والجواب: قطعًا، بلى، لكنك حين حاولت معه لِيصلي ويقوم بما أمر الله به لم تستطع، فجاء صاحبك فحاول معه فاهتدى وصلى وصام وزكى وحج وأخذ يعمل الصالحات، أليس لِصاحبك أجر ذلك كله كما أنك ظفرت بأجر تركه شرب الخمر؟ والجواب: بلى.

أو ليس من قام بالاثنين معًا له الأجران معًا.

ثم إنَّ كثيرًا من الناس يتوقفون عند تحقيق إيقاف الانحدار فحسب ولا يكملون الطريق أو لا ينجحون في تحقيقه، وهكذا هي البشرية بعد بعثة النبي ﷺ، فهو ﷺ دعاهم أجمعين، فمنهم مَن توقف عن انحداره وأخذ بالعلم والنظام والعدل والحرية مما جاء به النبي ﷺ فصلحت حياتهم وتنظمت وارتقت ونظفت وسادها العدلُ والحرية وما إلى ذلك لكنهم لم يرتقوا إلى الهداية، وهذا يعني أن كونهم لم يأخذوا بالهدى واستكبروا استكبارًا فهذا عليهم وليس على النبي ﷺ منه من شيء، وهو ﷺ له أجره ﷺ على البلاغ كاملًا، وله أجر إيقاف انحدارهم الذي خطه لهم أسلافُهم؛ لأنه أنقذهم من شفا حفرة عذاب الدنيا وعبوديتها وظلمها وظلماتها وقهرها وفقرها وعدوانها وعهرها وما إلى ذلك.

فإن تخليصَهم من اختطاف الشياطين لهو أمرٌ عظيم حتى وإن لم يهتدوا، ومع هذا فإنهم سوف يهتدون يومًا من الأيام بإخبار رسول الله ﷺ، فالمقصود أن عمل هؤلاء الصالح في الحياة حتى لو لم يهتدوا له أجره، سواءً كان ذلك في عصره أو من بعد عصره أو من الأمة الإسلامية والدول الإسلامية التي قامت هنا وهناك، أوجاء أولئك من غير المسلمين وأخذوا منها وأرسلوا أبناءهم فنقلوا العلوم والفنون والصناعة ومناهج البحث إلى أقوامهم، فالله ﷻ يعلم أن مصدر ذلك كله هو رسول الله ﷺ... وهذا الأمر على مستوى الثقلين: الإنس والجن، أما الجن فإنْ كنا لا نعرف تحديدًا أثر رسول الله ﷺ مفصلًا عليهم لكنا نعلم يقينًا أنه بلغهم، وأن منهم من اهتدى، وأنه علمهم الحلال والحرام، وأنهم دعوهُ ليتعلموا منه، فَعَلَّمهم ﷺ وبلغهم وهم قد فصلوا في قول الله سبحانه.

والسؤال هو: أليس لرسول الله ﷺ حق على المهتدين وحق على غير المهتدين...؟ أليس من حقه على الناس كافة والجن كافة أن يصلوا عليه ﷺ ؟!

فإن كون ذاك قد أخذ بما يصلح حياته من النبي ﷺ ولم يأخذ بالهداية، فإن هذا لا يعني أن ليس للنبي ﷺ عليه حق.. فهو له حق على الاثنين مع ما على من لم يهتدِ من عقاب الكفر بالنعمة والكفر بصاحبها والكفر بمعلمها ومبلغها والكفر بالله رب العالمين... وكل هذا يسمى كفرًا.

فإذا لم تهتدِ تلك الأمم، ولم تشكر رسول الله ﷺ فمن يشكر رسول الله ﷺ ؟ وهل يضيع أجره..؟!

لا والله، بل العوض بصلاة الله عليه وكفى بالله عوضًا ومعوضًا، وهو خير وأبقى.. العوض بالله وهو القائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾، والله سبحانه لا يؤخر أجره إلى الدار الآخرة فقط، إنما هو يصلي عليه ﷺ في هذه الحياة.. وكذا ملائكته، وصلاة الله سبحانه عليه وصلاة ملائكته قائمة في الدنيا لا تنقطع، وهي ذاتها لها من الأجر في الآخرة ما لا يمكن تصور جزاء الله عليها أبدًا.

الفضل الرابع: الصلاة عليه أكثر وأكبر من عدد جزيئات الزمان

كيف تتواصل الصلاة عليه في كل لحظة ﷺ فلا تنقطع أو تتوقف أبدًا

يا أمة محمد ﷺ: إذا هالك أمر الأذان وهو يُغطي هذه الأرض في كل لحظة زمنية، فلا تمر على الأرض لحظة إلا وتجد فيها الأذان، فكذلك لا تمر لحظة إلا وتجد فيها ذكر رسول الله ﷺ، وتجد فيها من يعلن الشهادة لرسول الله ﷺ على الأرض، وتجد من يصلي على رسول الله ﷺ في آخر الأذان، كما سَنَّ لنا ذلك رسول الله ﷺ... ألا فلنعلم مقامه ﷺ عندَ ربه، وإن هذا من صلاة الله

على رسوله ﷺ إذ شرع للناس أن يصلوا عليه، وهو سبحانه يُعطيهم في كل وقت على الصلاة عليه بصلاةٍ مضاعفة عشرًا، ويتقبلها ﷻ منهم له ﷺ لأنها دعاء له بالصلاة عليه، فإذا تقبلَها الله سبحانه منهم.. وكيف لا يتقبلها ربنا سبحانه منهم له ﷺ، **ويبقى السؤال هو**: كم يعطي الله سبحانه رسوله ﷺ على الصلاة عليه إذا كان قد أعطى مَن صلى عليه عشرًا؟ فالأمر لله ﷻ، فكيف وهذا حبيبه ﷺ، وهذا الحبيب هو صاحب الفضل على جميع مَن صلى عليه من الثقلين إذ هو سبب صلاتهم عليه، بل هو سبب هدايتهم أصلًا، وهو مَن أخرجهم من الظلمات إلى النور، فضله عليهم لم يبتدئ بصلاتهم عليه، بل بإحيائهم وبعثهم بالنور والهداية ودخول الإسلام أولًا.

ثم هل ترى ملائكة الله وهي ترى هذه الأرض في كل لحظة تُصلي عليه ثم هي لا تصلي عليه؟! كيف تقطع الملائكة الصلاة والناس مستمرون، فمَن هم الذين لا يفترون؟ أهم الناس أم الملائكة؟!، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ أي مستمرون، فالملائكة إذ هي تصلي عليه فإنما هي تشهد وشهادتها عند الله عظيمة، وهي تدعو على الدوام له ﷺ، وهي تحبه وتعلن حبها له عند ربه ﷻ، وهي تترضَّى عليه طالبة من ربها مزيد الرضا عليه ﷺ في كل صلاة تصليها... فالله أكبر ولله الحمد؛ فأي مبلغ سيبلغ رسول الله ﷺ؟!

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

ولنا أن نتساءل هنا: أليست الصلاة عليه ﷺ من الكلم الطيب؟ أليس الأذان عملًا صالحًا يرفعه أهل الأرض، والله سبحانه يقول: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وهذه مَزِيَّة عظيمة للصلاة على النبي ﷺ على بقية الأذكار، فالأذان ذِكر، والأذان عمل، والأذان يجر إلى ذِكر ويجر

إلى عمل، ومما يجر إليه الصلاة، وكذا الصلاة على النبي ﷺ، وبما أن هذا لا يتوقف على مدار اليوم والليلة من البشر، فكيف يتوقف العطاء من الله تبارك وتعالى على أمرٍ عطاؤه في الدنيا قبل الآخرة؟ وكيف تتوقف الملائكة؟ بل إن الأمر الذي لا يمكن أن يكون هو أنْ يصلي البشر على النبي ﷺ والله سبحانه لا يُصلي عليه، وحاشاه سبحانه، فهو من جعل الصلاة عليه جزاء الصلاة عليه لِمَن صلى عليه، أوَلم يصح في الحديث: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[(١)]، بلى والله، بل لو أن العباد فرضًا قطعوا الصلاة على رسول الله ﷺ لَما قطعها الله تبارك وتعالى، فكيف ورب العالمين قد صلَّى قبل أن يُصلي البشر، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، فهو سبحانه أمر بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته وحملة عرشه.

إذًا فالصلاة على النبي ﷺ لا ولن تنقطع أبد الآبدين؛ لأن الله سبحانه أخبر بها عن نفسِه وعن ملائكته بفعل المضارع قبل كل عمل، ولأن سببها قائم ومستمر لا ينقطع في الأرض أبدًا.

وأمر آخر: يجب على كل عبدٍ من العباد أن ينزه ربَّه سبحانه أن يأمر بأمر ثم هو سبحانه وتعالى لا يفعله مادام أعلمنا بأنه تبارك وتعالى فاعله، سبحان الله وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فالله يصلي عليه ﷺ، وصلاة الله عليه بذكر الله ﷻ له ﷺ دائمًا في الملأ الأعلى، وهو يستجيب لعباده فيه دائمًا، وإذا كان يصلي على كل مَن صَلَّى على رسوله لأجل رسوله ﷺ، فكم يكرم الله ﷻ مَن أكرم لأجله مَن صَلَّى عليه بعشر مثلها.. كم يعطي الأصل وهو رسول الله ﷺ؟

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨).

فهل اتضح الآن المقصود حين اتسق الوجود في الصلاة على رسول الله ﷺ ودوامها من ربنا المعبود وملائكته الكرام، وهذا بعض ما يعني قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

الفضل الخامس: لا تصح الصلاة إلا بالصلاة عليه، فاللهم صَلِّ عليه وسَلِّم تسليمًا

الصلاة في الصلاة، ما المناسبة بين الصلاتين؟!

المناسبة الأولى: الصلاة هي الأحق بالصلاة على النبي ﷺ:

هذه الصلاة على النبي ﷺ عليه في داخل فريضة الصلاة... أترى هذهِ الأرض في أية لحظة من ليل أو نهار تخلو من مُصَلٍّ يصلي قائمًا أو قاعدًا، راكعًا أو ساجدًا...، وبغير الصلاة على رسول الله ﷺ وآله لم تقبل صلاته، كما قال الإمام الشافعي:

يَـا آلَ بَيْـتِ رَسُـولِ اللهِ حُبُّـكُمُ فَرْضٌ عَلَى النَّاسِ فِي القُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمُ مِـنْ عَظِيـمِ الفَخْرِ أَنَّـكُمُ مَنْ لَـمْ يُصَـلِّ عَلَيْكُمْ لا صَـلَاةَ لَـهُ

والمقصود هنا التحيات والصلاة على النبي ﷺ فيها مع الصلوات الإبراهيمية... وهكذا يجعل الله سبحانه الصلاة على نبيه ﷺ فرضًا وليس فضلًا، وهذا والله هو الحق.

وإن من حكمة الله في الصلاة على رسول الله ﷺ بالصلاة أمورًا كثيرةً منها: أن الله سبحانه يُذَكِّر من نسي الصلاة عليه بالصلاة عليه ﷺ في صلاته، سنة كانت هذه الصلاة أم صلاة فريضة، وبهذا يكون تشريع الصلاة على النبي ﷺ

في الصلاة رحمة بالغافلين عن الصلاة عليه... ولك أن تتصور كيف ستكون حالة عبدٍ رحل عن الدنيا وقد غفل عن الصلاة على النبي ﷺ مطلقًا؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد

وإن الصلاة على النبي ﷺ في داخل الصلاة لِحِكَمٍ عظيمة من ربنا الحكيم العليم... فأحقُّ موضعٍ تكون فيه الصلاة على النبي ﷺ إنما هو في الصلاة لله رب العالمين...

فالصلاة والصلاة مشتركتان في الاسم متحدتان في رسول الله ﷺ، كما أنهما مشتركتان في أمور كثيرة... فما من موضع أحق أن يقدِّم فيه العبد شكرًا لله تعالى من الصلاة وذلك بالصلاة على رسول الله ﷺ.

فهل اختصت شريعة من الشرائع في تشريعها على رسول الله ﷺ كما اختصت الصلوات الخمس لله رب العالمين؟! هل من فريضة رفع الله رسوله ﷺ إلى ما فوق السماوات ليشرع له - هناك - ولأمته إلا الصلاة التي نعرفها؟!

وهل من فريضة اشترط فيها النبي ﷺ اتِّباعه كما هو الأمر في الصلاة فقال: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١)؟!

وهل من فريضة أَمَّ فيها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ كما فعل ذلك حين شرعت الصلاة في السماء فجاءه جبريل في يومها ظهرًا، فأَمَّه في أول الوقت، ثم جاءه في اليوم الثاني فأمَّه في آخر الوقت، وذلك لكل صلاة، ثم قال له: «**ما بَينَ هذَينِ وقتٌ كلُّهُ**»(٢)؟

(١) أخرجه البخاري (٦٣١).

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٦)، وصححه الألباني، قال الزيلعي في نصب الراية (١/ ٢٢٢): وقَالَ التِّرْمِذِيُّ: قَالَ مُحَمَّدٌ يَعْنِي الْبُخَارِيَّ: حَدِيثُ جَابِرٍ أَصَحُّ شَيْءٍ فِي الْمَوَاقِيتِ.

وهل من فريضة أَمَّ فيها رسول الله ﷺ الأنبياء عليهم السلام مثلما أَمَّهم في الصلاة بعدما رجع إلى المسجد الأقصى من السماء؟!

وهل من فريضة أداها النبي ﷺ تعليمًا على المنبر أمام الصحابة إلا الصلاة؟ وهل من موضع مُذكِّرٍ بالصلاة على النبي ﷺ مثل الصلاة؟!

فهل من فريضة من فرائض الله تعالى تحددت فيها حركة جسد النبي ﷺ مثلما تحدَّد في صلاته ﷺ نفسه؟ لقد عرفنا في الصلاة حركات عين النبي ﷺ، وحركات فقراته ﷺ، وحركات يديه ﷺ، وقراءته ﷺ، وصوته ﷺ، ودعواته ﷺ، وأناته ﷺ، حركة لحيته واضطرابها ﷺ، ودمعاته ﷺ، وهمهماته ﷺ، وبكاءه ﷺ، وانحناء ظهره وكيفيته ﷺ، واعتداله ومقداره ﷺ، وهويهُ للسجود ﷺ، وأصابع يديه ﷺ، وأصابع رجليه ﷺ، وكيفية التفاتته عند سلامه ﷺ.

كل ذلك وغير ذلك أخذناه منه ﷺ، فله ﷺ في كل تحريكة وتسكينة في صلاتنا صلاة عليه، وهذا حقه، وهذا واجب علينا وهذا من شكره الذي علمنا إياها حركة حركة وحرفًا حرفًا، ولعله لِهذا شرع الله تبارك وتعالى في ختام الصلاة أن نقرأ التحيات لله، والتي في ختامها الصلاة على رسول الله ﷺ لتشمل كلَّ ما قبلها، والله سبحانه كريم يقبلها عن كل ما قبلها، وما من شيء يظهر العملية التعليمية وأنه ﷺ معلِّمًا مثلما يظهر ذلك في الصلاة، فهو المعلم بالقول وبالفعل وبالإشارة وبالحركة، وبالصوت، بل وبالنية، وبما ظهر وما بطن مثل الخشوع وحركة القلب وحركة الجوارح، والدعاء المباشر والدعاء بالقرآن... فكيف يمكن شكره ﷺ عن كل ذلك جزءًا جزءًا.. فلم يكن مستطاعًا أن يصلي المصلي على النبي ﷺ عند كل جزئية في الصلاة... إذ ستكون الصلاة كلها

صلاة على النبي ﷺ من أولها إلى آخرها. ولهذا يسَّر الله ذلك كله على العباد وشرع لهم سبحانه تشريعًا خفيفًا وقَبِلَه منهم بأكمل صورة من صور الصلاة على النبي ﷺ وهي التي تُسَمَّى الصلاة الإبراهيمية؛ «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(١)]، فالحمد لله رب العالمين.

فهل فضلٌ منا أن نصلي عليه، أم هو مجرد وسيلة للأجر نحصل عليه، أم أداء واجب فحسب لأن الصلاة عليه ﷺ فريضة افترضها الله على أنفسنا ولو أن الله سبحانه ما افترضها علينا ـ جدلًا ـ لغفلنا عنها وربما لم نفكر فيها؟! نعم هي فريضة من الله علينا وأنعم بما افترض الله علينا.. وما افترضها الله ﷻ إلا لحكمة وغاية عظيمة عظيمة... وهل من غاية سعى لها رسول الله ﷺ وحققها مثل شُكْر الله.. إذًا أليس الواجب علينا شكر الله ﷻ وشكر رسوله ﷺ... وهل شكر الله ﷻ على نعمة أن أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﷺ هو شُكْرٌ إجمالي على الرسالة بشكل عام كما يفهمها أغلبنا وقد قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، إن شكر الله وشكر رسوله ﷺ على كل نعمة من النعم.. كل شيء ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، وهل من سبيل لشكر النبي ﷺ مثل الصلاة عليه ﷺ..؟! **لا تقل: اتباعه هو شكره**. كأنك تريد أن تصرف الناس عن حبه، وقربه! أو كأنك تريد أن تجعل العلاقة بين الأمة وبين رسول الله ﷺ علاقة جامدة! علاقة ظاهرية لا نصيب للروح فيها، ولا للقلب،

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٠).

ولا للباطن، وليس للعواطف منها نصيب! أو كأنك تريد أن تشق صراطًا جديدًا يقدَّم فيه الآخرون على العلماء الربَّانيين الرحماء!

ثم أقول: أوليس من اتباعه الصلاة عليه، أوليس من اتباعه شكره ﷺ، أوليس من اتباعه الإكثار من الصلاة عليه، و هل في اتباعه شيء أفضل من أن نجعل صلاتنا كلها صلاة عليه كما جاء في حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْـمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْـمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**»، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؛ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(١).

إن المسلم ليستحيي من الله وهو يقرأ ما أخبر الله سبحانه وتعالى بصنيعه مع رسوله ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، ثم هو يتوانى عن الصلاة عليه، ويتأخر ويتراخى، ثم لا يبالي بعد ذلك أصلَّى عليه أم لم يُصَلِّ، هذا وفضل رسول الله ﷺ على أمته لا تحمله الجبال. ثم كيف تنقطع صلاتك على رسولك إذا سمعت ذكره، بينما صلاة الله وملائكته مستمرة.. كيف، وكيف، وكيف؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٤) رقم (١٦٧٠): حسن صحيح.

المناسبة الثانية: كلا الصلاتين من عند الله وإلى الله مباشرة:

فليست هذه وحدها مناسبة الصلاة الخمس للصلاة على النبي ﷺ... فالصلوات الخمس شرعها الله ﷻ بشكل مباشرٍ ما بين الله ورسوله ﷺ من غير وسيط بينَهما، فلا ملَك ولا سواه، والصلاة على رسول الله ﷺ هي دعاء مباشر ما بين من يصلي على رسول الله ﷺ وبين الله رب العالمين من غير أن توجّه للرسول ﷺ، فيستوي فيها من كان في حياة النبي ﷺ ومن جاء بعده ﷺ، بل يستوي فيها من عاش في عهده وهم أصحابه، ومن عاش في عهده وآمن به ولم يره ﷺ حتى مات ﷺ...

فأمر الصلاتين وغايتهما ومنتهاهما واحد وهو الله رب العالمين.

وصَلَّى الله وسَلَّم على نبينا محمد

هذا أمر وأمرٌ آخر وهو أن الله قد جعل الصلاة على النبي ﷺ خاصة دعاء، بينما الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء عليهم السلام إخبار، هذا هو الأصل، وهو ظاهر من صياغة الخبرفتقول: عليه السلام، أما في النبي ﷺ فالدعاء بالصلاة على النبي ﷺ فلقد تقدم اسم الله ﷻ مرتبطًا به حرف الميم فأصبح (اللهم) أي: يا الله، فالإخبار إخبار للبشر مباشرة.. بينما الدعاء تحويل إلى الله ﷻ مباشرة... وشتان بين الغايتين والمعنيين، وإن كان الخبر صادقًا لا شك فيه وهو كذلك إلا أن المراد هنا هو بيان الحكمة في التناسق ما بين المباشرة شأن الصلاة ابتداءً من تشريعها من الله تعالى إلى رسوله ﷺ وحتى انتهائها... مع أن الشكر لله رب العالمين مباشرة بدعائه مباشرة بالصلاة على رسوله ﷺ.

ومن نظر إلى تفاصيل الصلاة فإنه سوف يترسخ عنده الشعور بالعجز المطلق عن شكر رسول الله ﷺ... لكنه يرفعه كدعاء، وهو سبحانه يُعطيه ما

يشاء... يرفعه دعاءً مطلقًا بطلب الصلاة عليه والسلام عليه سلامًا مطلقًا من غير عدٍّ ولا حد، والله سبحانه هو المتكفل بذلك، فماذا ترى سيكون عطاء الله لِحبيبه ﷺ؟ ولو عدت إلى صيغة الصلاة والسلام في الآية الكريمة عرفت ذلك جيدًا، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

المناسبة الثالثة: اجتماع الشهادة الكاملة لرسول الله ﷺ في الصلاتين:

وليس الأمر عند هذا الحد أو هذا التصور، فإن رسول الله ﷺ حاضر ومشارك وإن مات ﷺ فعلمه قائم وباقٍ، وعلمهُ مَعْلَمٌ متوهج وإن ذهب إلى ربه ﷺ... وهذا ليس فقط في الصلاة على النبي ﷺ وإنما في كل ما تراه من خيرٍ وأعمالِ خيرٍ يعملها المسلم، وربما الكثير من غير المسلمين...

كل ما قمت متوجهًا في صلاتك إلى البيت العتيق فلتعلم أن الدال على البيت العتيق والداعي به هو رسول الله ﷺ، **فله سهم مثل سهمك في صلاتك وزيادة**، قال الله سبحانه: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وهكذا كلما رأيت من الناس مصليًّا متجهًا إلى الكعبة فاعلم أن رسول الله ﷺ هو صاحب الفضل عليه ـ بعد الله ﷻ ـ فماذا للمعلم؟ كل مَن خشع في صلاته أو في قراءته القرآن أو في ذِكره أو في تفكُّرِه فهو ﷺ معلمه الخشوع، وأما من لم يخشع فعدم خشوعه عائد عليه وراجع لِتقصيره، **ولرسول الله ﷺ الكمال في عمل كل عامل**... وماذا على المعلم من ضير إذا أساء المتعلم؟

أينقص البشر من راتب المعلم الشهري إذا علَّم وأجاد ثم رسب الطالب أو قصر...؟

فهات كل شرع الله.. وكل العبادات والعابدين في هذه الأمة إلى يوم الدين واحسب لرسول الله ﷺ كل عبادة عابد أجرها كاملًا غير منقوص، وللعامل بها أجره كما عملها هو.

وهل صلاة الله وملائكته الدائمتان الكاملتان - بعد فضل الله - إلا لإعطائه أجره كاملًا مستمرًّا وإن قصر العاملون، أو غفل عنه الغافلون، أو صلوا عليه ولكنهم ذاهلون عنه سادرون.

فإن المطلوب من الرسول ﷺ إنما هو البلاغ، كما قال سبحانه: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، فإن الرسول ﷺ قد وَقَفَ في أكبر الجموع في عصرهِ والتي أمره الله سبحانه أن يدعوها إلى الحج الأكبر، وخطب فيهم الخطبة المشهورة المشهودة، والتي اصطلح العلماء على تسميتها بخطبة الوداع، وكان يُكرر على الناس الإشهاد عليهم، وختم بالإشهاد عليهم فقال ﷺ: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»(١)، وكان يرفع أصبعه إلى السماء ثم يرجعه عليهم حين يقول: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ**».

فإذًا البلاغ المطلوب منه حصل بكلِّ ما أمره الله بإبلاغه، وهذا هو الكمال الذي يستحق عليه كامل الأجر من ربِّه، بل حصل منه أكثر من البلاغ وهو الذي عاتبه الله عليه ﷺ، فقال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه:١،٢]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٠٢).

وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢١-٢٦]، وقال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، فلم يقتصر الرسول ﷺ على البلاغ كما أُمِر ﷺ، بل البلاغ مرارًا وتكرارًا، والحرص والحزن والأسف القاتل لأجلهم، وما بعد بَذْل النفس من بذلٍ، وما بعد الحسرات القاتلة على هدايتهم من صدق.

أليس من حق رسول الله ﷺ أن يُصلِّي عليه كلُّ مَن توجه إلى القبلة، وكل مَن أدى الصلاة.. والأمر ليس بشكل عام مجمل، إنما هو على كل جزئية صلاةٍ واحدة شكرًا وعرفانًا، وهكذا في كل مرة تعود فيها للصلوات تعود للصلاة عليه مرة واحدة على كل جزئية، وهذا على أقل تقدير ﷺ، فمن يحصي هذا على نفسه، ومن يذكر هذا عند فعله، ومن يفكر في هذا أصلًا؟ إذًا من يكافئ رسول الله ﷺ على كل هذا إذا لم يكافئه الله سبحانه بالصلاة عليه؟ ومن يكافئه إذا لم يجعل الله الملائكة دائمي الصلاة عليه..؟

وبما أن الثقلين دائمو الغفلة عنه ﷺ فكانت الملائكة دائمي الصلاة عليه ﷺ.

والعجب أنه لا يزال أحدنا دائم الترديد لنفسه وللناس «**مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا**»(١)، وننسى الصلاة والسلام على مَن دلَّنا على كل هدًى ﷺ، فهو هادي المهديين من الخلق في أمته!

ثم نأتي نُذَكِّر أنفسنا ونذكِّر الناس بأن «**مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ**

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ»(١)، وننسى الصلاة والسلام على مَن عَلَّمنا السنن الحسنة وأصولها!

الله أكبر، والله إنه لأمرٌ مَهول في قبح النسيان، ومهول في تضمنه الهجران، مع أنه في الحقيقة أمر فوق الإحصاء وفوق العدِّ لأجر الرسول الله ﷺ إذا عمَّمنا النظرة إلى سنة النبي ﷺ واستشهدنا له ﷺ على سننه ﷺ كما نستشهد بها لأنفسنا وعلى بعضنا البعض مرغبين في العمل بها... أليس هذا أقل القليل نحوه؟ فماذا ونحن لم نبلغ أقلَّ القليل؟! ثم إن لرسول الله ﷺ الأجر كاملًا في كل سننه وهديه لا ينقص منه شيء أبدًا.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد تسليمًا كثيرًا

الفضل السادس: لا يتحقق القيام بالصلاة والسلام عليه من مرة واحدة ﷺ

ولا يقولن قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ هو أمرٌ من الله سبحانه، والأمر من الله يتحقق ولو بفعله مرة واحدة!! فلو أنه سمع قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ وقال: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، ظنًّا منه أنه أدرك الواجب وحققه قيل له:

أولًا: ليس الأمر كما ظننت... إذ كيف تكتفي بصلاةٍ واحدة في حياتك عليه والله قد افترض عليك الصلاة عليه ﷺ في كلِّ صلاة؟!

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧).

ثانيًا: وكيف تكتفي بالصلاة عليه مرة واحدة والواجب عليك أنك كلما سمعت اسمَه ﷺ أو الصلاة عليه ﷺ أن تصلي عليه ﷺ... أما إذا سمعت الصلاة عليه ﷺ فأعرضت عن الصلاة عليه ﷺ فإن العقاب ينالك وإن الذمَّ يلبسك، والنبي ﷺ يقول: «... **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْخَلِ النَّاسِ... مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، فَذَلِكَ أَبْخَلُ النَّاسِ**»؟!(١) فإن البخل بمن أحسن لك يومًا أقبح من البخل بمن لم يحسن لك أبدًا، فكيف بمن أحسن لك دومًا؟!

ولا شك أن البخيل لا يُحبه الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، فالبخل بالصلاة والسلام على النبي عند ذكره ﷺ كالبخل به لو أنه حضر ولم تأبه به ﷺ فَسَلَّمَ فلم تردَّ السلام، فهناك حضر شخصه ﷺ فليحضر الأدب في شخصك الحاضر إن كان حاضرًا، وهنا حضر ذِكره فليحضر الأدب عندَ ذِكره ﷺ ولتحضر الصلاة عليه ﷺ فالحضور بحسب الحالة، ولِهذا فلا ينبغي لأحدٍ أن يستغرب أن يكون المعرض عن الصلاة على رسول الله ﷺ أبخل البخلاء... فمن عرف بعض مقدار رسول الله ﷺ وحقِّه عَرَف مقدار البخل بالصلاة على رسول الله ﷺ.

ولا ينبغي أن نهوِّن الأمر فذلك ليس من حقِّنا، ولنأخذ خطورة الإعراض عن الصلاة على رسول الله ﷺ كما وردت.

---

(١) صحيح الترغيب ج٢ ص ٣٠١ رقم ١٦٨٤، نضرة النعيم ج٩ ص ٤٠٣٥ رقم ٩، ذكره السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، وعزاه لابن أبي عاصم في الصلاة، وقال الألباني في تخريجه: حديث صحيح لغيره.

وكما هي بالنسبة لِمَقام رسول الله ﷺ، إنه (أبخل الناس) هكذا قال رسول الله ﷺ، وهكذا هو قطعًا.

الله يأمره ورسول الله ﷺ يطلب ثم العبد يبخل... فمن أبخل من هذا العبد؟!

ثالثًا: ومع هذا فليست هذه هي الصياغة الوحيدة الواردة في ذمِّ ترك الصلاة على رسول الله ﷺ عند ذِكره ﷺ، فلقد ورد فيه حديث مرعب والله: عَنِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رضي الله عنه قَالَ: «**صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةً قَالَ: آمِينَ، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً أُخْرَى، فقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً ثَالِثَةً، فقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فقَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمين**»(١)، إذًا فهذا دعاء في أفضل مقام، مقام صعود المنبر، والقيام للموعظة، والدعوة إلى الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقد جاء في هذا الموقع تحديدًا جبريل عليه السلام هنا من عند الله يخبر رسول الله ﷺ بأن يُؤَمِّنَ على هذا الدعاء المجاب، فيؤمن عليه، فهو دعاء من عند الله يُخبره به جبريل عليه السلام ويؤمن عليه ويؤمن عليه رسول الله ﷺ.. فمن يستطيع أن يُهوِّنَ من أمر المعرض عن الصلاة على رسول الله ﷺ بعد هذا؟! فالدعاء جامع لعلوِّ المقامات؛ جامع لعلوِّ مقام المكان وعلو مقام الداعي وعلو مقام المؤمِّن عليه... ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٠٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٩) رقم (١٦٧٨): صحيح لغيره.

رابعًا: إن الصلاة عليه مستمرة ﷺ: فكيف تكون الصلاة على رسول الله ﷺ مرة واحدة وتكفي لإسقاط الفريضة؟! فهل فضله ﷺ علينا مرة واحدة فقط.. أم أن نفوسنا ترضى، وموازيننا تقسط، وهممنا تقنع، وتشبع بصلاة واحدة عليه أمام كل فضائله ﷺ علينا؟! أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، أي ميزان هذا بل أي اغترار، وهل إذا أحسن لك رجل مرة فشكرته ثم اكتشفت أنه أحسن لك ثانية لا تشكره؟! فكيف به ﷺ وإحسانه لا يُعدُّ ولا يحصى.. وكم يكتشف الناس كل يوم إحسانًا جديدًا منه ﷺ عليهم، وكم ستكتشف في هذا الكتاب من فضله ﷺ؟!

وكيف تكون الصلاة عليه مرة واحدة تُسْقِط الفريضة حتى لو نسيها أو غفل عنها بقية حياته فإنه لا يؤاخذ! وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»**(١).

هذا الحديث يبين أمرًا عظيمًا وهو أنه لا عذر في نسيان الصلاة على النبي ﷺ؛ لأنه ﷺ حاضر في كلِّ شيء في الحياة الطاهرة الكريمة، وهو أكرمها وهو إكرامها وهو يزيد إكرامها إكرامًا...

تأمل كل شيء - نعم؛ كل شيء؛ كما ذكرنا ذلك من قبل - ستجد أن الناسي يُعْذر إلا بنسيان الصلاة على رسول الله ﷺ، وخصوصًا إذا ذُكِرَ، فقال ﷺ: **«من ذكرتُ عندَه فنسي الصلاةَ عليَّ خَطِئَ طريقَ الجنَّة»**(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨)، والطبراني (١٢٨١٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠١) رقم (١٦٨٢): صحيح لغيره.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨)، والطبراني (١٢٨١٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٦٨): أخرجه ابن ماجه عَن ابن عَبَّاسٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة، وابن أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهَذِهِ الطُّرُقُ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا.

فلننظر في الحديث ثانية وستجد أن العقاب جدّ عظيم، إنه يُخطئ طريق الجنة، حتى لو كانت الجنة من قبل هذا الرجل مطلوبة في كل حياته وأعماله، وحتى لو كان قد سلك طريقًا ومشى واستمر فيه، فإنه إن نسي الصلاة على رسول الله ﷺ فإن الله لا يرغب أنْ يكون من أهل الجنة، فإنه سيد أهل الجنة، وكل أهل الجنة سادة، وهذا رجل سمع ذِكره ﷺ وسمع اسمه ثم هو لم يُصلِّ على رسول الله ﷺ... فما لك وللجنة وأنتَ أعرضت عن الصلاة عليه متعمدًا.. فهل غريب أن يقال لك ابحث لك دارًا غير الجنة! فهل الواجب يتحقق بالصلاة والسلام عليه ﷺ مرة واحدة؟! وعلى المسلم أن يحتاط لنفسه في عقاب جد أليم، وحرمان ما بعده حرمان، لعملٍ سهل ما أسهل منه عمل، ولفضل ليس مثله فضل، وليس أعظم منه متفضلًا علينا في الخلق كافة..

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا رسول الله وآله وصحبه

الفضل السابع: الصلاة عليه ﷺ بعد الأذان

ثم إنا لو نظرنا في حديث **الدعاء بعدَ الأذان** فإن الرسول ﷺ يقول: «**مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ**»(١) فإن هذا فرض في الصلاة على رسول الله ﷺ، فإن الرسول ﷺ جعل غايتها هو تحقق الشفاعة لِمن حافظ على الصلاة على رسول الله ﷺ بعد ترديد الأذان ثم الدعاء له ﷺ، ومفهوم المخالفة يقتضي أَنَّ مَن لم يفعل ذلك لم تحل له شفاعة النبي ﷺ، أو على الأقل أنه جازف بحصول الشفاعة.. وهذا أمرٌ لا ينبغي التهاون به أبدًا فضلًا عن المجازفة به.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).

وهذا يعني أن الصلاة على النبي ﷺ فرض مستقل على كلِّ مسلم يسمع النداء في كل مرة، لِخمس أوقات.. أي: خمس مرات في اليوم، فإن عليه أن يقول مثل ما يقول المؤذن... لأن الشفاعة مرتبطة بتحقق هذه الأمور جميعًا.. ولربما لم يستطع الرجل أن يردد مع المؤذن كل لفظٍ بِلَفْظِهِ، فليقلها بعدما ينتهي وهو ما يُسميه العلماء (قضاء الأذان) كما ذَكره الإمام النووي في (المجموع)[1] وغيره.

وإن المسلم ليربأ بأصحاب رسول الله ﷺ أن يكونوا يستمعون للأذان وما كانوا يرددون ذِكره ولا يصلون على نبيهم ﷺ ولا يدعون له بالوسيلة والفضيلة والمقام المحمود.

فهذه الصلاة عليه ﷺ واجبة قطعية.. مع ما فيها من أحاديث أخرى توجبها من جهات أخرى مثل حديث: «**مَنْ ذُكِرْتُ عندَه...**»، وهل أرفع من الأذان ذِكرًا لرسول الله ﷺ، **فإنه قد ورد فيه الأمر صريحًا بالصلاة على النبي** ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتُم المؤذِّنَ فقولُوا مثلَ ما يقول، ثم صَلُّوا عليَّ، فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله بها عليه عشرًا...**»[2].

ولما ذكر الفاكهاني رحمه الله حديث: «**البخيلُ مَن ذُكِرْتُ عندَه فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»، قال: هذا يقوِّي قول مَنْ قال بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر، وهو الذي أميل إليه[3].

وَبِهِ قَال جَمْعٌ، مِنْهُمْ الطَّحَاوِيُّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ، وَالطُّرْطُوشِيُّ، وَابْنُ الْعَرَبِيِّ،

---

(١) المجموع شرح المهذَّب للنووي (٣/ ١٢٠).

(٢) رواه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

(٣) القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ للسخاوي ص (٣١).

وَالْفَاكِهَانِيُّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَلِيمِيُّ وَأَبُو حَامِدٍ الإِسْفَرَايِينِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَابْنُ بَطَّةَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ(١).

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

فهل يقال بعد هذا: إن الفريضة في الصلاة على النبي ﷺ تتحقق بالصلاة عليه ﷺ مرة واحدة؟!

سادسًا: وكيف لا يبتعد عن طريق الجنة المؤدي لها وليس إلى الجنة فحسب والرسول ﷺ يخبر عنه بصيغة الدعاء، فيقول: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»(٢).

ألا ترى كيف جاء الجزاء من جنس العمل، فمن لم يدعُ للنبي ﷺ بالصلاة عليه ﷺ جاءته العقوبة من جنس عمله، وذلك بدعاء من لا يَردُّ الله دعاءه وهو رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يترك الصلاة على رسول الله ﷺ وهو ذاكر لها إذا ما ذُكر النبي ﷺ إلا رجل متكبر، ومن ثم جاء العقاب بإرغام أنفه.

ثم أيليق أن يقول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ ويأتي مَن يقول: إن الفرض هو أن تُصلي عليه ﷺ مرة احدة، علمًا بأنك تقرأ قَبلها مباشرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾؟

كيف لا تختار ما اختار الله ﷻ لِنفسه؟

كيف تبقى صلاة الله على رسوله ﷺ مستمرة وأنت منقطع مقطوع عند الصلاة الواحدة؟

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد في المسند (٧٤٥١)، وقال الأرنؤوط: صحيح، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٣٠٠) رقم (١٦٨٠): حسن صحيح.

كيف والملائكة مستمرون بالصلاة والسلام عليه ﷺ؟

كيف وأنت لا تصلِّي عليه حتى إذا ذُكر؟!

كيف ورب العالمين يقول في نفس الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾؟ فماذا في الإكثار من الصلاة والسلام عليه أكثر من المفعول المطلق ﴿تَسۡلِيمًا﴾.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

الفصل الثامن: فيها الشكر لرسول الله ﷺ بأبلغ ما يمكن الشكر

مِنْ شكر الله ﷻ الصلاة على رسول الله ﷺ

ومن أحق بالشكر في خلق الله من رسول الله ﷺ، فعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ»(١)، هذا في حق الناس بعضهم مع بعض، أما رسول الله ﷺ فحقه على الناس جميعًا أن يشكروا الله ﵎ أنْ أرسله إليهم، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فالمؤمنون ملزمون بشكر الله ﵎ بهذا، والمؤمنون ملزمون كذلك بشكره ﷺ شكرًا يرد إليه ﷺ جزاء من ربه ﵎، وذلك بأمور كثيرة، منها: محبته، ومنها: اتباعه، ومنها: بالدعاء له ﷺ... وبماذا يمكنك أن تدعو له أحسن من الصيغة المطلقة التي علمنا الله ﵎ إياها، وهي الصلاة والسلام عليه، كما قال هو سبحانه في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٥)، وأحمد في المسند (١١٢٨٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: صحيح لغيره.

وهذه الآية الكريمة تُظهر أننا قد فَوَّضْنَا ربنا بكلِّ شيء يتعلق بمكافأةِ رسول الله ﷺ... فلا شك هنا أن ليست للصلاة على رسول الله ﷺ صورةً واحدة أو نوعًا واحدًا أو حسنات معينة أو دارًا معينة.. فهي مطلقة في كل ما يختاره الله ﷻ له.. وهذا أعظم ما يكون من العطاء، بل هذا ما لا يتصور من العطاء، فصلاة الله سبحانه على النبي ﷺ ليست هي هذه الصلاة فإن الصلاة لله سبحانه... وحتى لو فُسِّرت الصلاة بالدعاء هنا فهي غير متصورة من الله ﷻ **وإنما هي من الله سبحانه العطاء**، ولكن عطاء ماذا؟ هذا ما لا يعلمه ولا يتصوره بشر، فالله سبحانه يخبرنا بأنه يعطيه دائمًا وأبدًا، وأنه يرضى عنه دائمًا وأبدًا، ولا يزال الرضا يزداد أبد الآبدين، عطاءً لا ينقطع عن رسول الله ﷺ أبدًا، ولقد مرَّ بنا صورة واحدة من العطاء الإلهي الدائم وهو قبول عمل الخلق الذي تَعَلَّموه منه، ورَفْع درجته دائمًا وأبدًا ﷺ، ولهذا فالله سبحانه يُخبرنا عن حقيقةٍ نحن نعيش أجواءها دائمًا وأبدًا، فما من عمل يصعد إلى الله إلا والله يقبله عن رسوله ﷺ قبولًا كاملًا كما قَبِلَ هدايةَ كلِّ مهتدٍ وذِكْرَ كلِّ ذاكرٍ، وكل ما يرتفع من هذه الأرض من إنسٍ أو جنٍّ قبولَ العملِ الكامل التام الذي لا نقص فيه ولا خلل عن رسول الله ﷺ... لأنه هكذا هو بَلَّغَ هذا الأمر، وهكذا علَّم، فهو يقبض أجره كما بلَّغه وعلَّمه غير منقوص.

فهذه صورة واحدة من صور صلاة الله ﷻ على رسوله ﷺ، فصلاة الله مستمرة؛ لأن عمل رسول الله ﷺ من أول مرة كان عملًا كاملًا، فهو القدوة لأنه أحيا أمة، وهذه الأمة ما أحياها إلا لتبقى، وتعمل بالقرآن الكريم، وما أنزل الله القرآن إلا لِيبقى، وهكذا حفظ الله هديه وقد تكفل الله بهديه ﷺ، وما تمر الأيام إلا وهديه يزداد انتشارًا، ونورًا، وأمته اتساعًا ﷺ، فكان قول الله سبحانه في

القرآن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ بشرى له ﷺ وللناس من شتى الوجوه، حيث أن هذه الكلمة الكريمة من ربنا سبحانه تتضمن الإخبار ببقاء هذا الأمر حتى التمام، وبأن الله تقبل عمل نبيه ﷺ سلفًا، ويتقبل الله عمل كل عامل عن رسول الله ﷺ كاملًا تامًّا، لِهذا وجَّهَنَا الله إلى رفع الصلاة عليه ﷺ إليه سبحانه، فهي متقبلة فيه، والله سبحانه يُعطي أجرها، ويستجيب دعاءها كاملًا لرسول الله ﷺ، **ولنكن هنا دقيقين ونفرِّق بين أمرين: الأمر الأول**: هو قبول الله ﷻ الصلاة عليه له هو ﷺ وهذا أمر مقطوع به بإذن الله كما وعد الله سبحانه، وأما **الأمر الثاني**: فما لا شك فيه أن الصلاة على رسول الله ﷺ عمل صالح من الأعمال أو ذِكر من الأذكار، ولذا فإن له مضاعفاته لكن المضاعفات تأتي على حسب الصلاة الأولى فهي نسخة من صلاتك الأولى ومثلها.

نعم إن الأصل فيها أنها مقبولة، وأن الله سبحانه يُصلي على مَن صَلَّى على رسول الله ﷺ عشرًا، لكن الله سبحانه يقبلها لصاحبها حسب قوة صلاته على رسوله ﷺ وحسب كثرتها وما إلى ذلك، وهذه **مثل مضاعفة الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف**، والصلاة في مسجد النبي ﷺ بألف، والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة، فالصلاة التي تأتيه مضاعفة إنما هي من نوع صلاته الأولى فالمائة ألف ضعف إنما هي مثل أصلها.. مائة ألف ضعف من التي صلاها صاحبها في المسجد الحرام، وليست صلاة الناس سواء، وليس المضاعفات للمصلي في الحرم سواء، ولا هي مائة ألف ضعف من صلاة رسول الله ﷺ حين صلى في الحرم أو صلاة أبي بكر أو صلاة عمر رضي الله عنهما، إنما هي صلاتك التي صليتها الآن وليست صلاتك التي صليتها من قبل أو تصليها من بعد...نعم لا بد من ضابط ولا أرى إلا هذا الضابط، وهذا ما يجعل الإنسان أشد ما يكون

حرصًا حين يذهب إلى تلك الأماكن الفاضلة أن تكون صلاته أحسن ما تكون، وأن يؤديها من مرتبة الإحسان لتكون المضاعفات لنفس صلاة المحسنين، وبهذا يعوض عن النقص ويجبر الكسر في خشوعٍ وإحسانٍ وحضورٍ وإشفاقٍ.. ويكون أشد ما يكون ضراعة في دعائه، وادكارًا في قراءته القرآن بنفسه، أو سماعه القرآن من الإمام، وتقربًا في سجداته وتزلفًا لربه بها، ونحو هذا الطريق بل هذا العروج.

ولا يكن إلا هذا فلربما كانت الصلاة صلاة نفاق عياذًا بالله، وربما كانت في غفلة مطبقة، وربما كانت رياءً وما إلى ذلك فهل تكون المضاعفات إلا من أصلها الأول؟! وما جرى على الصلوات العبادية يجري على الصلاة على رسول الله ﷺ... وهذا ما يجعل المصلي على رسول الله ﷺ أشد ما يكون حرصًا على أن يصلي على النبي ﷺ من منزلة الإحسان وما دونها من المنازل الإيمانية العُليا.. يراوح بينها وهي أكرم المقامات، وذلك لأن المضاعفات من الله وأن يرد العشر صلوات منه ﷻ من أحسن الجزاء وأعلاه، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن أبي بردة بن نيار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ**»(١).

الفضل التاسع: أنها حافظة لمقام قائد الأمة وقدوتها

والحقيقة أنه بحفظ قائد الأمة وقدوتها تحفظ الأمة ويحفظ منهجها، فماذا أعظم من هذا للخلق في هذه الدنيا؟

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٨٠٩)، ووثَّق رواته الحافظ في فتح الباري (١١/ ١٦٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٠) رقم (١٦٥٩): حسن صحيح.

فالصلاة على النبي ﷺ هي رباط عظيم يربط هذه الأمة بأُسِّها ومؤسسها وبمركزها ﷺ، يربط علماء الأمة وقدواتها بقدوتهم جميعًا، ويربط فكرَها بمفكِّرها وملهمها ومرجعها ﷺ، ويربط عامة الأمة وعلماءها بإمامها ﷺ، يربط كيانَ الأمة بمكوِّنها ﷺ... ذهب حبيب الأمة وبقيت الأمة، فذهب النبي ﷺ إلى ربه، وبقيت أمته وهي أشد ما تكون به ارتباطًا، وإليه اشتياقًا، رغم أنها في كلِّ لحظة يزداد بعدها اتساعًا من سراجها العظيم وقمرها المنير، بينما يزداد حبُّها اتساعًا بزيادة عدد أمته وزيادة سعة رقعتها، وهذا والله من أعجب وأعظم ثمرات الصلاة على رسول الله ﷺ؛ **وبهذا أصبحت الصلاة على النبي ﷺ هي المُذَكِّر الدائم بالإمام الأعظم والقائد والقدوة ﷺ، وهي التي تعبر عن شكر الأمة الدائم لرسول الله ﷺ، وهي الرّباط الذي حفظ الله به حضور النبي ﷺ** بين الأمة وإن غُيِّبَ ﷺ في قبره المتشرِّف بجسده الشريف، وما أعظم إنكار الأمة على فردٍ يذكر النبي ﷺ ولا يصلي عليه، بل ينكرون على فردٍ يذكر النبي ﷺ ولا يشعرون بلغة التعظيم منه لرسول الله ﷺ كمثلِ كبير أو عظيم يلقي كلمته وهو يكرر على مسامعهم اسم محمد، محمد! دون أن يقول: رسول الله أو (سيدنا) مثلًا أو عبارة نحوها مرة واحدة.. وهذا شأنه!

ولكم سقط علماء من قاموس المحبة لأنهم يقولون اسم النبي ﷺ مجردًا حتى وإن صلَّوا عليه!

فليست الصلاة على رسول الله ﷺ مجرد كلمات كريمة ككلمات الأذكار الأخرى الكريمة وإن كانت عظيمة لا شك ولا ريب، ولكن للصلاة على رسول الله ﷺ دور عملي في بعث الأمة عظيم ودور كذلك قلبي عظيم.

وأي بقاءٌ للأمة إذا لم يبق قائدها؟ وأي بقاء للقائد إذا لم يعظم كما يستحق؟ وأي

حفظ لحبِّه إذا لم يُشتق إليه؟ وأي شوق إليه يبقى إذا لم يحفظ هذا الشوق في حافظة؟ وأي حافظة للشوق إلى الرسول الأعظم ﷺ أعظم من الصلاة عليه كلما ذُكر ﷺ؟ فأي حضورٍ مثل حضورك يا رسول الله بالصلاة والسلام عليك ﷺ؟

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

الفضل العاشر: تهلَّل لأجلها وجه رسول الله ﷺ واستبشر، وسرِّ فرحه بها

إن السرّ الحقيقي الأعظم الذي يجعلنا نعيد الفهم لِكثير مما ورد من أحاديث عن رسول الله ﷺ، ونعتذر إلى ربنا تبارك وتعالى لأننا ما فهمنا حق الفهم مراد النبي ﷺ، وظننا أن النبي ﷺ قد فرح لِنفسه فحسب، وإنما فرح لأجلنا، وأنه قَصَدَ نفسه وإنما قصد بالخير أمته ﷺ... فالصلاة على النبي ﷺ إنما هي في الأساس لحفظ الأمة ولِبقائها ووحدتها وتصفيتها وتطهيرها وتزكيتها وعزها، ولا نستغربن هذا وأكثر منه بل أكثر من ذلك، فلننظر في هذه النماذج:

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله

المغزى من فضلها وأجرها:

فمن ذلك حديث عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: «**أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي** عز وجل **فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا**»(١).

والسؤال هنا هو: هل فرح النبي ﷺ أساسًا لأجلنا أم لأجله هو ﷺ؟!

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٥٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

وعجبًا والله؛ متى كان فرح النبي ﷺ لأجل نفسه؟ ومتى كان هَمّهُ هو همّ نفسه؟ ومتى دعا النبي ﷺ لِنفسه إلا معلمًا لأمته ﷺ.

ولو كان مقصود النبي ﷺ هنا هو نفسه وأنه عطاء الله له في هذا الحديث له خاصة، والله هو الجواد الكريم سبحانه، لكان سياق البشارة أن تكون بالصياغة التالية: (مَن صلى عليك من أمتك صلاة كتبت لك بها عشرًا)، لكن لم يقل الله ﷻ في عطائه ذلك، بل قال: «**مَنْ صلَّى عليك من أمتكَ صلاة كتبتُ له بها عشرًا**»، فتبين أن العطاء هنا «**له**» أي للمصلي على رسول الله ﷺ... أرأيت الفارق العظيم؟! إذًا فرح النبي ﷺ إنما هو فرح لنا نحن، فرح بعطاء الله لنا نحن.. فهو يُريدنا نحن ولا يلتفت في الأساس إلى نفسه، وهو ﷺ عليم بعطاء الله ﷻ له وهو يفرح بغير شك بعطاء الله ﷻ له.. أليس هو بشرًا ﷺ؟! أليس بينه وبين الأنبياء ﵈ منافسة وهو يريد الفوز بها؟! لكن هذه لا تكاد تذكر ولا تكاد تظهر، ولا تكاد تأخذ منه ﷺ التفاتة... فما عاد همه إلا [أُمتي أُمتي]، وهكذا يجب أن نفهم الشفاعة، فإن الشفاعة ليست شفاعته لنفسه ﷺ، إنما شفاعته لأمته ﷺ، وهكذا الدعاء بالوسيلة والمقام المحمود.

وهكذا دعاؤه ﷺ بأن يزيد أعداد أمته في الجنة، وسنأتي على كل هذا بإذن الله.

والله سبحانه يحض أفراد الأمة ويحشرهم حشرًا للصلاة عليه والسلام عليه ﷺ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَقِيتُ جِبْرِيلَ ﵇ فَبَشَّرَنِي وَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ، يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلهِ شُكْرًا**»(١).

---

(١) رواه أحمد (١٦٦٢)، والحاكم (٢٠١٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٨٧): رجاله ثقات، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٩) رقم (١٦٥٨): حسن لغيره.

فإن الله ﷻ حكيم عليم وهو أرحم الراحمين سبحانه، ولهذا جعل هذه الصلاة، ونصَّ بفرضيتها على المؤمنين نصًّا واضحًا وأمرًا صريحًا، وذكرًا مستمرًّا حتى الأبد، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

فالأمر في هذه الآية أمر أمة محمد ﷺ.. وهل من حثٍّ أعظم على تعظيم رسول الله ﷺ من إخبار الله لأتباعه جميعًا أن الله وملائكته يصلون على نبيكم وقائدكم وقدوتكم وإمامكم ونحو ذلك من مقاماته الكريمة ﷺ؟!

لِذا جاء الخطاب بعدها للأمة كلها في كل زمانٍ ومكان بالاسم الجامع لكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أن تجتمعوا وتجتمعوا على هذا الأمر الذي اجتمع عليه الملأ الأعلى، وهو الصلاة عليه ﷺ، وهذا سِرٌّ من أسرار ذِكر اجتماع الله ﷻ والملائكة كافة على الصلاة عليه؛ أي: فلا يسعكم أنتم إلا الاجتماع كمؤمنين أينما كنتم على الصلاة عليه... وإلا فإنَّ مَنْ لم يجتمع على هذا فقد شَذَّ عن اجتماع السماوات والأرض ورب السماوات تبارك من فوقكم، فمن شَذَّ عن الصلاة على النبي ﷺ فقد شذَّ عن الذكر الذي أجمع عليه أهلُ السماوات وأهل الإيمان منذ بعثته ﷺ إلى قيام الساعة، فالصلاة على النبي ﷺ مُجْمَع عليها ولا تقبل إلا الإجماع، ومن شذ عن الصلاة على النبي ﷺ فقد أخطأ الطريق بل خَطِئَ طريق الجنة، والحديث في هذا واضح، وهو قوله ﷺ: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ؛ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ**

(١) أخرجه الطبراني (٢٨٨٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠٠) رقم (١٦٨١): صحيح لغيره.

طَرِيقَ الْجَنَّةِ»(١).

وشواهد هذا الحديث العظيم واضحة وخصوصًا في هذا الزمان، وهذه هي والله البلاغة وهي جوامع الكلم، فالحديث كما يصدق على الفرد (مثلما) هو نص الحديث فإنه يصدق على الجماعة وعلى الجماعات، وعلى الأحزاب، وعلى الدولة وعلى الأمة، بل الأصل في هذا الحديث أنه عمن يزعم أنه من أهل الإسلام، لأن مَنْ يُذكر عنده الرسول ﷺ هو في العادة من يَذكر الرسول ﷺ، وهو في العادة لا يكون إلا مسلمًا، ومن يقال عنه: «**من نسيَ الصلاة عليَّ**» هو في العادة من الأمة لأنه نَسيَ أو نُسيَ، وهذا لا يقال إلا عن المسلمين... فمِنْ المسلمين اليوم من لا يعنون كثيرًا بالصلاة على النبي ﷺ! ومنهم مَن لا يعطون الصلاة حقها من الإكثار فترى الرجل منهم يذكر النبي ﷺ في حديثه عشر مرات أو أكثر ولكنه لا يذكره بالصلاة عليه إلا مرة واحدة وهي آخر مرة؟ ومَنْ منهم لا تجد في صلاته على النبي ﷺ التعظيم والتوقير والتبجيل، كما أمر الله ﷻ في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ أي تسليمًا وتعظيمًا، تسليمًا كثيرًا، تسليمًا كبيرًا ومبينًا.

الفضل الحادي عشر: أن فيها فضل التسليم على رسول الله ﷺ

فاللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

اختصاص التسليم بالإطلاق: ولقد خص التسليم بالمفعول المطلق فقال: ﴿وَسَلِّمُواْ

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨)، والطبراني (١٢٨١٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٦٨): أخرجه ابن ماجه عَن ابن عَبَّاسٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة، وابن أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهَذِهِ الطُّرُقُ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا.

تَسْلِيمًا﴾ أي: بالتعظيم، والتكثير، والتأدُّب، والإحسان، وما إلى ذلك، ولم يخصَّ الصلاة كما خَصَّ التسليم في هذا الموطن، رغم أن ما يخص التسليم يشمل الصلاة بغير شك إلا أن المقصود هنا بالتخصيص إظهار التعظيم بالتسليم.. أي: بمعنى السلام، ولا يشترط إظهاره باللفظ... لكن لماذا؟!

والجواب: لأن الصلاة على النبي ﷺ هي دعاء، هكذا شرعت في الصلاة فتقول: (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد...)، أما التسليم فعليه هو ﷺ، وهي تقال لِمَن تراه أو يراك ومن يصله السلام منك مباشرة، وهكذا شرعت في الصلاة، ولذا تقول في تشهد الصلاة: (السلام عليك أيها النبي)، وأيًّا كان معناها ومصدرها فإنه لا يَليق إلا كمال الأدب لِمَن تشرَّف بالسلام على النبي ﷺ وهو يراه، أو تشرَّف بالسلام على النبي ﷺ كأنه يراه كما هو الأمر في الصلاة.

ولهذا رأى الناس أن من لم يُعْطِ الصلاة على النبي ﷺ حقَّها، وقاد الأمة وتولى زمامها انقطعت بركته، وكبرت حسرته، وكان شؤمًا على حياة أمة محمد ﷺ، وشؤمًا على الإسلام والمسلمين وعلى الناس أجمعين.

وهكذا يتبين كيف أن الصلاة والتسليم على النبي ﷺ فُرْقان بين الحق والباطل، بين من يزعم أنه يسلك طريق الجنة وهو لا يسلكه، فما أعظمها من كلمه لتصفية صفوف الأمة؛ والأمر سوف يظهر أكثر وأكثر كلما ازددنا مسيرًا ونظرًا في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

والمسلم كيِّسٌ فطن لا يحتاج أن يلقن العلم تَلقينًا ويُفَصَّل له بكل مفرداته تفصيلًا، ولهذا أقول: إن الصلاة على النبي ﷺ تمثل منهجًا أو هي عنوان منهج، وعنوان موقف من النبي ﷺ، وهي كاشفة لِما بطن في الصدور.

ومن خلال الموقف تستطيع أن تجمع إن كانت الصلاة على النبي ﷺ

وسيلة ومصلحة وتوصلًا، وربما رئاء الناس لِملء الجيوب، وإشباع البطون، وتجنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب السلامة وترك الجهاد ونحو ذلك من تكاليف ومشاق، وهكذا تتجمع الشواهد والخيوط لِتكشف لك الصلاة على النبي ﷺ وحقيقتها، ذلك أن الصلاة على النبي ﷺ تنفي الخبيث وتلفظه وتنفر عنه وترميه وتجعل الخلق يلفظه وتجعل طريق الجنة يخطئه.

كما أن الصلاة على النبي ﷺ تكشف خطأ منهج المقابل لِمن ذكر آنفًا، والناظر يستطيع من خلال موقف هؤلاء - أعلامهم وعلمائهم وطلابهم - أن يكتشف إن كان هذا قد خطئ طريق الجنة أم لا؟

وهذا أمر يطول وأنا لا أريد أن أبحر فيه إنما في هذه الإلماحة كفاية لأن ندرك عظمة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في توحُّد هذه الأمة، وفي إحكام وحدتها، وفي تميز صفوفها، وفي ضرورة فهمها، والغوص في أعماقها الإيمانية.

وثمة ملاحظة: هل الصلاة والسلام شيء واحد؟ **قال بعض العلماء: إن المقصود بقوله هنا: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ هو التسليم لأمره وطاعته** طاعة مطلقة دون حرج، كما قال الله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

والتسليم له حق لا ريب فيه، وما ذلك إلا جزءًا من مقتضى الصلاة على النبي ﷺ؛ فلا يكون مقبولًا أن تصلي عليه ﷺ ثم أنت لا تُسّلِّم له الأمر تسليمًا.

كما أنه يمكن أن يُقال هنا: إن في الصلاة عليه ﷺ أصلًا، والسلام عليه إضافة فيه، إلا أن تسليم الأمر له تسليمًا إضافة نوعية غير ما يُذكر عادة في هذا

الميدان، والإضافة مقدَّمة على التأكيد، وهو ما يوافق قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

ومع هذا فأنا أقول: إن المقصود هنا ليس تسليم الحكم له في الأساس، وإنما المقصود الأساس هو السلام عليه ﷺ **بالأدلة من الآية الكريمة التالية:**

الدليل الأول: هو تسليم الحكم له ﷺ يُقال فيه: [التسليم له]، أما هنا فإن قول الله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي سَلِّموا عليه ﷺ.. ولو أراد الله ﷻ نوعًا آخر لأشار سبحانه إشارة أو غَيَّرَ حرف [على] بـ[إلى]، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فالله ﷻ جمع الاثنين الصلاة والسلام معًا على المؤمنين اتباعًا لصلاة الله وصلاة ملائكته، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الدليل الثاني: أن السلام على النبي ﷺ ليس هو الصلاة على النبي ﷺ، بل هو شيء آخر.. وسيأتي معنا تفصيل هذا الأمر في هذا الكتاب بإذن الله، وهكذا فرَّق الصحابة ﭫ بين الصلاة عليه والسلام عليه، وقد جاء في الحديث عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﭬ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَقُولُوا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

الدليل الثالث: الصلاة على النبي ﷺ واردة في التشهُّد الأخير فقط، بينما السلام على النبي ﷺ وارد في التشهُّد الأول فقط، ولهذا فنحن نقول: «**التَّحِيَّاتُ**

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥٧).

لِلهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ»(١)، بينما في التشهُّد الثاني نقول: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

الدليل الرابع: أن السلام قد ورد في حق الأنبياء ﷺ، وفي حق الملائكة، وفي حق آل البيت، فكيف لا يرد في حق رسول الله ﷺ، وكيف نصرفه هنا عن رسول الله ﷺ، ورب العالمين ينصُّ على أنه سلام وتسليم؟!

الدليل الخامس: كيف يجمع الله ﷻ ما بين الصلاة على النبي ﷺ وبين السلام في الآية، ونحن نفرِّق بين ما جمع الله.. معاذ الله!

الفصل الثاني عشر: في الجمعة خاصة الطريق مباشر إلى رسول الله ﷺ للصلاة والسلام عليه فالجمعة أم الفضائل، ومجمع الخصوصيات، وحاضنة الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، وخير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، وهو هدية الله لرسوله ﷺ ولأمته

عن أوس بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»(٢).

الأمر في الجمعة لا يحتاج إلى استنباط كبير، كيف وقد خُصَّت الجمعة بالصلاة على النبي ﷺ..... والأمر لا يحتاج إلى كثير تعمق، فيوم الجمعة هو

(١) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٧) رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.

اليوم الذي اختاره الله سبحانه لأمة محمد ﷺ وادَّخره لهذه الأمة من بين الأيام لأجل رسول الله ﷺ، كما اختار لهذهِ الأمة القِبْلة لأجل رسول الله ﷺ كما قال سبحانه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وهكذا قال النبي ﷺ في الجمعة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «**مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ، وَضَلَّ النَّاسُ عَنْهُ، وَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، فَهُوَ لَنَا، وَالْيَهُودُ يَوْمُ السَّبْتِ، وَالنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، إِنَّ فِيهِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ**»(١).

فما طلعت الشمس ولا غربت على يومٍ مثل يوم الجمعة، ولا طلعت ولا غربت على رجل مثل رسول الله ﷺ، ولهذا كان هذا اليوم هو اختيار الله سبحانه لهذا الرجل ولأمته من بعده، ولأنه ما طلعت الشمسُ ولا غربت على أُمةٍ مثل أمة محمد ﷺ كذلك.

ولأن هذا اليوم هو اليوم الذي فيه خلق خليفة الله من أرض الله وفي أرض الله هو آدم عليه السلام، إذ قال الله سبحانه لملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فمتى أمرت الملائكة أن تسجد لآدم؟ والجواب: كان ذلك حين خلق... حين نفخت فيه الروح واكتمل روحًا جسدًا في لحظة واحدة ورأت الملائكة الخليفة الموعود المنتظر وكان الاختبار، فاستسلموا وسبحوا الله وعظموه، وجاءهم بضمير العظمة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٢٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب ج١ ص ٤٣٥ رقم (٦٩٥): صحيح.

كل هذا كان في يوم الجمعة كما هو ظاهر الحديث والآيات، والله تعالى أعلم.. إذ إن النبي ﷺ قال: «**فِيهِ خُلِقَ آدَمُ**»(١)، وخَلْق آدم ﷺ لم يكن إلا بعد نفخ روحه وإلا فقبل ذلك ما كان إلا صلصالًا كالفخار، فما إنْ نَفَخَ الله فيه من روحه حتى ابتدأ الاختبار فقال سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣١،٣٢].

وحتى لو لم تكن هذه العملية كلها في يوم واحدٍ - والله على كل شيء قدير - إلا أن الأصل في ذلك كله هو الخلق، وخلق آدم إنما كان في يوم الجمعة كما هو نص الحديث «**فيه خُلِقَ آدم**» وكل ما كان قبل الخلق إنما هو إعداد ووسائل إليه، وهو الأمر المنتظر، ولهذا كان أَمر خلقه ويوم خلقه يومًا مشهودًا في الوجود كله؛ فعن أَبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا**»(٢).

ولأنه مشهود فلقد جمع الله رب العالمين ﷻ أعظم الأحداث المتعلقة في أمر هذا الإنسان ابتداءً من خلقه وانتهاءً بابتداء دخول الجنة في هذا اليوم، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٦) رقم (١٦٧٢): حسن لغيره.

تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»[(١)].

فأي يوم من هذه الأيام ليس مشهودًا؟!، فيه النفخة، وفيه الصعقة، وليس يوم خَلْقِ آدم عليه السلام يومًا عظيمًا فحسب، بل كذلك كان يوم موته يومًا عظيمًا، لأنه شهد حدثًا عظيمًا كما قال النبي ﷺ: «**وَفِيهِ قُبِضَ**»، فالحياة والموت خلق، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، ومن يدري فلعل الخَلْق لم يشهدوا موت إنسان قبل ذلك في الأرض موتًا طبيعيًّا، كما عبَّر عنه النبي ﷺ: «**وَفِيهِ قُبِضَ**»، ولا ندري - حتى هذه اللحظة - إن كان قابيل قتل هابيل قبل موت أبيهما أم بعد موتِ أبيهما عليه السلام؟! لكن القصد أن كل تلك الأحداث في مصير الوجود كله اجتمعت يوم الجمعة فيا له من يوم كان عظيمًا وبقي عظيمًا وعظمته لم تنتهِ بعد بل هي قادمة.

نعم حتى يوم الجمعة هو اليوم المشهود للثقلين وللوجود كله في الدار الآخرة؛ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ الْأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً، أَهْلُهَا يَحُفُّونَ بِهَا كَالْعَرُوسِ تُهْدَى إِلَى كَرِيمِهَا، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيَاضًا، وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ، مَا يُطْرِقُونَ تَعَجُّبًا، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤَذِّنُونَ الْمُحْتَسِبُونَ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وأحمد (١٦١٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (٨٦٨١)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٧) رقم (١٦٧٢): صحيح.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٤٣٧) رقم (٦٩٨).

لأنه اليوم المشهود:

و**لأنه اليوم المشهود الذي** كأن الخلائق برمجت عليه **فإن جدية الكائنات الأخرى عظيمة في هذا اليوم**، فلقد روى أبو هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَفْزَعُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إلا هذين الثقلين الجن والإنس**»(١).

أرأيت الآن لِمَ اختار الله هذا اليوم وادَّخره سبحانه لأمة محمد ﷺ؛ إنه اليوم المشهود.

أرأيت عظمة الأحداث وخصوصيتها تلك التي جعلها الله ﷻ يوم الجمعة.

أيعقل أن الخلائق تشهد هذا اليوم العظيم ولا يشهده رسول الله ﷺ وأنه يكون فيه غائبًا؟!

أرأيت لِمَ جمع الله صلاته ﷻ وصلاة ملائكته جميعًا للمؤمنين في آية واحدة وبعدها وفي نفس الآية أمر الله سبحانه المؤمنين أن يُصلوا على النبي ﷺ ويُسلموا تسليمًا فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾؟!

أرأيت هذه الآية الكريمة وما فيها من خصوصية أمر المؤمنين الإجماع على الصلاة على النبي ﷺ وأنْ يُصلوا عليه ويسلموا تسليمًا، وخصوصية الأحداث المشهودة العظمى في يوم الجمعة...؟!

أرأيت ذلك كله... فانظر إذًا إلى أمر النبي ﷺ بالصلاة عليه في اليوم المشهود وشهوده ﷺ للصلاة عليه شهودًا عجيبًا لا نظير له في عالم الراحلين،

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٧٧٠)، وابن خزيمة (١٧٢٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٤٣٧) رقم (٦٩٧).

ولا يمكن تصوره، وخصوصيته ليوم الجمعة لا تبلغها الأيام إلى يوم الدِّين، ولأن الله ﷻ هو أرحم الراحمين، وهو على كل شيء قدير، وهو الحكيم العليم، فما كان منه أن يجعل هذه الأمة تُصلي على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ وهو المخصوص بهذا اليوم، وهو المعني بالصلاة عليه، وهو المقصود بأداء السلام عليه ثم هو يغيب يوم الجمعة، لا والله فرسول الله ﷺ حاضر حضورًا ليس مثله حضور ولا له نظير، فهو فوق كونه حي يرزق في قبره وتبلغه أعمال أمته كما في الحديث إلا أنَّ حضوره اليوم فوق ذلك كله، ولهذا جاء في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه نفسه قول النبي ﷺ: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْـمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا**»[1].

فالذي يعرض عليه ﷺ هنا ليس هو قول الملائكة من أنه يُصلي عليك فلان ابن فلان، فهذا شيء آخر وهو حق، إنما الذي يُعرض عليه هنا كما هو نصُّ الحديث «**عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا**» فصلاته نفسها إذ هو يُؤديها ويُصلي عليه ﷺ تعرض عليه كما يؤديها.. تعرض عليه نفسها كما هي، والله سبحانه الذي أحيانا إلى هذا الزمان وفيه أرانا كيف يعرض الحدث والفعاليات في مكان بعيد جدًّا ونحن نراها في الأجهزة الحديثة التي نحملها بأيدينا في ذات اللحظة، والله سبحانه قادر أن يجعل رسول الله ﷺ يَرى ويسمع جميعَ الإنس والجن الذين يُصلون عليه في ذات الوقت من أول ما يصلي عليه المصلي حتى يفرغ من صلاته، طالت صلواته عليه ﷺ أم قصرت، وهذا نص نصف الحديث الأخير حيث يقول ﷺ: «**وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

يَفْرُغَ مِنْهَا»، ولهذا روي هذا الفهم عن ابن مسعود ﵁ فقال: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ»[١].

ثم إن هذا الحديث نص واضح ومفصل.

وكما أن الله سبحانه قد أعطى من شاء من ملائكته وجنده من القدرة ما لا يمكن لِمخلوق تصوره فهو قادرٌ أن يعطي ذلك لِرسوله ﷺ في أمر الصلاة عليه ﷺ وما يشاء سبحانه، ولقد صح عن عمار بن ياسر ﵁ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «**إِنَّ للهِ مَلَكًا أَعْطَاهُ اللهُ سَمعَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ صَلاةً إِلا أَبْلَغَنِيهَا، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُصَلِّيَ عَلَيَّ أَحَدٌ إِلا صَلَّى عَلَيْهِ عَشْرًا مِثْلَهَا، وَإِنَّ اللهَ أَعْطَانِي ذَلِكَ**»[٢].

والشاهد من هذا الحديث أن الله أعطى هذا الملَك هذه القدرة، ورسول الله ﷺ في ذلك العالم عالم الروح والمَلَك ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

ولا يقال بناءً على هذا الحديث واعتراضًا أو تخويفًا من الشرك حيث يقال: إذًا فهذا بابٌ للاستغاثة برسول الله ﷺ من دون الله... والجواب: إذًا فلِمَ لا نستغيث بهذا المَلَك..؟ وهل سمعتم أن أحدًا استغاث بهذا الملَك أو بجبريل أو بحملة العرش أو أمثالهم ﵈..؟!

(١) رواه ابن ماجه (٩٠٦)، وقال في الزوائد: رجاله ثقات إلا أن المسعودي اختلط في آخره، وقال الأرنؤوط: صحيح.

(٢) أخرجه الطُّوْسِيُّ في مستخرج الطوسي على جامع الترمذي (٢/ ٤٥٩) رقم (٣٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٣) برقم (١٦٦٧)، وصحيح الجامع برقم (١/ ٤٣٤) رقم (٢١٧٦).

فهذا هو إخبار رسول الله ﷺ وهو الحق وله أسلمنا، وبأخباره وكل ما جاء منه سلَّمنا ﷺ، ثم إن هذه القدرة العظيمة ليست في هذا المجال فحسب، لذا فإنه ينبغي أن يَدفع هذا الخبر العظيم الإنسان إلى الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ، فإن لها خصوصية ليست لغيرها من الأعمال جميعًا، وهذه واحدة منها، فهذا الملَك عند رسول الله ﷺ وما إن يُصلي مُصَلٍّ على رسول الله ﷺ صلاة إلا سمعَه الملك أينما كان، وهو يبلغه إذ ذاك بالصلاة عليه في أي مكان وأي زمان، وأي يوم من الأيام - وليس من شرط يوم الجمعة -، فكيف أعطى الله هذا الملَك الخاصية لِسَماع الصلاة على رسول الله ﷺ دون غيرها من الأذكار...؟!

ونحن نعلم أن ادخار الصلاة عند الله أَمر عظيم وكاف وهو فيض من فضله فوق عدله إلا أن الله سبحانه يزيد فضله علينا برسول الله ﷺ فضلًا فيجعل ملَكًا هنا يسمع وهو عنده قبره ﷺ وملائكة آخرون يبلغون، ففي الحديث: «**إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَبْلَغَنِي بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، هَذَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ**»(١).

إذًا فهذه الأحاديث وأمثالها لتدل بشكل **واضح أنها في غير الجمعة، أما الجمعة** فإنَّ الصلاة على النبي ﷺ تعرض عليه نفسها في نفس لحظة أدائها من صاحِبها، والظاهر أن الصلاة تعرض عليه ﷺ مع أداء صاحبها لها، وإلا ماذا يعني أن تعرض عليه الصلاة مجردة هكذا؟! بل يعرض عليه ﷺ صاحبُها حال أدائه للصلاة عليه ﷺ فيراه ويعرفه، وإلا ما معنى أن تعرض عليه ﷺ ويعرض عليه المصلي؟!... أليس عرض الرجل وصلاته على رسوله ﷺ حال صلاته

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٤٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٣) رقم (١٦٦٧).

عليه ﷺ هذا أعظم للإكرام من رب العالمين، والإكرام لرسوله ﷺ والإكرام للمصلي عليه، وهو ألصق بمعنى العرض، بل هو أوفق ليكون هذا اليوم مشهودًا، وهو أقرّ لعين رسول الله ﷺ؟!

ثم إن هذا أكرم للمصلي على رسول الله ﷺ، رجلًا كان أو امرأة، وذلك بمشاهدة النبي ﷺ له حالة صلاته على النبي ﷺ، فإن معرفته ﷺ به وحدها إكرامٌ عظيمٌ وحافزٌ للإكثار، وللتعظيم، وإن لهذه المعرفة الوثيقة المسبقة إذا جاء يوم القيامة وبعث الناس كان لها الأثر المخصوص لهؤلاء المخصوصين، وما كان تخصيصهم لرسول الله ﷺ بالصلاة عليه وهو الرباط الوثيق أن ينقطع اليوم، أو يكون كعدمه - معاذ الله -! ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] وما كان لمَعِيَّةِ «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»(١) أن تُلغى عند الصلاة على رسول الله ﷺ، وما كان للمؤمنين الذين لم يروه أن يُحرموا من اتخاذ العهد عند رسول الله ﷺ، وقد أشهده الله إياه ورفعه سبحانه وباركه وزكاه.. وهل كان كل هذا إلا لهذا اليوم العظيم، وهذا اللقاء الحميم.. كيف وإذا ما جاؤوا كما في الحديث القادم «**فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً**»(٢)، وأنهم إذا جاؤوا هذا اليوم عرفهم النبي ﷺ فكان هؤلاء المكثرون المعظمون أحق بالقرب منه ﷺ، وأحق بالشفاعة لهم.

وليس ببعيد - بل هو ما أراه والله أعلم - أن تكون الصلاة على رسول الله ﷺ مشهودة من قبل رسول الله ﷺ، فليس الناس كلهم في درجة واحدة إذ هم يُصلون على رسول الله ﷺ، - وبهذا تجتمع جميع الأحاديث الشريفة - وهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الحافظ في فتح الباري (١١/ ١٦٧): لَا بَأْسَ بِسَنَدِهِ، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٧) رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.

التفريق بين العاملين على حسب يَقينهم وإيمانهم بل على حسب درجة إحسانهم إذ هم يصلون على رسول الله ﷺ، وهذا هو المتوافق مع عدل الله ومع فضل الله ورحمته، ومع قاعدة الجزاء إذ الصلاة على النبي ﷺ خاصة يَأخذ العبد عليها جزاءها موفورًا، وأعظم الجزاء هنا لها وتميزها عن غيرها هو شهود رسول الله ﷺ لها شهودًا خاصًّا لا نظير له مطلقًا، وبناء على هذا فإن الصلاة على النبي ﷺ يفترق جزاؤها حسب المصلين عليه ﷺ، فمنهم مَن يُصلي عليه ويسمعها الملَك المخصوص فيبلغها رسول الله ﷺ، وقد ورد النص بهذا كما مرَّ معنا، ومنهم مَن يُصلي عليه فيبلغه الملك الواقف عند قبره ﷺ، ويبلغه باسم المصلي عليه واسم أبيه ويريه موضعه في القائمة أو هو يرى اسم المصلي عليه في القائمة، وهذا واردٌ في النص الذي مرَّ معنا كذلك، وهكذا يزداد القرب من رسول الله ﷺ، ومنهم الأعلى وهومن يعرض على رسول الله ﷺ المصلي نفسه إذ هو يُصلي على رسول الله ﷺ، وهذا هو من جزاء المصلي عليه إذ قابل الله إحسانَه في ذِكره لرسول الله ﷺ وصلاته وسلامه عليه ﷺ، فهو يُصلي على رسول الله ﷺ كأنه يراه، ويُصلي ويسلِّم عليه كأنه يشاهدهُ في مشاهده العظيمة ﷺ، ويصلي ويسلم عليه حتى كأنه معه كما سيمر معنا في الصلاة والسلام عليه وهو «في طريقه ﷺ إلى غار حراء، وهو في الغار وهكذا، وما قبل الغار وما بعده» فقابل الله ﷻ إحسانه بأن أبلغه أن رسول الله ﷺ الآن يُشاهدك إذ تُصلي عليه كأنك تشاهده ولا يمكن أن يقال: «ورسول الله ﷺ كأنه يشاهدك»! فعطاء الله من جنس عمل العبد لكنه ليس مثله ولا مساويًا بل عطاء الله تعالى أضعافًا مضاعفة، وربنا سبحانه هو الأكرم، وهذا المقام ـ مقام العطاء الإلهي هذا ـ هو ما أشار له أبو الدرداء في حديث عن رسول الله ﷺ: «**وإنَّ أحدًا لن يُصليَ عليَّ إلا عُرِضَتْ عليَّ صلاتُه حتى يفرغ منها**»..

فالقرب يعود لاجتماع أمرين، الإحسان في الصلاة عليه ﷺ والكثرة كما في حديث أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً**»(١).

ثم أليست الشهادة هنا هي الأقرّ لعين رسول الله ﷺ، والله سبحانه يريد إقرار عينه ﷺ بكل شيء بعد وفاته ﷺ، فلتقر عينك يا رسول الله ﷺ اليوم بأمتك، ولتقر عينك بخاصة خاصتك من المصلين المسلمين عليك من منزلة الإحسان... الذين يصلون عليك كأنهم يرونك، فلترهم أنت حقيقة فأنت حتى في موتك فإنك في المنزلة الأعلى، ويدك هي العليا فهم كأنهم يرونك حينما يصلون ويسلمون عليك أما أنت فأنت تراهم حقيقة من عالمك الأعلى وفي الرفيق الأعلى عليك الصلاة والسلام ورحمة الله وبركاته.

الفضل الثالث عشر: الجمعة والجماعات في ظلال الصلاة على رسول الله ﷺ

[الأمة تجتمع حول رسول الله ﷺ تصلي عليه]

وهنا نعود لنقرر أن الصلاة على النبي ﷺ ليست مجرد أجر، ولا شكر، ولا وفاء لرسول الله ﷺ فحسب، وإنما تمحور (الأمة وحياتها) على رسول الله ﷺ، ورباط جامع للأمة، وإعلان مرجعيته الوحيدة في عالم البشر، وإعلان بيعته ليس على أنه الرسول والنبي ﷺ، وإنما على طاعته في العسر واليسر كما بايعه الصحابة رضي الله عنهم عند العقبة الكبرى وعندَ إسلامهم، وإعلان الدعوة لِدِينه كما سيأتي معنا بإذن الله في رسائل الصلاة على النبي ﷺ فقد جعل الله سبحانه وتعالى في الصلاة على

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الحافظ في فتح الباري (١١/ ١٦٧): لَا بَأْسَ بِسَنَدِهِ، وقال الألباني في صحيح الترغيب ج٢ ص ٢٩٧ رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.

النبي ﷺ السر الجامع لكل ذلك، وكأنها الرمز القائم مقام حضور رسول الله ﷺ، فأي رباط فعلي للأمة مثل رسول الله ﷺ..؟ الجواب: لا شيء أبدًا إلا رسول الله ﷺ، ولا يسمح لأي بديل على وجه الإطلاق والإطباق، فأي اسم هذا الذي يجعل مع اسمه في النداء إلى الصلاة؟! ومَن ذا الذي يَقبل هو أن تجعل الشهادة له مع الشهادة لرسول الله ﷺ بالرسالة عند ذِكر الشهادتين؟! ومَن ذا الذي يطاع في معصية رسول الله ﷺ هذه؟! لا يمكن أن تبقى بنفس القوة والعنفوان لمجرد وجود أمرٍ.. فكم من الأوامر التي أمر بها المرسلون عليهم السلام، أو الآباء والأحباب أو عظماء أقوامهم تساقطت؟ وكم من الرموز مُحيت؟ أما رسول الله ﷺ فهذا مستحيل ونوره لا يخبو أبدًا، وطاقته وتوقده لا يضعف أبدًا، وحبه لا يضعف أبدًا، وذلك لما جعل في الصلاة والسلام عليه كلما ذكر ﷺ من ملازمة ولازمة، مع ما فيها من تعظيم لا نظير له في الخلائق على الإطلاق.

فالله سبحانه يحشد الخلقَ حشدًا للصلاة عليه ﷺ، والأحاديث في الصلاة على رسول الله ﷺ والحث عليها والترغيب فيها لا يكاد يوجد لها نظيرٌ في الأذكار العظيمة الكريمة الأخرى، وقد مرَّ معنا الكثير من هذا، ولا تستغرب إن جاءتك أحاديث في الصلاة والسلام عليه بألوان أخرى وأجور أكبر، وربما اجتمعت كلها في مصلٍّ واحد وصنفٍ من المحسنين واحد، فمن ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ**»(١).

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٢) رقم (٦٦٠٥)، قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد وإسناده حسن، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر تخريجه على المسنَد برقم (٦٧٥٤) نضرة النعيم في المقدمة ص (٥٦٧).

الفصل الرابع عشر: الصلاة على النبي ﷺ تمثل رسالة النبي ﷺ وتَحمُلُها

الأصل في الصلاة على النبي ﷺ أنها لجماعات المسلمين واجتماعاتهم ومجامعهم وإجماعهم، والإشارة في هذه المشروعية في هذا واضحة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

فالآية الكريمة واضحة تمام الوضوح بشقيها العظيمين، **فالشق الأول**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ ﷺ بالإجماع، **والشق الثاني**: أمر الله للمؤمنين جميعًا إنسًا وجنًّا بالصلاة على النبي ﷺ، وهذا لا ينبغي إلا أن يكون إجماعًا.

وبغير الفهم الجماعي للصلاة على النبي ﷺ يكون فهمها عباديًّا قاصرًا على الفرد نفسه، لا غاية لها ولا أثر على الآخرين، وليس هذا هو ما بعث لأجله رسول الله ﷺ، وسبحان الله فإن المرء لا يكاد يجد عبادةً جماعية إلا ويجد فيها الصلاة على النبي ﷺ، **وكأن الاستنتاج الذي لا مفرَّ منه هو كل اجتماع لكم إذا لم يكن فيه رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ قائده - فهو اجتماع باطل**، وليس له ثمرة بل ثمرة أسوأ ثمرة... فمن ذا الذي يزرع أو يربي نَتَنًا..؟!

والرسول ﷺ يقول: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ رَبَّهُمْ، وَيُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ شَاءَ آخَذَهُمْ بِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ**»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٠٢٧٧)، والترمذي (٣٣٨٠) وقال: هذا حديث حسن. وصححه الأرنؤوط، وكذلك صححه الألباني في الصحيحة (٧٤).

وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْلِسُونَ مَجْلِسًا لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، وَصَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ جِيفَةٍ»(٢).

فهل لحم الجيفة ثمرة تستحق العمل أو أنها مائدة تقدَّم للاجتماع؟! ثم هل الجيفة تَجْعَل الناس ينفضون وينفرون عنها أم يطيب لهم المجلس عندها ويجتمعون حولَها؟! هكذا هي الطبيعة البشرية والذوق البشري إنه ينفر من النتن والجيف وروائحها لذا فإن الاجتماع البشري مهما كان جذابًا وناجحًا كما يسمونه فإنه لا يتجاوز أن يكون اجتماعًا حول أنتن جيفة حمار طال اللقاء أم قصر ما لم يكن فيه ذكر الله وذكر رسوله ﷺ والصلاة عليه، لكن ماذا نصنع في هذه الفترة من الزمان إذا أصبحت هذه الحلقات حول جيف الحمير المنتنة هي السائدة وأصبحت لذة نفوس الناس عامة في هذا الزمان هي ريح الجيف النتنة و «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»(٣).

وهكذا ينبغي أن يكون اجتماع المؤمنين بعد موته ﷺ فإما أن يكون رسول

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠١٧٠)، وأحمد (٩٩٦٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٤) رقم (١٥١٣).

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٨٦٣) واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢١٥) رقم (١٥٧٠)، وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص (١٥٦): ورجاله رجال الصحيح على شرط مسلم، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/ ٣٨٤): هَذَا إِسْنَادٌ رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٥).

الله ﷺ قائدهم وإمامهم وحاضرًا معهم وإلَّا فلا، وهذا القياس يجب أن يكون على كل الاجتماعات من أصغرها إلى أكبرها... وسبحان الله فإن أكبر الاجتماعات ينبغي أن تكون أشد ما تكون حرصًا على الصلاة على النبي ﷺ، وذلك لأن مواضع هذه الاجتماعات أكبر أهمية وأكثر خطورة، ومن خلالها تنطلق الاجتماعات الفرعية، وهكذا تصبح الصلاة على النبي ﷺ بالنسبة للاجتماعات تلك مثل التسمية على الذَّبيحة عند الذبح؛ فإما جيفة وإما حلالًا طيبًا، وأي إنسان ذُكِّرَ بالتسمية على الذبيحة فأبى أن يسمي فذَبيحته حرام وإن أضجع الذبيحة إلى القبلة وإن قطع الوَدْجَيْنِ وإن جَرَّ الشفرة وأهرق الدم، وذلك لأنه ما ترك التسمية إلا كبرًا. وهكذا الصلاة على النبي ﷺ فإن من نَسي فله حكم آخر، أما مَنْ تَذكَّر، أو ذُكِّر فلم يصل على النبي ﷺ فاجتماعه حسرة عليه وعلى أصحابه وعلى من فوضوه، واجتماعهم على أنتن جيفة، ذلك أن طيبكم أنتم كله هو من رسول الله ﷺ، فماذا إذا عُرِض عليكم رسول الله ﷺ فأبيتم وأعرضتم واجتمعتم دونه... فمن أشد من هؤلاء حسرة كما قال النبي ﷺ: «**إلَّا كانَ عليهم حسرةً يومَ القيامة وإنْ دخلوا الجَنَّةَ**»، فكيف إذا وجدت أعلى المسؤولين يستكثر أن يذكر الرسول ﷺ وربما استكثر حتى من أن يفتتح خطابه بذِكره والصلاة عليه، ذلك لأن المسؤول يعلم تمام العلم أنه إن فعل ذلك فإنما يسلم القيادة لرسول الله ﷺ، ويحول البيعة من نفسه إلى رسول الله ﷺ، وأن طاعته مقيدة بطاعة رسول الله ﷺ.. وإن فعلها مرة لن يفعلها مرات، وإن فعلها في اجتماعاته مع المسلمين فلن يفعلَها في اجتماعاته مع غير المسلمين؛ لأن ذِكر النبي ﷺ عند هؤلاء كثيرًا ما يثير حنقهم.. أو أن يصنفوا أنهم مع رسول الله ﷺ! وهم والله الجيف.

فتأمل إلى أي مبلغ تبلغ الصلاة على رسول الله ﷺ؟ وإلى أي درجة ينحط من تخلى عنها؟

إذًا فإن الصلاة على النبي ﷺ هي الميزان وهي الفرقان وهي إما البركة، وإما الحسرة إنْ تُركت.

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

وقد كان هذا هو منهج أصحاب النبي ﷺ عند كل اجتماع، وفعلهم في هذا له حكم الرفع إلى النبي ﷺ، ولا حاجة بعد الصحابة لِمرجع في عمل النبي ﷺ وهديه ﷺ، فما من مَحْفَلٍ إلا كان ممثل رسول الله ﷺ حاضرًا ويجب أن يكون ذلك هو الصلاة على رسول الله ﷺ ابتداءً من صلاة الجنازة وانتهاءً بصلاة الجمعة والعيدين، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ «**السُّنَّةَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجِنَازَةِ أَنْ يُكَبِّرَ الْإِمَامُ، ثُمَّ يَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى سِرًّا فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُخْلِصَ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ فِي التَّكْبِيرَاتِ لَا يَقْرَأَ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ، ثُمَّ يُسَلِّمَ سِرًّا فِي نَفْسِهِ**»(١).

وأما في خطبة الجمعة فقد مضت السنة على هذا والعمل بها منذ تشريعها، فَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ شُرَطِ عَلِيٍّ، وَكَانَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ، فَحَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ - يَعْنِي عَلِيًّا - فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «**خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ**»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أَنه كَانَ يَقُول بَعْدَمَا يفرغ من خطْبَة الصَّلَاة وَيُصلي على النَّبِي ﷺ: «**اللَّهُمَّ حبب إِلَيْنَا الْإِيمَان وزينه فِي قُلُوبنَا وَكره إِلَيْنَا**

---

(١) أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

الْكفْر والفسوق والعصيان أُولَئِكَ هم الراشدون اللَّهُمَّ بَارك لنا فِي أسماعنا وأبصارنا وَأَزْوَاجنَا وقلوبنا وَذُرِّيَّاتنَا»(١).

لئن نزل حديث النبي ﷺ في الأمر بالصلاة عليه ﷺ والتحذير من تركها في أصغر الاجتماعات فإنه في أعظم الاجتماعات أحرى وأولى، وتركه أخطر وأشر... ثم أي خطبة جمعة في الإسلام ليس فيها ذكر رسول الله ﷺ مرات ومرات؟! ثم إذا كان أي اجتماع لا يُصَلَّى فيه على النبي ﷺ يقوم أصحابه كما يقومون على أنتن جيفة حمار، فهل يُتَصَوَّر أن يقعدوا في بيت الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وتحت منبر رسول الله، ثم لا يصلون على صاحب المنبر ﷺ ؟!

فهذا منهج أصحاب النبي ﷺ الذي عملوا به وعمموه في كل اجتماعاتهم حتى التي في السوق وإن كان السوق مجرد مكان للتجارة إلا أنه اجتماع.

قال ابن أبي حاتم: عَنْ أَبِي وَائِلٍ: قَالَ: «مَا شَهِدَ عَبْدُ اللهِ مَجْمَعًا، وَلَا مَأْدُبَةً فَيَقُومُ حَتَّى يَحْمَدَ اللهَ، وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَتَّبِعُ أَغْفَلَ مَكَانَ فِي السُّوقِ فَيَجْلِسُ فِيهِ، وَيَحْمَدُ اللهَ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»(٢).

إذًا كيف لو كان مؤتمرًا اقتصاديًا؟ كيف لو كان صفقات تجارية تهم البلد والأمة والأجيال؟!

إن الصلاة على النبي ﷺ كحضور النبي ﷺ، فهو الإمام وهو القائد وهو المشرع كذلك بعد الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم ص (٣٧٠)، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص (٢٠٢ - ٢٠٣)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن رفاعة بن رافع الزرقي رقم (٦٩٩)، وصححه الألباني.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٦/ ١٠٢) رقم (٢٩٨١٠).

مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]، فهل ترى الناس لو علموا بمعنى الصلاة على النبي ﷺ لوسعهم ألا يلتزموا بأحكامه ﷺ في الأسواق، وفي الاقتصاد، وفي المحافل والمؤتمرات، وفي الملاعب واللقاءات، وغير ذلك؟!

هل يجرؤ أحدٌ أنْ يُبيح الرِّبا أو يوقع قروضًا من البنك الدولي إلى بلده أو من صندوق بلده إلى بلدٍ آخر بقروض ربوية هذا وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٩]. وهو يستمع لقول رسول الله ﷺ وكأنه براء في حجة الوداع «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ؛ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا؛ رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ**»(١).

وهل يمكن لِمَن يصلي على النبي ﷺ في سوقه أو في مؤتمره الاقتصادي أن يَصْفِقَ صفقات بالرِّبا في بيعه وشرائه إلا أن يكون كمن يحتسي الخمر ويأكل الخنزير بعدما يحلِّلها حسب زعمه بـ[بسم الله] قبل الأكل والشرب؟!

إنَّ ذِكْر النبي ﷺ، والصلاة والسلام عليه داعٍ للحياء من الله ﷻ ومن رسوله ﷺ أن تفعل ما لا يرضاه الله ﷻ ورسوله ﷺ، فإن الإنسان وخصوصًا في المجامع العامة كثيرًا ما يتعرض لاختبار محبه واختيار المحب، وتكون

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

المقارنة العملية في الاختيار ما بين المال أو الشهوة سواءً شهوة البطن أو شهوة الفرج أو نحو ذلك وبين الله سبحانه ورسوله ﷺ، ولهذا جاء في الحديث: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»**(١).

ولهذا تجد أن جلوس الصحابي رضي الله عنه في زاوية السوق كما قال أبو وائل (وإن كان يخرج إلى السوق فيأتي أغفلها مكانًا، فيجلس فيحمد الله، ويُصلي على النبي ﷺ، ويدعو بدعوات)، فليست المسألة عنده كما هي عندنا في هذا الزمان وأحدنا يُردد دعاء السوق وهو لا يدري ماذا قال من شدة الغفلة..! بل يعي جيدًا ما يقول ويتأمله ويعرف مقتضاه وما يستوجب، لأنه لا يمكن أن يجمع حب الله وما يبغضه الله تبارك وتعالى، ولا يجمع بين معصية رسول الله ﷺ وبين الصلاة على رسول الله ﷺ...

أرأيت كيف أن الصلاة على رسول الله ﷺ وقاية من معصية الرسول ﷺ ومخالفة هديه ﷺ! أرأيت كيف أن الصلاة على رسول الله ﷺ باعثة للحياء، والحياء خلق هذهِ الأمة كما قال النبي ﷺ: **«إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»**(٢)، وإن بعث الحياء من خلال الصلاة على رسول الله ﷺ في نفوس الأمة المحمدية على مُعَلِّمها ومزكيها الصلاة والسلام فهو أمرٌ ممكن، بل هو سهل، بل أمر ناجح، وعنصر النجاح وسببه وسِرّه موجود في قلب كل واحدٍ من

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤) واللفظ له، والنسائي (٤٩٨٧)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد (١٢٠٢١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والطبراني في الأوسط (١٧٥٨)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

أبناء أمة النبي ﷺ، ذلك هو حب النبي ﷺ، فما يضحي الإنسان لأحدٍ تضحيته لحبيبه، وأمة محمد ﷺ لا ينبغي أن تضحي لأحدٍ تضحيتها لرسول الله ﷺ؛ لأنها في الحقيقة لا تضحي لأحدٍ تضحيتها لرسول الله ﷺ.

نعم إنها معادلة سهلة لكنها سهلة وممتنعة، حبيبة ومحكمة؛ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩].

ولقد علمنا ربنا ﷻ أن لا نقول قولًا ونأتي بما يُخالفه، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢،٣]، والصلاة على رسول الله ﷺ قول وله معناه وله جلاله وله مقتضاه، فكيف يتخطى المسلم كل هذه الجبال وهو يزعم بعد ذلك أنه يحمل في داخله محبة لا توصف للنبي ﷺ؟! ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

الفضل الخامس عشر: أن الصلاة عليه تسع غير المسلمين أن يصلوها

وهنا نعود ثانية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، نعود لنعرف لِماذا نصلي عليه... بل لماذا لا نصلي عليه... وهل من حق عبدٍ أن يُفكر في إشراك أحدٍ معه وهو المتفرد ﷺ في كل ما ذكرنا.. وهو المنقذ الأول والمتفرد في السبق بإنقاذ أمته وأمم الأنبياء عليهم السلام جميعًا؟! إن ما حققه النبي ﷺ هو فوق قدرة

الإحصاء البشرية أو الآلية فلا يستغربن أحد لما قال الله له وحده خاصة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

أرأيت الجموع الغفيرة في الحج والتي تموج كموج البحر الهائج، وتتلاطم تلاطم الفرات الفائض، وهي تنتقل بين منسك ومنسك إلى مناسك ومنسك، وليس لها من قدوة إلا رسول الله ﷺ، وهي في كلِّ منسك تتساءل ماذا فعل رسول الله ﷺ هنا في هذا المنسك، ومن أين دخل رسول الله ﷺ إلى هذا المنسك، ومن أين خرج رسول الله ﷺ، وأين وقف، وماذا قال هنا، وماذا نقول بعده، وماذا لَبِس هنا، وهل رفع صوته هنا، وماذا كان يصنع في طريق انتقاله من هذا المنسك إلى المنسك القادم؟ وهل أسرع هناك؟ فحركة القلب وأنت هناك مع رسول الله ﷺ، وحركة النَّفَس برسول الله ﷺ، والخطوات في إثر خطوات رسول الله ﷺ، والخلْق على قدم رسول الله ﷺ قدم الصدق عند ربهم، والمقصد هناك هو رسول الله ﷺ.

والسؤال: ماذا كانت ستصنع هذه الجموع بغير رسول الله ﷺ؟ ومن ذا الذي سنَّ لها هذا النظام الدقيق؟ وشرع لها هذه المناسك؟ وإذا أرادت البشرية الإنصاف فإن هذه الأنظمة التي توصلت لها في العصر الحديث، وجعلت حياتها تسير بسلاسة ونظام وانضباط وأكثر إنتاجية، وأكثر كرامة، وحرية، وعدلًا، وحِفْظَ حقوقٍ، ونصرة للمظلوم وما إلى ذلك من سنن الهدى ومبادئ الخير، وهذه وأمثالها من سنن الهدى هي التي جعلتها تسير كسير المسلمين في الحج، وهي التي كان منها ما كان من قبل في عهود الأنبياء عليهم السلام، ثم انقرضت بتلك السنين حين اختطفت شياطين الجن والإنس الناس، وما عاد من سنن الهدى شيء يذكر، فأعاد النبي ﷺ الخليقة إلى سنن الهدى كأنها لم تتضرر ولم

تختف من قبله؛ لأن سنن الهدى لم تنقرض من قبله ﷺ فحسب، بل وصلت إلى أسفل سافلين، فرفع ﷺ البشرية من سفولها ورفعها ولا يزال حتى بلغ بها ذروة سنن الهدى، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**مَن سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ علَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بهِنَّ، فإنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وإنَّهُنَّ مَن سُنَنَ الهُدَى، ولو أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، ولو تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَما مِن رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ مِن هذِه المَسَاجِدِ، إلَّا كَتَبَ اللهُ له بكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنْه بهَا سَيِّئَةً، وَلقَدْ رَأَيْتُنَا وَما يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلقَدْ كانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى به يُهَادَى بيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ**»[(١)]؛ أي: أن النبي ﷺ جعل حياتها العامة من النظام والدِّقَّة والانضباط مثل الصلاة.. ولهذا ما قال الصحابي رضي الله عنه إن الصلاة هي سنن الهدى، مع عظمتها، بل قال: «**وإنَّهُنَّ مَن سُنَنَ الهُدَى**»، وهذا التغيير بل هذه الولادة الجديدة للبشرية ما كانت إلا على يد رسول الله ﷺ، بل هي بلا شك ولادة جديدة للإنس والجن على حدٍّ سواء... وما كانت النهضة العلمية الحديثة بأحسن ما فيها من علم ونظام، وأحسن ما ظهر فيها من عدل وحرية وما إلى ذلك، إلا ثمرة من ثمراته ﷺ... وهذا هو التاريخ فليحدثنا عن حال الأوربيين خاصة والعالم عامة، عن حالته فيما يسمونه بـ «العصور الوسطى» إذ بعث رسول الله ﷺ، وأي مرجعية كانت لهؤلاء في آخر عصور الظلمات إلا هو ﷺ؟! إذ كان أَخْذ الأوربيين أصحاب الثورة العلمية الحديثة والحضارة الحديثة إنما هو من الخلافة الإسلامية العباسية في بلاد العرب، وعلى الأخص

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤).

بغداد ومصر والشام، وكان أخذها الأكبر من الحضارة الأموية في بلاد الأندلس من علمائها، ومكتباتها، ومختبراتها، وأنظمتها الحياتية، وتخطيط مدنها ومنهجيتها في التعليم والبحث، ومنهجيتها في التدريس وما إلى ذلك.

وكل هذه الحضارة الإسلامية، وهي الشمس الوحيدة في العالم منذ سنة ٦٠٠ للميلاد تقريبًا حتى أول الثورة العلمية الحديثة[١] سنة ١٥٤٣م، أي أكثر من ألف عام؛ فإن أوربا بعد الثورة العلمية ما كان لها أن تبلغ هذا المبلغ حتى استمرت ردحًا من الزمان وهي تنهل من بلاد الإسلام العلوم الحديثة، ومناهج العلوم كذلك، ما كان لها أن تكون إلا به ﷺ... فالعرب الذين بعث الله رسوله ﷺ فيهم ما كانوا إلا من أضعف الأمم وأجهلهم حتى عرفوا بالأميين حتى عُرفت تلك الفترة فيهم بـ «الجاهلية» وهي تسمية الله رب العالمين لها، وهل الجاهلية إلا من الجهل، وهل من دليل على حرب الإسلام على الجهل والحضّ على كشفه من هذا، فالقارئ والكاتب فيهم نادر، وإذا لم تكن كتابة ولا قراءة فكيف لا يعشّش الجهل ويبيض ويُفرِّخ... والسؤال هو: من الذي أخرج هؤلاء الأميين من الظلمات إلى النور... فأخرجوا هم العالم من الظلمات إلى النور... مَن إلا رسول الله ﷺ؟ فهل يجب على الإنس والجن اليوم أن يصلوا عليه ﷺ أم لا؟ ولماذا يجب على غير المسلمين أن يصلوا عليه كذلك ﷺ؟ ولماذا يجب عليهم أن يدخلوا الإسلام لأجله كما هو شأن الداخلين في الإسلام في كل يوم؟! نعم لأجله، ذلك لأنه لا تُقبل منهم الصلاة

(١) تقليديًا - وللأسف -، تُعزى بداية الثورة العلمية إلى ثورة نيكولاس كوبرنيكوس (البولندي) (عام ١٥٤٣م)، ويُعزى اكتمال الثورة العلمية إلى كتاب الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية لنيوتن المنشور عام ١٦٨٧م. انظر الموسوعة البريطانية على الإنترنت: https://www.britannica.com/science/Scientific-Revolution!

عليه ولا يُرَد عليهم سلامهم عليه إلا بالدخول في دِينه... نعم يجب عليهم أن يصلوا ويسلموا عليه شكرًا لِمن أحسن لهم، والشكر لا يُرد، ولعل الله يهدي الشكور.

ومع هذا فإن الغاية الكبرى هي اتباعهم له ﷺ اتباعًا كاملًا، فإن لم تكن الهداية فمَن ذا الذي يمنع المحبين له من الصلاة والسلام عليه، ومن له الحق أن يمنعهم لو كانوا أحياءً في حياته ﷺ من السلام عليه لو مرُّوا عليه، أو يمنعهم من شكره لو جاؤوا يشكرونه، بل سلامه هو ﷺ عليهم لو مرَّ عليهم؟ أَوَ ما كان يقول ﷺ إذا مرَّ عليهم قال: «**السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**»[١]؟!

ثم من له الحق في أن يقطع حبل الودِّ والوصال هذا الذي يُلْقونه، والله ﷻ يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، ولسوف تصنع الصلاة على رسول الله ﷺ صنيعها في قلوب المصلين عليه من غير المسلمين، وسوف تسوقهم بفضل الله تعالى إلى الهدى والنور؛ لِما جعله الله من بركة فيها، وما ادَّخره الله سبحانه من محبةٍ لِمن أحب حبيبه ﷺ... وهذا من أعظم الإيحاء والإحياء الذي تصنعه الصلاة على رسول الله ﷺ.

وهل يركب في السفينة العظيمة من كان في وسط البحر المدلهم الهائج وهو مقطوع أم يركب فيها من ألقي له حبل نجاة وأمسك به، حتى لو لم يركب في هذه اللحظة فلسوف يبقى ممسكًا بالحبل حتى يركب بإذن الله أو يصل إلى بر الأمان وهذا هو المطلوب.

فاللهم صلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٠).

الفصل السادس عشر: الفخر الموروث للعائلة، والبرُّ المحفوظ في الأبناء بالصلاة على رسول الله ﷺ

وهنا سؤال عن حديث للنبي ﷺ متداخل في الصلاة على النبي ﷺ، وهو قوله: «**إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ**»(١).

نعم فالجمعة بالنسبة لنا نحن أمة محمد ﷺ عيدٌ، وقد عاش النبي ﷺ في حياته وما كان عدد المسلمين في الأرض بأكثر من مائة ألف إلا بقليل وليكن مع أهليهم جميعًا مائتي ألف أو ضعفي ذلك، لكنه في كل جمعة من بعد وفاته ﷺ يعرف النبي ﷺ كم أصبح أعداد أمته، وكم هم المصلون عليه ﷺ من أمته، أليس مجاميع الناس وعوائلهم تجتمع في العيد، ويرى بعضهم بعضًا في العيد، ولا يتخلف في العيد إلا ذو العُذر القاهر حقًّا، كذلك تجتمع أمة محمد ﷺ في عيدِها الأسبوعي كلها من غير استثناء عند رسول الله ﷺ على مائدة الصلاة والسلام عليه، أوَ ليس هو مؤسس هذه الأمة وبانيها، ومعلمها ومزكيها، وهل من الأدب أن تجتمع الأسرة إلا عندَ كبيرها؟ وهل أكبر من رسول الله ﷺ وهو القائل: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ**»(٢)، وبما أن الرسول ﷺ قد مات كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وبما أن الله على كل شيء قدير، فقد جعلَ الله ﷻ صلاة المؤمنين أينما كانوا تعرض على الرسول ﷺ، بل يعرض كل مصلٍّ على رسول الله ﷺ، بل تعرض كيفية صلاته إذ هو يصلي عليه كما مر معنا في حديث أبي الدرداء أن الرسول ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٩٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (٨)، وقال شعيب الأنؤوط: إسناده قوي، وحسنه الألباني.

عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْـمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا»(١)، ومعنى حتى يفرغ منها: أي: حين يفرغ أي من ابتدائها وحتى الانتهاء منها، فمن صلى عليه عشرًا عرضت عليه صلاته العشر حتى يفرغ من تلك الصلاة العشر، ومَن صلى عليه عشرين ﷺ عرضت على رسول الله ﷺ كل صلاة مرة بعد مرة حين يصليها حتى يفرغ من كل مرَّة، وهذا الأوفق لإكرام الله رسوله ﷺ، وهو الأوفق لِعدل الله ما بين العُبَّاد لله المصلين على رسوله ﷺ، فتكرار العرض عليه أكثر إكرامًا لِصاحبه، ولأن عملَه لا يستوي مع مَن صلَّى مرةً واحدة أو صلى أقل منه على رسول الله ﷺ.

ولقد علمنا من قبل أن في الجمعة إعلامًا للنبي ﷺ بأعداد أفراد أمته ﷺ، وفيه أعداد مَن يصلي عليه من أفراد أمته، حقًّا إنه عيد كل مسلم وعيد لرسول الله ﷺ وقرَّة عين.

وهذا يعني أنه يعرف أعداد الغافلين من أمته عن الصلاة عليه، كما في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا عَمَّارُ، إِنَّ لِلهِ مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاءَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَبْرِي، إِذَا مُتُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يُصَلِّي عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا أَسْمَاهُ بِاسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، صَلَّى عَلَيْكَ فُلَانٌ، فَيُصَلِّي الرَّبُّ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرًا»**(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٦) رقم (١٦٧٢): حسن لغيره.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٤١٦) رقم (٢٨٣١)، والبزار في مسنده (٤/ ٢٥٤) رقم (١٤٢٥)، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (١٠/ ١٦٢) رقم (١٧٢٩٢)، والحارث بن أبي أسامة في «المسند» (٢/ ٩٦٢) رقم (١٠٦٣)، وابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي ﷺ» (٥١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٣٠).

وهذا يعني أن الرسول ﷺ يعرف أسماءَ الخلائق إجمالًا وأعدادها بشكل عام والمقصود – والله أعلم – أنه يعرف أسماء الناس، لأنهم الذين يعنونه.. بل هو يعرف أسماء أمته ﷺ، ويعرف أعدادهم، ويعرف أعداد المصلين عليه منهم، وكيفية صلاة كل واحدٍ منهم، فكأن الصلاة على رسول الله ﷺ مائدة ينصبها الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ كل يوم جمعة خاصة، ولِذا أُمرنا بالإكثار منها، وخص من يُصلي عليه ﷺ بإكرام الله تبارك وتعالى إكرامًا مخصوصًا.. وما ذلك إلا لِيجمع الناس ما يستطيعون من صلاة على مائدة رسول الله ﷺ، **لِيُريه الله حصاد عمره** ﷺ **كل جمعة**، وهذا أقرّ لِعينه ﷺ وهو في قبره، **وبهذا تجتمع كل الأحاديث بما في ذلك كون الجمعة عيدًا للأمة**، وعيدًا لرسول الله ﷺ من باب أولى؛ لأنه الأول والأولى، ولأنه قال ﷺ: «**إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ...**» فهو ﷺ أول المقصودين وأعظمهم وإمامهم وقائدهم وقدوتهم.

وفي هذا الحديث لا يعرف النبي ﷺ المقارنة بين أعداد أمته ﷺ وأعداد الناس فحسب، ولا يعرف أعداد أمته في كل مرحلة زمانية وأعداد المصلين عليه فحسب، ولكنه يعرف أسماءَ المصلين عليه وأسماء آبائهم وأجدادهم من يوم وفاة النبي ﷺ تفصيلًا حتى آخر مؤمن على ظهر هذه الأرض.

ولهذا جاء في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ما قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يُصَلِّي عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا أَسْمَاهُ بِاسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ**»، فسبحان الله العظيم؛ ما هذا الفضل الكبير بهذا الربط المبارك للعائلة الواحدة، حيث حبل الاتصال الوثيق للعائلة الواحدة إنما هو بالصلاة على رسول الله ﷺ، وحيث منتهى الأمر عند رسول الله نفسه – اللهم صَلِّ وسَلِّم عليه – فمن انقطع وسقط من هذه السلسلة فإنما انقع بانقطاع هذا المقطوع من الصلاة على رسول الله ﷺ.

وما كان لهذا المَلَك أن يخبره ﷺ باسم المصلي عليه واسم أبيه لينسى؟

ثم هل تراه يخبره بذلك ولا يُعطيه ﷺ الذاكرة التي تحفظ كلَّ هؤلاء من غير اختلاط عائلة بعائلة، أو ولد بأبٍ، أو نحو ذلك.. ولهذا قال: «**إِلَّا أَسْمَاهُ بِاسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ**»، وإلى أن تقوم الساعة ليذْكرهم ويقربهم، ويذكرهم ويشفع لهم، وينفعهم الله به ﷺ أيما نفع.. أم يظن البعض أنه مجرد تعريف ليس إلَّا؟!

وهكذا يعرف النبي ﷺ سلالات المصلين عليه محفوظة كما هي الأنساب محفوظة، **فإن كل ولدٍ يسعى لأن يبر أباه كي يشرفه بذِكره عند رسول الله ﷺ**، وهكذا كان أبوك مع أبيه، وكان جدك مع أبيه، وهكذا وهكذا... **وليس الأمر كذلك بل فيها من جميل المقتضى عليك أن تربي أولادك على الصلاة على النبي ﷺ** لكي يكون ذِكرك بعدَ موتك حاضرًا عنده ﷺ دائمًا وأبدًا، **بل يوصي الأب أولاده ويؤكد عليهم** بالمحافظة على الصلاة على النبي ﷺ حتى ترث هذه الأسرة المباركة الصلاة على رسول الله ﷺ، ويَعْرفها رسول الله ﷺ بأنها هي الأسرة الواصلة.. الأسرة المصلية المسلمة عليه تسليمًا كثيرًا وقد كان رباطها أحسن رباط وعليه هو الصلاة ﷺ، وارتباطها له ﷺ مباشرة.

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

الفضل السابع عشر: الدرجة الأعلى لمنبر الجمعة للصلاة على رسول الله ﷺ

وأما ما ثبت في خطبة الجمعة من الصلاة على النبي ﷺ فإن لهذه الصلاة قيمتها ووسائلها...

فأول ذلك أن رسول الله ﷺ إمام كلِّ إمام، ويعلو كل عالٍ من البشر، ويتبعه كل متبوع من الناس، وكل مسلم يقول: وإنه الحَكَم فيما بيني وبينكم لو

اختلفنا، وإني بغير هذا الحكم والحِكم لا أستحق التقدم عليكم، فما تقدمي إلا لأجله ﷺ، وما دليل هذا؟ إنها الصلاة على رسول الله ﷺ، فلا يقولن أحد: يمكن أن يغني عنها ذِكر شيء من شمائله أو نحو ذلك، أقول: لا يغني، كما لا يمكن أن تذكر شمائله من غير الصلاة عليه ﷺ، كما أن الأمر المشترك بالذِّكْر ما بين الخطيب والمصلين إنما هو رسول الله ﷺ، وعليك أن تعلم أن الصلاة على رسول الله ﷺ تحقق المقتضى للمقام الذي ذكرت فيه على أعلى مستوى، فإذا كان ربنا تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فمن المفترض أن لا يكون أحد أحسن من خطيب الجمعة، وخطيب الجمعة لا يمكن أن يذكر النبي ﷺ طوال خطبتيه مرة واحدة أو مرتين، بل مرارًا كثيرةً، فلا بد أنْ يُصلي على النبي ﷺ كلما ذكره، ولا بد أن يصلي بصلاته كلُّ مَن سمع الصلاة على النبي ﷺ... فهل من مذكور في العالمين على منابر الجمعات أعلى من رسول الله ﷺ، أو أكثر منه ذِكْرًا ﷺ، وليس الأمر محصورًا في كونه أكثر وأعلى مذكور ﷺ فحسب، ولكن الأمر هو أن منبر الجمعة هو أعلى المنابر على الإطلاق، فكل المنابر دونه، وكل المنابر له تبع، ولأنه في أعلى الأيام وأعظمها وهو يوم الجمعة، ويوم الجمعة هو هبة الله تعالى لأمة محمد ﷺ، ولقد جرى عند هذه الأمة عُرْفًا متفقًا عليه وهو تسمية منبر الجمعة بمنبر رسول الله ﷺ، ولا يزال هذا المنبر على وجه الخصوص يحمل القدوة والقوة والمهابة، ويصبغ منبر الجمعة مَن اعتلاه بالمهابة ويعلوه العزّ، لِذا فما أقبح وأحقر في أعين الناس مَن ينافق من على منبر رسول الله ﷺ رجلًا من الرجال أيًّا كان ذلك الرجل... فمقامك أيها الخطيب هو مقام رسول الله ﷺ، فهل ترضَى لِرسول الله ﷺ أن يكون كذلك، وحاشاه

ﷺ ذلك، فكيف ترضى لِنفسك وقد جُعِلت في هذا المقام أنْ تُنافق؟! كيف ترضى أن تبيع هذا الكنز الذي لا كنز مثله في ثروات الدنيا كلها؟ كيف وأنت لا تزال تذكر نفسك قبل أن تذكِّرَ غيرك طوال خطبتك ولا ترفع لِنفسك ولا لغيرك مع رسول الله ﷺ ذِكرًا؟ فإذا بك ترفع ذِكر مَن نافقت على ذِكر رسول الله ﷺ وإن لم تصرِّح ذلك، بل جعلت ذِكر رسول الله ﷺ مسخرًا لِذِكر هذا الذي نافقته أو ذاك، فلو كنت صادقًا واضحًا بإظهار ما في باطنك لحوَّلتَ الصلاة والسلام من رسول الله ﷺ إلى صاحبك هذا الذي نافقتَه أنت!

فَحَقُّ الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا الموطن العظيم أن تجعل الخطبة خاصة لِرسول الله ﷺ ولِتبليغ دعوة رسول الله ﷺ، وللذَّبِّ عنه، ولِفدائه، وحق الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا الموطن العظيم أن تُعلي هذا المنبر فوق كل المنابر التي تُنافسه، وكلنا يَعلم في هذا الزمان أن الصِّراع الآن صراع منابر، وذلك لا يكون بمجرد وجود الفكرة في الذِّهن بل وفق برنامج ومنهج وتضحية وفداءً للرسول ﷺ، إنك هنا رأس حربة الإسلام ورأس أمره في هذا المقام وهذا الزمان وهذا المكان لأن صاحبه الأول ﷺ كان كذلك.

وإنك كلما ذكرتَ رسولَ الله ﷺ في هذا المقام خاصة إنما تُذكِّر نفسك بأمانتك العظيمة، فأنت المعنيُّ الأول، وأنت وريث رسول الله ﷺ في هذا المنبر في هذا المقام وهذا المكان، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: **«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ الْأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً، أَهْلُهَا يَحُفُّونَ بِهَا كَالْعَرُوسِ تُهْدَى إِلَى كَرِيمِهَا، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيَاضًا، وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ، مَا يُطْرِقُونَ تَعَجُّبًا، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا**

الْـمُؤَذِّنُونَ الْـمُحْتَسِبُونَ»(١)، أليس الجزاء من جنس العمل، **فلِماذا كانت الجمعة زهراء منيرة من بين الأيام، ولأمة محمد ﷺ خاصة؟!** نَعَم لِفضل الله ﷻ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠]، وهي كذلك بفضل رسول الله ﷺ، وبالصلاة عليه ﷺ، وبأداء المسلمين حقها، ولكن هذا الجزاء خاصة لِهذا اليوم وهي كونها (زهراء منيرة) إنما يدل على أنها كانت زهراء منيرة في الدنيا، يستنير المؤمنون فيها بالعلم والإيمان، ويستبصرون من خلال خطبة الجمعة طريقهم، ويستبينون سبيل المجرمين، ويكشفون الظلمات التي تحدق بأمتهم، وأكثر المؤمنين حرصًا على خطبتها وحقها هم أقرب الناس منها؛ لأن النبي ﷺ ذكر أن نظام مشيهم في أرض المحشر مع الجمعة إلى الجنة إنما هو الحف والاحتفاف والاحتفاء بها، ثم لِماذا كانت ألوانهم كالثلج بياضًا، وريحهم كالمسك، ويخوضون في جبال الكافور لولا أن نفعهم تعدى، وفضلهم عم وانتشر في الدنيا، كما قال النبي ﷺ عن صاحب القرآن أنه كالأترجة.

وكم لهذا الحديث من ارتباط ما بين المنبر وبين الصلاة على رسول الله ﷺ، ومن هذه الروابط الحديث الذي رواه مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده رضي الله عنه، وكذلك رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةً قَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً أُخْرَى، فقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةً ثَالِثَةً، فقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ**

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٤٣٧) رقم (٦٩٨).

اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فقَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمين»[١].

سبحان الله العظيم كيف جعلَ التذكير بالصلاة على رسول الله ﷺ وهو على المنبر، وجعله في الختام؛ أي: على الدرجة الثالثة، وهي آخر درجة وعليه يكون قد استقرَّ على المنبر...

أليس الحق مع مَن سماه منبر رسول الله ﷺ؟ أليس هو أبلغ في الإعلان، وأعلى في الاهتمام؟!

وسبحان الله كيف يقول البعض: إن الصلاة على النبي ﷺ ليست فريضةً إلا مرة واحدة فقط في العمر... فلا أدري هل صوم رمضان فريضة وركن من أركان الإسلام أم لا؟ وهل برُّ الوالدين فريضة عظمى حتى جاء الأمر به بعد الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله كما في سورة لقمان..؟ وهل الفريضة إلا التي يُتوعد على تركها بالعقاب؟ أوَ لم تشترك هذه الفرائض على تركها بعقاب واحد؟ وماذا أكثر من التصريح على العقاب باللَّعْن ودخول النار؟!

هذا أمر، وأمر آخر أن الإنسان ربما ذكر النبي ﷺ مرة بينه وبين نفسه فنسي أن يصلي عليه ﷺ، ولكن أن يُذكر النبي ﷺ في ملأ مثل خطبة الجمعة ثم لا تصلي عليه، فهذا هو الحرام، بل حتى لو كان التذكير في غير الجمعة، بل حتى لو كان التذكير من خلال واحد فقط لو كان يحدثك بينك وبينه، فإن ذكر النبي ﷺ لا بد أن يتردد صداه في أكبر مجمع وأصغر مجمع، وأنه ﷺ هو قائد أصغر اجتماع كما هو قائد الأمة كلها حيًّا كان ﷺ أو ميتًا، فهو القائد وهو المقدَّم

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٠٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٩) رقم (١٦٧٨): صحيح لغيره.

وهو المتبع؛ لأنه المحبوب المُعَظَّم الذي من أساسيات التعظيم له ﷺ ومحبته التزام الصلاة عليه في كل اجتماع وكل تذكير وكل ذِكر وكلما ذُكِرَ اسمه ﷺ.

بل حتى لو قرأ القارئ اسمه ﷺ في كتاب ولم يُصلِّ الكاتب عليه ﷺ لكان فرضًا عليه أن يصلي عليه، فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْخَلِ النَّاسِ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، فَذَلِكَ أَبْخَلُ النَّاسِ**»[(١)].

الفضل الثامن عشر: الإيثار بالإيثار.. والإكثار بالإكثار

وهنا سؤال في الجمعة يقول: لماذا ساعة الإجابة في الجمعة؟

من آثر النبي ﷺ على نفسه آثرَه الله تبارك وتعالى وأعطاه وإن لم يَسْأل... كيف والله تبارك وتعالى آثَرَ الرسول ﷺ على نفسه تبارك وتعالى، فلم يقل سبحانه وتعالى: من قال يوم الجمعة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أو من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ونحو ذلك من أذكار الله العظيمة، بل أمرنا الرسول ﷺ بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

هكذا هي الجوائز لا بد أن توزع على الناس يومًا من أيام الأسبوع بما أنها جوائز أسبوعية، وهل من يومٍ سيكون يومها إلا يوم الجمعة؟ وهل من وقتٍ توزع فيه الجوائز إلا آخر اليوم وختامه؟ فأسبوع قد مرَّ فيه ما مرَّ من الأعمال الصالحة من صلوات وذِكرٍ لله وصيام يومين رفعت فيها الأعمال إلى الله، وما هو أفضل من ذلك كله وهي الصلوات الخمس في كل يوم، والأعمال الصالحة

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ ص (٣٠) رقم (٢٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠١) رقم (١٦٨٤): صحيح لغيره.

المتعدِّي نفعها للآخرين ونحو ذلك، فإذا جاء يوم الجمعة جاءت ومنذ غروب شمس يوم الخميس وهو مطلع الجمعة وإشراق نورها، فذهبنا إلى رسول الله ﷺ بالصلاة عليه كأن كل الأعمال لرسول الله ﷺ، فهو المخرج من الضلال، وهو الهادي، وهو المؤسس للأمة، وهو المعلم، وهو المزكِّي، وهو القائد وهو القدوة، وعنده تجتمع الأمة في يوم عيدها الأسبوعي، وله تكون الصلوات في ختام الأسبوع، وعليه تُعرض كما يعرض عليه أصحابها وتعرض كيفياتها، فعن أنس ﷺ يقول النبي ﷺ: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(١)، وعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُصَلِّي عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ**»(٢).

فإذا جاء يوم الجمعة اشتدت أكثر وأكثر الصلاة على رسول الله ﷺ كثرة وتقربًا وتزلفًا واقترابًا حتى تختلط هذه الصلاة بساعة الإجابة وأدعية الإجابة التي يرفعُها المسلم بين الفَيْنَة والأخرى، فليس أفضل لأعمالك التي قدمتها طوال الأسبوع من أن ترفقَها بالصلاة على رسول الله ﷺ، وقد وردت الصلاة على رسول الله ﷺ في أول الدعاء وفي آخره وبها ترفع الدعوات أينما كانت، فإن كانت في أول الدعاء فهي والله نعم الزلفى عند الله سبحانه، ونعم المفتاح والزلفى لِطريق الإجابة كما علمنا ربنا سبحانه في دعاء الكنز الأعظم والدعاء المجاب، وهو آخر آيتين من سورة البقرة حيث افتتحه الله ﷻ بـ (آمن الرسول)،

---

(١) رواه البيهقي في سننه (٣/ ٣٥٣) رقم (٥٩٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٩).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٥٧) رقم (٣٥٧٧)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني لشواهده في صحيح الجامع برقم (١٢٠٨)، والسلسلة الصحيحة (١٥٢٧).

فهاتان الآيتان هما دعاء، فكان مقدمة هذا الدعاء هو إيمان الرسول ﷺ، وإيمان الرسول ﷺ لا يمكن أن يرده الله تبارك وتعالى فكان هو ﷺ أولًا، ولا يمكن للمؤمن هنا أن يقرآ (آمن الرسول) ثم هو لا يصلي على الرسول ﷺ، وإلا خشي عليه أن يدخل في النذير وتحقق عليه وصل البخل وأبخل البخل ونحو ذلك من الترهيب، بل هذهِ والله هي الغنيمة حينما تأتيه الفرصة أن يُصلي على رسول الله ﷺ بين يدي ربه تبارك وتعالى.

ومَن لم يصلِّ عليه هنا اعتذارًا بأنه لم يرد نصًّا مخصوصًا فله ذلك... ولكن ألا تمر الصلاة على رسول الله ﷺ هنا على قلب هذا القارئ..؟! ولهذا فإن الحقيقة أن هذا قارئ أطاق كتمانها وذاك قارئ لم يطق كتمان الصلاة على رسول الله ﷺ وهو قائم بين يدي رب العالمين.. كما لو مرَّ عليه ذكر بِرِّ الوالدين في القرآن وذلك إذا ما قرأ مرَّ بقول الله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٢] فأخذ بالدعاء لِوالديه الميتين أو الحيين أتراه ابتدع أم أحسن وأجاد والله يتقبله منه برًّا لوالديه..؟! فمَن ذا الذي يعتب على هذا وهو يدعُو ربه ويبرُّ أباه وأمه، أوليس رسول الله ﷺ أولى وأحق وأحب.

وماذا إذا فعلتها أنا على أنني ابنه ﷺ وفعلتها بِرَّ الولد بأبيه.. هل أُعَدُّ مبتدعًا؟! فوالله إن هذا لهو التفريق المشين! كيف وهو ﷺ مثل الأب وأكثر لكل مسلم من المسلمين!

وإن المرء ليحاول أن يتزلف إلى ربه تبارك وتعالى بالصلاة على رسول الله ﷺ.... فَذِكْر الرسول ﷺ عند قوله سبحانه وتعالى كافٍ في أن يفتح الباب ليقرب إلى ربه بالصلاة على رسول الله ﷺ، أوَ ليست الصلاة على رسول الله ﷺ دعاء؟ أوَ لم يكن النبي ﷺ إذا مرَّ في موطن دعاءٍ دعا؟ فلِمَ لا يدعو التابع لسيدهِ والولد لأبيهِ؟

إذًا فمن هو الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي: ومن آبائهم وإخوانهم وأبنائهم... أليس هو رسول الله ﷺ، فلِمَ لا يجوز أن تدعو له كلما ورد ذِكره؟ ليس هذا فحسب بل ندعو له دعاءً يليق بحقه علينا، وأي دعاء يمكن أن نبتكره ونزينه ونحسنه أكثر وأحسن من الصلاة على رسول الله ﷺ؟!

كيف وهذا الموطن كله موطن دعاء، ولهذا فإن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تكون في أوله، فيها فتح باب الإجابة والقرب والتقريب.

فَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»[(١)].

ولقد سألني رجلٌ كريم حبيب هو الشيخ الراحل أبو أسامة الشمري رحمه الله في مجلس مرة عن صيغة للصلاة على النبي ﷺ فقال: هل يجوز لي أن أصليَ على النبي ﷺ بهذه الصيغة: اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقِك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، وأكررها هكذا؟ قلت له: أولًا: ما الذي دفعك لهذه الصيغة؟ فقال: أريد الإكثار بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ إكثارًا منقطع النظير لأن حقه علينا منقطع النظير، قلت له: فلتعلم إذًا أن النبي ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(٢)] ونيتك هذه كافية وافية عظيمة عند الله، وما دام الدعاء أو الذكر سليمًا من الشرك بالله سليمًا من سوء

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، وأحمد (٢٣٩٣٧) باختلاف يسير، والترمذي (٣٤٧٧) واللفظ له، والنسائي (١٢٨٤) بنحوه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٨١).

(٢) أخرجه البخاري (١).

الأدب في الدعاء، والتعدي فلا بأس به إطلاقًا، فإن ذلك الرجل الذي دعا ربه بعد الركوع فقال: «**رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**»، **فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنِ الْـمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»**(١) فإن النبي ﷺ أقرَّه بل حثَّه وحثَّنا من بعده على مثل عمله، ولو كان هذا الأمر منهيًّا عنه لَقال له النبي ﷺ مباشرة وأمام جميع المتعلمين، وهم جميع الآل والأصحاب ﵃ الحاضرين، (ولا تَعُدْ) أو قال: (هي لك خاصة)، لكن ترك الأمر له ولغيره مفتوحًا، بل يحضنا رسول الله ﷺ إذا تفتحت القلوب الصادقة بدعاءٍ صحيح صادق ضارع فلنرفعه إلى الله ﷻ كما هو في لحظته كما رفعه الصحابي ﵁، ومع هذا فإني أحبذ بالنسبة للسائل الكريم أن نترك هذا الدعاء كما هو تأدبًا مع تسبيح الله ﷻ، فإن هذا قيل لله تعالى فيترك كما هو، وكونك أنت تقول تريد الإكثار، فإن قول الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] أي: تسليمًا كثيرًا، وهو مثل قول المسلم إذا أراد المبالغة في شكر من أحسن إليه: (جزاك الله خيرًا) فيكون بهذه الكلمة قد بالغ في الثناء كما قال النبي ﷺ في الحديث(٢)، والسبب هو أن (خيرًا) أي: خيرًا مطلقًا لا يَحدُّه حدٌّ، بينما لو قال الرجل: جزاك الله ألف خير، سيكون قد حدَّده بالألف.

والحقيقة هي أن الصلاة على النبي ﷺ تختلف، فإن (اللهم صل على

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٥)، وابن حبان (٣٤١٣) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**». وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لكتاب الأذكار للنووي: حسن بشواهده (٣١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨).

محمد وعلى آل محمد) ليس فيها ألف الإطلاق ولا صيغة تكثير، نعم لو قال القائل: ألف ألف مرة مثلًا، لكان حددها، ولذا فهذه الصيغة لا تؤيدها.

وفي رأيي، والله أعلم، أن الرجل لو صلى على النبي ﷺ فقال: (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد) وأكثر، ثم قال في ختامها مثلًا: (سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) راجيًا من ربه أن يصيب الصلاة على رسول الله ﷺ من الإكثار ما يشاء الله ويرضاه وذلك بالمجاورة، وبالمحبة، وبالرجاء، وبكرم الله سبحانه فهذه صلاة فوق كل تصور عندنا، وإلا حُسِبَتْ له تسبيحات وما أكثرها وأعظمها... فيكون بهذا جمع ما بين الرجاء والأدب، وشفى نفسه التي كانت تتطلب الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والمأمول أن الله يُعطيه على نيته، والله عند ظن عبده به، والله سبحانه لا يرد سائلَه، فكيف وسائله إنما سأله لرسوله ﷺ، وفوق كل هذا هو أن إكرام الله ﷻ أعظم ما يكون إكرامًا لرسول الله ﷺ، والله ﷻ يغار لِذا فهو لن يكون أقل من عبده في طلبه - وحاشاه سبحانه -، ولن يجعل أحدًا يدعو دعاءً فوق عطائه، بل هو أغير على رسوله ﷺ من كل أحد.

وهذه لا تُكَرَّر في كلِّ صلاة على رسول الله ﷺ إنما تكون الصلاة خالصة مجردة مستمرة كما هي وكثيرة، فإذا شعر العبدُ شعورًا غالبًا لا يملك إيقافه بأنه يُريد صيغة كثرة ليس فوقها صيغة لأجل رسول الله ﷺ فقال هذه الصيغة في ختام ذلك فهو خير بإذن الله، ولو أنه قالها كلما قرأ في صلاة الليل أو صلاة النافلة (آمن الرسول) فتوقف وصلى وسلم على رسول الله ﷺ ثم قال: سبحان الله وبحمده عدد خلقه.... وهو يرجو كل الرجاء لها القبول إذا رفعها مع دعاء مجاب قطعًا، ويرجو لنفسه عند رسول الله ﷺ الوصول إلى ما لم يصل إليه من

قبل، ويرجو من ورائها - كذلك - إجابة دعاء خواتيم البقرة ـ فهذا عظيم وطيب وقمن أن يُستجاب للعبد فيه.

والحقيقة التي اعتقدها أن أنسب تعريف للبدعة ليس هو كل ما لم يؤثر عن رسول الله ﷺ في دِين الله، ولكن يُضاف لها عبارة هي مما لا أصل له في دين أو غيّر المعنى إلى الأقل، أما ما له أصل فمن المستحيل أنْ يكون بدعة.

فسبحان الله ألم يسمع النبي ﷺ للذي زاد في الحمد عندَ الاعتدال من الركوع؟

فعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نُصلي يومًا وراء رسول الله ﷺ، فلما رفعَ رسول الله ﷺ من الركعة وقال سمع الله لِمن حمدهُ، قال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «**مَن المتكلمُ آنفًا؟**» قال رجل: أنا يا رسول الله، قال: «**لقد رأيتُ بِضعًا وثلاثين مَلَكًا يَبْتَدِرونها أَيُّهُمْ يكتبُها أَوَّلًا**»(١).

والسؤال هو: لِمَ لَمْ يقل الرسول ﷺ لِهذا الرجل: هل سمعتَها مني؟! ولِمَ لَمْ يقل له: زادَكَ الله حرصًا ولا تعد؟!

والجواب: لأنها لها أصل، ولأنها أكدت معنًى بل أضافت تعظيمًا، ولأنها من نية صالحة.

أَلَم يقل الصحابة في التلبية للحج والعمرة تلبيةَ غير تلبية الرسول ﷺ؟ فَلِمَ لَمْ ينههم عن هذا؟!

فقد ثبت في الحديث الذي رواه جابر أن النبي ﷺ كان يقول في تلبيته إذا أهلَّ محرمًا: «**لبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ، لبيكَ لا شَريكَ لكَ لَبَّيْك، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والملك، لا شريكَ لك**»، وكان الناس يزيدون، فزاد ابن عمر: «**لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ،**

(١) رواه البخاري (٧٩٩)، وأبو داود (٧٠)، والنسائي (٢/ ١٩٦).

وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ»[(١)]، وزاد أنس قال سمعتُ رسول الله ﷺ يُلَبِّي: «لَبَّيْكَ حِجًّا حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا»[(٢)].

وهكذا نقول هنا كما قلنا في التي قبلها: فهذه التلبية الاجتهادية لها أصل حققت بألفاظها معناه، بل زادت معاني أخرى، ثم إن نية أصحابِها كانت صالحةً، وأي نوايا أحسن من نوايا أصحاب رسول الله ﷺ؟!

الفصل التاسع عشر: ومضة من آيات سورة الجمعة مع رسول الله، وآله وأمته، فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: حقًّا إنه التعظيم لله ولما عظَّمه الله.. وأي عظمة أكبر مما قاله النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»[(٣)]، وأي منَّة من منن الله ﷻ في الزمان أكبر من أن يحجز الله هذا اليوم

---

(١) رواه مسلم (١١٨٤).

(٢) أخرجه الخطيب في «الفصل للوصل» (٢/ ٩١٩) من طريق هدية بن عبد الوهاب عن النضر بن شميل والفضل بن موسى عن جعفر بن سليمان به. وأخرجه الدارقطني في «العلل» (١٢/ ٣) رقم (٢٣٣٧) من طريق هشام بن حسان به، والبزار في مسنده (١٣/ ٢٦٥) رقم (٦٨٠٣)، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٢/ ٥٢٤): رواه الْبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَذَكَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي الْعِلَلِ الِاخْتِلَافَ فِيهِ، وَسَاقَهُ بِسَنَدِهِ مَرْفُوعًا، وَرَجَّحَ وَقْفَهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وأحمد (١٦١٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن حبان=

منذ أن خلق الزمان اختيارًا منه سبحانه لآخر أمة ستظهر آخر الزمان، وهي أمة محمد ﷺ وقد بعث الله نبيها فيها عليه السلام، ووهبه سبحانه ما ادَّخره له وخصَّه به وبأمته من دون الناس، وقد قال النبي ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ؛ الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»(١)، وفي رواية عَنْ حُذَيْفَةَ وأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْـمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»(٢).

هذه سورة الجمعة.. وكل ما يتعلق بالجمعة فيها، وفيها فضلها العظيم، وفيها فضل رسول الله ﷺ العظيم، وفيها الصلاة على رسول الله ﷺ العظيمة، وفيها حالنا اليوم، وفيها أن العودة لا بد أن تكون من يوم الجمعة إلى العز الموعود، كل هذا موجود في هذه السورة العظيمة التي ما اختار الله لسورة من سور القرآن العظيم اسمَ يومٍ من أيام الاسبوع إلا لهذا اليوم وهو يوم الجمعة وهذه سورة الجمعة.

وبيان هذا يطول كثيرًا، وحقها لوحدها منفردة بيانًا وتفسيرًا يطول كثيرًا، إلا أني سوف آخذ الكلمة من كلمات الله في هذه السورة العظيمة وأشير إلى بعض ما وجهتنا له توجيهًا واضحًا بإذن الله.. وسنرى.

=(٩١٠)، والحاكم (٨٦٨١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٧) رقم (١٦٧٢): صحيح.

(١) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) رواه مسلم (٨٥٦).

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: فالابتداء بالتسبيح دليل على التعظيم لله ﷻ وذلك لأمرٍ كله عظيم هنا.. ورجل عظيم، ويوم عظيم، وأمة عظيمة، وحق عظيم، وآيات عظيمة، وموعود عظيم، كما أن عظمة هذا اليوم سوف تكون مستمرة من أيام النبي ﷺ وهي أعظمها إلى عمر الأمة كله وخصوصًا في آخرها كما سيأتي معنا بإذن الله، وعظمتها في الدار الآخرة أكبر.

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: حقًّا هو ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سبحانه؛ فهو ليس تسبيح لعظمة معرفية مجردة لا أثر فيها على الواقع بل هو الله إذًا فالعزة والحكم باقية لأمة الجمعة، وإن خفتت فترة فإنها قادمة ما بقيت الجمعة في هذه الأمة.. وهذه تحمل من البشارة بعودة هذه الأمة عزًّا وحُكْمًا وحكمة، ذلك أن الله هو ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

وإذا ذُكرت الجمعة حضرت سورة الكهف وما فيها، وحضر الخضر وموسى عليهما السلام في قصتهما التي هي قصة أمة محمد ﷺ، وحضر الحذر من الدجَّال، وعشر آيات من سورة الكهف كافية للوقاية منه، وحضر النور الذي يملأ الأسبوع إلى الأسبوع وزيادة ثلاثة أيام، وحضرت كل خصائص الجمعة العظيمة وإنها لخصائص عظيمة.. هكذا تحضر كل هذه العظائم بمجرد أن تقرأ الإخبار الجماعي بتسبيح كل ما في السماوات وما في الأرض لله الملك القدوس العزيز الحكيم: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

تنبَّه هنا: فالله سبحانه قد قال قبلها ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾، فحتى وإن رأى الناس أن مُلْك هذه الأمة قد ذهب فَمُلْكُها والله قادم... لأن ربها ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾، ومهما حاول البعض أن ينازع الله ملكه كما يتصوره فإن اسم الله ﴿ٱلْمَلِكِ﴾، وهذا هو المُلْك الذي لا ينتهي أبدًا، والله غالب على أمره بعز عزيز أو بذل ذليل.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

قال الله ﷻ في الآية الثانية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] هذه سورة الجمعة وهذا هو محور الجمعة ومدارها عليه، فهذا رسول الله ﷺ وهذه الجمعة ادخرها الله له، وجعلها خير يوم خَلَقه الله، لخير رسولٍ أرسله الله ﷻ لخير أمة أخرجها الله للناس، فما كان لهذه الأمة أن تقابل نعمة الله عليها برسول الله ﷻ بيوم الجمعة وبنعمة كلام الله العظيم هذا إلا أن تشكر نعمة الله ﷻ عليها وتشكر رسول الله ﷺ، وهل يشكره ﷺ مَن لم يصلِّ عليه؟ وهل يكون شكر الله على هذا اليوم العظيم خاصة إلا بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والإكثار من ذلك، فاجتمع بالصلاة عليه الشكر كله؛ شكر الله على كلماته التامات هذه، وشكر الله على إرسال رسوله ﷺ، وشكر الله على يوم الجمعة نفسه وما جعله فيه، وشكر الله على كل النعم الكثيرة الموجودة في هذه السورة العظيمة... وما أكثرها هنا.. بل مَن يحصيها؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

قال ربنا سبحانه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣] ومَنِ الآخِرين إلا مَن جاء بعد الأولين ومنهم نحن ومَن سبقنا ممن لم يكونوا موجودين وقت نزول السورة، ثم مَنْ آخِرُ الآخِرين إلا نحن تحديدًا.. فالله ﷻ حين أنزل هذه السورة ما نَسِينا ﷻ ولا أَهْملنا ولا غَفَلَ عنا حاشاه سبحانه، وما تركنا نحن الذين نقول ذلك ونقول دائمًا [نحن أهل هذا الزمان]، ما تركنا سبحانه بغير شاهد، فهذا الشاهد أمامنا منصوص ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ فالله ﷻ يريدنا نحن أهل هذا الزمان بشكل مخصوص، وأنه سبحانه يقصدنا ويريدنا.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ليس لأنه جمع الأولين والآخرين بعلمه وأظهر ذلك في

كتابه فحسب فهذا والله حق... ولكن الإشارة بأن الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي أخرج هذه الأمة الأمية من لا شيء إذ لم تكن شيئًا مذكورًا، وكما سبق وأن أخرجها أول مرة، وهو ما جاء في الآية الثانية ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الجمعة: ٢] فإنه سبحانه قد ختم ذلك بأعظم ختام حين ختمها بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ثم أشار لذكر إعادتها ثانية كما أخرجها أول مرة.. أعادها بعد ما ماتت أو كادت.. وأشار لذلك بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾، وقد ختمها كذلك بنفس الختام العظيم وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾!

ألا ما أسهل الإعادة بعد الابتداء من لا شيء وكله هين عند الله، وسبحان الله كما قال: ﴿بَعَثَ﴾ في الابتداء فقد قال النبي ﷺ: «يُبْعَثُ» عند الانتهاء، أي عند آخِر الـ ﴿وَءَاخَرِينَ﴾، فقال سبحانه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ وها نحن آخِر الآخَرين وهي أيامنا هذه كما في الحديث: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْـمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ»(١)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي**» - أَوْ «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» - **يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي**» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»(٢)، وورد «لَبَعَثَ»، وهكذا جاء من رواية علي رضي الله عنه(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١١٣٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٣-٣١٤) رقم (١٢٣٩٣): رَوَاهُ أَحْمَدُ بِأَسَانِيدَ وَأَبُو يَعْلَى بِاخْتِصَارٍ كَثِيرٍ، وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٨٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

والمقصود أن اتحاد اللفظ ما بين الكتاب والسنة مع اتحاد الموضوع يدل على تطابقٍ في الفعل وفي تحقيق الغاية وخصوصًا مع ما ذكرنا من قرائن عديدة، ولم أذكرها كلها ففي هذا القدر فتح وفيه كفاية والحمد لله رب العالمين.

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا

قال ربنا سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] والآية واضحة، وأعظم الفضل الذي آتاه الله إنما هو فضل الأصل وهو على رسول الله ﷺ، وليس هو بالفضل المنقطع بل هو مستمر إلى يوم القيامة ومع هذا فإن قوله: ﴿يُؤْتِيهِ﴾ بالفعل المضارع المستمر واضح وأن المقصود المباشر هو الفضل المتعلق بالآخرين ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ﴾ فهي أقرب مذكور من هذا الموعود، فأي فضل عظيم وأي بُشْرى كبرى قادمة قريبة هذه بإذن الله؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه

قال ربنا سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. ألا والله ما أعظم بلاغة الإشارات في كلمات الله تعالى.. بل ما أعظم تحديدها لأمة محمد ﷺ وإن تشاغل الناس اليوم بمن [حُمِّلُوا القرآن ثم لم يحملوه] من اليهود، بينما نحن من باب أولى، والقرآن أعظم، وأمة محمد ﷺ أعظم.

ثم أي انطباق على هذه الأمة من هذا الانطباق الواقع عليها اليوم؟! ثم إن الله ﷻ ختم الآية بشكل واضح وصريح بأن مَن ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ إنما هم مثل ضربه الله ﷻ لغيرهم، ولا ينحصر بهم وحدهم، فقال سبحانه:

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثم ماذا قال النبي ﷺ عن المهدي عليه السلام: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»(١)، هكذا هي الإعادة لظهور الدين، وهكذا هو اتحاد الهدف ما بين الآيات الكريمة والأحاديث.

ثم إن ذكر الذين حُمِّلوا التوراة خاصة في سورة الجمعة خاصة إشارة ظاهرة إلى أن الصراع الأكبر والنهاية الكبرى والكاملة لهم إنما هي على يد هذه الأمة، ولكن يوم تحمل هذه الأمة القرآن بحق، كما تُعطي الجمعة قداستها ومقامها، وأهلها، ودورها بحق.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا

قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:٦-٨] هذه الآيات التي تحدثت عن الذين هادوا وهي عنهم حقيقة بلا ريب لكنها تحدث الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ حديثًا واضحًا من باب أولى في هذا الزمان على وجه الخصوص إذ الحديث لا يزال في الذين جاءوا من بعدهم وعلى الأخص في الفترة الزمانية هذه لأنه كما ذكرنا نحن الذين في آخر الآخرة نحن الذين يُمَاثِلُون في ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تمام المماثلة ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾.. وهل يشك واحدٌ في هذا منَّا؟!

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

إذًا فكل خطاب جاء بعدها فإنه لنا نحن الذين في هذا الزمان كما كنا داخلين في أول السورة التي ذكرناها أولًا بالإضافة إلى ترابط السورة أولها بآخرها كأنها آية واحدة من عظيم الإحكام في كلام الله ﷻ. والقصد أنه كما أن أولئك الذين حُمِّلوا التوراة إلا أنهم لم يحملوها فإن أمة محمد ﷺ في هذه الفترة من الزمان تحديدًا هي التي لم تحمل كتاب الله وألقته وراءها ظهريًّا وهذا ما لم يكن في هذه الأمة قبل المائة عام الأخيرة هذه مطلقًا فلقد كان القرآن هو منهج الأمة كأمة منذ نزوله ومنذ هجرة النبي ﷺ إلى ما قبل مائة عام ويشهد لهذا وأنه في الآخر هو الآية وكفى بالله شهيدًا وهو قول النبي ﷺ: «**لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا: الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ: الصَّلَاةُ**»(١)، وفي الحديث الصحيح الموقوف على ابن مسعود رضي الله عنه - ومثله لا يُقال بالرأي - قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرَ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلَاةُ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَنْزِلُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوشِكُ أَنْ يُرْفَعَ، قَالَ: قُلْتُ لعَبْدِ اللهِ: كَيْفَ يُرْفَعُ وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللهُ فِي صُدُورِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا، فَلَا يُتْرَكُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي صَدْرِ رَجُلٍ وَلَا مُصْحَفٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] الْآيَةَ**»(٢)، وَقَالَ مُعَاذٌ رضي الله عنه: «**يُوشِكُ الْقُرْآنُ أَنْ يُنْسَخَ، قَالَ: يُنْسَخُ حَتَّى لَا يُقْرَأَ؟**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٧١٥)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨١): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٥).

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٥٩٥) رقم (٢٦٩)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٧٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٩-٣٣٠) رقم (١٢٤٦٥): رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ شَدَّادِ بْنِ مَعْقِلٍ وَهُوَ ثِقَةٌ.

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَسْلُكُ النَّاسُ وَادِيًا، وَيَسْلُكُ الْقُرْآنُ وَادِيًا غَيْرَهُ»(١).

وتحديدًا هي هذه المائة عام الأخيرة عشناها ونوشك على إتمامها وبعد إتمامها يكون بعث هذه الأمة من جديد وهذا ما أخبر به النبي ﷺ؛ فَعَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِائَةُ سَنَةٍ**»، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ؛ الْخَسْفُ(٢) وَالرَّجْفُ(٣)، وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلِّبَةِ(٤) عَلَى النَّاسِ**»(٥).

أما في هذه الآيات فقد شخَّصت المرض الثاني في هذه الأمة تحديدًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، وهو حب الدنيا وكراهية الموت كما سمَّاه المصطفى ﷺ وحدده

---

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٥٩٦) رقم (٢٧٠)، وقال محققه أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي: إسناد صحيح.

(٢) الخسف: ذهاب الشيء في الأرض والغور به فيها.

(٣) الرجفة: الزلزلة والاضطراب الشديد.

(٤) المجلبة: المُصَلَّتة.

(٥) أخرجه أحمد (٢٢٧٧٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٥٥٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٠) رقم (١٢٥٨٥): وَفِيهِ يَزِيدُ بْنُ سَعْدٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٨٢٩٣) بلفظ: «رجاء أمتي مائة سنة»، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

أحسن تحديد، فقال ﷺ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد

قال ربنا ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة:٩-١٣] من هنا يكون إصلاح الأمة إن أرادت الإصلاح وصدقتْ في عزمها، وجدَّت في هَبَّتِها من بيت الله وإعطاءه حقه، ومن الجمعة وإعطائها حقها، ومن خطبة الجمعة وإعطائها حقها، ومن حقها تركيز حديثها على ما ذكر الله ﷻ هنا في سورة الجمعة... وهذه مراكز أربعة ويتبعها ويتفرع عن كل واحدٍ منها فروع: المسجد، والجمعة، والخطبة، والأمة؛ ولا ينبغي أن تذهب بعيدًا فإنما الحديث لنا نحن أهل هذا الزمان ولا ينبغي أن نتشعَّب كثيرًا فقد شخَّص الله ﷻ البلاء العظيم الذي وقعت فيه الأمة في كل واحدةٍ من الثلاث، ثم حدد العلاج تحديدًا، فإذا كان الكتاب الذي حَمَّلَنا الله إياه كأمة طرحناه أرضًا

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧)، وجوَّد إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٧) رقم (١٢٢٤٤)، وقال ابن باز في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٠٦): إسناده حسن، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٩٧).

ورفعنا فوقه كل شيء سواه، وإذا كانت الأمة أكثر ما تكون سلبًا لحقوق بيت الله حيث لا حصانة له مطلقًا إلا من قول الحق..! وإذا كانت الجمعة مهدورة الدم – أقصد القدسية – ولا يشك في هذا أي واحد يعيش في هذا العصر أبدًا؟!

ومَن شك في هذا؛ فليجب: هل يساوي عند الأمة اليوم في الواقع كتاب الله مع أي دستور وضعي؟!

أم يساوي حضور الجمعة والجماعات مع أي حضور في مدرجات رياضية، أو ترفيهية، أو نحو ذلك؟!

أم يساوي بيت الله مع أي بيت من بيوتنا الخاصة وحصانتها...؟!

إلا أن هذه الآيات تحمل في ختامها الختام هذه الأمة بشارة عظيمة، بل بشائر بأنها سوف تعود إلى ربها ﷻ، وتعود إلى بيوت الله، وتعطيها حقها كما يريد الله ﷻ، وتعود إلى الذي بعثه الله فيها رسولًا ﷺ وتجعله هو إمامها وقائدها وقدوتها وتعطيه حقه كما يريد الله ﷻ، وتعود إلى جمعتها وتعطيها الجمعة حقها وأعظم حقها هو حق رسول الله ﷺ وعلى الأخص الاتصال الحي به ر وذلك من خلال الدعاء له بالصلاة والسلام عليه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وآله وصحبه

وكل هذا لا يكون إلا إذا هَبَّتْ الأمة لكتاب الله كما كانت تهب للجمعة أول الأمر تحمله كما أراد الله لها أن تحمله.. وذلك لن يكون إلا إذا بعث الله فيها من وَعَدَ الله ببعثه... حيث يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا، وعندها تستحق الأمة أن يرزقها الله ﷻ رزقًا واسعًا نعيمًا لم تنعم مثله قط حيث ختم الله ﷻ السورة العظيمة بقوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وشاهد هذا من سنة النبي ﷺ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْـمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْـمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْـمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا**»(١) يَعْنِي حِجَجًا. وفي الحديث الآخر: «**فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتَى أُكُلَهَا وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا**»(٢). فقول الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ هنا يتجلى فضل الله ونعمه سبحانه ليس مُعْتَقدًا في القلوب فحسب وإنما مشاهد في كل مكان وعلى كل حال وعلى كل مسلم وذريته، أليس هذا ما ينفرد فيه هذا العصر عن كل عصر سواه من عصور الإسلام.

أرأيت كيف سيكون التسبيح والتقديس لله عظيمًا.. وأن كل شيء سوف يدعو لهذا التسبيح العظيم الدائم ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾؟!

أرأيت كيف سيعلي الله ﷻ شأن رسول الله ﷺ على العالمين في آخر هذه الأمة وفي آخر الدنيا ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]؟!

أرأيت فضيلة الله على هذه الأمة بيوم الجمعة وما ادخر فيها؟!

أرأيت ماذا جعل الله في سورة الجمعة لنا من أسرار نحن عنها غافلون؟!

أرأيت ماذا سيصنع الله ﷻ بآخر الآخر من هذه الأمة؟!

أرأيت كيف انطوى آخر السورة على أولها وأولها على آخرها أحسن الطيّ

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٩٢٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٧١١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

حتى لكأنها آية واحدة من آيات الله... فالتأمت كواكبها كأنها شمس واحدة بل هي أعظم؟!

أرأيت ماذا في الجمعة وماذا في الصلاة على النبي ﷺ من إيحاء وإحياء؟!

نعم، فلقد أعاد ختام السورة كل ما ورد فيها على ابتدائها أحسن إعادة... فإن الخير القادم كله مهما كان عظيم فإنما مصدره رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا

فلا معلم على وجه الحقيقة في هذه الأمة إلا رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا

ولا مزكي للناس كافة إلا رسول الله ﷺ

ولا معلم للناس تلاوة القرآن وعلومه وما فيه إلا رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا

ولا معلم للناس الحكمة إلا رسول الله ﷺ.. والحكمة تدخل في كل شيء.. وما من شيء تذهب عنه الحكمة إلا حلَّ فيه الخراب وحق عليه الزوال.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

وكلما تجددت الظلمات على الأمة وحلَّ عليها الظلم والظلمات فالمخرج لهم من ذلك من أول الأمة إلى آخرها إنما هو رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليمًا

فإن قلت فما علاقة هذا بموضوعنا وهو الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ولا شك أن ما من أمة فيها معلمين مثلما في هذه الأمة المباركة بل هذه الأمة هي معلمة الأمم، وما نعيش نحن فيه الآن استثناء، لا يدخل فيه القياس، ولا تنقضه القاعدة، فلو أن كل معلم حَمَلَ العلم وعَلَّمه الآخرين وجعله في عنق من بعده حق وشكر، ومن الله تعالى أجر.. فإن مثل كل ذلك وزيادة لرسول الله

ﷺ أجرٌ من الله ﷻ، وله منا حق الشكر علينا... وهل من دعاءٍ وشُكْرٍ مثل الصلاة والسلام عليه... فهل تحصى الصلاة عليه كحقٍ علينا؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله تسليمًا

وكم في هذه الأمة من مزكين من وعاظ وخطباء وزهاد ومؤلفين ومربين ومدرسين وآباء وأمهات وأخوة وأخوات كبار فإن معلم هؤلاء جميعًا الزكاة ومزكيهم الأول إنما هو رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا

وهكذا هم التالون للقرآن، وكل مَن له علاقة بالقرآن العظيم، وهكذا هم الحكماء في الأمة، وهكذا وهكذا.... لتنظر كيف شرع لنا رب العالمين الصلاة والسلام على رسوله صلاة وتسليمًا قبل كل شيء.. وكيف جعل هذا في سورة الجمعة.. وكيف جعل ختامها بالرزق الذي لا حدَّ له ولا منقص له إذ ختمت السورة ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وكيف كان هذا الختام لهذه السورة العظيمة إنما هو ختام هذه الأمة العظيمة، فهل أدركنا بعض ما في هذه السورة من إيحاء وإحياء وهل أدركنا بعض ما في الصلاة على رسول الله ﷺ من إحياء وإيحاء.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه وآله وصحبه تسليمًا

كم من فضيلة لرسول الله والصلاة عليه قبل الأذان وأثناءه وبعده، فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ﷺ

الفضل العشرون: ماذا بين الأذان والصلاة على رسول الله ﷺ ؟!

الصلاة على النبي ﷺ بعدَ الأذان، ولماذا؟

هنا طريقة عظيمة تنبع من تشريع الأذان المنفردة.. لا بد أن نهيئ لها بهذه الأسئلة الواضحة؛ أليس رسول الله ﷺ، هو من أخرج بفضل الله هذه الأمة من

العدم، أليس هو ﷺ من كوَّن لها الكيان، وأصبحت بأمر الله وعلى يدي رسول الله ﷺ أمة من الأمم، أليس هو مَن رفع لها شأنها حتى أصبح لها أذان، وما كان لها أن تبقى إلى هذا اليوم حية فيها بقية روح تصيح «الله أكبر» بغير الأذان، فالأذان سر البقاء وعلم العلو، ولك أن تتصور اليوم الأمة المحمدية بغير أذان؛ تصور لو أنه لم يشرع أذان في مدنها وقراها وأحيائها وفي كل مكان.. أي: لو لم يكن الأذان أصلًا؟!

إن سارية الإسلام العليا وسارية أمة محمد ﷺ العليا هي الأذان، ولا سارية في الأمم جميعًا أعلى من الأذان، لذلك فإن الأذان لا يرتبط بمؤذن معين، ولا بمسجد، ولا بجماعة، ولا بحاضرة، ولا ببشر ولا بشيء.. فالأذان لا بد أن يرفع كما ورد في السنة.

وبعد هذا نعود ثانية لنتساءل: فهل الذي رفع شأن الأمة ليس له حق الشكر من قِبَل هذه الأمة كلها، وله الحق على كل فردٍ تأتيه فرصة الأذان...؟!

ولقد وهب الله ﷻ الأمة هذه النعمة العظيمة، **وهي أن تأتي مشروعية الأذان من خلالها هي**.. فهي الأمة الشكورة لرسول الله ﷺ، لبانيها ومعليها ومبقيها بفضل ربها سبحانه، ولهذا تجد أن النبي ﷺ بقي مهمومًا فترة ليست بالقصيرة يريد أمرًا يجتمع عليه المسلمون للصلاة... ورأى المسلمون همَّ النبي ﷺ بهذا الأمر، حتى إنه حين لم يجد طريقة صحيحة أَمَرَ بالناقوس أن يُطرق به وقت الصلاة وهو ﷺ كاره له، فكان تشريع الأذان؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بِلَالُ، قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ**»[(١)]، أرأيت كيف جعل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤)، ومسلم (٣٧٧).

الله تشريع الأذان خاصة من قبل أبناء الأمة الشاكرة لربها ولرسولها ﷺ، وهل رأيت كيف جعل الشهود لهذه الرؤيا - رؤيا تشريع الأذان - رجلًا آخر من أبناء الأمة كذلك وهو الفاروق عمر رضي الله عنه، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ: فَقَالَ: تَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ، قَالَ: وَتَقُولُ: إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، بِمَا رَأَيْتُ فَقَالَ: «**إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ**»، فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ، فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ، وَيُؤَذِّنُ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، وَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ**»(١).

لقد كان الله سبحانه عليمًا بحالِ رسوله ﷺ ومعاناته ومع هذا تركه، وكان سبحانه قادرًا على أن يُنْزِل بالأذان جبريل عليه السلام، وقادرًا على أن يُرْسِل مَلَكًا، أو

(١) رواه أبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩) وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد (١٦٤٧٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني: حسن صحيح.

يلقي في روع النبي ﷺ الأذان ويخبر به بلالًا ﭬ.. لكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل تركه في معاناته لِعظيم البشرى بالأذان، وعظيم شأن الأذان ويعظم تفاعل الأمة... وليزداد تفاعلها أكثر وأكثر؛ كلما طال الوقت، وكلما حضر وقت صلاة.. وهكذا بقي همّ الصحابة عظيمًا لطريقةٍ تجمعهم للصلاة، وهكذا كلما عظم شأن البشرى طال انتظارها.

وهنا جاءت المفاجأة في كيفية تشريع الأذان إذ جعله الله ﷻ تشريعًا عن طريق أبناء الأمة المباركة، فمن رأى الرؤيا صحابي، ومن شهد لرؤياه برؤيا هو رآها صحابي آخر هو عمر ﭬ، ومن أَذَّنَ الأذان الأول هو صحابي كذلك وهو بلال ﭬ، فكل السلسلة من ابتداء التشريع حتى الإقرار والإشهاد هم من أفراد هذه الأمة المباركة وساداتها ﭫ وأرضاهم.

أرأيت كيف أعان الله سبحانه هذه الأمة بفضله ورحمته على شكر نبيهم ﷺ، فالحمد لله الذي مكننا من شكر نبينا ﷺ بالأذان الذي أراه ربنا سبحانه واحدًا منا – من أبناء أمتنا –، والحمد لله الذي أيده بشاهد آخر من أبناء الأمة كذلك وهو الفاروق عمر، والحمد لله الذي جعل رفع الأذان بواحد من أبناء الأمة كذلك ﭫ، فأي شكرٍ مَكَّننا الله ﭻ مثل شكر رسول الله ﷺ بالأذان، هذا والأذان ذاته أكبر نعمة.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان:

فما مِنْ محسن لأمته مثل إحسان رسول الله ﷺ لأمته وللناس كافة.. ولما كان ابتداء شأن هذه الأمة وإعلائها ورفعتها كله هو أمنية رسول الله ﷺ وقد تحقق خصوصًا بعد إقامة مشروع الأمة الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة... وكان من تطلب هذا الأمر وهو الأذان أساسًا هو رسول الله ﷺ نفسه، وما هَمُّ

الصحابة إلا من همِّه ﷺ ورضي الله عن الصحابة، ومن هذا الباب جاء الأذان نفسه كشكرٍ لله ولرسوله ﷺ الذي هو الشكور الأعظم في الثقلين لأنه رفع الأمة ﷺ، فكان جزاء رفعه الأمة بعد بنائه لها أن يرفع رَبُّهُ ذِكره ﷺ في الأذان عن طريق أمته التي أراها الله ﷻ الأذان في المنام لتبلغ رسولها ﷺ بالأذان حرفًا حرفًا كما أراها الله... عندها يعرف رسول الله ﷺ أن هذا حق، وهذا هو المنتظر تحديدًا فيقرُّه كما هو، ويأمر بإعلائه كما ألقاه عليه مَن رآه في المنام، فأعلاه وأعلنَه بلال رضي الله عنه.

وأنا لا أشك أن هذا الطريق في تشريع الأذان هو أحب إلى رسول الله ﷺ وأقرّ لعينه ﷺ، أما كونه أقر لِعينه ﷺ فهذا لأن الأذان جاء عن طريق أمته متمثلًا بصاحبيه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكأنه الهدية يقدِّمونها إليه وهو يحب الهدية ﷺ، فهم غرسه وبذره وهذا من ثمارهم، ثم إنه هو هاديهم ومعلمهم ومزكيهم، فالأذان وإن جاء عن طريقهم إلا أن الأجر في الأساس له هو ﷺ، ولهم همْ أجرهم لا ينقصهم الله ﷻ من أجورهم شيئًا... فكم هو الأذان بركة وعزٌّ ورفعة.

ثم إنه أَحبُّ إلى رسول الله ﷺ لأنه فيه إعلانَ وإعلاءَ ذِكر رسول الله ﷺ، فكان مجيء الأذان عن غير طريقه أبعد لظنِّ أهل الريب والزيغ الذين يتربصون بنا الدوائر، ويتصيدون الشبهات، وهكذا يكون تشريع الأذان بهذه الطريقة هو حماية من الله ﷻ لرسوله ﷺ من أصحاب ألسنة حدادٍ أشحةٍ على الخير، بل كم من الناس من الملل الأخرى المحاربين لِرسول الله ﷺ الطاعنين للأمة في أغلى حبيب ﷺ سوف يجدونها فرصة، ولربما لم يستطع المؤمنون ردّ هذه الشبهة، فجاء الدفاع عنه ﷺ من الله ﷻ قبل أن تكون شبهة ولا مشبوهين

وذلك في تشريع الأذان نفسه، وإلا فمَن يملك من الناس أن يضع اسم أي إنسان بجانب اسم الله في الأذان وهو المنبر الأعلى؛ فهذا طريق تزكية قد أغلق ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، فمن يزكي الله سبحانه إنْ لم يزكِّ رسوله ﷺ؟!

ثم إن جزاء الأذان جاء من جنس الأذان ومن جزاء الله ﷻ على الأذان للمؤذن ولِمَن يردد مع الأذان جاء جزاؤه كذلك من جنسه، فإنه لَما كان مقصود الأذان إعلاء لِذِكر الله تعالى وذِكر رسوله ﷺ والدعوة إلى الصلاح والفلاح كان الأفضل أن يكون الصوت أعلى، كما في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال له: «**إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ: لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْـمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)، وهذا يعني أن مقصود الأذان هو الإبلاغ ولا يكون الإبلاغ إلا برَفع الصوت... **وهكذا فلأنه ﷺ كان هو السبب في رفع شأن** هذا الدِّين كان عطاء الله له بهذا النداء العظيم الذي فيه رفع ذِكره مع ذِكر الله، وجعل ذِكره شهادةً كالشهادة لله ﷻ، وجعل ذِكره بجوار ذِكر الله ﷻ، فهكذا جاء الجزاء على الرفعة بالرفعة، إلا أنها هنا دائمة، فإنه وبحكم حركة دوران الأرض فإنَّ الأذان لا يتوقف لحظة عن الأرض، ولعل الأدق هو ذِكر الرسول ﷺ لا يتوقف لحظة واحدة عن الأرض.

ولقد اجتمع في الأذان علوّ الصوت وعلوّ الموضع وطول الأعناق وعلو الهام والوجوه وعلو مقام الجزاء يوم القيامة، فإن النبي ﷺ يقول: «**الْـمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٧).

ولا يتوقف أجر المؤذن على حضور الناس للصلاة أو عدم حضورهم، أَأَذَّن في الحاضرة أم في البادية، فعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ**[1]**، فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتَيَمَّمْ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللهِ مَا لَا يُرَى طَرَفَاهُ**»[2].

ولأن الأذان راية عز الأمة العالية ورفعتها فإنه إذا ما ارتفع في الأجواء لم يحتمله رأس الشرور ومنبعها إبليس لعنة الله عليه... فينهار عندَ الاستماع للأذان، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ**[3] **أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**»[4].

والآن وبعدما رُفِعَ الأذان من مسجد رسول الله ﷺ ها هم الصحابة ﷺ يستمعون النداء يصدح في سماء المدينة يملأ الأجواء، ويبلغ أُحدًا ويعلوه، ويصل إلى عير وثور وإلى حدود المدينة.. أو قريبًا من ذلك، وتمتلئ الصدور

---

(١) القي: بكسر القاف وتشديد الياء هي الأرض القفر.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٢١٩) رقم (٢٤٩): صحيح.

(٣) التثويب: قال الخطابي ﷺ: التثويب هنا الإقامة، والعامة لا تعرف التثويب إلا قول المؤذن في صلاة الفجر «الصلاة خير من النوم»، ومعنى (التثويب): الإعلام بالشيء، والإنذار بوقوعه، وإنما سميت الإقامة تثويبًا لأنه إعلام بإقامة الصلاة، والأذان إعلام بوقت الصلاة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩).

به وتطيب، ويدخل البيوت والأسواق ويعطِّرها، فإذا بالصحابة ﷺ يهبون مُلَبِّين النداء وقلوبهم تسبقهم إلى مسجده ﷺ.. يصلون خلفه ﷺ حيث تقام الصلاة بنفس كلمات النداء مفردة، وهكذا فإن من هتفت قلوبهم بالشهادة له ﷺ في كل موقف من المواقف معه يجدون أن هذا الأذان قد أفصح عن أعظم شهادة لمخلوق يملأ الآفاق.. فكأن الآفاق هي صدورهم.. بل كأن الآفاق صدر كل واحدٍ منهم.. فما تردد شهادة صادقة في صدورهم هو ما يصدح في الآفاق كل يوم... هو ما ملأ صدروهم حبًّا وهيامًا وفداءً.. ها هو يعلن عن حبهم ويفصح عما لم تفصح عنه ألسنة كل واحد منهم، فهم لا يسمعون الشهادة لله ﷻ والشهادة لرسول الله ﷺ بالرسالة إلا الحب الذي يملأ الوجود ويسمع كل موجود لأحب إنسان مشى على الأرض ومشى حبه في شرايينهم وجرى في كلِّ ذرة في كيانهم وفي حياتهم، فاختلط الحب المكنون بالنداء العالي، واختلط ما في الصدر من الشهادة بما في أجواء المدينة وسمائها وآفاقها من الشهادة... فاتحدت شهادة هذا المنادي، فلكأن المنادي ينادي من على منبر قلب كل صحابي من أصحابه، كيف وهو ﷺ حاضرٌ بينهم... كيف وهو صاحب النداء وهو مَن أمر الله أن ترفع له هذه الشهادة..

كيف وهو ﷺ مَن ملأ حياتهم نورًا وهدًى ورحمة وضوانًا، كيف وهو الذي ملأ الله ﷻ قلوبَهم بحبه حتى غدا عندَهم أحب من آبائهم وأبنائهم، وكيف وصاحب الشهادة ﷺ هو من يملأ أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم... فكل حواسهم تستنير به، وتتقدم بل تتسابق شرفًا وسعادة لأن تُرضيه، لأن تفديه.. لأن ترى ابتسامة كريمة خفيفة قد أشرقت من محياه الكريمين ﷺ.

يا عباد الله تعالوا فلنتدبر قليلًا من واقعهم ﷺ وكأننا معهم: إن الأُذُن وهي

تسمع لأول مرة الأذان وتسمع في الأذان العظيم (أشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ) لتذهل من عظيم المفاجأة بل عظيم البشرى لأحب حبيب لهم، بل لِمَن هو أحب إليهم من أنفسهم.. إن كيانهم ليرتج، وإن حبهم ليتفجر إذ رأى الصحابي رضي الله عنه كيف أعطى الله تبارك وتعالى من هو أحب إليه من نفسه عطاءً سيبقى يملأ أجواء المدينة خمس مرات كل يوم يملؤها الليل والنهار.. رأى كيف أن رب العالمين تبارك وتعالى عَلِم ما في قلوبهم فأثابَهم فتحًا عظيمًا وأجابهم حبًّا فصيحًا عاليًا دائمًا كريمًا.

يا عباد الله: تعالوا فلنحاول أن نرحل بأرواحنا إلى مدينته المنورة على جناح البصيرة والإحسان الذي يجب أن نحياه وكأننا هناك في مدينته ﷺ نشهد النِّداء إذ نحن مع رسول الله ﷺ... فما النداء العالي إلَّا صدًى قلبي الذي يعيش عنفوان حبه ﷺ، هكذا هو صداه ﷺ بين أضلاع صدري.

وإذ نحن هناك معه ﷺ... **فها هي** الآن الصلاة تقام كذلك فيتقدمنا رسول الله ﷺ للصلاة إذ تَقَدَّمَنَا ذِكره الآن بإقامة الصلاة.. الآن يصف صفوفنا هو ﷺ.. هو المشهود له ﷺ في الأذان وفي الإقامة.

صفَّنا رسول الله ﷺ... نظر إلينا... اطمأن على حسن استعدادنا للقاء ربِّنا... فقال: «**إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ**»(١) هذا آخر ما قاله قبل أن يُكبر... استقبل القبلة وكبَّر.. فيا لله كيف يقرأ رسول الله ﷺ كلام ربه الذي أنزله على قلبه... كيف يغذي الشهادة في كل آية يقرؤها... في كل نبرة... في كل عبرة... في كل رفعة صوتٍ وخفضة بكلام ربه.. في كل حركة يتحركها في صلاته... في كل شيء إذ هو ﷺ أمامهم... يسقي الإيمان.. يسقي الشهادة..

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٩٨)، وابن ماجه (٤١٧١)، وحسنه الألباني.

هذا وهي الشجرة العظيمة التي تجاوزت كل خطٍّ، وما عاد تضرها آفة ولا تمسها عاصفة ولا إعصار بأضرار.

وما زال أخذ الصلاة على النبي ﷺ بهمة المتراخي، المترهل في أخذه، المتفضل في صلاته... وهذه والله قاصمة الظهر، ورغم وضوح بعض الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ إلا أنهم ما زالوا يقولون الصلاة عندنا ليست واجبة! وأظهر مكان في هذا هو الأذان.؟؟؟

جماع الدعاء والدعوة والصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان:

الفضل الحادي والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ وسلم بعد الأذان؟

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْـمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(١).

وهكذا تأتي الصلوات على النبي ﷺ بعد انتهاء الأذان وقبل الدعاء له ﷺ إعلاءً لشأنه ﷺ فوق العالمين في الآخرة كما كان الأذان ذاته إعلاء لشأنه ﷺ في الدنيا من الله العلي العظيم سبحانه، **كيف لا** وقد ضَمَّ الله اسمَ نبيه ﷺ إلى اسمه..؟! كيف وقد جعلَها شهادتين لا ثالث لهما؟! **كيف وقد** صرح الله في الشهادة له باسمه محمد ﷺ ولم يجعلها مقتصرة على الرسالة أو النبوة؟! **كيف ولا** مذكور من خلق الله الذين لا يعدون ولا يحصون أبدًا إلا هو ﷺ ؟! **كيف لا** وَهَلْ مِثْلَ جِوار الله جوار سبحانه وتعالى؟! **كيف لا** ولمْ يَجْعَلِ الله تعالى ذِكرًا يسبق ذِكره ﷺ إلا ذِكر ربه تبارك وتعالى؟!

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

كيف وقد دخل تحت ذِكره ﷺ ذِكر جميع الأنبياء والمرسلين حيث إن هذا النداء للعالمين أجمعين؟!

كيف وقد جعل الله هذا النداء هو النداء الأعلى في الدِّين كله والأعلى على الأرض كلها، وجعل من حوله يتجاوبون معه من خلقٍ لا نعرفهم، وجعل كل ما حوله يرددون معه إلى أن ينتهي؟!

هنا جاءت الصلاة عليه ﷺ مع الدعاء المخصوص له إعلاءً له ﷺ فوق الثقلين جميعًا.

ثم انتهازًا لأي فرصة تتفتح فيها السماوات وتضمن فيها الدعوات تَقَرُّب الأمة إلى الله وتتقرب برسول الله ﷺ، فتقدِّمه على نفسها، واللهُ لا شك يستجيب لها في نبيها ﷺ، وهذا يأتي كذلك في نفس منهجية شكر الله له ﷺ كما كان الأذان كذلك، ثم إن الله سبحانه لا يكرم من يفعل ذلك فحسب بل يكرمه إكرامًا ويجعل الإكرام عن طريق رسوله ﷺ لأنه ﷺ شكور وهو لا يترك أحدًا أحسن إلا ردها عليه وزيادة حبًّا وشكرًا وهو سبحانه صاحب الفضل أولًا وآخرًا، ورسول الله ﷺ هو القائل: «**مَنْ لم يشكرِ الناسَ لم يَشكُرِ الله**»، ولهذا جاء جزاء مَن حافظ على هذا أن له شفاعة النبي ﷺ.

وأمر آخر هو أن حكمة الأذان مع الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ إنما هي إعلان بيعة الأمة دائمًا وأبدًا على أن قائدها وقدوتها الذي لا يُنازعه أحد أبدًا إنما هو رسول الله ﷺ وهو مرجعها الذي لا مرجع لها في الناس سواه ﷺ أبدًا إنما هو رسول الله ﷺ، ولهذا جاء جزاءُ الأذان النهائي هو الإعلان يوم القيامة على الفائز بمركز الوسيلة والذي لا يسع إلا واحدًا كما الشاهد في الدنيا ومقعده لا يسع إلا واحدًا فحسب، وقد قال ﷺ بناءً على هذا الدعاء عند كل أذان هو قوله: «**وأرجو أنْ أكونَ أنا هو**».

وسبحان الله فقد جاء استحباب أن يكون إعلان الأذان عاليًا وجميلًا حتى لو كان المؤذن وحيدًا في صحراء أو في شِعبٍ مِن شعاب الجبال لا أحد معه من الناس ولا أحد يستجيب لندائه من الناس، فالله جميل يحب الجمال.. وعَلِيٌّ يحب إعلاء الحث إليه سبحانه... إذًا فهدف الأذان الوحيد ليس هو أداء الصلاة في جماعة فحسب، ولكن الغاية هو أن تُرفع الراية عالية خفاقة ووحيدة لا ينازعها منازع، وهي إنما تكون حصرًا لرسول الله ﷺ.

فارفع رايتَك فأنت لست وحدك وإن كنت في صحراء، فالله معك والله يشهد أذانك، وملائكته الكرام يشهدون، وارفع أذانك فالأمة كلها معك، وارفع رايتك وإن كنت في جمع من القادة والعلماء والأمراء والأغنياء وعلية القوم ورؤسائهم، لأن كل هؤلاء يجب أن يعرفوا أنهم أتباع لرسول الله ﷺ، وأنهم قادة بحكمه وأمره، وبطاعتهم له واتباعهم له، وهذا هو حزام الأمة الباقي وإن انقرضت، وتعود إليه متى أرادت... فإن الأمة مهما بلغ تمزقها وتشققها بل واحترابها واقتتالها مع بعضها البعض، ومهما بَعُدت لا ينبغي أن تترك الأذان ولا يترك أي فردٍ بعيد وحيد الأذان كما هو شأن صاحب الراية في الحرب وحفاظه على راية الجيش وائتمانه عليها بحيث لو نزعت روحُه بالحراب واستطاع أن لا تسقط رايته فليفعل وليحفظها.

ولهذا فإن الشيطان عليه – لعنة الله وغضبه – يعرف جيدًا غاية الأذان وهو أنه راية الأمة في سِلمها وحربها، وأنه رايتها المرفوعة في حال اجتماعها وحال عزتها وشقاقها أي: حتى لو ذهبت الأمة من إمامة الدنيا وتشتت في شعاب الأمم وأوديتها، وذهبت بعيدًا عن الحضارة ومدنها ومركزها فلا تيأس ولْتنادي الذاهبين بعيدًا إلى اجتماعها وتناديهم على فلاحها، ولتريهم أينما كانوا رايتها، وأن هذا هو قائدها ﷺ إن لم يكن لها قائد، وأن هذا هو ﷺ قائد قائدها إن

كان لهم قائد واحد، وأن عليها أن تصبر وتصابر وتصطبر حتى تتوحد القيادات في قائد واحد وتتوحد الأمة وقائدها خلف صاحب الراية وهو رسول الله ﷺ.

واجتماع الأمة هو أخوف ما يخافه الشيطان، والنبي ﷺ قد قال: «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ**»(١)، ولهذا فإن ذاك الفرد الذي نادى بالأذان إنما نادى على الأمة بالاجتماع وليس على الصلاة وحدها، فهذا نادى لإقامة الصلاة ونادى للدعوى التامة كذلك، نادى بالصلاح خاصة ونادى بالفلاح عامة، ومن ثم ففرار الشيطان هنا ليس له نظير، وقد كشف الله الغيب للنبي ﷺ.

ولا يليق بصاحب الراية هنا إلا أن يكون هو صاحب الراية في الآخرة والذي سوف يتقدم قادة الأمم جميعًا في كل موطن تحتاجه الأمم جميعًا هناك في الآخرة حيث قال ربنا سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣]، وليس هذه الراية والغاية التي رجاها رسول الله ﷺ، وإنها لمتحققة له بفضل الله رحمته في الآخرة، إلا نتيجةً طبيعية لِثَمراته في الدنيا وجزاءً لعمله وغرسه، فإن أرض كل نبي هي أمته، والأرض كلها هي ميدان دعوة رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ غَرَسَ خير أمة أُخرجت للناس، فلا بد أن يكون قائدها وغارسها خير قائد أخرج للناس، وهو القائل: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ**»(٢).

الدعوة التامة: - ولهذا فإن دعاء المؤمنين جاء بعد النداء بصيغة خاصة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد في المسند (٢٥٤٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وصححه الألباني.

فهو ليس الصلاة على النبي ﷺ فحسب، إنما هو أن يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ**»(١)، فإن [الدعوة التامة] ليست هي [الصلاة القائمة]، وما قدمت الدعوة التامة هنا إلا لأنها الأول وهي الأشمل، فالدعوة التامة هي دعوة النبي ﷺ.. وهو دين الله كله الذي دعا إليه رسول الله ﷺ، ولهذا وصفت هذه الدعوة بأنها تامة، وهي الإشارة بأن رسول الله ﷺ قد أتمها وأكملها، وأنه بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، وأن هذا النداء شهادة بهذا حتى وإن لم يكن الدين في فترة من الفترات قائمًا وكان عن الناس غائبًا، فهذِهِ الصلاة القائمة والتي هي فعليًّا قائمة بدليل ندائها هذا فإنها شهادة على أنه ﷺ قد أتمَّ الدِّين وأكمله بلاغًا على أرض الواقع وإقامة في دنيا الناس، وأنه ما رحل إلا حقق مراد الله سبحانه من رسالته ﷺ وإرساله، وليست هذه الشهادة بهذِهِ الطريقة وبهذه المعاني والمقاصد بأمر هيِّنٍ عند الله ﷻ وعند رسوله ﷺ... ولهذا كان إشهاده ﷺ ربَّه ﷻ على أنه بلغ الرسالة وأدَّى الأمانة وأتم الأمر في أعظم المجامع وفي آخر حياته ﷺ، ولئن ذهب ذاك الجيل وقد أخذ النبي ﷺ منهم الشهادة بهذا الأمر أمام الله ﷻ وكان يرفع يديه ويخفضها في خطبة الوداع إشهادًا منه ﷺ ربه ﷻ على الناس في عصره ومن حضر ذلك المجمع نيابة عمَّن لم يحضر، فلقد أبقى الله ﷻ له هذا الإشهاد الخالد على كل الأمة وكل الناس وفي مختلف العصور والدهور من بعده... ومن ذا الذي يشك في أن هذِهِ الشهادة حق لا ريب فيها، وقد قال ربنا ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).

إمامة: من الله وإلى الله ﷻ:

وأمر آخر وهو أن ليس المقصود بإمامة النبي ﷺ مجرد قيادة سياسية أو إدارية أو اجتماعية أو ما إلى ذلك.. بل هي كل ذلك وقبل ذلك هي إمامة إلى الله ﷻ؛ فهو الوحيد الذي يؤمنا إلى ربنا ﷻ، وأي واحدٍ يتولى إمامتنا من بعده إلى يوم القيامة فإمامته مشتقة كلها من إمامته، وتعيينه منه ﷺ، ولا طاعة لِهذا أو ذاك في معصية رسوله ﷺ ومعصية رسوله ﷺ معصية الله ﷻ.

وشاهد هذا النوع من الإمامة وأنها إمامة إلى الله ﷻ فإنما هي شهادة له ﷺ في الأذان نفسه بالرسالة، ولا دخول للإسلام أساسًا فضلًا عن الإمامة وغيرها، والطاعة والبيعة لسواه ﷺ، بل هي هنا بيعة على الدخول في الدين أساسًا، ولا دخول إلا بالشهادة لرسول الله ﷺ كما هي الشهادة لله رب العالمين بالوحدانية، ومن ثَمَّ جاءت الشهادة بأن لا إله إلا الله أولًا، وجاءت الشهادة لرسول الله ﷺ بالرسالة ثانيًا، وجاءت هاتان الشهادتان مثنى مثنى لتحقق كل شيء تحقيقًا، ثم أُلحقت الشهادتان بجميع الطاعات وهي (الفلاح) السبيل المؤدي إلى الفلاح من أعمال البر التي شرعها ﷺ وشرع أصلها، وبعدها جاءت الدعوة إلى الصلاة مرتين كذلك فهي أعظم الطاعات العملية على الإطلاق وأولها، وهذه لا يمكن معرفتها إلا عن طريق رسول الله ﷺ، لا يعرفها قائد ولا إمام إلا من خلاله هو ﷺ، كما قال ﷺ: «**صلُّوا كما رأَيْتُمونِي أُصَلِّي**».

ومما يشهد بأن إمامة رسول الله ﷺ ما كانت مجرد إمامة ولن تكون كذلك إلى يوم القيامة وأنها غير متعلقة بحياته فحسب هو ذِكرها بهذا التعظيم والصدق الخالص، فالتعظيم هو الطابع الملازم لِذِكر النبي ﷺ، وعنوان التعظيم ورمزه

هو الصلاة على رسول الله ﷺ، هذا التعظيم هو الذي يقطع عنق التطاول إلى مقامه ﷺ حيًّا كان أو ميتًا ﷺ، مع ما فيها من مرجعية وإمامة وقيادة له وحده ﷺ، كيف وقد جاء التعظيم بهذا الأذان العظيم.. هذا التعظيم الذي تنقطع الأعناق وهي تحاول إدراكه فإذا به ذاهب في معارج السماوات والآفاق كما بينا ذلك.

يعطي أمته ﷺ ما أعطاه الله وإنما الأذان خير شاهد:

سبحان الله العظيم فما من كرامة خص بها الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ إلا وأكرم رسول الله ﷺ أمته مما أكرمه الله تبارك وتعالى به إلا حَوَّلَها رسول الله ﷺ لأمته فأصابها من ذلك، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْـمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[(١)].

هكذا جاء عطاء رسول الله ﷺ من عطاء الله له، والذي أسهم في تحققه المؤمنون لرسولهم ﷺ، وليس هذا فضلًا منهم ففضله هو السابق، كيف وهو الهادي لهم والمعلِّم والمزكِّي، فكل القربات بما فيها الأذان منه ﷺ وهو مصدرها، فإن الشفاعة للرجل المحافظ على هذا الدعاء للنبي ﷺ جاءت لأنه كان مساهمًا - بفضل الله - بحصول النبي ﷺ الشفاعة العظمى، فلكأن هذا المصلي على النبي ﷺ الداعي له ﷺ بعد الأذان قد اشترى سهمًا خاصًّا بمربحةٍ مضمونة النجاح والفلاح والفوز إنها شركة «**الشفاعة العظمى**»، والله سبحانه ذو الفضل كله.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

ومعنى (حَلَّت) هنا: لزمت، وكأنه صاحب حق، أو هو مشارك فيها بسهم فيلزم إعطاؤه مما اشترك فيه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(١).

يا رب أدركنا فأعِدْنا:

وحين يدرك الناس عظمة هذا الأذان وعظمة معناه وعظمة ما يترتب عليه في الآخرة... فإن ذلك كفيل بتغير التلقي للأذان إذا أذن المؤذن، وكفيل بإحياء أعظم الآمال التي يرفعها المؤذن حين يرفع أذانه، والآمال التي يرجوها من يردد وراء المؤذن، وكفيل أن يبعث صدقًا جديدًا ينبعث من قلب المؤذن ومن قلب المردد وراءه.

إن المسلم ينبغي أن يعيش وِحْدَة المسلمين كلما سمع المؤذن يؤذن كما يعيش أجواء الأمة الإسلامية الواحدة، وأن يتجدد عنده أمل إعادتها، وإذا ما سمع النداء ثمَّ أَضمر في دعائه استغاثة بالله ﷻ في وقت إجابة منقطع النظير حيث أبواب السماء قد تفتحت للدعوات ما بعد الأذان، وحيث الإجابة مضمونة بإذن الله تعالى، وحيث تقدمت الزلفى إلى الله التي لا يردها الله، وهي تقدم الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وحيث كان الدعاء إلى الله بهذا الذي نريده وقد تحقق يومًا من الأيام وهو الدين الكامل والنعمة التامة والتي يقول فيها الداعي: «**اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة**»، وهل نحن نريد يا رب إلا إعادة الدعوة إلى الكمال والنعمة إلى التمام، ونعيده كما كان على منهاج النبوة منك وحدك ربنا لا جهد منا ولا سبب نقدمه، اللهم إلا ما جعلته في قلوبنا من حبك وحب

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

رسولك وذكرك ربنا والصلاة والسلام على رسولك وغيرةً على دينك وعلى عبادك وعلى أمة محمد ﷺ، يا رب كما ألهمتنا أن نقدم حبيبك - رسول الله ﷺ -،وعودتنا أنا إذا قدمناه قدمت لنا طلبنا، وها نحن يا رب راجين راغبين محبين.. نُقِّدم رسول الله ﷺ على أنفسنا وعلى أهلنا وأبنائنا.. اللهم فلأجله ﷺ أعِدْ لنا علو الإسلام على الأنام، وعجل يا رب بإدخال كل الناس الإسلام، واملأ يا رب كما وعدت ووعدك الحق الأرض قسطًا وعدلًا كما هي قد مُلِئَت ظلمًا وجَوْرًا.

يا رب نحن نؤثره ﷺ والله على أرواحنا وأعراضنا ونفديه بكل شيء فاشهد يا رب أن هذا هو مطلبنا... كيف لا يا رب ومطلبه هو نحن، كيف وما كان لرسول الله ﷺ من همٍّ زوج أو ولد أو مال، كيف يا رب وحقيقة هذا المطلب الذي نطلبه هو مطلبه ﷺ في الصميم، وهو هَمُّه الذي مات عليه ﷺ...

يا رب: كيف يليق بدِينك أن يكون عُنُقُه أقصر الأعناق بين الأمم اليوم بينما المؤذنون هم أطول الناس أعناقًا يوم القيامة وأنت القائل عن المؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

يا رب: ها نحن ما زلنا ندعو ونحن في عصرٍ نرى فيه دِين الأمة ليس في الأمة، والأمة في مناهجها بغير هذا الدين، والأمة رُدت إلى أسفل سافلين... يا رب بأسمائك الحسنى ربنا، وبصلاتك على رسولك ﷺ التي لا تنقطع أبد الآبدين، أن ترد هذه الأمة وتعليها مع هذا النداء العالي الذي أمر النبي ﷺ أن نعليَه بقدر استطاعتنا صوتًا صَيِّتًا جميلًا... فكيف نُعليه صوتًا ونعلي فوقه دين غيره منهجًا والتزامًا وحياةً كاملة؟!

فليكن الأذان شمس هداية بحق:

يا رب متى نقول كلمات دعائنا للرسول ﷺ كما كان يقوله أصحابه الكرام إذ هو بينهم يرونه... متى يا رب؟ متى يا رب نقولها إذ نحن نعيش تمام نعمة الإسلام ونعيش الدعوة التامة، ونبلغ الدعوة التامة للناس كافة، وما الأذان إلا إشعار وإخبار وإن كان هو في ظاهره وباطنه دعوة وتنبيه على الدعوة، وحضٌّ لغير المسلمين على أن هذا الدِّين الذي تسمعون أذانه ما هو إلا إشارة إلى وجوب تَطَلُّب معرفة هذا الدين، والتحقق من أهله عن حقيقته، وكيف أنه الدعوة التامة، ولا يوجد على الأرض مطلقًا دعوة تامة، فكل دعوة سواه ناقصة وبتراء، بل ضلال وشرك بالله وكفر به وبنعمته، فهو دعوة علنية للناس كافة للتحقق مما ذكره المؤذن، وهو دعوة علنية لكل الناس بما هو كامن في فطر الناس من طلب الكمال والتمام... فهذا هو الكمال والتمام المطلق.

وأول سؤال يبتدر إلى ذِهن كل واحد غير مسلم أن يقول لِنفسه: لو لم تكن هذه هي الدعوة التامة حقًّا وصدقًا... فهل يظن عاقل أن دِين الإسلام يمكن أن يجازف هذه المجازفة ويعلن هذا الإعلان العام، ويتحدى هذا التحدي الكبير إلا ويكون على قدر تحديه، كيف، نحن نرى أن الإسلام هو الدين الكبير والأكثر انتشارًا في الأرض كلها، وهذا يعني أنه الدين الذي يأكل من كل الأديان والملل ومن اللادينيين كل يوم أكلًا فيغدون هؤلاء جميعًا موحدين لله رب العالمين.

ثم إن الدعوة هنا هي أنها (التامة)، فهو أعطى كلَّ مَن ليس في هذا الدين الفرصة للانقضاض عليه بأن يُظْهر أي نقصٍ في الإسلام من أي موضع فيه أو تشريع أو حكم ثم هو يفوز في تحدِّيه، أو يظهر أي نقص في الأذان نفسه لأنه سماه الدعوة التامة؟!

فكم يطوف هذا الأذان على الأرض؟!

إنه يطوف على الأرض في كلِّ لحظة من لحظات اليوم الواحد، وبهذا يمكن أن نعلن الدعوة إلى الله به من خلال ما سمَّاه الله في **الأذان بالدعوة**، فهو الدعوة بحق، فلِماذا نذهب بعيدًا والدعوة نفسها بين أيدينا..

نعم يمكن أن نعمل من الأذان دعوة إلى الله بطرقٍ كثيرة جدًّا وبوسائل كثيرة وبحوث عديدة، ونجعل منه عملًا مشتركًا لكل مَن عنده دعوة إلى الله من الأذان نفسه، ويمكن أن نجعلَ منه حوارات مختصرة وميسرة وهادفة للدخول في الإسلام بطريق الحوار العقلي كما عملنا في كتابنا (لك القرار)، وندخل في هذا الحوار المقارنة العقلية اللطيفة ما بين الأذان من جهة، وجميع النداءات في المعابد غير الإسلامية من جهة أخرى وكل ذلك [بالتي هي أحسن]

وإنه لمجال رحب وصريح في الدعوة إلى الله، وإنها لشمس هداية لا بد أن نفسح لها الفضاء لِتُنير للخلق القلوب والدروب والحياة.

فيا رب عذرًا فإن الدعوة بين أيدينا وتركناها محاولين التماسَها هنا وهناك، المتغافلين عنها.

يا رب كان بإمكاننا أن نصنع من كل مؤذن في هذه الدنيا، وكل الناس مؤذنون، دعاة هداة بإذن الله إلى الله؛ لأن كل مؤذن لو فهمَ هذا الأذان الفهم الحق لما اقتصر أَمره على أداء الأذان كوظيفة أو أداء الأذان بقصد حصول الأجر فحسب، أو أداء الأذان إعلامًا بالصلاة من غير فقهٍ فقط، أيعقل أن يكون هذا الأذان من غير دعوة ولا نور دعوة مع هذهِ الدعوة العظيمة التي هي بالعبارة الفصيحة، واللغة العليَّة الصريحة [الدعوة التامة]، هذا رغم أن النبي ﷺ يقول: **«فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»**(١)؟! وأي

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

حامل فقهٍ مثل المؤذن لو أنه عرف أذانَه والكلمات المحددة التي لا تختلف أبدًا، وما فيها من هدًى ونور ودعوة وعقلانية وتربية، وما فيها من إيمان وتزكية، وما فيها من ربط للمجتمع بعضه ببعض، وربط بيوتات الأحياء، وما فيه من إنتاجية للأعمال والعاملين، وفيه من راحة للنفس والضمير، وانطلاقة جديدة في أوقات العمل، وما فيه من توزيع للأوقات بالإعلان الكامل والدعوة التامة، وتجديدٍ للحياة، واستيقاظة الحياة في فجرِها، وحكمة تقسيم أوقات الصلوات هذا التقسيم، وما فيه من أن الذي يتحدث ليس هو جماد ولا حجر كما هو الشأن في الأجراس، إنما هو البشر، وما فيه من دواء للنفوس، وما فيه من أثر تربوي على أفراد الأسرة، وعلى الصغار، وما فيه من إراحة للوليد إذا وُلِد ـ لو كانت ثمة بحوث علمية عملت أو تعمل لهذا الشأن العظيم، وما فيه من بحوث على الكائنات الأخرى.

وقد كان ينبغي لنا نحن المسلمون أن نتساءل هل كان الله ﷻ يمكن أن يأمرنا هذا الأمر بالإعلان وفي كل مكان متى حان وقت الصلاة دون أن نعرفَ معاني الكلمات كدعوة إلى الله؟ وهل يمكن أن يعرضنا النبي ﷺ ونحن أبناؤه إلى الحرج الكبير في إعلان ليس مثله إعلان لأنه لا معنى له عياذًا بالله؟

إن رسول الله ﷺ قد أعطانا، لا أقول جهاز إضاءة ونور، وإنما أعطى كل مؤذن وكل واحدٍ فينا شمسًا، وهي لا تحتاج إلى حركة أصبع بضغطة زرٍّ لنوقدها، لكنها حتى اللحظة لم نوقدها، هذا وقد مرَّ على استلامنا هذه الشمس أكثر من ألف وأربعمائة سنة، نعم إن العتب العظيم ليس على ذلك الجيل، فذاك جيل حفظ الأمانة كما هي وبلَّغها أحسن بلاغ وأفنى فيها عمره وجهده وماله وأهله، وهذا هو المطلوب عند مرحلة التأسيس، وعمل بها كما هي، أما العتب

كل العتب فعلينا نحن أبناء هذا الزمان الذي طوَّرنا فيه كل شيء إلا عقولنا في دين الله وفي الدعوة إلى الله، رغم التواصل الاجتماعي وتطوره المذهل في هذا الزمان، والأمر لا يتعلق بالمؤذنين وحدهم، وإنما المؤذنون هم الحلقة الأخيرة والمباشرة وعليهم تقع المسؤولية، لكن غالبًا ما تكون المسؤولية على الأئمة أكثر، فالضامن أكبر من المؤتمن، وهذا هو بعض معاني قول الرسول ﷺ: «**الْمُؤَذِّنُونَ أُمَنَاءُ، وَالْأَئِمَّةُ ضُمَنَاءُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ وَسَدِّدِ الْأَئِمَّةَ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١).

ووزارات الأوقاف ودوائر الأوقاف والمسؤولون عن المساجد ومراكز الدعوة إلى الله المتطوعة، والرسمية - إن كانت ثمة مراكز رسمية ـ كل هؤلاء مسؤولون، وإن كنتُ مبالغًا في هذا العتب فليظهروا لنا أيّ دراسة في الأذان شاملة كاملة تناسب ما في الأذان من التكبير أولًا أربعًا، والشهادة بـ لا إله إلا الله، والإشهاد هنا له نتيجته وأثره على القلب، والشهادة بـ أن محمدًا رسول الله ﷺ، والإشهاد على أن رسول الله ﷺ محمدًا، ولِماذا هو الوحيد في الخلق الذي ينادى على اسمه من بين الخلق جميعًا؟ وهكذا وهكذا.

وما الأذان إلا مدخل إلى الإسلام كله، لكني أكاد أجزم أنه هو النور وهو الهدى، وعنده دخول السامع والسامعة إلى الإسلام، وعنده يقوى الإيمان ويزداد..

أليس هو من الدعوة التامة وهو شعار الدعوة التامة.. أليس هو الفلاح والدعوة إلى الفلاح؟ وهكذا وهكذا.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٥٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢١٥) رقم (٢٣٧).

الفصل الثالث

جولات القلب ورحلات الفكر أثناء الصلاة على النبي ﷺ

انطلاق فكرة الرحلة بالصلاة على رسول الله ﷺ:

كل ما ذكرنا في الصلاة على النبي ﷺ، وكل ما سنذكره إنما هو لإحياء جولات الفكر في قلب الإنسان عند الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة على النبي ﷺ، وكل ما ذكره العلماء من قبل ومن بعد هو كذلك لإحياء الجولات في فكر الإنسان.. هذه الجولات إنما هي وقود الفكر لأن يُحلِّق في أفلاك النبي ﷺ، ويتنقل وكأن رسول الله ﷺ معه آخذ بيده يبين له أحداث حياته العظيمة، ومواقعها، وآفاقها وأفلاكها، وصاحبنا هذا لا يفتأ مصليًا مسلمًا على رسول الله ﷺ ولا ينقطع ولا يستطيع، وكيف يستطيع وهو يشاهد بعيني بصيرته رسول الله ﷺ إذ هو ﷺ يُريه بنفسه أحداث حياته ويقص عليه في هذا ما يقص، فهل يستطيع من جرب مرة الرحلة مع رسول الله ﷺ أنْ يُفارقه ﷺ ولو مرةً واحدة في جَمْعة واحدة أو جمعية واحدة تَعَوَّدها هذا الرجل أو ذاك يجمع فيها شأنه ويذهب عقله إلى رسول الله ﷺ لِيجول به وبقلبه إلى حيث يشاء هو ﷺ.

وربما هذه الرحلة مع رسول الله ﷺ أصبحت عادة للبعض مع رسول الله ﷺ كل ليلة مرة أو كل يوم مرة، ولكن لا أقل من أن تكون مع رسول الله ﷺ في كل جُمْعَةٍ مرة... فإن يوم الجمعة، وهو يوم العيد ويوم الاجتماع ويوم الأمة ويوم رسول الله ﷺ، وهل إذا أردت أنت زيارة رسول الله ﷺ وهو حي وجئته إلى باب بيته أو وقت أكله سيردك، حاشاه ﷺ، فهل لو ذهبت له الآن وهو في

قبره، والأنبياء كما قال المصطفى ﷺ أحياء في قبورهم، سيردك الله سبحانه، والله سبحانه هو خالقه وهو معلمه وهو ربنا الأكرم وهو الذي عَلَّمهُ بالقلم، وهو من قال له أول ما قال سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥].

إياك أن تتوقف عند حد اللسان والآذان، وتقول هنا: ما عهدنا هذا النوع من الصلاة في آبائنا الأولين؟!

نعم هذا هو المنطق المستقر، فما عهدنا الصلاة على النبي ﷺ إلا ترديدًا باللسان، وإكثارًا في العد، وإشغال أكبر كمية من الوقت!

ومع هذا تجد الناس يدافعون عن هذا التحجر في التفكير عند الصلاة على النبي ﷺ، وكأن النبي ﷺ لا يستحق التفكر، وحياته لا تستحق التدبر، وكأن الصلاة على النبي ﷺ لا تستدعي المواقف، وكأنها لا تنطلق من المواقف، وكأننا حين نرى مواقفَ حياة النبي ﷺ لا نقول إلا سبحان الله مثلًا، وكأن الصلاة على رسول الله ﷺ ليست من ذِكر الله، وليست من الدعاء له ﷺ!!

إن التحجر عند الحروف، وعدم الرغبة في مغادرتها أمر بغيض وخصوصًا في هذا العصر، إني لأجد نفسي تضيق حين أتوقف لأرد على هؤلاء، مقتنعًا تمام الاقتناع أن هؤلاء سوف يكونون من الآثار الغابرة في حياة هذه الأمة، وسيكونون موسومين في تاريخ الأمة بأنهم كانوا من أعظم أسباب تخلفها، ومن أعظم أسباب إعراض الناس عن دِين الله، ورميه بالجمود والرجعية، فهم الصورة الحاضرة للرجعية، والشاهد عليها في أذهان كل مَن أراد أن يهاجم الدِّين، ويصد الناس عنه، بل إنهم صناع منهج متخلف في فكره وفي فهمه للدِّين، ولا داعي لأن أكمل الحديث فيهم، ولا أن أرجع له مرة أخرى بإذن الله تعالى.

ليس من السهل أن يتجول الفكر فيما تريد وأنت تنظر بعيني رأسك إلى صور وأحداث وما إلى ذلك مما تراه بعينيك... والإنسان لا يستطيع أن يقطع النظر إلى ما في الحياة مرة واحدة، ولا يستطيع أن يعيشَ في غرفة مظلمة كلما أراد أن يتفكر، لكن من المعلوم أن الفكرة حينما تستولي على عقلِ الإنسان وقلبه فإنه يغيبُ حتى عما يراه بعيني رأسه، ولربما سلَّم المارُّ عليه فلم يرد ﷺ وهو ذاهل لا يدري وكأنه لا يرى ولا يسمع ما حوله من صورة أو صوت أو حدث، وانشغال الإنسان في داخله عما يدور خارجه يعود إلى مقدار اهتمامه لِما في داخله من صوت وصورة وحدث وشخصيات وما إلى ذلك... كما يعود إلى تعوده على هذه الطريقة في الجولان.

وهنا نعود للسؤال: هل من شخصية أعظم وأعلى وأكرم عمرت هذهِ الدنيا مثل شخصية رسول الله ﷺ؟ وهل من أحداث أعظم وأبقى وأعمق وأشمل وأكمل من أحداث حياته الكريمة ﷺ؟ فهل يليق بك وأنت تُصلي على رسول الله ﷺ وتذكره بلسانك أن تشيح عنه بوجهك؟! وهل تقول لي: سبحان الله كأنك تريد أن نتعامل مع رسول الله ﷺ وكأنه حاضر معنا أو أنه يطلع على صلواتنا إذ نحن نصلي عليه...!

أقول: إي والله، وهذا هو المستوى الذي نرنو إليه عندَ الصلاة على رسول الله ﷺ، فنحن نطمع حقًّا أن نصلي عليه وكأننا نراه، وهذه هي درجة الإحسان عند الصلاة عليه ﷺ، ونصلي عليه كأنه يَطَّلع على صلاتنا عليه ﷺ، بل هو يَطَّلع علينا وعلى صلاتنا حقًّا، وذلك على وجه الخصوص يوم الجمعة، **ولذا ينبغي أن ننطلق من يوم الجمعة لِسائر أيام الأسبوع** ولسائر أيام الحياة، وذلك عند كل مرَّة من المرات نجلس فيها للصلاة على رسول الله ﷺ.

ولقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْـمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا**»[١].

وقد بينا من قبل أنَّ هذا من مزيد فضل الله تعالى على المؤمنين يوم الجمعة، وإن صلاة المصلي على رسول الله ﷺ يوم الجمعة لها خصوصية، ولرسول الله ﷺ كذلك خصوصية في هذا اليوم، فهذا اليوم يومٌ له وهو يوم لأمته في الدنيا والآخرة، فإنَّ الأمر ليس مجرد أن يُبَلِّغَ مَلَك رسول الله ﷺ بصلاة فلان ابن فلان كما هو الشأن في بقية الأيام، إنما هذه صلاة في هذا اليوم تعرض عليه، وعرض الصلاة عليه يوم الجمعة يعني أنَّ صاحبها يعرض عليه إذ هو يؤدي الصلاة على رسول الله ﷺ فيعرفه باسمه وباسم أبيه، وهذا أمرٌ متحقق لِما في الأحاديث الصريحة، سواء كان ذلك بتعريف الله له ﷻ، أم هو بتعريف المَلَك الذي عنده أسماء الخلائق، أو إسماع الخلائق كما مرَّ معنا ذلك من قبل.

والسؤال هنا: هل يليق بي وبك وبأي مسلم بعد هذا الحديث العظيم وقد علمنا أن رسول الله ﷺ مُطَّلِعٌ بنفسه على صلاتنا عليه إذ نحن نصلي عليه كل صلاةٍ من الصلوات عليه ﷺ نعرض عنه ونشيح بوجوهنا عنه وننشغل بسواه عنه ﷺ ونحن نصلي عليه؟! نعم من كان في شغله فهو في شغله، ومن انشغل بأمرٍ طارئ وهو يُصلي على النبي ﷺ قضى شغله وعاد للصلاة على رسول الله

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٨): رواه ابن ماجه بإسناد جيد، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٢٩٤): هذا إسناد رجاله ثقات، إلَّا أنه منقطع في موضعين، عُبادة بن نُسَيّ روايته عن أبي الدرداء مرسلة، قاله العلاء، وزيد بن أيمن عن عُبادة بن نُسَيّ مرسلة، قاله البخاريُّ، وكذا قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه.

ﷺ، وإن استطاع أتمَّ شغله وهو يُصلي على النبي ﷺ ولم يوقف لسانه من الصلاة على رسول الله ﷺ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، لكن مرتبة الإحسان وإن تقطعت فيها كأنك تراه أحيانًا فلا بأس، فهذا مما يطرأ على البشر ويأخذ منهم المأخذ وهم لا يشعرون ولا يستطيعون ردّ ذلك.

أيها المسلم: إن باعث الإحسان في قلوبنا عند الصلاة على رسول الله ﷺ هو حبنا له ﷺ، هو شدة اشتياقنا إليه... الاشتياق الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتي لي حُبًّا، ناسٌ يَكونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لو رَآنِي بأَهْلِهِ ومالِهِ**»[(١)].

فالذي يتبادر إلى الذِّهن هو الرؤية المنامية، وهذا رؤيا حق لا شك في ذلك ولا ريب، والشيطان ممنوع عليه أن يتشبه بالنبي ﷺ ولا بأي جزء من أجزائه ﷺ كرجله أو يده أو لحيته أو أعضائه الكريمة الشريفة، فإنه ممنوع منعًا مطلقًا على الشيطان - نعوذ بالله منه - من التصور أو التكون أو نحو ذلك، بل لا يستطيع الشيطان أن يأتيك بصورة غير صورة النبي ﷺ ويقول لك: أنا رسول الله ﷺ، فهذا من التكون أي: أنه بعدما منعه الله من أن يحمل شبه أوصاف النبي ﷺ ويأتي للمؤمن في منامه يذهب إليه ويأتيه بصورة أخرى ويقول للنائم: أنا رسول الله، فهذه كذلك لا يستطيعها، وإلا ما الفائدة بأن يمنعَه الله من هنا والشيطان يفتح على المؤمنين الطرق الأخرى من كل جهة.. بل الطريق محمية محفوظة من كل جهاتها ما بين رسول الله ﷺ وبين المؤمنين إلى يوم القيامة.. والله سبحانه تكفَّل بهذا، وهو أوفق لإكرام الله، وأوفق لرحمة الله ﷻ لأمة محمد ﷺ في كل الأزمان وكل أصناف الأمة، فليس كل أصناف الأمة علماء حتى يعرفوا أوصافَ رسول الله ﷺ فيقطعوا بأنه رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٢).

وفي الحديث: «**مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي**[١]»[٢] أي: أن النبي ﷺ يطمئن المؤمنين بأن الشيطان لا يمكن أن يأتي للنائم ويكون مثله ولا يكون غير مثله لكنه يدعي بأنه هو رسول الله ﷺ.

فإن الشيطان كما لا يستطيع أن يأتي بأعضاء لشخصٍ ما ويضع عليها وجه رسول الله ﷺ فهو لا يستطيع العكس سواء بسواء، كما أنه لا يستطيع أن يمثِّل صوت النبي ﷺ، ولا يستطيع أن يمثِّل الوحي المصاحب للروايات الذي يلهمك به أن هذا هو رسول الله ﷺ، فهو لا يستطيع أن يتحوَّل أي تحوُّل نحو رسول الله ﷺ، ولا يتكوَّن بأي كينونة ولا بعض كينونة ويوحي إليك بأنه رسول الله ﷺ، سواء بصوته، أو بهمزه ونفثه، أو وحيه.. فالطريق في وجهه محكم الإغلاق نحو رسول الله ﷺ في المنام.

إن أحدنا إذا أحب شيئًا ووافق هواه جدًّا فإنه هو الذي يحضرك ويستدعيك، ويأخذ عليك مشاعرك وتفكيرك وربما انفعالاتك، هذا وأنت في مكانك لم تتحرك ولم تغادره.. وهذه في الحقيقة من أعظم أسباب تحقق الدعاء الصادق ومحنَّة الله وهو الحنَّان سبحانه فيهب لعبده ويحقق له أمله العظيم هذا.

فكم هَوَيْنَا من قبل متابعة مباريات كرة القدم.. فتجد أحدنا ينظر في المباراة وإن لم يحضرها على المدرجات، وتنتهي المباراة، ولكنه من شدة تعلقه يذهب قلبه مع لقطات المباراة فينظر لها، وربما لا يكاد حتى تأخذه مشاهدها أخذًا وتستدعيه رغمًا عنه، **فيراها بقلبه حقيقة فيكون غائبًا عما حوله**، وكم يمر عليك

(١) لَا يَتَكَوَّنُنِي: أَيْ لَا يَتَكَوَّنُ كَوْنِي فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَوَصَلَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ بِالْفِعْلِ، وَالْمَعْنَى: لَا يتكوَّن فِي صُورَتِي فَالْجَمِيعُ رَاجِعٌ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وهو: لَا يَتَشَبَّهُ بِي، ولَا يتشكَّل بشكلي. انظر فتح الباري بتصرف (١٢/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩٧).

صاحبك إذ ذاك ولا تشعر به، ويسلم عليك وأنت ذاهب في تصورك ذاك، ولا تسمعه تمامًا كما لو أنك مشغول مع أناس حولك، لا والله بل أكثر. وما هذا إلا من تفعيل الشيطان نعوذ بالله منه كما أنه من النفس نفسها.... فلتتشوق النفس لهذا ولِتأخذْ به كل مأخذ والله لطيف بعباده.

مقدمة الجولات:

كل حياة النبي ﷺ جولات ورحلات، وما أكثر رحلة البدن عنده! لكنها ما كانت إلا استجابةً لرحلة الروح والقلب، إذ القلب يُبصر، واللسان يفصح.. إلا أنني سوف أختصر مضطرًا على نقاط قليلة، علَّها تُشْعِلُ وَقُودًا لجولاتٍ تطوف بنا في معية رسول الله ﷺ في كل حياته، فيا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، اللهم امنن علينا بذلك، ومتعنا بهذه الجولات، وانفعنا بها أعظم النفع، اللهم آمين.

الجولة الأولى: ما قبل ولادته ﷺ ، وحتى الغار العظيم:

ولا خير في إغماض العينين لكل من تفقده الصور التركيز أو الخشوع كما أن صلاة الليل في الظلام أدعى للخشوع. حاول أن تعيش الصلاة على رسول الله ﷺ من أعماقك.. من أعماق قلبك.. من جميع عقلك ولُبِّك..

انتقلْ بفكرك وقد غُيِّبَتْ عنك كل صور الواقع الذي من حولك... وانتقلت إلى مرحلة ما قبل ولادة النبي ﷺ.. فاللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد، وابحث في ذاك العالم كله.. اضرب مشارقَ الأرض ومغاربها.. توقف كثيرًا في جزيرة العرب.. فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله الذي لم يخرج للوجود بعد، انطلق وسوف ترى عالمًا قد امتلأ بالظلم والقهر والجور، والظلم ظلمات، عالمًا تستعبده الآلهة الحجرية والحيوانية والشجرية... عالمًا قد باعَ عقلَه إلى

الأوهام والخرافات والشياطين، عالمًا قد انحدر من سفح كل فضيلة إلى السفول في كل شيء...

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

فالبشرية كانت هي الحَجَرُ العظيم الذي هوى من أعلى قمة جبل إلى سفحه، ولا يزال الحجر يجرف في طريقه كل ما واجهه ويحطمه، وهو إذ يهوي يرتطم يمينًا وشمالًا فتتحطم عظامه شيئًا وشيئًا، وتتحطم جمجمة رأسه، وأضلاع صدره وهو لَمّا يبلغ القاع بعد... فمن سوف يتلقى هذا الحجر ويردُّه.

اللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

فكم هي أعداد البشرية آنذاك كم هي الذراري التي تنتظر دورها... ثم كم هي بقايا الفضائل التي تنتظر التحول إلى رذائل، لو لم يولد رسول الله؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

فهذه الأرض بكل ما فيها وما عليها من مخلوقات كانت أشبه بكرة يلفها الظلام من كل جهة، تعيش عليها حيوانات في أشكال وأنواع مختلفة.

أرأيت هذا الحديث الذي حدثتك به عن العالم قبل ولادته ﷺ.... إنما هو الحديث الذي يدور في ذهنك - الآن - مع صوره وبعض أحداثه.. كله يمرُّ على قلبك كشريط تشاهده في داخلك ولسانك الآن لا يتوقف عن الصلاة على رسول الله ﷺ ولا ينبغي له أن يتوقف، هنا أطلق لِنفسك التجول في ذلك العالم بالصلاة على رسول الله ﷺ... نعم كثيرًا كثيرًا وأنت تعيش في تلك الحقبة من الزمان التي بغير تَصَوُّرَهُ لن تبلغ معرفة ما صنعه رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وربما بغيرها لن تبلغ صلاتك على رسول الله ﷺ عن هذه المرحلة منزلة الإحسان.. منزلة المعايشة التي ترجوها معايشة تُلْهب مشاعرك وغيرتك رجاء

تغييرها وتبديلها وتطهيرها... لكن أنى ذلك.. فإن انحدار الصخرة العظيمة يزداد.. كيف وقد أصبحت الصخرة جزءًا ضخمًا مرعبًا من الجبل.

فهذا الذي أقوله من تقريب وتصوير إنما هو حقيقة أو كالحقيقة، وهذه الحالة التصويرية الحقيقية في داخلك هي التي تبعث صلاتك على رسول الله ﷺ بعثًا آخر.. بعثًا تصويريًا كأنك تراه.. وليس لِهذه المرحلة من الصلاة على رسول الله ﷺ حدًّا معينًا، فانطلق فلربما أخذك التفاعل فذهب قلبك مع الصلاة على رسول الله ﷺ طويلًا طويلًا، ولربما حولت بعدها قصدًا إلى مرحلة ولادته، وهكذا وهكذا، ولكل صلاة على رسول الله ﷺ في ظرفها ومرحلتها طعمها الخاص بها.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد الرحلة إليه عند ولادته:

من كان يدري أن دعوة إبراهيم عليه السلام عند بنائه الكعبة قد ولد جوابها الآن؟

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد

من كان يدري أن الجاهلية في جزيرة العرب قد حضر أجلُها بولادته ﷺ؟

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:١-٣].

فاللهم صَلِّ على محمد وآل محمد

من كان يدري أنه الآن أَذِنَ الله رب العالمين لسيد ولد آدم بالخروج إلى الدنيا من عالم الأرحام؟

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وزد وبارك عليه

من كان يعلم أن الشياطين التي اجتالت ذريةَ آدم سوف ينحسر دورها بل

ويسلم منها بعضها... من كان يعلم أن اليوم قد وُلِد الوليد الذي سوف يجتاح الشياطين من أعز معاقلها ويطهِّر جزيرة العرب منها، ثم ينتشر دِين هذا الوليد فيها حين يكون من أتباعه ﷺ مَنْ هو مِن ذرية الشيطان الرجيم لعنة الله عليه؟

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

الله... الله يا أيها العالم الكبير، ماذا ينتظرك من الخير والرحمة بهذا الوليد الذي لم ولن تلد الأمهات مثلَه أبدًا؟

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه وآله وصحبه أجمعين

وهكذا تكون أيها القارئ في هذا الزمان أنت الوحيد الذي انتقلت إلى تلك الفترة التي انتقلتَ إليها بتصورك الذي يعلم بشأن هذا الوليد، وكأنك بهذا الحال وبهذا التفاعل تكون أنت الوحيد الذي كأنه كُشف له الغيب فأصبح يرقبه في الذروة، واستثارة مشاعره في الذروة، وتَتَبُّعه لصباه ﷺ في الذروة، وقلبه متعلق به ﷺ كلما نظر إليه في الذروة، بل أصبح مأخوذًا لا يقوى على البعد عنه ﷺ طويلًا، فتعود إليه وكأنك تسارق أهله النظر حتى يذهب إلى مرابع أهله ﷺ وهم لا يشعرون...

هكذا هو حالك، فأنت تعلم عنه ما لا تعلم أُمُّه الكريمة، ولا أهله، فأنت لا تزال تُصلي عليه ﷺ وتتمتم بالصلاة عليه والناس لا يعلمون؛ ماذا يقول هذا الغريب وبأي شيء تتحرك شفتاه وهم لا يشعرون ولا يفقهون؟ والله ﷻ يعينك ويُغذي قلبَك بما يريك سبحانه من الأحداث والمشاهد، ويُعينك بكثرة صلاتك وسلامك عليه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

فاذهب في الصلاة عليه ولا تبالِ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

إنهم ينظرون إليه كوليد رضيع وكصبي صغير ألقى الله محبته في القلوب وهم لا يعلمون لماذا؟!، وأنت ترى ذلك النبي المبشر به ﷺ من قِبَل الأنبياء أجمعين، بل الذين أخذ الله عليهم عهدًا بخصوص هذا الصغير، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، فصلِّ عليه ما شئتَ ﷺ وأنت تنظر إليه ببصيرتك التي صبغت بصرك بنورها... صلِّ عليه ﷺ ما شئت الآن وقد فتحتَ عيني قلبك على آخرهما.. تريد الارتواء من صورته الكريمة، ولا تستطيع ولا تبلغه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

تشاهد فيه ما لا يمكن أن يشاهده فيه أحدٌ سواك آنذاك من مستقبل قادم، بل عالم قادم، عالم متطهر، هذا والناس آنذاك في عالم أَجْمَعَ على الشرك والظلم والجهل والجاهلية، فهو عالم أعمى عن رؤية ما ادَّخره الله في هذا الطفل الصغير وهذا الفتى اليانع اليافع... بينما أنت لوحدك لا تملك التوقف عن الصلاة والسلام عليه.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

هذا والذي يشتد عليك باجتذابك رغمًا عنك وأنت أسعد ما تكون، كيف لا وأنت تراه الشمس التي تكاد تشرق من وراء الغيب من خلال وجه هذا الفتى المبارك ﷺ، بل القمر الذي ازدان وتألَّق بعيدًا في السماء بنوره الفريد، والذي يزداد نوره وظهوره وجماله كلما اشتدت ظلمة الليل، إلا أن قلبك قد اشتعل من نور وجهه الذي يكاد يشرق على العالم كله بل على العالمين، فغدوتَ محبًّا مأسورًا متواصلًا معه بالصلاة عليه ﷺ، لا تفتر أبدًا إذ غدا لا يغيب عن قلبك أبدًا.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

أبناء الناس الصغار يلعبون معه في البادية إذ كان يرضع من حليمة السعدية... ﷺ، فأي رضيع هذا الرضيع الذي ما رأت عيناك رضيعًا مثله؟ وأيّ فتًى هذا الذي عليه من المهابة والرعاية الربانية ما لا يمكن أن يصفه لك أحد كما تعرفه أنت من موقعك هذا وأنت تنظر إليه الآن وكأن المهابة غمامة تُظلِّله؟ تنظر إليه بنظرة ويا لها من نظرة، بينما ينظر إليه الآخرون بنظراتهم إلى الآخرين من أسنانه أو نحوهم... فهنيئًا لك بهذا الإجلال الذي ألقي في نظرتك إليه كلما نظرت إليه، وهنيئًا لقلبك باستدامة النظر إليه ﷺ وإن غاب عن عينيك وذهب إلى مرضعته في خيمتها، فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، فإنه حتى وإنْ غاب فما توقف لسانك من الصلاة والسلام عليه أبدًا، ومَن ذا الذي ينظر إليه مثلك ثم يملك أن يتوقف من الصلاة والسلام عليه، فاللهم صَلِّ على محمد وآل محمد، فهو وإنْ غاب فإن قلبك قد ختم بصورته بل بشخصه ﷺ حي عظيم...

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا وإمامنا رسول الله محمد

فليهنك هذا الكشف حتى عن رفاقه الذين عاشوا معه في مرابع طفولته وصباه، فلقد أوتيتَ علمًا عظيمًا.. ولا خير في هذا العلم إنْ لم يثمر علاقة جديدة لِقلبك، ولعيني قلبك، وبصر بصيرتك إلى رسول الله ﷺ...

فَمَنْ يُدري الغلمان الذين كانوا يلعبون معه بأن ذاك الذي أخذه وصرعه إذ هو في الرابعة من عمره وهم ينظرون ولا يملكون فعلَ شيء أنه جبريل عليه السلام، لكنك أنت الوحيد الذي تدري، فعن أنس رضي الله عنه «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ**

بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ[١]، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ[٢] - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ[٣]. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ المخيط في صدره»[٤].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه

فهل يملك لسانك بعدَ هذا أن يتوقف لحظة عن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ؟ وأنَّى له أن يملك ذلك والقلب هو من يستحثه ويأمره ويوقده ويشحنه بعدما امتلأ القلب شحنة وامتلأ نورًا وتلألأت في صدارة صدره نور من نور رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

الجولة الثانية: إلى غار حراء مع رسول الله ﷺ:

لم يكن ذهاب رسول الله ﷺ إلى غار حراء فسحة، ولا صدفة، ولا ضربة حظٍّ... بل كان أولًا وقبل كل شيء إلهام من الله سبحانه لذاك الشابّ الذي بلغ أَشده واستوى، فسبحان مَن نادى موسى عليه السلام إلى الوادي المقدس طوًى... سبحانه فهو مَن نادى رسول الله ﷺ إلى ذروة جبل حراء! أن اصعد إلى هنا.

قف أيها الصاحب، وانظر من أسفل الجبل قبل أنْ تصعد مع رسول الله ﷺ إلى حراء، فاللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

انظر إلى الذي اضطرهُ ﷺ إلى الصعود، انظر إلى الأصنام التي طوقت

---

(١) ثم لأمه: جمعه وضم بعضه إلى بعض.
(٢) ظئره: هي المرضعة، ويُقال أيضا لزوج المرضعة: ظئر.
(٣) منتقع اللون: أي متغير اللون.
(٤) رواه مسلم: (١٦١).

الكعبة، وخنقتها، واعتلتها...! فكيف السلامة من الشرك؟ كيف يتوب هؤلاء من الشرك؟ بل كيف سلامة الأجيال القادمة؟!

من يُصغي لِتحطيم الأصنام وتوحيد الله؟ بل مَن يصغي لِنداء رسول الله ﷺ والذي لم يترك مجلسًا ولا سواه إلا حاورَهم وناصحَهم لا على أنه نبي ولكن على أن هذا الشرك احتقار للعقل وللإنسانية وللفطرة.. إنه رسول الله ﷺ يريد إنقاذ الخلق، يريد إنقاذ العقل والإنسانية والفطرة والخُلُق.. وما أَهَمَّتْهُ نفسه وحده أبدًا.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

وقد كان هذا التوجه منه ﷺ يكرهه سدنةُ الآلهة وأهل الجاهلية، إلا أنهم يحتملونه لأنه ليس نبيًّا أوحي إليه ولا معه كتاب ويطلب نصرة الناس وتغيير عقائدهم إنما هو صوت فرد واحد.. سوف يضيع بين الأصوات.. ويطويه صخب الجاهلية. ثم إنه صوت من بيت سادات من ساداتنا وهم المتولُّون البيت العتيق وما فيه وما عليه من أصنام، والمتولون الرفادة والزيارة. فأين سيذهب وهذا مقام أهله في قريش؟!

فأي همٍّ احتمله النبي ﷺ نيابة عن كل واحدٍ من أهله وقومه، والناس من حولهم؟! أي إشفاق أشفق على الناس وعلى عقولهم وفطرتهم.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

هكذا هو رسول الله ﷺ حتى قبل أن يبعثَه الله ويكلِّفه، وهكذا هم مَن يختارهم الله في حمل همومِ العباد والحمل عنهم، إلا أن رسول الله ﷺ شيء آخر، وذروة لا تبلغها كلُّ الذرى.

وهنا في هذه المرحلة العجيبة الغريبة.. والجاهلية البعيدة الكئيبة، وحياة النبي ﷺ وقد كانت حياة عجيبة عصيبة.. كان الله سبحانه هو مَن يرعاه، وهو

مَن يُوجِّهه، وهو مَن يَحميه، ويوصله... وهذا ما لم يكن يشعر به رسول الله ﷺ ولا أحدًا من الناس، ولذا قال الله سبحانه مذكِّرًا إياه بحالته العصيبة هذهِ، وكيف سَلِم منها، ووصل إلى حيث يريد الله ﷻ، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٦-٨].

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

هكذا إذا أراد الله ﷻ أمرًا أمضاه، وفتح له طرقه في القلب أولًا، وحببه لصاحبه حتى أذهلَه عما سواه وأنساه، ولم يعد يبالي بعواقبه المحسوبة بكل ما سواه..

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله

لو علم النبي ﷺ أن في مباشرة أهل الأرض بالنصح والحوار نفعًا لَما فارقهم ﷺ، ولكنه علم أن الركام لا يحتمل، وأن الظلام عمَّ وطمَّ، ولن يرفع بالمناصحة ولا بالمحاورة ولا بالقوة... فهام ﷺ على وجهه ما بين الجبال، وانتهى به الطريق إلى النقطة التي يُريدها الله ﷻ، إنها غار حراء في ذروة جبل حراء.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد...

وما كان له ﷺ أن يسلكَ هذا السبيل إلا بهداية الله له ورعايته سبحانه... وهذهِ النقطة لا ينبغي أن تَغيب عن بالك أَبدًا أبدًا... ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤٠-٤١].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد

فاصعد يا رسول الله إلى تلك القمة الشاهقة.. اصعد إلى تلك الذروة وحيدًا فريدًا هناك، فالوحشة هنا خيرٌ من جَمْعة الشرك وأنس المشركين، والنهار هنا أرجى من أسواق المشركين وصفقاتهم فيها، وعاداتهم ومنتدياتهم، والليل هنا أشرف من نهار قريش وما فيه، سوف أصبر هنا وأصابر، وأرابط في موقعي هذا

علَّ الله يقضي في أمري، علَّ ربي يفتح بيني وبين قومي فتحًا وهو خير الفاتحين، سوف أبقى هنا بلا بشر يؤنسني، ولا أغنام أرعاها وتصحبني، ولا أشجار أراها آكل منها وتُظِلُّني..

فاللهم صَلِّ على محمد وآل محمد

فليكن كلُّ ذلك وليكن ما يكون، فثمة في داخلي أنيس ودود وقريب... وهو هو الذي يحكم كل ما حولي وكل ما في الكون، وهو هو الذي أريده وهو يعرفني حقًّا لكنني لا أعرفه.

فَصَلَّى الله وسَلَّمَ على رسول الله محمد

هو وحده من يستطيع أن يُغير قريشًا ويغير ما حَوْلَها، وهو من يغير انحدار الأمم نحو الهوة السحيقة وانهيارها... وبهذا أصبح المطلوب واضحًا واحدًا لا شريك له، وبهذا وصل رسول الله ﷺ ولكنه بعدُ ما اتصل.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

سأبقى هنا في هذا الغار أَنتظِر المطلوب المحبوب أو أهلك هنا... في هذهِ الذروة النائية.

فَصَلَّى الله عليك يا رسول الله وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا

إلى هنا أحمل أَزوادي القليلة لأيام وليالٍ طويلة.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه

ومن هنا أُطل على الكعبة في الوادي الأجرد، فلا مبانٍ شاهقات تحجبها، ولا مبانٍ شاهقات تمنعني من رؤيتها... وهي الباكية حُزْنًا لأصنام وُضِعَت على رأسها وأثقلت كاهلها، وأصنام أخرى أحاطت بخناقها من حولها... والعباد قد حَوَّلوها إلى معبد الشرك الأكبر والأول في الأرض كلها بعدما وضعها أبي إبراهيم وأبي إسماعيل عليهما السلام لِتوحيد الله وحده لا شريك له... آه ثم آه ثم آه!

كيف السبيل إلى الخلاص.. وإلى تخليصهم من هذا الشرك العظيم؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

يا أيتها الأجيال المؤمنة: يا أبناء أمتي القادمين أجمعين من هذا الغار أُطل على الشروق وأُطل على الغروب، وهنا انبنى اليقين بأن مَن جئته هو من دعاني لأمرٍ عظيم.. هو من جاء بي إلى هذه الذرة من هذا الوادي المبارك.. إذ هنا يكون اللقاء.. وحق هنا الابتداء، وأنه هو ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وهنا كأنني أراه كل يومٍ هنا إذ هو ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وهكذا كأنني أراه من هذا الغار، وهو ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠] لكل البلاد وكل العباد... فما دام الأمر هكذا إذًا فإن الأمر المنتظر عظيم جدُّ عظيم، ولا خيار إلا بانتظاره.. فإن كان لي من عودة فبعد شهر أو شهرين أو ثلاثة أعود بعدها لأتزود تاركًا الغار، وتاركًا قلبي هنا فيه، ثم أعود من فوري إلى قلبي بل إلى ربي الذي أريده وأنشده وأناشده، وأنتظره ولا أزال حتى لو مت وأنا أنتظره، فوالله ما أحلاه انتظار، وما أحلاها موته في أرفع رباط.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

من هنا وأنا في هذا الغار العجيب الذي لا يسع إلا شخصًا واحدًا فقط، وله شق واحد في مواجهتك عندَ الدخول، ومِن هذا الشق ترى الكعبة واضحة، بينما إذا رفعت رأسك رأيت فتحة إلى السماء كاشفة.

نريد أن نتأمل معك يا رسول الله.. نريد أن نحيا بعض ما عايشته هناك حتى كانت هي حياتك وهي محضنك وهي مصنعك... فأي غار ذاك الغار يا رسول الله ﷺ؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على رسولك سيدنا محمد

ألا هل رأيتم هذا الغار العظيم فلكأن هذا الغار صخرة مربوطة بذروة الجبل، وإذا أردتَ الدخولَ إليه بعدما تبلغ ذروة الجبل كان لا بد لك أن تخطوَ خطوة في الهواء ترى فيها من تحتك الأرض البعيدة وكأن الغار مفصول عن الجبل متعلق بالهواء... بل بالسماء.

أكان هذا الغار باختيار رسول الله ﷺ.. من بين جميع الجبال وذراها الكثيرة المحيطة بهذا الوادي العميق؟!

أليست هذهِ رسالة قد قرأها رسول الله ﷺ، وهو الحاذق الفطن بل هو سيدهم جميعًا... كيف لم يقرأها رسول الله ﷺ ونحن نقرؤها في هذا الزمان البعيد... كيف وهو ﷺ ما عاش هنا إلا وتأمل كل شيء وما فاته من شيء وربط كلَّ شيء بالله رب العالمين..

يا رسول الله عذرًا:

يا رسول الله عذرًا فإن بعضَ قومنا أصبحوا يحملون حجارة يسمونها قلوبًا لكنها أَقسى من صخور جبال مكة الصمَّاء، فهذا جبل حراء شهدك ـ وهو والله يحبك ـ يا رسول الله، ويشتاق لِمجيئك كلما غادرته، ويرحب بك كلما أقبلت عليه.. هذا الجبل الذي شهد ولادة بعثتك، وشهد أولَ كلام الله ﷻ لك، وشهد لقاء جبريل عليه السلام معك، وشهد ما شهد، ولو استنطق اليوم صخرهُ الأصم لَنطق وبكى وأبكى... لكن من الذي يستنطقه؟ من الذي يحدثه ويستمع إلى حديثه..؟ من الذي يُذَكِّره بما يهيجه ويثير أشجانه.. من؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

ولربما يكون قد مرَّ بالنبي ﷺ إلى الغار في بعض الليالي أو الأيام ما يُخيفه... لكن الانجذاب إلى الغار أمر لا يطيق مقاومته ولا يريد، واللذة بإيجاده

بالإشارة إلى أن ما يريده وجود هنا في الغار، ما كان يدعه يفارقه... أي: أن التضحية كانت طابع رحلته ﷺ... وإلا أيمكن أن تكون تلك الليالي في الغار من غير مخاوف، وهو القائل ﷺ: «**لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ**»(١).

اللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد وآله وصحبه..

ﷺ هذا هو رسول الله ﷺ كأنني أرقبه الآن وقد ترك زوجه وأهله ساعيًا برجليه إلى غار حراء... فالحياة هناك... والعيش هناك... والرباط هناك، وليقضي الله في أمري ما يشاء، فإني لن أغادر الغار حتى يأذن لي ربي أو يُعطيني الله بغيتي، وهو ربي الأكرم وهو أرحم الراحمين.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد

ولسوف ينطق هذا الطريق من بيت خديجة رضي الله عنها وحتى ذروة ذاك الجبل المبارك يوم تُحدِّث الأرض أخبارها.. لكن يجب أن نستنطقه اليوم لِيخبرنا عن رسولنا ﷺ، فما عاد عندنا من شاهد نستنطقه سواه، كيف وقد كان هذا هو طريق أعظم مبعوث يوم أن كان أعظم باحث عن سبيل مرضاة ربه تبارك وتعالى، والله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، فامش يا رسول الله ذاهبًا وآيبًا، غاديًا ورائحًا.. ولن ينقطع مشيك الدهر كله إلا أن تدرك غايتك أو تذهب في الذاهبين حقبًا، وأي الرجال يمكن أن يدرك حاجته إذا لم يدركها رسول الله ﷺ؟ وهو الذي تقول عنه حِبُّه عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ عَنِّي - أَوْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ - فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَثَ شَاحِبٍ مُشَمِّرٍ، لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، رُفِعَ لَهُ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٧٢)، وأحمد (١٤٠٥٥) واللفظ لهما، وابن ماجه (١٥١) باختلاف يسير، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني.

عَلَمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ، الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ وَغَدًا السِّبَاقُ، وَالْغَايَةُ الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ»(١)، ودونك الأهداف إذا شمّر لها رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

اصعد يا رسول الله الجبل، فلقد وصلت إلى أول صخراته، وكله صخور مدببة، وملساء ليس فيها درجٌ ولا مَمْسك، لكن مَن يقدر على الحيلولة بينك وبين الصعود وقد عزمت على صعود الجبل؟ مَن يمنعك من الصعود ولو كانت الصخور حرابًا؟

اصعد فلقد جمع الله لك في صعودك هذا المعاني والمباني معًا.. جمع لك الحركة الحسية والحركة القلبية معًا... حركة النَّفْسِ والنَّفَس معًا.

فَصَلَّى الله عليك وسَلَّمَ يا رسول الله

اصعد برجلك فإذا بقلبك يتناغم مع بدنك صعودًا ويسبقه.

فَصَلَّى الله عليك وسَلَّمَ يا رسول الله

اصعد فحرارة النَّفَس في تزايد، وحرارة النَّفْس في صعود من شدة الاشتياق.

فَصَلَّى الله عليك يا رسول الله وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا

اصعد إلى الأعلى فإنك بكلِّ خطوة برجلك تصعد وتعلو معها فتصعد همتك أضعافًا مضاعفة وتعلو.

اصعد إلى هاتيك الذُّرى في منتهى الجبل... فلقد بلغتَ هناك قبل أن تصل الذروة؛ لأنك أنت الذروة.. وأنت ذروة الذرى، والجبل بذراه قد غدا تحتَ قدميك يا رسول الله ﷺ...

اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٤١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٩)، وذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ٢٥٠)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٢٩٤): فيه مجالد بن سعيد مختلف فيه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦١): فيه سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠/ ٤٧٧) رقم (٤٨٧٢).

هكذا هو الأمر، فإنه لا يملك مَن ينظر إلى رسول الله ﷺ بعيني بصيرته إلا أن يشاركه، يعايشه... تلهج أنفاسه وهو يصعد.. يعيش حرارة اشتياقه إلى ذروة الجبل، وقد جرَّب هناك الأُنس حيث يظن الناس وحشة، ولذة المكث مع الوحدة إذ ظن الناس آلام فراق الزوج والأهل والعشيرة والأَحبة، وأمان المخاوف إذ لا يدري الباقي طوال الليالي هناك بحيوانات جبلية مثل القرود الكثيرة صغيرة وكبيرة، وقد نبهني بعض الباعة محذرًا إياي متخوفًا على أبنائي الصغار، ويخبروننا بقصص حدثت أمام أعينهم وقصص تحدث بالليل لِثلاجاتهم التي يتركونها في نفس المكان.

فكيف لا يكون خوفنا على رسول الله ﷺ ونحن كأننا معه أي والله، وهو والله أحب إلينا من أبنائنا هؤلاء بل شعورنا أننا معه يومذاك هناك، ونحن لا نملك إلا أن يتملَّكنا الخوف على رسول الله ﷺ إذ هو هناك ليلًا ونهارًا، ولا يهدأ لك روعٌ ويرتفع عنك ما ألم بك إلا حين تذكر أو تُذكَّر بأن رسول الله ﷺ قد مات في السنة العاشرة للهجرة.

وهذا يجعلك تواصل الصلاة والسلام عليه بنوعٍ آخر وطعم آخر ومشاعر أخرى ما دمت تواصل المسير معه في حياته حدثًا إثر حَدَث وقصة إثر قصة، وربما تملكتك القصة الواحدة ساعات طويلة وأنت مأخوذ القلب واللسان بالصلاة عليه لا تبتغي بل لا تستطيع مغاردتها.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

وكل صلاة منها لها روحها الحقيقي، وكل صلاة تقربك من رسول الله ﷺ أكثر فأكثر، وكلما أكثرت الصلاة والسلام عليه بهذه الروح كلما اقتربت منه منزلة في الآخرة، فلقد قال النبي ﷺ: «**أكثِرُوا عليَّ من الصلاةِ والسلام يومَ**

الجمعة، فإن صلاة أمتي تُعرَضُ عليَّ في كلِّ يومِ جمعة، فمَنْ كان أكثرهم صلاةً كانَ أقربَهم منِّي منزلة»[(١)].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد

إن الجزاء من جنس العمل، ولولا القرب الذي عاشه هذا المحب في الدنيا وهو يُصلي على رسول الله ﷺ لَما كان جزاؤه القرب منه في الآخرة، وما الإكثار عليه من الصلاة والسلام إلا مظهرًا لِما توقد في القلب من التفكر في الرسول ﷺ، وفي عظمته وعظمة قربه من ربه، وعظمة كلِّ حدثٍ من أحداث حياته، وعظمة حياته كلها، وأما الإكثار من صلاة النافلة نفسها مع الغفلة فإنها لا تُساوي لحظة تفكر صادقة واحدة في ركعة واحدة، ولحظة صدق واحدة من التفكر المثمر لتنقل العبد درجات وأي درجات، وكل درجة منها مسافتها كذا وكذا... فكيف لا تكون الصلاة على النبي ﷺ كذلك؟ وكيف لا تكون الصلاة على رسول الله ﷺ قربة في الآخرة إذ كانت كذلك في الدنيا؟ ثم أي قربٍ في الدنيا مثل القرب إليه وأنت في منزلة الإحسان؟ أي: تصلي عليه ﷺ كأنك تراه.

وهكذا يكون سبب القرب منه في الآخرة، هو القرب منه في الدنيا، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**»[(٢)]، فإن الولاية هنا أولى ما تكون بولاية القلب، وهكذا هي في أصلها، وفي حياته ﷺ، ومن زعم ولاية وقلبه لم يتوله ﷺ ردَّه الله ﷻ إلى الحق، أو فضحه

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الحافظ في الفتح (١١/ ١٦٧): لا بأس بسنده. أفاده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لكتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، وقال الألباني في صحيح الترغيب ج٢ ص ٢٩٧ رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٩١١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٤) رقم (١٦٦٨): حسن لغيره، فالحديث قد حسنه الألباني والحويني.

الله، ولهذا كان الحب والفداء وكان التولي والولاء، وهكذا فإن الولاء والحب لا يبلغ مقامه المذكور إلا أن يكونَ صاحبه عظيم التعظيم لرسول الله ﷺ ويكون كثيرَ الصلاة على رسول الله ﷺ، وقد بينا هذا الأمر في بدايات البحث، ولله الحمد.

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد

يا رسول الله ﷺ: أنت سيدنا وأنت معلمنا ومعلم الناس كافة، وأنت الرحمة للعالمين... أنت تعلم أن الانتظار المأمول من أصعب الأشياء، وساعتهُ الواحدة بساعات... مَن عايش هذا الانتظار مثل معايشتك؟ ومَن انتظر مثل انتظارك؟! وكفاك آنذاك أن الله سبحانه هو الواحد الأحد الذي يعلم بحالِك ويعلم بذراك في انفعالك، وتَعَطُّشكَ لِما لا تعلم، لكن الذي استقر هو أنه الخير، وأنه أصبح على الأبواب.

هكذا يقرِّب الله سبحانه عبده أحيانًا، ويبعده أحيانًا أخرى ليقرِّبه بعدها أكثر، وهكذا يربي الله عبده حتى يبلغه، وليمحِّص الله سبحانه قلبَ عبده تمحيصًا، وينقيه تنقية، وينخله ويغربله ويُزَكيه، ويملؤه بما يريد وبما يحتمله العبد شيئًا فشيئًا... ومتدرجًا درجة بعد درجة، ومرحلة إثر مرحلة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣]، وهو أرحم الراحمين، وهو سبحانه أرأف بعبدِه من أمه وأبيه؛ ولأنه أعلم بما يصلح عبده من نفسه التي بين جنبيه، وهكذا تستمر تربية الله ﷻ لعبده تهيئة له حتى يبلغه ما أعده الله ﷻ... كلٌ حسب درجة.. تُرى فمتى يبلغ رسول الله ﷺ نقطة الابتداء؟ متى؟ ألا ما أعلاها من درجة وإلا فإن الله سبحانه قادر أن يهيئ رسوله ﷺ مرة واحدة... هكذا كان غار حراء كأنه هو الرحم للجنين لِولادة البِعثة والمبعوث، وكحجر الأم لمن لم يكن في البيت أب ولا أم... ذاك هو.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله...

ألا ما أعظم هذا الغار... بل ما أعظم رسول الله ﷺ.. ألا ما أعظم ربنا ﷻ وما أعظم رحمته ورعايته لرسول الله ﷺ.

فهل لك هنا إلَّا أن تُصلي على رسول الله ﷺ، بل والله لكأن العبدَ هو من يستأذن رسول الله ﷺ أن يتوقف عند هذا الحال في الغار إجلالًا إذ هو على باب الغار ليُطلق للسانه الصلاة على رسول الله ﷺ، مغترفًا من هذا البحر من تعظيم رسول الله ﷺ والذي تولَّد في قلبه وانبعث منه صلاةً وسلامًا عليه.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد....

ليل حراء: ها هي الشمس قد غربت، ونصب الليل شِراعه على القمم والآكام، والسهول والوديان... ها هو الظلام يحجب مكة وأهلها، ها هو الظلام يقترب ويزداد حتى بدأ يحجب هذه الجبال القريبة، ها هي الحياة في الغار تأخذ طعمًا آخر... فكيف ستقضي الليلَ الطويل في هذا الغار في وحدتك يا رسول الله عليك الصلاة والسلام.. وإن تصبرت الليلة فكيف تتصبر في التي تليها، وكيف تتصبر الليالي الكثيرة القادمة؟ أتقضيها قيامًا لليل - وأنت عليك الصلاة والسلام - لم ينزل بَعْدُ عليك قرآن، ولا تعرف من الأذكار بعد ما تعرف، والوحي لم يأتك، وكل ما أتاك بعد البعثة إنما هو من الوحي، واليوم لا بعثة إذًا فلا وحي؟!

فَصَلَّى الله وسَلَّمَ عليك يا رسول الله

وأَكْثِر من الصلاة والسلام هنا على رسول الله ﷺ.

لا شيء إذًا.. لا شيء إلا هذا الظلام المحيط.. لا شيء إلا تفكرًا في هذا الظلام نفسه.. تفكرًا يخرق أطباق الظلام، لا شيء إلا نورًا يجعله الله في قلبك يا

رسول الله ﷺ يُشرق به القلب فتشرق المساحات المظلمة من حولك، وتأنس به في ظلمتك...

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

تغمض عينيك في ذاك الظلام مرارًا وتكرارًا كعادة المرء إذا أَخذ في التركيز في فكرته فتزداد الظلمات التي من حولك ظلامًا... لكنه يشرق في داخلك ـ هنا ـ نورًا لا يمكن وصفه، فتنجذب إليك الأنوار التي لا تحصيها، هنا تُصنع نفسك الجديدة صناعة، هنا يصنع الله ﷻ التغيير فيك أولًا قبل أن تنتقل، هنا يقع ما يُسميه ربنا سبحانه انشراحَ الصدر شيئًا فشيئًا... هنا يكتشف الإنسان روابط عظمى مع ربه ﷻ... هنا في وسط هذا الظلام تتولد الآمالُ العظمى لِتحقق الروابط والمعرفة العظمى بالله ﷻ، هنا يلهج القلب على الدوام يطلب المزيد كلما جاءه المزيد، هنا لا توقف من المزيد، ولا انقطاع عنه أبدًا.

هنا يقطع العبد ما يقطع من مسافات الإعداد للأمر المنتظر في داخله أولًا وقبل كل شيء، بينما رسول الله ﷺ يقطع ما لا يُحصيه إلا الذي يربيه.

هنا يأتي عبدٌ يمشي وآخر يُهرول ويأتي رسول الله ﷺ بصدق وتقرب واقتراب لا يعلمه إلا ربه..

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

فسبحان مَن رباك يا رسول الله ﷺ هذهِ التربية الخاصة العظيمة في هذا الغار، والتي لن نفهمها حتى نفهم ما أنزل الله بعدها.. فسبحان مَن أنزل عليك أول ما أنزل مُعَرِّفًا نفسه إليك ﷻ إذ قال لك: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فهو ربك – تبارك الله رب العالمين –.. ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣] تأكد منها ثانية وثالثة إلى الأبد... إنه ربك أنت هنا، إنه يُربيك هنا.. كل التربية هنا، كل الإعداد للقادم هنا..

هنا المزيد ثم المزيد وبعده المزيد ولا انقطاع أبدًا لأنه الأكرم... ووجودك في هذا الغار لَمن أعظم صور الإكرام بالتربية والإعداد لِما بعدها، فأنت هنا كريم على الله، وتُكْرَم من الله، وتعدُّ لكرامة لم يكرم بها سواك، حتى وإنْ كانت الصورة شديدة، والمسافة عن البيت بعيدة، والوحدة فريدة. فاللهم صل وسلم عليه

أرأيت كيف رَبَّى الله رسولَه ﷺ شيئًا فشيئًا... مرحلة مرحلة، درجة درجة... حتى بلَّغه سبحانه بينما وهو ﷺ يودُّ الاستعجال إنقاذًا للناس ورحمة بالناس، وطمعًا فيما يظن أنه ينتظره عند الله، ألم تقل عائشة رضي الله عنها: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْـمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ **فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ،**

فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟! قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ»(١). نعم، تغيب مكة وما حولها يا رسول الله ﷺ في هذه الليلة، ولا يرى من حوله في غاره إلا الصخور القاتمة السوداء، وهذا جزء من إعداده رسول الله ﷺ، **فإن هذا سيدفعه دفعًا أن يتبع بصره النور**، ولا مصدر لِنوره ﷺ هذا الذي ينتظره إلا من رب السماوات ورب الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، هذا هو مصدر نورك، فبأي شيء يطمع رسول الله ﷺ من الأرض وأهل الأرض، فلا مرجعية له في الأرض كلِّها، ولن ينظر ﷺ طامعًا طامحًا متطلعًا إلى مستوى الأرض ولا مستوى الجبال التي قد أصبح رسول الله ﷺ هو فوق ذراها الآن، فأنى لقلبه ﷺ أن يتعلق إلا في أعلى العُلا.. فإذا عرف هذا فمِن هناك الخير كله...

وهنا والحال هذا لن يبقى أمام رسول الله ﷺ طريق إلا التدبر في ملكوت السماوات والأرض ليبلغ به حيث ما يريد هو سبحانه من ذرى اليقين، ثم يمنحه ما يشاء من الذرى بل وفوق ما يريد، كما قال سبحانه عن أبيه خليل الرحمن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

فاللهم صلِّ وسلِّم على رسول الله

(١) أخرجه البخاري (٣).

ومن هناك.. من ذرى حراء يشهد رسول الله ﷺ كيف يُقلب الله الليل والنهار شهادة بعينيه، وهي في كل يوم تحفز في نفسه فكرةً وإشراقةً ورسوخًا، وما من يوم مثل يوم، ولا فكرة مطابقة لِفكرة.

فَصَلِّ اللهم وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

وكما يَشهد الرسول ﷺ كيف يُقلب الله الليل والنهار، فإنه الآن يَشهد كيف يولج الله النهار في الليل كما شهد بالأمس وما قبله كيف أنه سبحانه يولج الليل في النهار... إنه ﷺ يقف على البرزخ الزماني اللطيف لكل يومٍ من الأيام ولكل ليلة من الليالي... وحي خفي من الله إليه يهديه للحق ويبين الحكمة وكأنه ينبعث مما حوله وما فوقه وما تحته... فلا مجال للعَرضِ اليوم، ولا للغفلة، ولا للسدور، إنها معرفة الدقائق والحقائق لمعرفة الحق فتبارك الله رب العالمين.

وهل يظن الظان أن وقفة رسول الله ﷺ تشبهها وقفة؟ وهل من أَحد من الناس يملك أن يتوقف هذا التوقف ويتدبر تدبر رسول الله ﷺ؟ وهل رعاية الله لأي مُعَانٍ من قَبْلِه سبحانه كرعايته لرسوله ﷺ وإمداده إياه بأفكار الفتوح وفتوح الأفكار وأنوار الأسرار وأسرار الأنوار كإمداده لرسوله وحبيبه رسول الله ﷺ؟

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وزِدْ وبارك على سيدنا ونبينا محمد
اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد
وآل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وآل محمد.

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه.. ورضا نفسه.. وزنه عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه.. ورضا نفسه.. وزنة عرشه، ومداد كلماته.

الطلوع من الغار: هناك يشهد رسول الله ﷺ كل شيء واضحًا... يشهده وهو بالنسبة لأهل الأرض الأعلى وإنه لكذلك.. هنا يُريه الله كل شيء إذ هو في الأعلى... ليس بزائر ولكن مستقر لا يعلم هو ﷺ مدة استقراره، لكن ربه ﷻ وحده يعلم كم سيبقى هنا ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:٨-١١].

فاللهم صلِّ وسَلِّم على رسول الله

من هنا يُريه الله ﷻ حركات وتحركات كونية لم نرها نحن بل رأينا آثارها.. هنا يُريه الله سبحانه الفجر الصادق والفجر الكاذب، ويُريه إياه - فيما يبدو لنا - من الأعلى فكيف سيراه.. وكيف سيطلع عليه وهو قد عاشَ ليلته وينتظر الفجر علَّ الفجر هو الفجر المنتظر كما اعتقد.. فإن من عادة الناس أن ينتظروا الخبر السعيد صباحًا، ويُربطون الانفراج بالفجر، والانفجار كما يعرفه العرب من انفجار الماء وانفجار النور، وانفجار العلوم وما إلى ذلك بالفجر ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٧-١٨].

وهل جلس رسول الله ﷺ هنا إلا انتظارًا للفرج..؟ إنه يُريد شيئًا من ربه سبحانه لِيعود به إلى قومه، وهو لا يدري ما هذا الشيء، ولا يعرف تحديدًا عن ربه إلا ما سمعه من كلمات هنا وهناك، فالتقط ما فيها من حقٍّ وذهب الباقي.

ولهذا كان لِذهاب الظلام ذهاب الغمَّة، وكان لِمجيء الفجر بعد الظلام انفراج عليه ﷺ، بل انفراج على الأمة... التي لم تكن وقتها شيئًا مذكورًا.

إنه ﷺ يشاهد اليوم الضباب وهو المسحة البيضاء الندية.. ولمسة الندى الحانية الطرية الذي موعده في جزيرة العرب في العادة الطلوع، أي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.. ثم يرى الشمس كيف تمسحه عن جبين الوجود...

وهو حينما يطلع على هذا المظهر وأمثاله إنما يراه من زاوية لم يرها من قبل، والحقيقة إنما يُريه الله ﷻ تفاصيلَ التصاريف الإلهية، والنعم الرَّبَّانية، وإحكام الأقدار، وعظمة الفلَك، ومهابة القدرة، ودقة التدبير، فما من شيء إلا وله عندَ رسول الله ﷺ الآن ارتباط محكم بربه ﷻ، فهو الخلاق العليم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. إنه تلقى الحكمة، ولقد قال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيتم الرَّجل يطيل الصَّمت، ويهرب من النَّاس، فاقتربوا منه فإنه يُلقَّى الحِكْمَة»(١)، أما الصمت هنا فهو شيء آخر في هذا الغار، إذ الصمت يعم الوجود من حوله ولا حديث هنا إلا ما يسميه الناس حديث النفس في الصدر، وهو في الحقيقة حديث وحي الله إليه كيف يشاء الله، عن ما يشاء الله من أشياء من فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وعما في داخله، وعن أبواب غيوب لم يطرقها في حياته مرة، وإلا لِمَ ساقه بلطفه وفضله سبحانه إلى هنا...؟ فعقله ﷺ مستنفر عن آخره، وكل شيء يطلع له ويراه يهديه إلى مآله ومرجعه.. كل شيء يهديه إلى الله... إذ يتبين أن كل شيء من عند الله.

لا تقل: هذه أمور صغيرة وتلك كبيرة.. لا تقل: هذهِ غلالة صغيرة من

(١) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٨٩).

ضباب ساقتها نسمة ريح لا تكاد تحس ولا ترى، وتلك ظاهرة كبرى هي الشمس التي لا توقف ولا يملك أحدٌ إيقافها عن مجراها ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]...

هو ﷺ هنا يرى الحشرات الصغيرة، ويرى النسر الذي يسكن الذرى وهو ملك الفضاء..

فقد تجذر في اليقين، وطاف بمنازل الإحسان والمحسنين، وأصبح يرى رؤيا العِيان إحكام العظمة الإلهية في التدبير، فالصغيرة كالكبيرة سواء بسواء، لا شيء عَرَض، ولا شيء فجأة، ولا شيء صدفة، ولا شيء فرط، ولا شيء منفلت هنا، وهكذا سوف تراه بعد ذلك في كل شيء.. وهكذا أنزل الله عليه من سورة البقرة بعد ذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وأنزل عليه سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ١-٦].

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد...

يا رسول الله لقد جعلك ربك ﷻ في موقع تدرك فيه حركة الزمان حين تدرك المحرك الأعظم الذي جعله الله سبحانه لليالي والأيام، أَلا إنه حركة الشمس التي تشهد قرصها وهو يبزغ من الأسفل كما لم تشهده من قبل.. ولا يزال يطلع على الوجود شيئًا فشيئًا ليترك مع هذهِ الآية الكبرى من هذا الموقع ليبني في نفسك ما يريد الله سبحانه، وترى هذه الآية التي تصعد وتصعد ولا خافض لصعودها، وإذا انخفضت فلا رافع لانخفاضها... لتكون لك آية وتكون لك حجة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ألا يا أعظم متدبر متفكر ويا أحسن مُدَّكر: لا لم يفتك أبدًا أن هذهِ الشمس العظيمة التي هي أعظم ما تراها العيون في السماء، ما هي إلا نقطة صغيرة في عالمٍ لا ترى ولا تعرف له نهاية... ولولا أن ذاك الوجود الأعظم الذي لا نراه محكمًا في غاية الإحكام لما كان هذا الوجود الذي نراه محكمًا في غاية الإحكام...

وما الشمس إلا نقطة الالتقاء ما بين هذا العالم وذاك... بل إن كل نقطة في هذا العالم الظاهر لنا هي نقطة التقاء بين العالمين مهما صغرت ومهما كبرت.. ولو كان ثَمَّ اختلال في أصغر نقطة لاختلَّ كلُّ شيء وانفرط الإحكام... وصدق الله الذي أنزل عليك القرآن وقال في أول سورة الرحمن: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٥-٧].

وهنا تأتي البدهية العقلية تقول في عقل أعظم عاقل وهو رسول الله ﷺ: تُرى لو كان لِهذا الوجود الكبير الواسع الذي لا ترى له نهاية، ولا لِمخلوقاته عدٌّ ولا حدٌّ... أكثر من صانع أما وقع اختلاف، واضطراب، وتصادم.... بين ما نراه وما لا نراه، بين بعضه البعض... أيمكن أن يبقى طوال هذا العمر الذي لا نعرف له بداية ولا ندري متى النهاية بإحكام وتدبير، فلا اصدامات، ولا تدمير، ولا انفراط، ولا زوال؟

حقًّا إنها العَقيدة العقلية القطعية التي توصل إليها رسول الله ﷺ حتمًا، وهي التي يقول الله فيها: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠-٣٥].

وهكذا تترسخ عندَ رسول الله ﷺ وحدانية الله.. ترسخها في الوجود كله...

فأي بناءٍ يبنيك ربُّك يا رسول الله؟!

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

هكذا تمر المظاهر وتتجدد الأحداث... وكأن الله ﷻ جعل لكل شيء رسالته ووحيه لعبده ورسوله محمد ﷺ.. وكأن كل شيء في الوجود اليوم إنما يريد أن يوصل رسالته لرسول الله ﷺ.

دقق النظر، وعمق الفكر والتفكر في الشمس وفي حركتها خاصة يا رسول الله ﷺ، فإنك سوفَ تعلم يومًا من الأيام قريبًا عرفت يا رسول الله عليك صلاة الله وسلامه أن لكلِّ مسافة تتحركها الشمس حكمًا في دِينك القادم وأنت الآن لا

تدري، فإنه وبمجرد طلوعها سوف تعلن انتهاء وقت صلاة الصبح، وإذا ما طلعت لا تحل الصلاة لأمتك حتى ترتفعَ قيد رمح أو رمحين، وإذا ما استوت في كبِد السماء وزالت قليلًا دخل وقتُ صلاة الظهر، وهكذا وهكذا، راقبها جيدًا في هذا الموقع إذ أنت الآن متفرغ لِهذا لتكون هذهِ العلاقة معها لا تحتاج إلى مراجعتها بعد ذلك... بل راقب ظلها وراقبها بعد الغروب فإن صلاة العصر سوف تُفرض عليك من خلال النظر في حركة ظلِّها، فإذا كان ظل كل شيء مثليه وجبت عليك وعلى أمتك صلاةُ العصر، وإذا ما غربت غروبًا كاملًا لقرصها وجبت عليك صلاة المغرب، وإذا ذهب ولحقها شفقها الأحمر وغاب وجبت عليك صلاةُ العشاء... إذًا فهذه الآية تُحدثني كذلك عن أمة لي تبلغ مشارق الأرض ومغاربها... أمةٍ لا تغيب عنها الشمس... أمةٍ لها شرع من ربك هو أعظم من الشمس ومما طلعت عليه الشمس؛ لأن شرعَها إنما هو شرع الله الذي شرعه لها، والشمس خلق الله، وشرعها هو الشرع الذي يَصلح لكل مَن تطلع عليه الشمس وتغرب، وشرعها لا يَزول وإن طلعت الشمس من مغربها.

فأي أمة عظيمة سوف تُشرق شمسُها إذا أشرقت شمسك أنت؟ وبغير شمسك فلا شمس، ولا عبرة بهذِهِ الشمس العظيمة، فإن هذِهِ الشمس العظيمة ما تزال تُشرق وتَغيب منذ زمان سحيق ولا تغيير ولا تبديل.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد
وعلى آل محمد... اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد...

آه ثم آه... فقد طلع النهار! وعند طلوع الشمس تنكشف الحقيقة التي فرَّ النبي ﷺ منها إلى هنا يومذاك طالبًا العلاج في هذا الغار...

حيث تظهر في ظهور النهار قريشًا ومساكنها حولَ الكعبة، وتظهر المسجد الحرام وفي وسط صحنه الكعبة المشرَّفة ومن فوقها الأصنام، ومن حولها

الأصنام صغيرة وكبيرة، ويظهر الطائفون حول البيت العتيق واحدًا هنا وآخر هناك، وتظهر من بعيد مجالس لقريش، فمجالسهم حول البيت العتيق.. فمتى يتغير هؤلاء إذا كان هو ارتباطهم الوثيق كل يوم وكانت الكعبة بهذه المحورية لهم، وكان هذا هو أعظم إرث لآبائهم تركوه لهم، فهو ليس معتقدًا فقط، إنما هو موروث يحمل عزته وشرفه وثقل أمانته كما يعتقدون من آبائهم الأولين، وشياطين الإنس والجن على هذا متناصرون... أفيتركون هذا الأمر لِكائن من كان؟ أفيُسلمون هذه الراية لِسواهم دون أن يُسْتَأْصلوا؟ أَيَهَبُون الكعبة لِمَن يريدها تنظيفًا من الأصنام؟

هكذا تتجدد الهموم والغموم والعناء على رسول الله ﷺ، وتذهب الآمال التي أشرقت على رسول الله ﷺ حين غابت الكعبة في ظلام الليل عن عينِ رسول الله ﷺ.

بل هكذا كان يربي الله رسولَه ﷺ كلَّ يوم وكل ليلة... فالنهار يظهر الرجال الذين يبْلغهم بصر النبي ﷺ لأنهم كانوا ذوي أبصارٍ حديد لِما يعيشونه في الصحراء والفضاء ونظافة الأجواء والسماء.. وكل واحدٍ من هؤلاء الرجال يحمل في نفس رسول الله ﷺ من الشرك والعنجهية والذود عن الباطل والظلم وما إلى ذلك مما يسند هذهِ المعتقدات الباطلة عن الأصنام التي حول الكعبة، بل كانت لكلِّ قبيلة آلهتها... فيا ويح مَن يريد التغيير ماذا سيواجِه؟ وماذا سوف يغير؟ ومن سيواجه...؟

فيا رسول الله إلى أين الملتجأ...؟ إلى أين المنتهى...؟ إلى مَن تذهب...؟

وهكذا يعيد النهار رسول الله ﷺ إلى واقعه الذي ينتظره، وهكذا هو ينظر إلى ما اختزنه في الليل من شحنة إيمانية في داخله حين تصطدم بهذا الواقع الأصم الأعمى الأبكم الأهواج.. وهكذا هو يلتجئ إلى ربه - الذي هداه لِهذا

الطريق وأوصله إلى هذا المكان - التجاء مَن يرى الهدف أمام عينيه ولا يبلغه، من يرى عدوَّه وما يعبد رأي العين فيواجهه مواجهة أنثى الوحش وهي ترى مَن يريد اختطاف صغيرها من بين يديها!

فالتجاء الليل له دوره، والتجاء النهار له دوره، وكل التجاء جناح يطير بالرسول ﷺ إلى ربه أسرع وأسرع، وما الليل والنهار إلا جناحان يطير بهما النبي ﷺ ويعرج، ولا تدري كيف يكمِّل رب العالمين رسوله ﷺ، إذ هو في وحدته في هذا العالم، وعن هذا العالم؟ ولا تدري كيف ينهل النبي ﷺ من آية الليل وآية النهار؟! وكيف ينهل، وكم ينهل، فهي تمده بجداول وأنهار لا عدَّ ولا حصر لأشكالها وأنواعها وأعدادها، كلها تفرغُ أحسن ما فيها في بحر قلبه ﷺ.

لكن كما يقلب الله الليل والنهار فتخصب الأرض وتتطهر بالشمس... ويقلب الله الليل والنهار فتكون السحب في أوانِها وتنزل الأمطار ويغيث الله الخلق من بعد ما قنطوا وينشر رحمته... ويقلب الله سبحانه الليل والنهار فتطيب الأجواء وتخضر المراعي ويبثُّ الله فيها الحياة في صورة حشرات وأنعام وأزهار وأطيار... ويقلب الله الليل والنهار ويشد البرد ويشد الحرّ لِتنضج الثمار... هكذا هي سُنّة الله سبحانه.

إنه ﷺ بهذِهِ الأجواء الإيمانية يوقن سيد الموقنين ﷺ أنه لا يأس أبدًا، وأن أمر الله ماضٍ أبدًا، وأن الله سبحانه لن يرجع أبدًا، ولا يعجزه شيء أبدًا، وأنه سبحانه بالغ أمره أبدًا، فأكْثَرُ غذاء روحه ﷺ في ليله حين تغيب كل الصور الحجرية والبشرية عن ناظريه، وأكثر غذائه العقلي حين تطلع الشمس عن الكعبة وما حولها من المخلوقات وما حلَّ بها.

وهكذا يَعْرِض النبي ﷺ تلقائيًّا زاد الليل في سوق النهار الجديد، كما يعرض زاد النهار في سوق الليل الجديد، وهكذا يستمر هذا الأمر ما طلعت

الشمس وما غربت، وهكذا يُمَحِّص الله نفس نبيه ﷺ وعقله كل ليلة وكل نهارٍ تمحيصًا لانظير له.. تمحيصًا هو سبحانه يعلمه، أليس الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣]... وما من ليلة تشبه ليلة، وما من نهار يُشبه نهارًا في آثارهما وثمارهما وعروجهما بالنبي ﷺ... فالله هو الذي يعلم كيف يُربِّيه ويعدُّه إعدادًا ويصنعه صنعًا، وهو القائل لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه:٤٠]، وهو القائل لرسوله ﷺ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

وهو أعلم سبحانه بما يَخص به رسول الله ﷺ ويعدُّ ليكون رسول الله ﷺ ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم

مدرسة الغار العظمى: لن يكون مكثك في الغار يا رسول الله ساعة ولا ساعتين، ولا ليلة ولا ليلتين... إنما هي مدة مفتوحة لا يعلم منتهاها إلا الذي أخرجَك من بيتك بالحق وأنت لا تدري والناس لا يعلمون.

نعم هنا في هذا الغار الضيق... الصغير.. الصخري سيكون مجلسك، وفيه سيكون مضجعك.. وفيه ستكون وحدتك.. وفيه ستكون حركتك.. وفيه سيقلبك ربك كيف يشاء.

هنا سوف تشرق عليك الشمس وتغرب، ويضمك الليل وتعيش سكونه وسكوته وطوارقه، ثم يسلخه النهار، وهكذا ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس:٣٧-٤٠]، هكذا يمر الليل

على الخلق جميعًا فكيف يمر على مَن أدخله الله ﷻ مدخلًا مباركًا لا نظير لبركته.. خاصًّا لا نظير لخصوصيه... قريبًا لا نظير لقربه.

هنا الليل والنهار يستويان من حيث أن لا بشر ولا حياة ولا حركة إنسان ولا دابة تدب على الأرض.

هنا لا شيء قريب، اللهم إلا هذا الصخر الكاتم القاتم الأصم، **فماذا يمكن أن تستلهم يا رسول الله ﷺ من الصخر إلا طبع الصخر** وصِبْغَة الصخر؟!

لا والله، فبأمر الله يكون الصخر شيئًا آخر، ويكون للصخر درس آخر، وتكون مدرسة حِراء الصخرية مدرسة الخير العظمة للبشرية، حيث أن الله ﷻ أخرجك من بين أصخر الناس قلوبًا تنزيهًا لك عنهم وإكرامًا لك هنا مع هذا الصخر منزهًا الصخر عنهم وعن قلوبهم القاسية وأخلاقهم الخبيثة الجافية: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

ابقَ هنا يا رسول الله ﷺ، في هذه المدرسة، وانظر لنفسك بعد ذلك.. وكيف سيُهيئك ربك سبحانه لِتَلَقِّي كلام الله العظيم..؟ وكيف ستنتقل بالرسالة من هذا الغار إلى العالم كلِّه؟ نعم إلى العالم كله، ولكن النقلة لن تكون بغير المكث في هذا الغار.

من هذا الصخر سوف يُعلمك ربك سبحانه أحسن العلم، ويربيك أحسن التربية، وأحسن الخُلُق، ويُهيئك أحسن التهيئة لِوَحْيِهِ، نعم من هذا الصخر يُعلمك ربك... ومن بين هذا الصخر سوف يخرجك للعالمين قريبًا.

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

هنا كل شيء ينطق بالعلم والحكمة لكن لا يسمعها ولا يراها ولا يتعلم منها إلا من شاء الله له أن يتعلم...

فالعبرة ليست بالجماد ولا بالحيوان ولا بالنبات ولا بالإنسان ولا بالسماوات ولا بالأرض... إنما العبرة بالمعلِّم الذي يُعلِّم.. الله الذي يُنطق ما يشاء بما يشاء كيف يشاء، ويسمعه ويريه ويفقهه من يشاء من خلقه ﷻ.

وسبحان الله فإن من عَوَّد عقله على أن يستخرج العلم من الصخر ويفجر الحكمة من الحجر، ويستنطق الحجر علمًا فينطلق بالعلم، لهو عقل لن يقف أمامه صعب أبدًا، ولن تُعجزه معضلة أبدًا، نعم! فلقد كان أصحاب الكهف أهل دعوة وثبات وغيره على وحدانية الله، وفداء في سبيل الله، إلا أنهم ما أووا إلى الكهف حتى ناموا، وكان نومهم آية، وكان حماية، أما رسول الله ﷺ فكان مستيقظًا مستنفرًا، متعبدًا، متحيرًا، مهمومًا... فالتجأ إلى ربه.. ليس عندَه كتاب ولا هو يتبع رسولًا.. إنما هو الهائم الذي يطلب النور الذي يشرق له، والحبل الذي يوصله.

حقًّا من هذا المكان الصخري تعلم رسول الله ﷺ اللطف والرفق، ومنحه الله ﷻ ما رجاه أصحاب الكهف ودعوا به ربهم عندَ أول دخولهم إلى كهفهم أو قبيل ذلك، فذكر سبحانه عنهم فقال: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦].

وكان هذا أول درس عملوا به بعد استيقاظهم بعد ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

وما أحسن التلطف إذا مسح الله به كل أخلاق الإنسان، ما أحسن الرفق إذا

رافق كل خلق من الأخلاق، فهو الخير كله كما أخبرنا رسول الله ﷺ فقال: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرمِ الخيْرَ كُلَّهُ»**(١)، وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»**(٢)، وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ»**(٣)، وقال ﷺ: **«إِنَّ الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ»**(٤).

وهل من أحدٍ قط يحتاج إلى الرفق أكثر من حاجة الداعي إلى الله ﷻ؟

وربنا ﷻ يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ويقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

هنا لم يصنع الله ﷻ من الصخر رفقًا، ومن الصلادة رقةً، بل صنع منه خلقًا... وأي خلق مثل خلقه ﷺ فلا والله ليس الرفق وحده بل الخلق الحسن كله.. فلقد وَضَعَ الله ﷻ له أُسُسَه وقواعده الأصلية في هذا الغار المبارك.. ذلك أن التدبر والتأمل والتفكر والاعتبار في الليل وفي النهار إنما كان هو شغله الشاغل.. هو وسيلته الموصلة، وهو طريقه وطريقته.... وأي طريق كان لرسول الله ﷺ هناك إلا التفكر في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، وفي أيام الله

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٦٩٢٧).
(٣) رواه مسلم (٢٥٩٣).
(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

التي يعرفها هو ﷺ، وفي الأحداث الماضية والواقعية، وفي هؤلاء القوم وما في هذا العالم...

وكان التركيز على العقل.. فالعقل هو أكبر العاملين إذا ما توقفت كل الأعضاء الأخرى عن العمل، وهكذا يقوى كل جهاز بقدر ما يُدرِّبه الإنسان، وبقدر ما يركز عليه تركيزًا صحيحًا، فكيف والأمر في ذلك إنما هو الله ومن الله وبرعاية الله وبهداية الله وفي ملكوت الله، وفي أيام الله، انتظار فرج الله انتظار خير الله.

لكن هذا الأمر كله ما كان ساعة في يوم ولا ساعتين ولا هو يوم ولا يومين، إنما كان هو الميدان المفتوح له فيه، فأسرج خيول عقلك وارحل في هذا الوجود طوال الليل والنهار...

إذًا فإن أعظم الأمور التي تأسست هنا في هذا الغار هو التدبر والتفكر والصبر في هذا الشأن، حتى وإن بعدت النتيجة، بل حتى وإن لم أعرف أَنني سوف أدرك نتيجة أو لا أدرك... فهو إذًا حسن النظر في مآلات الأشياء، وعدم أسر المظاهر للفكر، أو التوقف عند الأحداث والشخصيات واستعبادها لعقلك وحبسها له وعدم قدرتها على فك أساره.

وهذا البعد في النظر هو الذي ربّاه الله عليه ﷻ حسًّا ومعنًى، فما من شيء قريب يشدُّ النظر، ويخطف البصر والبصيرة، إن النظر في الفضاء.. في السماوات، حتى في الليل ونجومه وممره، وأبعاده اللامتناهية، وغيوبه المترهلة، وفي النهار النظر في فجره، في شمسه.. وإذا نظر في الأرض فإنما هو أمام تلك النقطة البعيدة والتي لأجلها خرج، وهي الكعبة وتطهيرها وقومها وهدايتهم...

إذًا فما من شيء قريب يكاد يلفت نظره ﷺ، وهذا ما انعكس على خلقه ﷺ؛ وما من خلقٍ صالحٍ إلا وأساسه وجود قاعدة النظر في المآلات عند

الإنسان، ومعرفة عواقب الأشياء، واتخاذ الموقف الخلقي المناسب ليس المستعجل ولا ردة الفعل غير المحسوبة، كما هو شأن أهل الجاهلية وغضبتهم الفورية وحروبهم العنجهية، وإنما هو الموقف الصحيح بناءً على مآلاته، سواءً كانت النتيجة فورية قريبة أو بعيدة فالأمر سيّان.

فإن البعد عن أهل الأخلاق الجاهلية ذوي النظرة القصيرة لهو جزء أساسي في البناء الرباني، وهو يمثل قطع سبب المرض وعَيْنِه، وتجفيف الورم وقيئه قال الله سبحانه معتذرًا عن بلقيس وما أصابها من الشرك رغم رجاحة عقلها وعدلها ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على رسولك محمد

هكذا أسس الله سبحانه كل ما أراد قيامه عليه ﷺ، ووضع له سبحانه أصل الخير وأَصْل كل خير، وأساسه، ودرَّبه على ذلك حتى بنيت قواعده كاملة على أحسن وجه، حتى إذا ما جاء كلام الله ﷻ نزل على موقعه الصحيح من بين جميع المواقع الأخرى في النفوس البشرية التي خلقها الله ﷻ من ذرية آدم، من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

وحين نزل القرآن طابق موقعه الأوحد في الأرض كلها.

وكل ذلك من عند الله ﷻ قبل أن يبعثه الله ﷻ، وبعدما بعثه الله ﷻ، ولم تبتدئ تربية الله لرسوله ﷺ بعد نزول القرآن، فما كان هذا الغار إلا المحضن الأخير، والمباشر لِمرحلة الوحي، وما هو إلا المرحلة الأكثر تركيزًا، وهي حصاد كل ثمار نتائج تجاربه السابقة للغار من رعي للأغنام وتجارة، ورحلات وما إلى ذلك، بل وسماعاته وما إلى ذلك حتى لحظة ﴿ٱقْرَأْ﴾.

فهذا هو رسول الله ﷺ في غاره المبارك، بل هذهِ هي عناية الله ﷻ وتربيته له

هناك... ألم نقرأ أول كلمة قالها الله ﷻ له إذ أتى به إلى هذا الموقع الذي يشاء الله ﷻ أن يكون نزول كلام الله ﷻ عليه أولًا في هذا الغار.. نزل القرآن الكريم على ذلك القلب الذي قد أعدَّه الله إعدادًا كاملًا لِنزول القرآن الكريم، ولعل هذه من الحكمة في أن الله سبحانه عَبَّر بقوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بدل [في قلبك] عند ذِكره نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي ﷺ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

بقدر ما تكون المهمة كبيرة، وبقدر ما يكون الأعداء أكثر وأشدّ شراسة، وبقدر ما يكون أصحاب الحق قلة وضعاف بالنسبة للعدو... بقدر ما يَحتاج الداعي إلى الله لصبر واحتساب، ولكن أيكون صبر في القرار من غير النظر في مآلات الأمور وعواقبها.. وتربية الأتباع على طول الصبر وطول النفس.... وسعة الأفق هكذا كان لطول المكث في الغار من تربية على تَحَمُّل الوحدة والوحشة والغربة والمنأى عن الأهل والموطن... الذي سيخرجه من فوقه!.

وهكذا علَّمه الله ﷻ إذ الأبعاد الحسية في النظر والأبعاد المعنوية في العقل والبصيرة، تُعطيك نصرًا على العدو إذ ينقطع صبرُ الناس وينفد، والنبي ﷺ يقول: «**وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»(١)، وهذا لن يكون إلا بِبُعد النظر، وتقديم القرار بناء على مآلات الأمور، ولهذا كان أول ما قال الله سبحانه بعدما بعثه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٣)، وصححه الأرنؤوط.

نعم إن الله ﷻ قال له: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].. حقًّا وصدقًا، ولكن أليس الذي ربَّاه على الصبر في حياته، وفي غاره إنما هو الله رب العالمين..؟ أليس الذي هيَّأه للصبر على ما هو قادم عليه هو الله سبحانه..؟ أليس الذي أنشأ له قاعدة الصبر في نفسه هو الله سبحانه؟

فإن ما صنعه الله هنا – في الغار– برسول الله ﷺ، وفي خلقه وفي معتقده، وكيف أَنه هيأه لكل ما سيأتي إنما كان أمرًا عظيمًا وبعيد المنال عن الأفهام القاصرة، بل والأفهام التقليدية والعادية.. إنه حقًّا يحتاج إلى تأملات، وتأملات لا تنتهي.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله

نعم إن الله ﷻ هو مَنْ هداه وعلمه وزكاه.. وجعل خلقه القرآن، ولكن الله سبحانه أعدَّه قبل نزول القرآن إعدادًا عظيمًا، وهيَّئه تهيئة كاملة، حتى إذا نزل القرآن كانت المساحة التي سينزل عليها القرآن، والقاعدة التي سيبني عليها القرآن بنيانه العظيم ـ جاهزة، وقد قلت: لعله لِهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

فالله سبحانه حين يقول لرسوله وحبيبه محمد ﷺ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] ليس هذا بعد الرسالة، وإنما قبلها كما هو بعدها... إذًا فهو يستحق الصلاة عليه ﷺ، بل تلزمنا الصلاة عليه ﷺ قبل البعثة وبعدها، نُصلي عليه إذا ذكرناه ﷺ قبل أن يُبعث كما نُصلي عليه ﷺ بعدما بعث... فإنه في حالاته وكل حياته في عين ربه ﷻ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ في المقام الذي ليس مثله مقام، وهو المقام الذي ما قاله الله ﷻ لِسواه ﷺ.

فإذا كانت حياة النبي ﷺ قبل بعثته كلها إعداد لِبعثته ﷺ، فإن خلاصة كل ما مرَّ بالنبي ﷺ وغربلته وزبدته وثمرته إنما كانت حياته في الغار؛ لأنها مرحلة الوحدة والخلوة عن كل أحد، فهي مرحلة المراجعة لكلِّ ما مضى، ومرحلة الاستشراف لِما هو آت، والأهم أنها المرحلة المباشرة لمرحلة الوحي... المرحلة المخضرمة التي واصلت ما بين مرحلة ما قبل البعثة وما بعدها، وإن شئت سميتها مرحلة البرزخ بين المراحل، فأي مرحلة عظيمة هذهِ؟!

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

وما الغريب في أن ربه سبحانه يُعدِّه إعدادًا.. وما الغريب في أن الله ﷻ يؤدِّب حبيبه ليصنع منه أعظم مؤدب ومربٍّ وقائد وقدوة؟ وقد روي أنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ أَدَّبَنِي وَأَحْسَنَ أَدَبِي**»[(١)]، وإن كان أغلب العلماء على تضعيف سندِه، إلا أن معناه كما قال العلماء صحيح.

ما الغريب أن يُعده الله ﷻ قبل البعثة للبعثة وقد ذكر الله سبحانه لموسى عليه السلام تفاصيل رعايته له قبل البعثة وإعداده إعدادًا كاملًا شاملًا حتى ناداه من الوادي المقدس، اقرأ سورة طه من قوله ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٣٧-٤١]، هنا نعرف أن كل ما سبق هذهِ الآية كان هو الاصطناع نفسه، ويوضحها أكثر ما بعدها وهو أمره بعدها مباشرة بالانطلاق إلى دعوة

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص (١).

فرعون وإبلاغه الرسالة، فقال بعدها مباشرة: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه:٤٢-٥٤].

فَصَلَّى الله عليك يا رسول الله وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا

أي غَيْرة فاضت بك حتى خرجت من بين قومك لأجل قومك، خوفًا عليهم وإشفاقًا أن يعيشوا كالأنعام بل هم أضل، فخرجت إلى نقطة في الأرض وأقرب موقعٍ من السماء علَّ رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم أن يمنحَك طريقًا تنقذ به قومك...

خرجت على غير ميعاد.. خرجت وأنت لا تدري ما النتيجة...، وليكن ما يكون ولأذهب إلى المجهول بل إلى الموت، فإما أن أعودَ بشعلة النور لِقومي، وإما أن أهلكَ دونهم.

وأنا والله لا أقوى على أن أقول عن رسول الله ﷺ: أن أموت! فأنا والله مَن يموت فداءً له ﷺ، وأنا والله أحب أن تذهبَ نفسي بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وهل وجد الباحثون غَيْرة كمثل هذه الغيرة، ومروءة كهذهِ المروءة... فهذهِ هي قاعدة الغيرة والمروءة والنخوة التي أدَّب الله بها رسوله ﷺ قبل البعثة.

فاللهم صَلِّ على محمد وآل محمد

فلقد كان غار حراء والذي هو في أعلى الجبل أنسب موقع لِتكوين قاعدة شخصية النبي ﷺ الخُلُقية.. فإنك كلما تتأمل يُظهر الله لك مِن حكمته وعلمه ﷻ العجب العجاب من تقدير الله أن يكون هذا هو الموقع الأخير قبل انطلاقِ الرسالة.. بل هذا هو الموقع الأول لتلقي الرسالة...

فهنا عَرَّف الله سبحانه نبيه ﷺ أن الناس سواسية كما يراهم هو من أعلى قمة الجبل، فلا فروق لِمظاهرهم ولا لأحجامهم ولا لأزيائهم ولا لِمواقعهم الاجتماعية، ولا لِعشائرهم ولا لأصولهم، كما يراهم من هذا الموقع، وكما قال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**»[(١)]، وبهذا تكونت عندَه مقادير الناس كما يراهم بعينه... وليس بعد رؤيا العيان من يقين، وليس بعدها من رسوخ في التقييم..

فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ونبينا رسول الله ﷺ.

ومِن هنا - مِن غار حراء - تأكد ترسيخُ كراهية الكِبر فضلًا عن التكبر، فكم سيرفع الإنسان من نفسه فإنه لن يبلغ شيئًا بجوار الجبل، وهذا ما أنزله الله بعدَ ذلك على رسول الله ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٣٧)، وأحمد في المسند (٢٣٤٨٩) مطوَّلًا دون عبارة: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في غاية المرام رقم (٣١٣).

أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء٣٧-٣٩]، وكان مما قاله ﷺ بعد ذلك: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١)، إذًا ليس الخلق الذي تتكون قاعدته عند رسول الله ﷺ فكرة حسنة فحسب، بل هو الخلق الراسخ رسوخ هذا الجبل الشاهق السامق الشامخ شموخ الموقع الذي شمخ لأن فيه رسول الله ﷺ. وهكذا بقية الأخلاق والمبادئ، وبهذا يأخذ رسول الله ﷺ أعظم ما في خلق الله ﷻ... فيكون هنا شيئًا آخر.. ولهذا ما كان له أن يخرج من هذا الغار إلا بالقرآن العظيم.

وإذا لم يأخذ النبي ﷺ خلق الثبات على المبدأ والرسوخ فيه من موقعه في الجبل فمِن أين يأخذه؟! وأي كائن على الأرض يمكن أن يستلهم منه هذا الخلق مثل الجبل.. بل الجبال هي الرواسي التي تثبت الأرض كلها، وهي الأوتاد، كما قال سبحانه:﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥]، وقال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، وهكذا لجاء رب العالمين يحدث رسول الله ﷺ بعد بعثته عن أمور الدين والدنيا والآخرة مُذكرًا سبحانه بشهادة ما حوله ﷺ وحول الناس من أحداث بشكل صريح وواضح كقوله سبحانه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِي

(١) رواه مسلم (٩١).

ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ:١-٢١].

نعم؛ فلسوف تمر عليك يا رسول الله الرياح كما تراها وأنت الآن على الجبل، وتمر عليك الغيوم والغموم كما تراها، يمر عليك الحرُّ والبرد، تمر عليك الظلمة والنور.... فاذكر هذا الجبل.

ومن كان جبلًا ثبَّت الله به الأرض ومن عليها، ومن كان جبلًا أوى الناس إليه عند الطوفان والمخاطر... وأنت ورب الكعبة يا رسول الله أعظم من الجبل في كل عظمة.

فَصَلَّى الله عليك يا رسول الله وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا

يا رسول الله ﷺ وأي خلق أحب إليك من خلق دعوت الله به بعد بعثته كثيرًا، وهو حب المساكين، بل أنْ تكون أنت واحدًا من المساكين، فعلمتنا أن ندعوَ الله ﷻ كما كنت تدعو ربك فتقول: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْـمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١) اللهم آمين.

فأي مسكنة مثل مسكنتك أنت؟ أنت الذي عشتَ يتيم الأبوين، والآن تعود من غارك إلى حيث لا أبوين ولا أحدهما، والآن تعود إلى بيتك ولا مال لك، إنما المعيل لك هو عمك وما بذلَتْ لك زوجتك خديجة بنت خويلد، صلى الله عليك وسلم يا رسول الله وعلى خديجة رضوان الله عليها، والآن أنت تعلم ـ بغير ارتياب ـ أنك إنْ عدتَ بالدعوة إلى ترك عبادة الأصنام فلسوف يكون من يواجهك بالحرب والاستكبار هم الكبراء من قومك، وإن أَيَّدك مَنْ أيدك فسوف يكون أولهم وأكثرهم المساكين.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٥٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٨).

فالغربة والوحشة والمسكنة واليتم والفقر كلهم اجتمعوا على رسول الله ﷺ، وكلهم حضور معه الليل والنهار في هذا الغار لا يفارقونه... فأي خلق عظيم سيترسخ عنده ﷺ من حب المساكين، وإيواء الغريب وابن السبيل، وإيناس المستوحش، والإنفاق على الفقير، والتكفل باليتيم.

وكل هذا أكد النبي ﷺ، وجعله الله ﷻ شرعًا بعد ذلك.. وسبحان الله فكم كونت هذه الظروف القاسية أناسًا منحرفين مدمرين للمجتمعات، فاليتم والوحشة والفقر والغربة لَطالَما خرجت من أحضانها شخصيات ناقمة حاقدة (لكنها هنا تربية الله ﷻ).

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد

هذا الجبل الأصم تَعلَّم فيه النبي ﷺ الرِّقَّة والضراعة في الدعاء والخشوع في القلب، والبكاء من خشية الله، وشدة الاضطرار عند الدعاء، والجلد في التوجه إلى الله طول ذِكر الله والاستغاثة به ﷻ.

فمَن يدري منا بل من ذا الذي يحتاج أن يدري إلى حال رسول الله ﷺ في الغار وقد خرج يطلب التعرف على غيب لا يعلمه ولو كان معلومًا لذهب إليه، والحقيقة العظمى أنه إنما كان يطلب التعرف على ربه، مَن يدري كيف ارتجاف قلبه كلما تجلَّت له عظمة جلال الله ﷻ في ذلك الغار في تلك الظلمة في تلك الوحدة؟ من يدري كم بكى رسولُ الله ﷺ في نهاره وهو ينظر إلى قومه حول الكعبة التي عَلَتْها الأصنام وأحاطت بها... بكى غيرةً عليهم، وبكى خوفًا أن يأخذهم ربُّ البيت بالعقاب، بكى مستعجلًا العودة كي يبذل كلَّ شيء حتى حياته لِينقذهم.

مَنْ يدري أطال رسول الله ﷺ الإصغاء لِنشيج قلبه وأزيز صدره تعظيمًا

لِربه الذي لم يوح إليه بعد بذِكرٍ ولا دعاء... فهو الإصغاء إلى خلجات الصفاء من الصدر والطاهر المطهر والقلب السليم الصافي... فكم تعودَ هنا رسولُ الله ﷺ على طول المناجاة وعظيم التركيز فيها مع شدة التفاعل التي لا تزداد إلى توقدًا.

وكم تعود هنا على طول الصمت وقلة الكلام وكثرة الاستغراق في التفكر حتى لكأنه غائب عمن حوله.

فمع مَن يتحدث؟! فما هو إلا هذا الإصغاء ولهذا الوجود الذي غدا من حوله ناطقًا متناغمًا.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

ولقد أثمرت هذه الدروس العظيمة عظيم التوكل على الله سبحانه؛ فالله أكبر؛ كيف إذا نزل القرآن على هذا القلب..؟ قلب قد توقَّد في حب الله؛.. فالحب مطلق، والاستعداد مطلق، والتوكل على ربه مطلق، وحسن ظنه مطلق، ويقينُه مطلق، وسمعه مطلق، وطاعته مطلقة، وصبره مطلق، وخلقه في الحسن مطلق، وحين أقول مطلق أقصد ما أريد وأحلف على ما أريد، ولا يناسب نزول القرآن العظيم إلا على هذا القلب وحده، من هنا يبدأ القرآن الكريم ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

فإذا كان هذا بعض وصف قلبِه في خشوعه وخشيته، في ذِكره ودعوته، في ضراعته واضطراره، في تلذذه القلبي وأزيزه ومخافته، في جَلَدِهِ على التفكر والتدبر وتركيزه واستمراريته، في تدبُّره في كلِّ ما حوله، ما سكن في الليل والنهار

وما تحرك، ترى كيف ستكون نتيجة كلمات الله من كتاب الله العظيم وهو يسمعها من الوحي ثم يرددها ثم يتلوها على أصحابه ثم يقوم بها الليل والنهار كيف سيكون أثرها على هذا القلب بعدما اصطنعه الله سبحانه على عينه؛ كيف سيكون أثره على خُلُقه الظاهر بل على قاعدة خلقه؟ فالقلب هو القاعدة، والإصلاح إنما هو إصلاح القلب، والنبي ﷺ هو مَن يقول: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(١)].

وهل من قلب أصلح من قلب رسول الله ﷺ وأسلم؟ إذًا لا بد أن تكون رقة الطبع والرِّفق والحنان والمودة والقرب والأُلفة والتآلف والتأليف، والعفو والسماحة والمسامحة هي خلقه.

لا بد أن يُؤْثِر غيره على نفسِه إيثارًا لا نظير له، ولا بد أن ينفق إنفاق مَن لا يخشى الفاقة، ولا بد أن يقدِّم نفسه إذا حَمِيَ الوطيس ويكون عندَها ملاذ الشجعان وجبلهم الذي يحتمون به، ومَن كان قلبه كذلك كان أعظم الناس مسارعة في الخيرات، وأعظم نفرة من كل منكر بل إنكارًا لها، لا بد أن تكون له بصيرة في طبعه قبلَ الوحي لا يبلغها أمثالُه من قومه أو غيرهم، لا بد أنْ تكون له فطنة وذَكاء للصفاء الذي في قلبه، لا بد أن يكون عنده نظر إلى المآلات مثل نظر الناس فيما يرونه بأعينهم وأكثر، لا بد أن تصفو عندَه الفطرة صفاء الفضاء بعد نزول الغيث وطلوع الشمس وأكثر، لا بد أن يبلغ هو كل يوم من القرب والاقتراب ما يعرفه في نفسه وعن نفسه، ما يحسه بيده لو كان مثل هذا يُتحسس، ويعرف ذلك هو يقينًا في داخلِه يشعره فارقًا ظاهرًا، يشعره من كل جهة من

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

جهات نفسه الكريمة ﷺ ووقت جديد وحين، إنه أمر الله الرحمن الرحيم.. إنه ﷻ يصنع هنا رسول الله ﷺ لِيكون رسول الله ﷺ، ليهدي هذهِ الرحمة للعالمين كافة ﷺ، أليس هو القائل ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(١).

فمَن يملك هنا إلا أن يتوقفَ عن الكتابة أو عن الحديث ويطلق لقلبه قبل لسانه، وهما معًا بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد....

الله يُعِدُّ رسولَه ﷺ للرسالة.. الأمر بين الله رب العالمين، وبين عبدٍ من عباده هو الأعلى والأفضل والأكرم و... في العالمين... هنا يعده الله سبحانه لِيكون كذلك، ولِيجعل كلَّ ما فيه مما خلقه الله سبحانه أساسًا هو للعالمين، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ثم إن هذه هي المرحلة الأخيرة في الإعداد وربما الليالي والأيام الأخيرة، **ولا أحد يدري ماذا كان قبل اللحظات الأخيرة**؛ أهو بلوغ ذرى الذرى وأصبح التهيؤ عنده ﷺ والاستنفار الإيماني عن آخره، أم أن التهيؤ كان من الهدوء الذي يسبق العاصفة كما يقولون، فترة سكون وسكينة، أو فترة فتور هو ينكره في نفسه، وقد كان متحمِّسًا قبلها أشد ما تكون الحماسة، وما رجاه من مسير إلى أعلى لم يتحقق، بل غلب الفتور على النفس، وهو لا يدري كيف يُسَيِّره ربه

(١) أخرجه الدارمي في مسنده (١/ ١٦٦) رقم (١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٤٤) رقم (١٤٠٤)، قال الدارقطني في العلل (١٠/ ١٠٥) رقم (١٨٩٧): رَوَاهُ وكيع عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، وَهُوَ الصَّوَابُ، وكذا قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٦/ ١٥٤)، إلا أنه قال: إنه يعضده الحديث (إني لم أُبعث لعَّانًا وإنما بعثت رحمة) الذي رواه مسلم. وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٣/ ١٦١٥) رقم (٥٨٠٠).

سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ولو أنه كان الأمر بيده لَما رضي بالفتور لحظة، ولا توقف عن العروج لحظة.. فيعلم هنا يقينًا أن أمر قلبِه ليس بيده، وأن حاله وتحوله لا يملكه هو، وليس له إلا الاستسلام في كل فترة، وهذا وحده مكسب جديد وإصلاح لنفسه جديد ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

إنها - والله تعالى أعلم - إنما كانت مرحلة فتور كفتور مرحلة الفترة من انقطاع الرسالات السماوية، وهي ما بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بعث النبي ﷺ، مما اصطلح الناس على تسميتها (الفترة)، وتسمية مَن مات فيها (أصحاب الفترة).

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد

إنها مرحلة الاستسلام المطلق لِربه سبحانه، مثلما علَّمنا هو ﷺ إذا انتهينا من أعمال اليوم وأخذنا مضاجعنا أن نقول كما في حديثالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا فُلَانُ، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ فِي لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا**»(١).

إنها أعظم المكاسب، إنه لا تسيير له، لا قدرة له، لا حول ولا قوة له إلا بالله رب العالمين.. هذا هو اليقين الذي يؤهله للتحول الأعظم، وهذا هو ما قاله الله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٨٨)، ومسلم (٢٧١٠).

ونحن إنما نتحدث عما وصل إليه قبل أن يُنزِل الله على رسوله ﷺ الكتاب والحكمة ويعلمه ما لم يكن يعلم، وكما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

هذا الاستسلام المطلق في النفس لباريها، إنما هو في حقيقة الأمر اضمحلال النفس في عين نفسها في نظرها إلى مُراد الله بها، وانعدام الاعتراض عما يأتي به الله، ولسان حاله يقول ما قاله معاذ رضي الله عنه وهو في سكرات الموت، والسكرات تشتد عليه: «اخْنُقْ خَنْقَكَ، فَوَعِزَّتِكَ إِنِّي لأُحِبُّكَ»(١).

أَنْهِ حياتي ولينتهِ لي كل شيء في هذهِ الحياة، أو ابدأ لي حياة جديدة لأنطلق في سبيلِك باذلًا كلَّ شيء، الأمر كله إليك وأنا راضٍ بالموت والحياة على حدٍ سواء، وأحبَّهما إلى أرضاهما عندك ربي.

أنا يا رب لست بشيء ولا أدري عن شيء ولا أُقدِّم أو أؤخر شيئًا... فحياتي ومماتي نفس الشيء في هذه اللحظة، [فاللهم إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تَحْفَظُ به عِبادَكَ الصَّالِحِينَ(٢)]، إي والله، فلقد بلغ رسول الله ﷺ اليقين القاطع الذي لا ريب فيه أن الله تبارك وتعالى قد أمسكَ نفسَ رسول الله ﷺ في هذه الفترة الأخيرة من تلك المرحلة، فكان يسأل الله رحمته لها.. لكنه ليس إمساك الموت، ولا رحمة ما بعد الموت... فكان بعد هذا الإمساك الرحمة، وكان هو الرحمة العظمى ﷺ.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٤٦٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٨٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٤٦٠).
(٢) رواه البخاري (٦٣٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هكذا هي نفس رسول الله ﷺ، فخير ترجمة لِحاله هو ما ورد عنه ﷺ بعدما أوحي إليه، إذ هو التفسير الصحيح لِما غاب عنا مما لا نعلمه ولا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى... وهكذا هو حقيقة حال النبي ﷺ في داخله، فإما أن يمسك نفسه ربه إلى الأبد، وإما أن يرسلها.. وهو يرجو الخير من ربه سبحانه في الحالين.

كما قال ﷺ حين عودته من الطائف مهمومًا هائمًا على وجهه: «**إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي**»(١).

ومما يُتَرْجِمُ حاله ﷺ كذلك هو ما عَلَّمنا رسول الله ﷺ إياه إذا بلغ الأمر مبلغه ومنتهاه... كما هو حاله ﷺ ومقامه الكريم، فقال: «**اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**»(٢).

وسبحانه الله: كيف تنطبق هذه الأدعية على حال النبي ﷺ حتى لكأنها جاءت من نبع الوحي في الغار، أو أن الله سبحانه أخبره بمحتواها فعبر عنها ﷺ بتعبيرهِ الذي هو «جوامع الكلم» لجوامع الأحوال والأحداث والأزمنة والمصطلحات، فكان أن انطبعت كلماته بالمرحلة التي لا تنسى ولا يُمحى طابعها أبد الآبدين، وهكذا هو الإنسان، وهكذا تأثره في مراحل معينة من حياته، حيث يبقى طابعها أبد الآبدين، وهل الرسول ﷺ إلا بشر، كما قال سبحانه له

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٢١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٧١٢) واللفظ له، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/ ٢١٠) رقم (١٠٣٥٢) باختلاف يسير، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

وعنه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ثم هل كان ﷺ وهو في الغار إلا في عين الله، كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ وإنني لأرى أن هذا لِمرحلة ما بعد النبوة، ولم يكن ثَمَّ فاصل قاطع مانع ما بين بشرية النبي ﷺ بما يحويه من جسد وروح وعقل وقلب ونفس وما إلى ذلك، وبينه ﷺ بعد النبوة... كيف ومرحلة الغار هذهِ هي مرحلة الإعداد لمرحلة ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؟ وهي مرحلة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فكانت هذه هي حالة النبي ﷺ في الغار على الأخص.. ووحدته.. وهو ذروة طلبه للحق، وذروة إياسه من الحق عند أهل الأرض، وشدة حاجته عند انقطاع نفسه أو يكاد، بالإضافة إلى إعداده الأخير قبيل تلقي الوحي والخروج للعالم... إنه أحوج ما يكون إلى الاحتضان.. إلى الحنان.. إلى التغيير إلى الرعاية.. إلى الاستخلاص ولا عبارة أعظم فيضًا مما ذكرنا بما لا يحصى هنا من كلمة الله العظيمة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور:٤٨].

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

مرحلة التقعيد الإيماني، ولقد أصبحت هذه المرحلة هي المنتهى وتمام التقعيد الأخلاقي، والتقعيد الشامل، وأقل ذلك وأول ذلك ما كان من تطهير قلب النبي ﷺ وإخراج القطعة السوداء منه مرة وهو صغير يلعب مع الغلمان، ومرة قبلَ الإسراء والمعراج؛ والشاهد أن هذا من الإعداد له، وما كان غسل قلبه في المرة الأولى من بعد نزول الوحي إنما كان قبل ذلك، ويجهل الإنسان أيما جهالة إذا ظن أن الله سبحانه ما التفت إلى نبيه ﷺ إلا بعد نزول الوحي عليه... نعم فلقد كان نزول الوحي هو المرحلة الأعلى، والعُظْمى، والثمرة

الإلهية لحياة طويلة طولها أربعون سنة فيها من التأسيس ما فيها، وفيها الرعاية ما لا يمكن حَدُّه، ولا يمكن معرفته؛ لأنه لا رواية في ذلك الوقت ولا أَتْباع ولا أُمِر رسول الله ﷺ بذلك؛ لأنها مرحلة خاصة به هو ﷺ ـ لنفسه، لبنائه، لتكوينه، لإعداده للرسالة ولا رسول بعده ﷺ، ولا رسول مثله ﷺ، ولِهذا فإن مرحلة الإعداد للرسالة هي من القوة والشدة والعظمة والتركيز ما لا يمكن تصوره، فكيف ولا نبي مثله ﷺ، إذًا فلا إعداد مثل إعداده، ومرحلة الغار هي ذروة الإعداد له ﷺ، ولهذا فإن ميزة التشريع للأمة هي التيسير والرحمة والتخفيف حتى وإن ظهر أن فيها شدة، والحاجة إلى تحمل الجوع والعطش والتعب فإن مقصودها التيسير وليس أظهر من الصيام، فقد قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهكذا قال الله ﷻ عن القرآن نفسه: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١،٢]، وهكذا قال سبحانه عن الجهاد: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وبقدر ما تتصور عظمة رسول الله ﷺ بقدر ما تتصور عظمة تهيئة الله ﷻ له قبل البعثة عمومًا، وفي الغار خصوصًا.

وبقدر ما تعرف من عظمة الإسلام وشموله للحياة في عهده وشموله للزمان

والأجيال من بعده، تعرف سمة الشمولية في تهيئة الله ﷻ لرسوله ﷺ تهيئةً جعلته متهيئًا لكل شيء دون استثناء، مُعَدًّا لكل زمان، وعَقْله وحكمته تتسع وتستوعب كل أمة موجودة وقتها أو ستوجد إلى يوم القيامة، وهذهِ مزية تجدها في خطابه بعد الوحي، كما هي كل مزاياه ﷺ، لكن هذهِ المزية وغيرها ما كانت لتكون شيئًا لولا الوحي، وهذهِ هي المزية العظمى، ذلك أن الكثير من أهل الجاهلية والكثيرين في هذهِ الدنيا أعدتهم الظروف إعدادًا شديدًا، ومحَّصتهم التجارب تمحيصًا، ولكن كم من هؤلاء المجربين والقادة وجدوا ورحلوا كأن لم يولدوا، وكم منهم ليتهم ما وُجدوا ـ كما يقال ـ لما دمروه في حياتهم.. هكذا هم بدون الوحي، بدون رعاية الله... كيف لو أن هؤلاء اتبعوا رسول الله ﷺ أي: اتبعوا الوحي... كيف سيغدون في أعين أممهم وكيف سيغدون نافعين لأقوامهم قدوات لأجيالهم وما إلى ذلك.. هذا باتباع رسول الله ﷺ، **فكيف برسول الله ﷺ وقد جاءه الوحي؟!** هنا يحدث الفارق الهائل، هنا الأرض تطوى، هنا مسافات السماوات تطوى.. هنا الدنيا والآخرة تنضمان لبعضهما، هنا تعلم علم اليقين ـ إذا انكشف لك ـ أن حياة رسول الله ﷺ ما كانت إلا قطعة واحدة، لوحة واحدة، وأن راعيها وباريها واحد، وهو ربه ﷻ، وإلا فهل يشك مسلم أن رسول الله ﷺ كان في رعاية الله قبل الرسالة، وأنه كان في عين الله قبل الرسالة، وإلا فعن من وعن أي فترة قال الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى:١-٢].

بل لو سألتك لأقررت يقينًا بأن الله ﷻ رعاه في الأصلاب البعيدة حتى ظهر ﷺ مبعوثًا رحمة للعالمين..

فيا ترى ما هو أعظم إنسان كان سيذهب لو أن إسماعيل ؈ ذُبح..؟ هل

كان رسول الله ﷺ سيولد؟ هل كانت أمته ﷺ والإسلام و و...... سيكون موجودًا؟!

فالله سبحانه ما ترك إسماعيل عليه السلام وسلَّمه إلا لِحكمٍ عظيمة، لكن ما من حكمة أعظم من وجود رسول الله ﷺ، والذي بدونه لن تكون أعداد أهل الجنة إلا أعدادًا محدودة، ولن تشهد الأرض أعظم ما خلقت لأجله....

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

أرأيت كيف أن الله حفظه في أصلاب الأصلاب، حتى إذا بعث ورأينا ما صنع ﷺ وعادت بنا الذاكرة إلى عهد إسماعيل، علمنا اليوم لِمَ نجَّى الله إسماعيل عليه السلام بالدرجة الأساس، فهو الحكمة العظمة لِنجاة أبيه إسماعيل عليه السلام، وهكذا في نجاة والده عبد الله رحمه الله من الذبح.

فالذاكرة لا خير فيها إن لم تكن حية، فطنة مستنبطة.. تراجع أحداث ما قبل البعثة، بل أحداث التاريخ، وستجد حياة رسول الله ﷺ كحياة هذا الوجود وحدة واحدة في ترابطه من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، فإذا كان الله جل جلاله هو من يَصنعه، وهو كذلك بغير شك، فإنما يصنعه ليعده إعدادًا لا نظير له لرسالة لا نظير لها، ولِهذا فإنك سوف تجد أن النبي ﷺ قد أعدَّه الله فكان في مرحلة إعداده لا نظير له في أمثاله؛ لأنه حين أصبح رسولًا أصبح ﷺ لا نظير له في الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وتصديق هذا في حديث النبي ﷺ: «**النَّاسُ مَعادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا**»(١).

فاللهم صَلَّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

ذروة مراحل ما قبل الوحي في الغار: وهنا تعود وتقول لي: وما ميزة غار حراء عن مراحل حياته وحياة الأنبياء عليهم السلام؟

أقول: نحن لا ندري كيف ربَّى الله تبارك وتعالى الأنبياء عليهم السلام تفصيلًا، وأظهر ما نعلمه في ذلك هو القاسم المشترك الذي جعله بينَهم، **وهو رعي الأغنام...**

إذا نظرتَ في مراحل حياته قبل غار حراء فإنك سوفَ تجدها لوحة كاملة لِتجارب متنوعة مختلفة متفاوتة وكأن حياة الناس اجتمعت فيها، ثم جاء الغار لِيصهر كل التجارب في داخل نفسه، كل تلك التجارب، ويستخرج ثمراتها للناس كافة في شخصية لا ينقصها بعد الغار إلا الوحي، فجاء الوحي بعد الغار مباشرة وكان الوحي كل شيء.

فلقد كان ما قبل اليُتْم ثم كان اليتم وما كان اليتم مجرد تجربة بل عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليتم حقيقة بكل تفاصيلها؛ يتم الأب.. ثم الأم، ثم البلد حين أخرج منه وقد كان التغرب رضيعًا وبُرْعمًا، وكان العيش في البادية، وكان رعي الأغنام على قراريط، فكانت مسؤولية الأغنام، وكانت إدارة النفس حيث القراريط لِمصروفه وأهله، ولعل الاعتماد على النفس ـ بموت أمه ـ وكان التنقل بين المتعبدين والسماع منهم، ومنهم ورقة بن نوفل، وعمرو بن نفيل، وكان الحضور لِمجامع مكة، وما كانت من بلدةٍ لها من المجامع مثل ما لِمكة في بلاد العرب، ويكفي في ذلك أن تنظر في أسواقها، وآدابها، ومعلقاتها المعلقة في الكعبة، والأهم هو أن تنظر في مواسم الحج كل عام واجتماع العرب هناك، واجتماعهم في أسواق عكاظ والمجاز وكل قبيلة تفخر بأحسن ما عندها من شعراء وخطباء وحكماء وأحداث وما إلى ذلك.

فهو ينظر إلى تناطح الأفكار، وتصارع العقول، وتقادح الألسن بالبيان.

ثم كان ما كان، ومما كان سفره ﷺ في التجارة إلى الشام، وكان بعض آيات في الطريق هناك، وكانت بعض المبشرات، وكانت حصيلة من الوصايا، من أهمها وصية بحيرى الراهب لِجده عبد المطلب: أن خذ حذرك من اليهود على ولدك.

وهنا في الغار العظيم يأتِي رسول الله ﷺ بكل ما اجتمع في حياته الأربعين سنة السابقة، فلكأن سيده ومولاه أطلقه حين أخرجه من بطن أمه ﷺ وقال له: اذهب الآن حيث تُريد أو يريد أهلك، شرِّق وغرِّب... فكل ذلك وأنت في عيني ورعايتي، ولكنك لن تشعر بذلك ولا تدري، إلا ومضات لا تكاد تدرك.. ومضات لا تؤثر على قرارك ولا تشكل حياتك..

وها أنا ذا وبعدما كادت الأربعون أن تنتهي جئت بك هنا.. إلى حيث لا بشر ولا شجر ولا أغنام ولا شيء من ذلك.. هنا سوف يكون التحصيل... مما جمعته هناك، هنا سوف يكون الاستخراج من الذاكرة والعمل والصور وكل شيء موجود في الذاكرة، هنا سوف يكون التصنيع لِباطنك؛ بل لِشخصيتك الجديدة.

عِشْ يا رسول الله ﷺ هنا الفترة التي يُريدها الله ربُّ العالمين.

عِشْ في داخلك شيئًا فشيئًا، لتستعيد هنا من أحداث حياتك التي عشتها مما رأيته بنفسك، وحتى مما رواه لك أهلك، كما ورد في الحديث عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ الْفَزَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ**»[(١)].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٤٠٤)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ: «**دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى وَبُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ**»(١).

وَعَنْ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ وَعِنْدَهُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَلَا تُعْطِينِي شَيْئًا أَتَعَلَّمُهُ وَأَحْمِلُهُ وَيَنْفَعُنِي وَلَا يَضُرُّكَ؟ فَقَالَ النَّاسُ: مَهِ اجْلِسْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعُوهُ فَإِنَّمَا سَأَلَ الرَّجُلُ لِيَعْلَمَ**»، قَالَ: فَأَفْرَجُوا لَهُ حَتَّى جَلَسَ، قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِ نُبُوَّتِكَ؟ قَالَ: «**أَخَذَ اللهُ مِنِّي الْمِيثَاقَ كَمَا أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ثُمَّ تَلَا:** ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، **وَبَشَّرَ بِي الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَتْ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَنَامِهَا أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهَا سِرَاجٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ**»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: هَاهِ وَأَدْنَى مِنْهُ رَأْسَهُ وَكَانَ فِي سَمْعِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَوَرَاءَ ذَلِكَ**»(٢).

هنا سوف تُراجع كل الأحداث؛ كل شيء عنك أو عن سواك، وهكذا سوف تصنع نفسك من داخلك.. سوف يصنع قلبك الجديد.. سوف تغربل أحداث الأربعين عامًا لا لِتبقى ولا لتُتْلف، ولكن لِتُصْنع نفسك الجديدة من داخلها، وإلا ماذا كان يصنع رسولُ الله ﷺ؟ بل ماذا كان الله رب العالمين يصنع بنفسه

(١) أخرجه الحاكم (٤١٧٤)، وقال: «خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ مِنْ خِيَارِ التَّابِعِينَ، صَحِبَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِذَا أَسْنَدَ حَدِيثًا إِلَى الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٤): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ وُثِّقُوا، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٤).

ﷺ؟ بل ماذا كان يصنع منه ﷺ؟ وصدق الله إذ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وصحبه وسَلِّم

هنا كما قلنا من قبل النظر في كل شيء على الإطلاق مما مَرَّ على هذهِ الأرض والأقوام التي عمرتها، وكل ما مرَّ على النبي ﷺ من قبل، وكل ما أراد الله أن يبلغه إياه كما يشاء ﷻ، وهكذا صنعت نفسه من جهة أخرى صناعة لا نظير لها، إذ أصبح كأنه الشاهد المشاهد لكل ما مرَّ على الأرض مما أراد الله ﷻ له أن يمرره عليه ويريه إياه أو كأنه يراه.. وهكذا صنع الله نفس رسول الله ﷺ..

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسَلِّم

هنا أراه الله ﷻ ما حوله حتى السماوات، وأراه الوجود وهو في داخل ليله وفي خارجه وفي داخل نهاره وفي خارجه، وأراه ما شاء من أحداث الوجود.. مما لا نعلمه.. لكن الأمر في صناعة نفس النبي ﷺ جدُّ عظيم..

وهكذا أنشأ الله ﷻ علاقة للنبي ﷺ بكلِّ ما حوله من الوجود.. أنشأ فهمًا... أنشأ نفسًا... أنشأ قلبًا كبيرًا يحوي ذلك كله.. أنشأ قائدًا يقود الدنيا ويفهم الناس بكل ما يحتاجونه، وبكلِّ ما حولهم وعلاقتهم بذلك.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه،
اللهم صَلِّ وسَلِّم على محمد وعلى آل محمد.. اللهم صَلِّ وسَلِّم عل محمد
وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على محمد وعلى آل محمد....

فماذا بقي يا رسول الله ﷺ.. ماذا بقي يا من ستصبح بعدَ قليل أنت أعظم رسول أرسله الله ﷻ إلى ذرية آدم ﵇، وذرية إبليس لعنة الله عليه ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

لقد عرف رسول الله ﷺ حتى هذهِ اللحظة، واتضح له يقينًا كلَّ ما أريد له أن

يعرفَه، وما ترك الله من شيء مما يحتاجه ﷺ إلا عرَّفه إياه، كما علَّم آدم الأسماء كلها، كما قال سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] ولـمَّا يأذن الله للوحي بالبدء بعدُ... لكن الأمر حان... لقد حان الأمر بعدما عرَّف وعلَّم الله ﷻ النبي ﷺ بكل شيء، وعن كل شيء، وما بقي إلا الشيء الذي بدونه فلا قيمة لكل ما عَرَفَه، ولا قيمة لكلِّ شيء، ولا لأي شيء عرفه أو لم يعرفه... إنه الشيء الذي تجتمع عنده كل تلك الأشياء، وتجتمع عنده كل الأشياء مطلقًا، ولا يفْلت منها شيء واحد، ولا يشذ عن المسار المحدد لها ذرة واحدة.

الآن يأتي التعريف باليقين الذي لا يحتمل الاستنتاج، والعيان الذي لا يحتاج بعد الآن إلى التدبر ولا التفكر ولا النظر فيه، إذ كل ما مرَّ من تدبر ففي مخلوقات، وأحداث مخلوقة، وفي كل ما حولك يا رسول الله وكل ما حولك مخلوق...

نعم! كل ما رأيته في حياتك وما سمعته وما مرَّ عليك في ليل أو نهار في بلدك أو خارجه.. كله يؤدي إلى هذا الشيء، وارتباطه فيه أمر يقطع فيه العقل ولا يشك وقد هداه الله في كل ذلك، وهذا هو ذروة ما يمكن أن يتوصل له عقل خلقه الله ﷻ، أما الآن فإنه تعريفك بالله ﷻ بالطريق الذي هو فوق العقل وفوق الاستنتاج وفوق طاقة البشر؛ لأنه لو عرف الله بطريق العقل لكان مصيبًا، ولكنه سيكون مفكِّرًا صالحًا من المفكرين الصالحين الذين مرُّوا على هذهِ الأرض لكنه ليس كذلك، إنما هي الرسالة التي لا تكون إلا بالوحي والتي كانت من قبل، كما قال سبحانه: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء: ١٦٣]، فإذا ما جاءك الوحي وعرفَت ربك ﷻ، وأصبح الوحي بالوحي مِلْءَ سمعِك وبصرك ونفسك ارتقى

كل ما عَلَّمه ربه في غار حراء إلى درجة أعلى ولا نظير لها في عالم اليَقين كذلك، فأصبح ما توصل له إليه عقله من قبل يراه بعينه، وارتقت نتائجه من ارتباط كل مخلوقٍ من حوله ارتباطًا حتى أصبح يراه بعينيه، كما أصبحت الأحداث بل الأقدار وارتباطها بالله تعالى كلها رؤيا العيان بعد مجيء الوحي إليه ﷺ، فما عاد الأمر توقعًا كتوقعات المستنبطين من بني البشر، ولا هو استنتاجًا للأحداث كما يستنتجها حُذَّاق المحللين ونحوهم، وإنما هوأمرٌ فوق.. فوق طاقة العقل البشري مجتمعًا كله.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

وبمجيء الوحي سوف تنتظم المخلوقات في نسق واحد كأنها مخلوق واحد، كأنها نقطة واحدة متحدة من شدة ترابطها، أو ذرة واحدة من شدة إحكام أمرها وإن تباعدت أشكالها وأنواعها واختلفت في خصائصها وتضادت في طبائعها، أو تباينت أحجامها، كما هو الشأن ما بين الذرة والمجرَّة، أو ما بين السماوات العظيمة وحبة الرمل، فكلها محكمة الترابط متطابقة الانسجام، كلٌّ في فلك يسبحون، ولِهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وكلها كأنها ذرة واحدة - كذلك - في كونها مخلوقة تحكمها كل صفات المخلوقية لا تختلف بعضها عن بعض أبدًا أبدًا، وليس بينها واحد ولا جزء واحد ولا ذرة واحدة ليست مخلوقة على الإطلاق.

إذًا فهكذا كان التدرج الذي ختم في الغار وابتدأ في الغار، فلقد عرَّف الله

سبحانه رسوله ﷺ بكل ما ذكرنا وبكل ما لم نذكر مما يتعلق بالمخلوقين، حتى إذا اكتملت المعرفة التي حددها ووزنها الله ﷻ وأحكم ميزانها جاءه في اللقاء الأول له في الرسالة وفي الغار، وهو اللقاء الأخير له في الغار تعريف رب العالمين له بنفسه ﷻ لرسوله ﷺ، فهو سبحانه الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

﴿ٱقْرَأْ﴾ وما أدراك ما ﴿ٱقْرَأْ﴾

مَن يقدر على الحديث عن اللقاء عندما نزلَ جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ..؟ ومَن ذا الذي يجرؤ ومَن ذا الذي يستطيع، **وإني لأحسب الإرسال ينقطع عن القلب والقلم فلا شيء عند القلب يأمر به القلم حيث يجف حبره وينتهي أمره** إلى أن يتجاوز لحظة اللقاء العظيم ووصفه إلى غيره... لينطلق قلبه ولسانه مجتمعين على الصلاة على رسول الله ﷺ صلاة وسلامًا دائبين دائمين لا يحسب إذا ابتدأ بهما في هذه اللحظة أن ينقطعا إلا بنومةٍ تغلبه أو شاغل يدهمه فينقطع وهو لا يدري. وأرجو من الله أن يهب لي ولكل مَن يقرأ هذا الكتاب في أقرب نومة له أن يجلل مشواره ويتوج رحلته هذه برؤية رسول الله ﷺ، فاللهم آمين.

اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد.

إنها لحظة تغيب فيها التعبيرات والأوصاف، فتحل فيها الصلاة على رسول الله ﷺ، هنا الغياب بالصلاة على رسول الله ﷺ، هنا الهيام بها والهيام معها، هنا الذهاب مع رسول الله ﷺ، ذهاب القلب يتداوى بالصلاة على رسول الله ﷺ، هنا ذهاب العقل تدبرًا وربطًا للموقف بالصلاة على رسول الله ﷺ، هنا يكون للصلاة على رسول الله ﷺ مذاقًا جديدًا، مذاقًا فريدًا... لأنه من هذهِ اللحظة اصطف رسول الله ﷺ مع المرسلين عليهم السلام الذي يُشرع في حقهم ذلك ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣]، بل من هذهِ اللحظة اصطف خَلْفَهُ ﷺ جميع المرسلين عليهم السلام.

ومن هذه اللحظة بلغ رسول الله ﷺ ووصل... هذا مطلوبك وفوق مطلوبك، هذا ما لم يبلغه أحدٌ من قبلك من آبائك وأجدادك يا رسول الله، هنا أطيب ما تكون الصلاة على رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ على سيد ولد آدم وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

كيف لا تَطيب الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وهنا بأمر الله رب العالمين يضمه جبريل ضمَّة، ولو أنه كان بشرًا لقلنا أنه ضمه إلى صدره حبًّا وودًّا في أول مرة.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

ألا أيتها الخلائق تعالوا واشهدوا ما يحصل الآن في ذلك الغار.

اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

الآن لو تعلمون من بعث الله تبارك وتعالى، ولِمَن بعث؟

الآن لو تعلمون أن هذا اللقاء لكم أنتم، وثمرته لكم

فليكن هتافكم من الآن الصلاة والسلام عليه كلما قرأتم حديثًا من ذِكْرِه.

فلننتقل بأفكارنا إلى تلك المرحلة كأننا مِن هذ اللحظة ابتدأنا.

فهل تعرفون مَن هذا الذي أرسل إليه جبريل الآن؟

أتدرون أن هذا خَيْر مَن سكن صلبَ آدم وصلب وكل صلب من بعده إلى صلب أبيه عبد الله.... الآن تعلمون أن آدم هو الأب، لكنه ليس سيد الذرية، ولا النبي الكريم هذا ولا ذاك عليهما السلام، إنما السيد هو هذا الذي وصل الآن، فصلوا وسلموا عليه.

اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

ألا أيتها الخلائق هل تعلمون ما الذي يحدث الآن في غارٍ من غِيرَان هذهِ الأرض... في جبل من جبال مكة، في أعلى ذلك الجبل الذي يقال له: جبل النور وفي غاره الذي يقال له غار حراء.

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوَحْي الرؤيا الصالحة في النَّوم، فكان لا يَرى رؤيا إلا جاءتْ مثلَ فَلَق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء... فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجف فؤاده... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة... ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفَتَرَ الوحيُ»[(١)].

هل عشتم ماذا حدث في الغار بأنفسكم..؟ هل رأيتم ماذا حدث بالغار بأعينكم أو أعين قلوبكم وبصائركم؟

لا بد لنا نحن الخلائق أن نعيش هذهِ لنصلي عليه حقًّا وصدقًا، فإن عظمة الموقف تفرض العظمة في الصلاة والسلام عليه.

(١) أخرجه البخاري (٣).

ألا أيها الخلائق تعالَي واشبَعي من الصلاة والسلام عليه...

أنصت للعظمة الغالبة كل حديث وكل سكون وصلِّ عليه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على محمد وعلى آل محمد

يا ذرية آدم عليه السلام: نعم؛ إن أباكم هو آدم عليه السلام حقًّا وصدقًا، إلا أنه ليس سيد الأولين والآخرين، ولا فلان النبي ولا فلان ولا فلان عليهم السلام.. ها نحن الآن علمنا السيد... ها هو سيد الذرية قد طلع وأشرق.. ها قد بعث إليه، فصلوا وسلموا عليه، وهو القائل بعد ذلك: « **أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فَخْر** »[1]، فكم سنتوقف هنا لِنُصلي عليه في هذهِ اللحظة ـ لحظة بعثته ..

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد

سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته.

الآن أيها الجن اعلموا أن منقذكم قد جاء، وهو سيدكم أنتم كذلك، لأنه سيد الثقلين، والله سبحانه سوف يخاطبكم جميعًا في كتابه الكريم: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الرحمن: ٣٣].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٢٠)، والطبراني في الأوسط، والحاكم (٤١٨٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

أيا أيها الثقلان جاءكم داعي الله الأعظم ﷺ الذي لم يخرج من صلب آدم داعٍ إلى الله مثله، ولم يمشِ على الأرض وفوق ظهرها داعٍ لله مثله، ولن يكون إلى يوم القيامة داعٍ إلى الله مثله.

هل علمتم أيها الناس مَن هذا الذي يبعث الآن في الغار أم لم تعلموا بعد..؟ والله لو علمتم – أيها الناس جميعًا – ما تخلف منكم منذ هذهِ اللحظة عن الاستجابة لِندائه أحدٌ أبدًا، ولأوصيتم باتباعه وفدائه الأهل والبنين والشعوب والقبائل... ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وهل هذا النداء الذي استغرق لأجله حياته ﷺ إلا لأجل التعارف، وربنا سبحانه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فيا أيتها الشعوب والقبائل ويا أيها الناس ويا أيها الجان... أي شيء تعرفون ومَن ذا الذي تعرفون من المخلوقين إذا لم تعرفوا داعي الله الأول، وسيد الدعاة إلى الله جميعًا؟

أتعرفون أباكم [آدم عليه السلام] هو ومَن خرج من صلبه، وأباكم [الجان] أيها الجن هو وذريته جميعًا، كلهم تحت لوائه يوم القيامة.. فمَن هذا الذي نتحدث عنه..؟ إنه هذا الذي يوحى إليه في غار حراء الآن، فهل قدرنا هذهِ الساعة حق قدرها؟

إذًا فلنشف القلوب حقًّا بالصلاة على رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ على سيدنا محمد

أنا وأنت أيها الإنسان وآباؤنا أجمعون إلى ذلك اليوم وإلى تلك الساعة التي كنا جميعًا نسير بأرجلنا إلى نار الله الموقدة عياذًا بباله منها، بل كان آباؤنا على شفا حفرة من النار... وذهبوا جميعًا وبقينا نحن، وها نحن اليوم نشهد ساعة بعثة هذا المنقذ لنا جميعًا ﷺ أو كأننا نشهدها..

فأي لهفةٍ يتلهفها مخلوقٌ أعظم من لهفته لطلَّة المنقذ، وقد ظهر من الأُفق البعيد منطلقًا بأقصى سرعة، وهو أشد حرصًا على إنقاذنا من حرصنا على أنفسِنا، وهو يرانا على شفا حفرة من النار ويرى بعضنا يتساقط في النار فعليًّا، ولا يملك أحد من الخلق جميعًا إعادةَ مَن سقط.

إي والله، هذا هو رسول الله ﷺ الذي الآن الآن وهو في غار حراء تحوَّل إلى رسول الله ﷺ الآن بعث بالرسالة، الآن أطلق في هذا الميدان.

هذه هي الحقيقة... كيف وهو القائل: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**»(١).

ألا أيها الثقلان فلنصلِّ على منقذنا كمنقذٍ لنا، وليست تراتيل وترانيم معتادة.. لِنتعرف أساسًا على مَن نصلي.. وفي أي لحظة نصلِّي، إنا لنصل عليه من لحظة بعثته، وهل لحظة البعثة وساعتها إلا ساعة التعارف.

ألا أيتها السماوات العلى: يا من جَفَّ أو كاد يجف صعود أي عمل من الأعمال الصالحة إليك...

الآن افتحي أبوابك؛ بل كوني كُلُّكِ أبوابًا، فلسوف تزدحم عليك الأعمال

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣).

الصالحة... فإن شمس خير أمَّة قد بدأ شروقها على الأرض بطلوع رسول الله ﷺ من ذرى جبل النور.. بل من ذرى النور إلى الأرض.

أيها الإنسان: كم تشتري الخروج من النار..؟ بل كم تشتري نفسك؟ واللهِ هذا منقذك، إنه رسول الله ﷺ، فكيف تصلِّي وتسلم عليه..؟ الآن صَلِّ... الآن سَلِّم عليه..

اللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا كثيرًا

أيها الإنسان: كم تشتري موضع سوطٍ في الجنة إذا كانت الدنيا كلها لا تُساوي ثمنًا لِموضع سوط واحد وليس موضع إنسان؟! هذا هو الذي يهبك بإذن الله الجنة مصورًا.

ألا أيتها الجنة العظيمة: افتحي خزائنَك، واعرضي بضائعك، وتزيني، وتجملي، فالآن يُبعث من سيبدأ بعد قليل بنشر فضائلِك، وعقد الصفقات المربحة لِطُلابك.

ألا أيها الحور العين: غنِّي اشتياقًا، واطربي وأطربي، فبعد قليل سوف يعقد القِران عليك من خطابك، ولسوف يبدأ المسير إليك فيصلك مَن تتغنين به الآن...

إنه ليس واحدًا ولا ألفًا ولا ألف ألف...

إنه الرجل الذي حجز عند ربه ثلثي سكان الجنة له ولأمته وإن كان هو الآخِر وأمته الأخير بين الأمم.



الفصل الرابع

الصلاة على النبي ﷺ في القرآن العظيم



لو أن القلب فتحَ عينيه على ذِكر الله ﷻ لرسوله ﷺ وهو يقرأ القرآن الكريم، وأنه كلما ذَكره ربه تنبه القلب لِهذا فصلى على النبي ﷺ، لَما استطاع القارئ ولا السامع أن يقرأ صفحة واحدة من القرآن الكريم إلا بضعف الوقت الذي تستغرقه في العادة، ولتقطعت المعاني والتوصيل بينها فليس في الوجود موضع فيه ذِكر للنبي ﷺ مثل القرآن العظيم مطلقًا، ولكن الله ﷻ جعل ذِكرَ نبيه ﷺ سلسًا سهلًا هو من روح النص نفسه وليس مضافًا عليه.. لا تحمله أنت ولا أنا بصلاتنا عليه ﷺ، إنما الله ﷻ يحمل رسوله ﷺ في كلامه ﷻ... لكن القلب يشهد من اليوم حضورَ رسول الله ﷺ في بعض ما يقرؤه من يقرأ القرآن الكريم، والقلب يشهد أن قدر النبي ﷺ حين يذكر في القرآن العظيم قدر عظم بما لا يحصى عما قبل أن ينزل عليه القرآن، وكما أصبح القرآن الكريم هو معجزة النبي ﷺ فإن النبي ﷺ تحول بذِكره في القرآن إلى معجزة بمعنى الكلمة.

انظر إلى أي قصة ذَكرها الله سبحانه في القرآن العزيز، وانظر إليها لو لم يذكرها في كلامِهِ الكريم ﷻ، فالقصة هي القصة.. لكنها حين يقصها الله في القرآن الكريم تتحول إلى شيء؛ إنها سوف تحمل خصائص القرآن العظيم.. تحمل من خصائص كلمات الله ﷻ... ودونك هذا الأمر العظيم.

قال الله ﷻ في أول قصة يوسف عليه السلام: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

والحديث هو الحديث، لكن حين يذكره الله ويتكلم به في كتابه الكريم فإنه حديث الله، وحديث يغلب الحدث مهما كان، وحديث يصبغ الحدث بما يصبغه به من هذه النسبة العليَّة، فلا تقل عندها إن القصة عظيمة وإن الأحداث شيقة أو أن الأشخاص كذا وكذا أو النهاية عجيبة أو ما إلى ذلك، نعم يكون الأفراد والأحداث لهم ما لهم من المقام، لكن لَمّا تحدث الله تبارك الله رب العالمين بهذهِ القصة أصبحت بحورًا من المعاني لا تنفد، وبحورًا من العبر والدروس، وارتبطت بما هو أعظم... ارتبطت بالله رب العالمين، واجتمعت فيها عوالم لم نكن لِنعرفها لولا أن الله سبحانه قصها علينا، وارتبطت حياتنا بها، وعرضها الله سبحانه لنا نحن، وهل ذكرها الله في كتابه الكريم إلا لأنها تعنينا، وأصبحت ملاذًا وأملًا، وأصبحت عبرةً وتجربة وقربة، وأصبح كل حرفٍ منها إذا قرأته لك فيه ما لك من الأجر، وأصبحتْ تزيدك إيمانًا كسائر كلام الله الكريم، وحملت وسْمَ الإعجاز، فمن المستحيل إزالتها من القرآن أو تحريفها أو حذف شيء منها ولا حرفًا واحدًا؛ لأنها من قوله سبحانه: ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤]، ولأنها من قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولَما أصبحت هذهِ القصة أو تلك من كتاب الله رفع عنها طابع الملل من قراءتها أو سماعها، بل أصبحت ربيعة القلوب ونور الصدور وجلاء الأحزان وذهاب الهموم، وكلما رددْتها وكررت قراءتها وسماعها ازددت بها التصاقًا ولها حبًّا، وازداد قلبُك منها تشربًا وغذاءً بل ودواءً.

ولو تأملت في كتاب الله الكريم لوجدتَ أن القصة هي إحدى أعاجيب هذا

الكتاب الكريم حتى تكاد تقول: إن طابع القصة صبغ جُلَّ الخطاب القرآني، ففيه قصة الخليقة، وفيه قصة الحياة، وفيه قصة خلق السماوات والأرض، وفيه قصة الأمم على الأرض، وقصة النبوات، وقصص هلاك الأمم، وبقائها، وفيه قصة الصراع القادم كما في سورة البقرة وغيرها، وفيه قصة الدار الآخرة، وقصة أهل الجنة وقصص أهل النار؛ قصصهما في الدَّارين طبعًا، كل هذهِ وغيرها أخذت المزايا التي ذكرناها والتي لم نذكرها ودخلت في قوله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فكيف وكل هذا القرآن بكل ما فيه من بحورٍ لا تنفد إنما هو أنزل على رسول الله ﷺ، والله سبحانه يذكر ذلك وينص على ذلك، فأنت لا يمكن أن تتلقى النص وتغفل عمن توجّه إليه حديث الله في أول القصة، كقصة آدم عليه السلام حيث يقول له سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] أعد قراءة الآية ثم أعد وأجب؛ لِمَن وجَّه الله الخطاب؟ لِمَن قال الله تعالى؟ على مَن يقص الله أول قصة عن خلق آدم قبل أن يخلق؟ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، فإذا تبين لك ذلك فماذا تملك إلا أن تصلي وتسلم عليه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه..

اقرأ من حيث شئت أن تقرأ وانظر لرسول الله ﷺ بعينك، كأنك تراه.. تنظر إليه إذ السائل أو السائلة تسأله، تنظر إليه وجبريل عليه السلام قد نزل عليه.. تنظر إليه وقد أفاق وهو يتلو على من وجد من كتاب المصحف ما أنزل الله عليه الآن... تنظر إليه وهو يقف بين يدي الله الذي أنزل عليه الآن كلامه.. وهو يقرأ لربه كلامه الذي أنزله سبحانه عليه الآن.. يقرؤه في صلاته... والصحابة رضي الله عنهم يتلقونه من لحظته يتقاطر وحيًا من كلماته لو صح التعبير. لكن مما لا يمكن الدخول هنا بأي شكل من التصور؛ بأي شعور يتلقى رسول الله ﷺ كلام الله... هكذا بهذا الوضوح.. أي ما بين الله وبين رسوله ﷺ.. كيف هو ﷺ وهو أعلم الناس بهذا؟! كيف والله يذكره دائمًا وأبدًا؛ أن هذا القرآن مني وأنا ربك تبارك وتعالى إليك مباشرة، بل كل آية فيها ما يذكرك.. بل كل آية كلها تذكرك، وما أكثر ما فيها من الإشارات التي تذكره.. وأحيانًا يصرح له بهذا ويذكره، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

وهذا ماذا يعني؟! وهذا والله كل شيء... إن هذا يعني أن أعظم قصة في القرآن إنما هي قصة رسول الله ﷺ في القرآن وقصته ﷺ مع القرآن.. وقصته مع ربه تبارك وتعالى وربه عز وجل يكلمه ﷺ في القرآن، ويجيبه في القرآن، ويجيب عنه في القرآن، ويحميه ويدافع عنه ويبين مقامه في القرآن، والله يحدثه بكل شيء نعم بكل شيء في القرآن ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] فَهِمَ مَن فَهِمَ.. وسطر يفهم كل ما فهمه رسول الله ﷺ... فأي قصة هذه إنها قصة الصلاة على رسول الله ﷺ والقرآن العظيم؟!

فهل أدركنا ماذا تعني قصة الصلاة على النبي ﷺ مع قرأتنا القرآن أو سماعنا للقرآن؛ إنها تعني الرابط الذي أدخلنا ذلك المدخل الذي لا طريق إليه

إلا بالصلاة على النبي ﷺ، إذ أن هذا الموضع إنما هو بين الله وبين رسوله ﷺ... فهنا لا يكون حديث ولا تفسير ولا بيان، إنما هو الإنصات والاستسلام والصمت.. مع ما نتعلمه من الصلاة على رسول الله ﷺ عند الإدراك.

فكما أن القرآن كله نزل عليه ﷺ فإن القرآن إمَّا له ﷺ وإمَا عنْه، ومع هذا يمر ذِكره ﷺ ولا يشعر به أحد أكثر الأحيان.. يمر ذكره ﷺ نسيمًا وسط النسيم، وعبقًا طيبًا في روح الطيب الطائر الغامر، ولِهذا فحقيقة الصلاة على النبي ﷺ في قلب المؤمن المستبصر لرسوله ﷺ وحركته ﷺ، وسكناته، وقوله وفعله، وذِكر الله له في آياته لا يمكن أن ينقطع، ولِهذا فالصلاة بالقلب متواصلة دائمة ما دام هذا القرآن أبد الآبدين.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد

ومع هذا فإن المرء لا يملك أحيانًا إلا أن يتوقف ليروي اشتياقًا إلى رسول الله ﷺ بعثته كلمات الله تبارك الله رب العالمين، فيأخذ بالصلاة على رسول الله ﷺ، وكَأَنَّ اللسانَ غَارَ من القلب فأبى إلا المشاركة ولم يطق الصبر على رسول الله ﷺ وهو يجده حيًّا متحركًا في كلمات الله، ووالله لهي أرقى حياة وأحيا حياة.

وكيف يستطيع القلب أن يمر المرات والمرات والله سبحانه يَذْكر رسوله ﷺ أمامه ثم هو لا يتوقف لُحَيْظة لِيُصلي عليه ﷺ؟! وهل يملك اللسان أن يتأخر إذ القلب هنا أبصر... أبصر رسول الله ﷺ، بل بصَّرَه الله ﷻ برسوله ﷺ، وهذا والله كثير لِمَن بصَّره الله برسوله ﷺ حيًّا كطبع الحياة في القرآن الكريم بل كطبع الإحياء بالقرآن الكريم؛ لأنه كلام الله الحي القيوم، وكلام الله الحي الذي وهب الحياة ويهبها لكلِّ حي ولكل مَن يشاء وما يشاء ولو كان كلامًا، وهل الحياة إلا بكلمةٍ من الله؟!

والبعض لا يدرك هذا لما تعودنا من اشتراط وجود شاهد حرفي منصوص وهاك مثل منصوص، وهل يملك القلب إلا أنْ يأمر اللسان أن يستجيب فيصلي على رسول الله ﷺ حين رأى مطلع ختام سورة البقرة ذِكر رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يقول: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٥،٢٨٦].

فيهتف القلب من أعماقه: أيا يا أيها الإنسان اهتف بالصلاة على رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد

إني أريد أن أرفع إلى ربي صلاة على رسول الله ﷺ، صلاة لا نظير لها بالنسبة إليَّ، صلاة أرفع ما في هذهِ الختام العظيم؛ لِيتقبلها الله مني كما تقبل هذا الدعاء الوارد في الختام كله...

فأرفعها وكأنها جزء من الدعاء كله... وهل هذا الدعاء كُلُّه إلا لرسول الله ﷺ، وهو الكنز الذي ختمت به سورة البقرة، أنزله الله إلا لرسوله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم

لا شك أن لسان المؤمن إذا جاءه التنبيه من القلب أن ارفع هنا إلى الله صلاة وسلامًا على رسول الله ﷺ، فإنه يستجيب مباشرة ولا يتأخر، ولكن ما أكثر ما يأتي ذِكر رسول الله ﷺ سهلًا عابرًا.. روح وريحان... فلا يستشعره إلا بعدَ فوات الآيات الكريمات... بينما القلب يُصلي على رسول الله ﷺ في أكثر الأحيان قبل

فوات الأوان إذ هو يقرآن كلمات الله عنه ﷺ في القرآن، وصلاة القلب عليه ﷺ هو باعث يبعثه الله في قلبِ المؤمن حين يذكر رسوله ﷺ، يبعث على تعظيمه، وتبجيله، وتقديره وإجلاله، فإذا تنبه العبد أكثر انتقلت هذهِ الروح إلى الصلاة والسلام عليه ﷺ من حركة القلب إلى حركة اللسان، وإلا عاشت روح الصلاة على رسول الله ﷺ في قلبِ المؤمن وجالت في أرجاء صدره حبًّا واشتياقًا.

هكذا يزيد الله ﷻ عباده ارتباطًا بالرسول ﷺ، ويحكمها بكلمات الله التامات.. وهكذا يصبح العبد كلما قرأ من القرآن أكثر زاد ارتباطه برسول الله ﷺ أكثر، وكلما تنبه قلبُه لذِكر رسول الله ﷺ أكثر كلما صلى على رسول الله ﷺ أكثر، وهل توجد كلمة تُثَبِّتُ كل المعاني التي يقصد بها رسول الله ﷺ أكثر من الصلاة والسلام عليه، وإلا فما هي وسيلة الصلة الأخرى؟!

وانظر كيف نُفَوِّت عقد الصلة والاتصال برسول الله ﷺ إذا فوتنا الصلاة عليه ﷺ في كل مرة؟ وانظر كمية الإيمان وتجديده وتأكيده بالرسول الله ﷺ وكمية الحب والاتباع والاقتداء والفداء وما إلى ذلك إذا ثبتناها في كل مرة تنبعث فيها روح الإيمان وروح تلك المعاني عن رسول الله ﷺ في القلب... ثبتناها بالصلاة على رسول الله ﷺ، ولا يمكن أن يستيقظ القلب بل يبلغ ذروة الحياة والإحساس والإشفاق مثلما إذا تليت عليه آيات الله، وعند ذاك تنبعث الصلاة على رسول الله ﷺ من ذاك الإيمان القوي الحي النقي الذي يحفظ أثره ويشتد وطؤه بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

لا يشغب أحدٌ ويشوش على هذا الأمر العظيم، فإن مشروعية الصلاة على رسول الله ﷺ منوطة بذِكره ﷺ كما قال ﷺ: «**مَنْ ذُكِرْتُ عندَه**»(١) سواءً كان

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (٢٠١٥)،=

ذِكره بالقرآن الكريم أو بحَديثه ﷺ أو بأي وسيلةِ ذِكرٍ له ﷺ، فكيف إذا اجتمع الذِكْران: ذِكرُ الله ﷻ له في القرآن، وذِكر القلب له.. فلِمَ لا يستجيب اللسان.

ثم مَن ذا الذي يقول: إن الدعاء لِنفسي إذا قرأت القرآن يجوز لي بينما الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة لا تجوز؟!

أليس من حقِّي الذي عَلَّمَنا رسول الله ﷺ إياه أن ندعو الله ﷻ لأنفسنا بما يُناسب ما قرأنا من القرآن؛ فَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»(١).

فماذا عليَّ إذا قرأتُ مثلًا قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

=وصححه، وأحمد في المسند (١٧٣٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، رجاله ثقات.

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

[البقرة:٢٨٥-٢٨٦]، فما أطقت إذ رأيت ربنا ﷻ قد قدَّم رسوله ﷺ أن أقدم نفسي عليه بالدعاء! معاذ الله.

كيف إذا آثرت رسول الله ﷺ على نفسي، وقَدَّمته على طبعي الفطري فدعوت له قبل دعائي لنفسي؟!

فحاشا الله أن يؤخرني لأَني قدمت رسوله ﷺ.

فخذها يا رسول الله تفضلًا منك صلاة تلتهب حياةً وحيوية، وتتقد صلة ونورانية مع كلمات الله الحية، بل هاك يا رسول الله ﷺ السلام.

فالسلام عليك يا رسول الله.. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

يا رب وأنا أجاورها بما لا يُحصى له عدد، علِّ الصلاة على رسولك والسلام عليه ﷺ يمسها من هذا التسبيح، فتغدوان بغير حدٍّ ولا عد.

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

وهل أرجو بهذهِ الصلاة في هذا الكنز الذي أنزله الله في ختام سورة البقرة خاصة من ربي إلا أن يعجِّل ربي هذا الدعاء المجاب فيستجيب الصلاة على رسول الله ﷺ نفسها، وأن يعجِّل فرج الأمة بهذهِ الصلاة على رسول الله ﷺ ويستجيب كل دعاء في هذهِ الكلمات الكريمة من رب العالمين على لسان القارئ لها يرفعها بضمير الجمع الذي صبغ الدعوات، فهو دعاء عن الأمة كلها.. وهل الجمع هنا إلا عن ركب اتباع مَن تَصَدَّر ذكره أول الآيات وختم بالدعوات ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: كافة.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

ألا أيها القارئ الكريم ألقِ حبلَ وصالك برسول الله ﷺ كلما غلب على قلبك تعظيمه وتبجيله وذِكْره وغمرتْ قَلْبَكَ محبته ﷺ.. وهذا هو ما يصنعه القرآن الكريم، ولا يصنع أحد صنع الله رب العالمين، فوالله ما أحلاها صلاة... وما أحياها صلاة، وما أقواها صلة، وما أضمن وصولها إلى صاحبها ﷺ من صلاة، وما أعظم كفالة الله ﷻ وضمانه لها لِمَن صلَّى بها من صلاة...

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسول الله

رب العالمين هو ﷻ من يوقفنا على مرابع رسول الله ﷺ ويَمر بنا على حياته، ويَمُر بنا على مواقفه، ويَمر بنا على مواقعه وغزواته، ويَمر بنا على تربيته وأَصحابِه، ويَمر بنا على عباداته وعموم حياته، وذلك من خلال كلامه سبحانه العظيم.. كيف وكل كلامه العظيم لرسوله ﷺ ونَزَّله على قلبه بالحق؟!

فهل يمكن أن يُنْسى رسول الله ﷺ وهذا القرآن موجود أبد الآبدين.

وهل يمكن للمسلم الحاضر القلب إلا أنْ يشهد ما يشهده الله عليه ويجعله الله سبحانه يشاهده بعينيه أو بعيني قلبه، فأنى للزمان وإن طال أن ينسي رسول الله ﷺ، وهذا صنيع الله معه في القرآن العزيز.

وهل يغفل المؤمن عن انتهاز كل فرصة في القرآن الكريم والمبادرة بالصلاة عليه ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على رسول الله

لا تملك وأنت تقرأ قول الله ﷻ عن رسوله ﷺ إلا أن تَطْبعَ نفسك بطابع نحوه ﷺ كل موقفٍ بحسبه...، ولذا فإنك لا تملك في موقف قرآني إلا أن تُبجله ﷺ.

ففي هذا الموقف تهيم به ﷺ حبًّا، وهنا تشتاق للقائه ﷺ، وهنا تُشاركه الموقف، وهنا تحن له، وهنا تبكي لأجله ﷺ، وهنا تودُّ لو أنك كنت ثمَّ لتتشرف بغدائِه، وهنا تُبايعه بأحر بيعة ومن أعماق قلبك.

وفي كل موقفٍ من مواقفها تقول بقلبك ولسانك معًا: اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، إنك حميد مجيد.

هكذا يصنع الله سبحانه بقلبك، وهذا لا تجده منطلقًا مثلما تجده حين تقرأ كلام الله رب العالمين عن رسول الله ﷺ.

ولا تملك إلا أن تُصلي عليه بقلبك في كل مرة، وربما غلب ذلك على لِسانك فهتفت بالصلاة والسلام عليه هنا، وتوقفت بالصلاة والسلام عليه هنا، وكل صلاةٍ لها معناها وكأنها غير الصلاة التي قبلها، وهكذا الصلاة تتنوع طوال قراءتك لِكلام الله عن رسول الله ﷺ، **وأنت إنما تُغذِّي جوانب العلاقة بالله** ﷻ **بالصلاة على رسول الله** ﷺ، فالصلاة على النبي ﷺ تُغذِّي الرجاء في القلب، وتغذي الخوف بالله، وتغذي التوكل على الله، وتُغذي حسن الظن بالله، وتغذي حب الله وتغذي حب رسوله ﷺ، وهكذا وهكذا حتى لا يبقى جانب من جوانب عقيدة المسلم إلا غَذَّته الصلاة على رسول الله ﷺ، أوَ ليس هو ذِكر القدوة ﷺ؟ أوَ ليس هو هنا خوف النبي ﷺ الذي اضطرك الصلاة عليه اقتداءً بخوفه، وهو الذي جعلَك تُصلي عليه من شدة الشوق إليه، ويأتيك موقف توكله على الله، وثقته بالله، وحسن ظنه بالله، وحبه لأمته، وأنت في كلِّ موقف تُصلي عليه، ورب العالمين هو مَن يبعثك لِتُصلي عليه إذ أنت في جلال كلامه ﷻ الذي يتحدث فيه عن رسوله ﷺ... فهل يملك القلبُ إلا أن يتغذى؟ وهل يملك العقل إلا أن يحفظ ويرسخ؟!

صلاة الله ﷻ على رسول الله ﷺ دعاء.. أم ثناء.. أم جزاء؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: **وهنا سؤال مهم:** وهو أن الصلاة الأولى والعُظمى إنما هي صلاة الله على نبيه ﷺ بغير شك. فهل هي أن يقول الله ﷻ سبحانه: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد.. أيْ: يقولها سبحانه كما عَلَّمَنا أن نقول في التشهد وفي المواطن الأخرى؟

والجواب: لقد ذكر الله ﷻ في كتابه العزيز اسم رسول الله [محمد] ﷺ أربع مرات في القرآن العزيز باسمه الصريح، ولم يصلِّ عليه بهذه الصلاة مرة واحدة.. أي: لم يقل: اللهم صلِّ على محمد ﷺ.

فهل لو كانت هذه صلاة الله ﷻ على رسوله ﷺ لأمرنا بها وتركها.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

كما ذكر الله ﷻ باسم الرسالة: ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أو ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦١]، أو ﴿رَسُولُنَا ﴾ [المائدة: ١٥] كثيرًا.... ولم يقل الله ﷻ مرة واحدة: ﷺ...

وهكذا ذكر الله ﷻ اسم ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران: ٦٨] كثيرًا، ولم يذكر هذه الصلاة عليه مرة واحدة.. عند ذكره ﷺ.

إن هذا يكفي أن نعلم أن صلاة الله على رسوله ﷺ ليست هذه، ولا هي المقصودة أبدًا.

فما الجواب إذًا؟ الجواب: هو أن صلاة الله ﷻ على رسوله ﷺ غيب عند الله تعالى.. فلقد ادَّخر الله ﷻ صلاته على نبيه غيبًا عنده.. تعظيمًا، وتكثيرًا، وتكبيرًا.. إجلالًا وتكريمًا.. ورحمة بالعباد، فإنه لا طاقة لعقولهم بهذا الجزاء.. والله ﷻ أعلم، فاللهم صَلِّ عليه.. اللهم زد وبارك.

إذًا، فإن الدعاء بـ [اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد] إنما هي صلاة المكلفين.. صلاة الخلق على رسول الله ﷺ، وهي دعاء كما نراها، أو إخبار.. فإذا كانت دعاء فالله يدعو مَن ويخبر مَن وهو الله رب العالمين ﷻ...؟

فإذا أُشكل على البعض صلاة الله على بعض خلقه كقوله في الصابرين: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦،١٥٧]، فإن صلوات الله على كل أحدٍ تناسبه.. مثل أي اشتراك بيننا وبين رسول الله ﷺ في أي عمل آخر أو حسنة أخرى..

ومَن ذا الذي يستطيع أن يحدَّ معرفة صلاة الله على رسول الله ﷺ عدًّا، أو حدًّا، أو كمًّا، أو نوعًا.. فلنرجع إذًا إلى آية الصلاة على النبي ﷺ فَلَعَلَّنا نظفر بشيء يعيننا ويعلِّمنا ويهدينا، وكلام ربنا كله هداية؛ ذلك أن هذه الصلاة تكتنفها الخصوصية من كل جهاتها ليشير بها رب العالمين إلى أن جزاء صلاته سبحانه غيب عنده، وأن ما تعرفونه منها إنما هو اسمها وهو [الصلاة]، وأن لا سبيل لكم لمعرفة جزائها.

فالخصوصية الأولى: أن الله ﷻ لم يقدِّم أحدًا قبل نفسه ﷻ في الصلاة على رسوله ﷺ تشريفًا له وتعظيمًا وتكريمًا.. فقال في أولها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، فلم يقل: [يا أيها الذين آمنوا]، ولا [يا أيها الناس]، ولا [وإذ قلنا للملائكة].. وإنما قال مباشرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، وكفى هذا التقديم في هذا المقام إشارة وبشارة بأمر لا علاقة لأحدٍ به إلا المتكفِّل به وحده ﷻ.

أما ثانيها: فقد جعل ﷻ هذه [الصلاة] منه سبحانه منسوبة إلى [الله] ﷻ، وكونها منسوبة إلى [الله] ﷻ فقد استحال تحديد نوعية العطاء، ولا ماهيته، ولا

عدده، ولا سعته، ولا أي إشارة تقرِّب الأمر إلينا.. اللهم إلا أن نقول – والله أعلم –: بما أن أسماء الله الحسنى تعرف باسم الله وبنسبتها لاسم الله ﷻ [الله] ﷻ، فإن قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يعني أَنَّ لِرَسول الله ﷺ حسنًا وإحسانًا من كل اسم من أسماء الله الحسنى.. فلرسول الله ﷺ من الله حسنى من كل اسم من أسمائه الحسنى.

وكونها منسوبة إلى الله ليس كما لو نُسبت لاسم من أسماء الله الحسنى الأخرى – وكلها حسنى –، فلو قال الله ﷻ مثلًا: [إن الله كان غفورًا رحيمًا] لحدَّ لنا أن عطاء الله هنا هو العفو والمغفرة، وأنعم به من عطاء.. وهكذا في جميع الآيات المماثلة.. وهكذا الأمر في جميع الأسماء الحسنى الأخرى، أما هنا فأنَّى لأحدٍ أن يحدِّدها بشيء، والله ﷻ ما ذكر إلا الصلاة عليه؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ فمَن ذا الذي يستطيع أن يقول: المقصود بالصلاة من ربه عليه هي المغفرة، أو الرحمة، أو العفو، أو الرضى، أو نحو ذلك! فهذا تحديد وتقييد لم يأذن الله ﷻ به، ولم يذكره رسوله ﷺ، بينما حدَّد الله المقصود بالصلاة على المؤمنين بالمغفرة والإخراج من الظلمات إلى النور، والهداية؛ فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ثم ختمها بقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فهنا تحدَّد مقصود الصلاة أكثر وأكثر بالنسبة للمؤمنين، فلا يختلط علينا المشرب الكريم، وبقيت الصلاة على رسول الله ﷺ.. كما هي رمزًا لجزاء من الله ﷻ لرسوله ﷺ ، فهذا مشرب كريم فرد فذٌّ أحد.. فلنعاملها بهذه الخصوصية.. فهي خصوصية عند الله، فلم يبقَ إلا أن يُربَطَ الجزاء بـ [الله] وأسماء [الله الحسنى].

فإن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فلا شيء أقرب من أن نقول: إن لِرسولِ الله ﷺ من كل اسم من أسماء الله الحسنى.. حسنى؛ وما أعظم هذا.. إي والله إنه لعظيم.

وأي مخلوق كريم عرَّف الناس بأسماء الله الحسنى مثل رسول الله ﷺ.. فما جزاء مَن فعل ذلك إلا أن يجازيه الله عن كل اسم من أسمائه الحسنى جزاء كل اسم على حدة، وجزاء كل الأسماء مجتمعة، وقد علَّمنا ربنا سبحانه أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى سلطانه، وله عظمته، وله جلاله، وله جماله، وله إعاذته، وله عطاؤه، وله ما لله، تبارك الله رب العالمين... ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

أما ثالثها: فإن الله سبحانه قال: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ وفي هذه الكلمة غيوب لا يعلمها إلا الله، ولا يمكن أن يعلمها أحد إلا الله ﷻ، فمَن هم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ ﷻ؛ هل هم ملائكته الخاصون الذين لا نعلمهم تحديدًا، أم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ بعض ملائكته من ذوي المهام الخاصة ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، أم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ المصلون عليه هم جميع ملائكته لأنه الأعم الأشمل والأفضل، وهو المعنى الجامع لجميع المقامات، ولأنه الموافق لسياق الآية حيث إنه إذا تقدَّم الله ﷻ بأمر فيه رضاه سارعت الملائكة كلها لمرضاته ﷻ؛ قال الله تعالى عن ملائكته: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ [النازعات: ٤].. وهنا الأمر ليس مخصوصًا بتكليف معين لملائكة معينين في مهمة معينة، فالأصل في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ أن هذا فضل عام تفضل الله به على ملائكته.. ورضًا عام نشره على ملائكته.. وتقريب عام يتقرَّب به ملائكة الله إلى الله ﷻ، وزلفى يتزلَّفون بها إليه سبحانه... إذ الصلاة على حبيبه إليه بقدر محبته حبيبه ﷺ، ومَن ذا الذي يستطيع أن يقدِّر محبة الله لحبيبه ورسوله محمد ﷺ؟!

أما رابعها: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، نعم إن الصلاة لفظ مشترك بين الله وبين ملائكته وبين المؤمنين... إلا أن هذا لا يدعونا إلى الظن بأن صلاة الله على رسوله ﷺ كصلاة خَلْقِه من ملائكته أو صلاة المؤمنين، فإنه إذا لم تكن صلاة المؤمنين كصلاة ملائكته فكيف تكون صلاة المخلوق كصلاة الخالق سبحانه؟ والله ﷻ يقول: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].. فمثلًا منذ متى يصلي الخلق على رسول الله ﷺ، منذ متى يصلي أتباع رسول الله ﷺ وأمته عليه.. ومنذ متى تصلي ملائكة الله ﷻ عليه؟ ولا نستطيع أن نقول: منذ متى يصلي الله ﷻ، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، وما ذلك إلا تعظيمًا لهذا الجزاء الذي لن يبلغه العادون والله أبدًا.

أما خامسها: فإن الله سبحانه قال هنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، فما قال الله ﷻ: على [الرسول]، ولو قال لكان حقًّا، ولكن قوله الحكمة، والحكمة هنا هي ما قال الله، وهي قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، فالنبي في اللغة من النبأ، وهو أنسب ما يكون لهذا المعنى الذي ذكرنا من أن جزاء الصلاة على رسول الله ﷺ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له، وأنه نبأ مستقل ونبأ قادم، وأنه عند الله.. وأن لا سبيل إلى معرفة هذا النبأ إلا في الآخرة لهذا النبي، فهو نبأ عظيم إذا ما كشفه رب العالمين وأظهره يوم النبأ العظيم.. فذاك النبي العظيم، يوم النبأ العظيم

للنبي العظيم ﷺ.. وما دام الأمر كذلك... فأي مفاجأة عظيمة طواها الله ﷻ لرسوله ﷺ في هذا اللفظ الكريم ﴿ٱلنَّبِيِّۚ﴾، وأي مفاجأة للعالمين أجمعين.

أما سادسها: فإن قول الله ﷻ: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ فالصلاة عليه من المقام الأدنى ليستغرق كل مقام له.. ولو قال في هذه الآية: يصلون على [الرسول]، لربما حمله البعض على تخصيص هذه الصلاة عليه بكونه رسول الله، وليس نبي الله، فتكون الصلاة عليه من المقام الأعلى.. أما مقام النبوة فدونها.. لكن الله ﷻ قال: ﴿ٱلنَّبِيِّۚ﴾ فمن كل مقام ﷺ، وفي كل حالة ﷺ.. ومن كل اتجاه ﷺ.. وهكذا، فهو من كل مقام هو الذروة التي لا يبلغها أحد، لأن فيها ومنها تأتي الصلاة والسلام عليه ﷺ.

أما سابع الخصوصيات:

أن الله ﷻ ذكر هنا ﴿ٱلنَّبِيِّۚ﴾ ﷺ... ولم يحدِّد بحرف واحد يشير إلى تحديد النبي، كأن يخاطبه الله ﷻ بيا [أيها النبي]، أو يشير له باسم إشارة، أو حرف إضافة كحرف الكاف، أو نحو ذلك، وهذا لا يعني أنه إذا قيل الرسول أو النبي لم ينصرف إلا إلى رسول الله ﷺ فحسب..

فإن الأمر هنا جاء بصيغة الإخبار، والأمر كذلك في هذه الآية، والصيغة تدل على أنه إذا ذكرت الصلاة على النبي عند الله وعند ملائكته فلا حاجة إلى التحديد فهو رسول الله ﷺ ولا أحد سواه، مثلما أنه لا أحد معه في هذا الجزاء.

حتى لو ورد في بعض الأحاديث ذكر بعض الأنبياء عليهم السلام، وذكر الصلاة عليهم بلفظ [ﷺ]، فهذا شيء وما في هذه الآية شيء آخر... فإن ما في هذه الآية فيه صلاة الله تبارك وتعالى، وفيه صلاة ملائكته، وفيه صلاة المؤمنين جميعًا.. وهذا يختلف

عن مجرد الصلاة والسلام عليه مثل: [ﷺ]، فهنا رب العالمين في الصلاة أولًا، ثم هنا أطهر الخلق أجمعين وأقرب المقرَّبين وهم ملائكة الله، وهنا أطهر مَن في الأرض وهم المؤمنون والمكلفون عند الله بشكل مطلق، وهم في هذا الأمر مكلفون تكليفًا مخصوصًا بكل عظمة.. إن الصلاة في هذه الآية هي الكمال كله كما هو شأن كلام الله. هنا الصلاة على رسول الله ﷺ آية كاملة خاصة برسول الله ﷺ.. فعظمتها من كلمات الله التامات هذه.

وثامن الخصوصيات: هو أن صيغة الصلاة على رسول الله ﷺ خاصة دون سواه، فما قال الله ﷻ ذلك عن أحدٍ غير رسول الله ﷺ.. فما أشرك الله في هذه الصلاة أحدًا مع رسول الله ﷺ أبدًا، لا المؤمنين، ولا الآل، ولا أحدًا من الأنبياء عليهم السلام أبدًا.

فوالله ما أدري ما أقول من التعظيم والتخصيص والتهنئة على هذه الكلمات التامات التي قالها الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والحمد لله رب العالمين.

فربما قال قائل: هذا جزاء الله ﷻ لعباده على حسناتهم؛ قال الله سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فيجري على رسول الله ﷺ ما يجري على بقية عباده.. فلرسول الله ﷺ من كل حسنة عشر أمثالها! والجواب: أن هذا هو جزاء مَن صلَّى عليه ﷺ، وليس جزاء رسول الله ﷺ بصلاة الله عليه.

نقول: نعم، قد بيَّن رسول الله ﷺ عطاء الله لـمَن صَلَّى على رسوله ﷺ... الحديث: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(١).

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨).

فكان جزاؤه معلومًا كما قال الله ﷻ له ﷺ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ ﷻ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، قَالَ: بَلَى**»(١) هو الشاهد على أن هذا جزاء مَن صلَّى عليك، فيا ترى كيف سيكون جزاؤك أنت.. وما هو جزاء صلاة الله عليك ﷺ؟!

هذا جزاء مَن تزلَّف لي بالصلاة عليك.. فلأجلك أعطيته كل هذا العطاء.. علمًا أن مَن دعا لأخيه في ظهر الغيب قيل له: «آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»(٢)، أما عليك فله عشر.. فماذا سيكون عطائي لك أنت؟ عبدي تزلَّف لي بالصلاة عليك فقبلته وضاعفت له.. وإنها لزلفى عظيمة.. فكيف ترى عظمة عطائي لك وأنت سر العطاء؟!



(١) رواه أحمد (١٦٣٦٣)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩١) رقم (١٦٦١): حسن لغيره.

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٣).

الفصل الخامس

رسائل الصلاة على النبي ﷺ



الرسالة الأولى: لله رب العالمين شهادة يرفعها عباده المشفقون: رسائل من عباده المؤمنين يرفعونها لله رب العالمين ﷻ.

يا ربنا إنا حينما نُصلي على رسولك محمد ﷺ فإنا نرفع إليك من باب أولى إيمانًا قاطعًا بأننا به ﷺ أعظم إيمانًا وإيثارًا له على أنفسنا وحبًّا هو أعظم من حب أنفسنا وحب آبائنا وأبنائنا وأنت يا رب بهذا أعلم.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك

يا ربنا: اشْهد وأنت خير الشاهدين بأننا نحبك تباركت ربنا وتعاليت حبًّا لا نظير له مطلقًا، ونحب رسولك ﷺ أكثر من حبِّنا أنفسنا وأولادنا وكل شيء، والصلاة على رسولك ﷺ أعظم شهادة على هذا.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا[1]

فنحن حين نُصلي على رسولك وحبيبك محمد ﷺ إنما نُصلي عليه أساسًا؛ لأنها إرضاء لك ربنا وحدك لا شريك لك، ثم إرضاءً له ﷺ قبل أن نفكِّر أنها لنا نحن المؤمنين وأن أجرها لنا.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦).

ونحن حينما نُصلي على حبيبك ونبيك محمد ﷺ إنما نُصلي عليه يا ربنا أولًا وقبل كل شيء لأنه حبيبك الأول في الثقلين.. فنحن نحبك ونحب مَن تحب يا ربنا، وما من حبيب لك في ذرية آدم مثل حبيبك محمد رسول الله ﷺ... فأي شغل لنا مثل شغلنا بأعظم ما تحبه؛ برسول الله ﷺ والصلاة والسلام عليه ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

فمحبة مَن تُحب يا ربنا هي الأساس الذي أذهلَنا عن كل ما نحبه، فهل ترد حبيبًا جاء مقدِّمًا حبيبك محمدًا رسولك وسيد ولد آدم ﷺ... فحبك ربنا وحب رسولك في قلوبنا لا ينفصلان أبدًا، وقد قال رسولك ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»(١).

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

فالحب يا ربنا كله لك وحدك لا شريك لك... ومن حبك وتحبيبك نبع حبُّ رسولِك ﷺ، ونبع حب كل ما تحب ومَن تحب... أما نحن يا ربنا فأنت تعلم كم نحب رسولك ﷺ، إلا أننا نتزلَّف بحبنا رسولك ﷺ إليك ربنا... لأن ذلك هو الأحب إليك، ولأنه واللهِ ثم واللهِ أحب إلينا من أنفسنا بتحبيبك يا رب لنا ذلك، ولأنه حقيقة أحب إلينا من أنفسنا بفضلك، يا رب وهذهِ الصلاة العظيمة إحدى الشواهد لِما نقول؛ فنحن نترقب وقت إجابة الدعاء فنرفع إليك الصلاة والسلام على رسولك ﷺ... وما ذلك إلا لأن رسولك ﷺ أحب إليك منا.

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤) واللفظ له، والنسائي (٤٩٨٧)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد (١٢٠٢١).

فيا ربنا – وأنت أعلم– لو أنك لم تعط على ذلك جزاء ـ وحاشاك ـ لقدَّمنا ما تحب على أنفسنا؛ لأن ذلك أحب إليك... وكفانا ذلك جزاء.

فيا رب أَعنَّا نحن أمة محمد ﷺ لِنجعل هذا منهج حياتنا كلها في أصغر شؤوننا وأعظمها..

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

إلا أن الله سبحانه يُعطي وهو ربنا الأكرم وعطاؤه سبحانه لا حدَّ له، ومع هذا فإن عطاءه سبحانه مطلق لِمَن قدَّم ما يحبه الله ﷻ لأن الله يحبه حتى لو فرض أن ليس عليه جزاءً، فهنا عطاء الله لا يُحدُّ ولا يُعدُّ؛ لأن هذا المنهج مطلق في كل شيء فجاء الجزاء من جنس العمل، ولأن الحب مطلق لا حدَّ له مع الله ﷻ فكان الجزاء مطلق لا حدَّ له، ولأن تقديمه محابَّ الله على كلِّ شيء بشكل مطلق دون النظر في قربها منه أو بُعْدها عن اهتمامه بها أو عدم اهتمامه بها، فالاستعداد مطلق في كل شيء، والميزان مفتوح، فكل شيء يوضع في الكفَّة المقابلة لِمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، فهو مرجوح بغض النظر له ولِماهيته وأهميته.. حتى لو كانت الروح والولد والثروة والملك، فكانت كفة صاحب هذا المنهج عند الله راجحة بشكل مطلق حتى لو لم يتعرض لاختبارات متواصلة وخيارات دائمة ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وهل أدل على هذا من فعل سيدنا سليمان ﵇ بِخَيْلِهِ؟! وهل أدل على الجزاء على هذا الطريق من الحب وعمل المحب من جزاء الله ﷻ سيدنا سليمان ﵇ في فعله هذا؟! فقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٠-٣٦]، فهو عليه السلام ينصُّ على أن الأمر أمر محبة، هكذا كان عند سليمان عليه السلام، ومن ثم حسم حبُّ الله سبحانه الأمر فقال: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [ص:٣٢]، فهو لم يذكر الشر إنما أحب الخير، لكن ثَمَّ خير الخير كله وأحب محبوب مطلقًا.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

وإن قاعدة تقديم الأحب إلى الله تبارك وتعالى لِتجعل الإنسان يشق لنفسه فيها طريقًا خاصًّا لا يخالف ما ورد، بل يتوافق مع الأصول، وأعظم الأصول وأصلها محبة الله تبارك وتعالى، والمحبون في هذا يجتهدون اجتهادات عجيبة لا يلتفت إليها سواهم.

فهذا محبٌّ رأى حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَالَ: قَلَّ مَا تُرَدَّانِ، الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، أَوْ عِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَحْتَ الْـمَطَرِ**»(١)، فقال: يا رب لأفرغن ما بين الأذان والإقامة للصلاة على رسولك صلى الله عليه وآله وسلم. أوَ ليست الصلاة عليه دعاء، أوَ ليس الدعاء مجابًا، أوَ ليس رسولك وحبيبك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليك مني... فاشهد يا رب على حبِّي لك وأنت ربي الأكرم؛ أني قدَّمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفسي وأنت لم تأمرني بهذا الدعاء المخصوص، وهو الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تعدني بشيء مخصوص على هذا، لكنه يا رب حُبُّك وحدك لا شريك لك، وحب رسولك صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٥٣٤)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير (٥٧٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٨).

وهكذا يبقى هذا الصنف من المحبين مفتحي العينين يرقبون الخيارات الأطيب والأحسن فيختاروها لِرسول الله ﷺ لأنه الأحب إلى الله منهم، ولأنهم يحبون الله ورسوله ﷺ أكثر من حبهم أنفسهم، وحالهم في هذا حال الولد البار الذي ينتقي أطايبَ البشائر من الفواكه الطيبة عند أول التبشير بها ولا يأكلها حتى يأتي بها أباه وأمه، ولا يمد يديه إلى لقمة خشية أن عين والديه عليها، ولا يغبق ولدًا ولا أهلًا عليها.

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم يختارون له لحم الذراع لأنه أحب إليه، ويهدون له في يوم عائشة رضي الله عنها لأنها أحب إليه، وهكذا في كل شيء.. فماذا بقي لنا - نحن - نخصه به مثل الصلاة والسلام عليه - صلى الله وسلم عليه وآله -، كما نخص آله عليهم السلام.

نعم إن للنفس مطالبها وهي تريد أن تدعو بها، وإن لطلب الحاجة بشكل مباشر من العبد لِربه سبحانه وبصراحة المطلب ضرورتها، ولهذا الجُمْعة كلها لرسول الله ﷺ إلا ساعة واحدة جعلها الله للإنسان نفسه وهي ساعة وقد جاءت التوصية النبوية أن يدعو الإنسان فيها.

ومع هذا فإن هذهِ الساعة تغري المحبين أكثر فيقدموا هذهِ الساعة لِرسول الله ﷺ، وليفعل الله سبحانه ما يشاء بي.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

ولتكن الجمعة كاملة لِرسول الله ﷺ؛ لأنه أحب عندَ الله تبارك وتعالى مني ومن الناس كافة، ولأن الله ورسوله ﷺ أحب إليَّ من نفسي التي بين جنبي، ومع أن الله يجعل للعبد ساعة فليدع بها كاملة لِمَن يشاء، ومما يختاره الغيورون المحبون لله ولرسوله ﷺ هو أن يدعو لأمة محمد ﷺ، وهذا الدعاء في

الحقيقة إنما هو علامة على إيثار الرسول ﷺ وتقديمه على النفس؛ لأن رسول الله ﷺ كان يُقدِّم أمته على نفسه ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

وإنك لَترى ذلك يَقينًا من خلال حياة النبي ﷺ، فإنه لا مؤثر مثله على نفسه ﷺ، ثم هو لا يؤثر أحدًا إيثاره أمته ﷺ حتى تصل إلى يقين أن ما تراه من أدعية النبي ﷺ لِنفسه أو لرزقه إنما هو من تعليم أمته ﷺ، ومن الأدلة كذلك على هذا أن تجد أن الرسول ﷺ كان يدعو بعد الوضوء فيقول: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي**»(١)، فهل وسع الله سبحانه للنبي ﷺ في داره؟ لقد مات في الحجرة التي عاش فيها أغلب حياته ودُفن فيها ﷺ، وهكذا أدعيته للوالدين، وقد عاش ﷺ يتيمًا، ثم إن الله سبحانه أرسل له يُخبره أن يجعل له جبال مكة ذهبًا أو بطحاء مكة ذهبًا وبين المسكنة، فاختار المسكنة، فلِمَ لَمْ يقبلها وهو مَن دعا بالغنى في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى.

هنا تقطع بأنه ﷺ كان هو المعلم وهو المربِّي في هذه الأحاديث التي فيها شيء لِنفسه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٥٧٤)، (١٦٥٩٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٢٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٣٩١)، ومسدد في «مسنده» كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٥٨١)، والطبراني في «الدعاء» (٦٥٦)، وصححه النووي في «الأذكار» (ص٢٩)، وابن القيم في «زاد المعاد» (٢/ ٣٥٤)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٢/ ٢٧٩).

الرسالة الثانية: إلى رسول الله ﷺ من أمته:

يا رسول الله نُشْهِد الله ونُشْهِد حَمَلَة عرش الله ونُشْهِد ملائكته ونُشْهِد الخلق كافة أن أمتك تحبك حبًّا يا رسول الله لم تحبه أمة رسولها عليه السلام قط، بل ولا مثله ولا قريبًا منه.

يا رسول الله: ما منا من أحدٍ إلا يحبك ذلك الحب.. حتى العصاة منا ومرتكبي كبائر الذنوب من أمتك ليحبونك ويفدونك بأرواحِهم، وإنهم يفاوضون في مبادئ كثيرة ويفرطون حتى في حقوق أولادهم وآبائهم لكنهم يتهافتون تهافت الفراش في النار إذا انتهك أحدٌ من الناس حقَّك أو اعتدى عليك أو سخر من شيء يَخصّك... وشعارنا جميعًا: إلا أنت يا رسول الله.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

يا رسول الله: أنت الذي أشفقت على مدمن الخمر وغرت عليه من صحابتك حين شتمَه أحدهم وأنت تنهاه وتقول له: «**لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(١).

فهذه أمتك تُشهد الله تبارك وتعالى، وهي في هذا الزمن الغابر أنها تحبك... فغيرتك تُغَيِّرُنا.. وغيرتك تنزل غيرة الله علينا، وقطرة من غيرتك تسري في عُروقنا تفجر براكين الغيرة من أعماقنا، ألستَ أنت مَن تقول يا رسول الله ﷺ: «**أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ منه، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِن أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ، ما ظَهَرَ منها، وَما بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، مِن أَجْلِ ذلكَ بَعَثَ اللهُ المُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِن أَجْلِ ذلكَ وَعَدَ اللهُ الجَنَّةَ**»(٢)، ألست أنت الحي في قبرك

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٩٩).

«حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ»(١).

ومع هذا فلقد علمتنا أن لا نستغيث إلا بالله، ونحن إنما نستغيث بالله وبما يُغيثنا الله ﷻ به، وأي غيرة لله أعظم من غيرته على رسوله ﷺ.. يا رب فنحن إرثه ونحن ورثته الشرعيون.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

يا ربنا: هذا رسولك ﷺ ونحن أَتباعه ومحبيه... نحن الأَيتام اليوم على موائد اللئام، نحن حماةُ القصعة الذي غُلبوا حتى على قصعتهم فلم يترك الأَعداء طعامًا ولا قصعة أصلًا!

يا رب نتوجه إليك برسولك ﷺ... يا رب نستنفر كلَّ دعاء دعاه رسولك ﷺ، وكل دمعة كريمة هطلت من عينيه، وكل زفرة زفرها، وكل أزة أزيز أزها صدره المبارك، وكل همٍّ حمله بسببنا، يا رب إنا نجدد اليوم حال الرسول ﷺ لو أمكن تجديده، إنا نستحضرهُ كأنه يا رب الآن يرتفع إليك منه هو ﷺ، إنا نستمطر الإجابة لاستغاثاته الآن ربي، أَوَ لم تكن يا رب أمتي - ودمعاته التي سالت على لحيته الكريمة... عنا ولأجلنا، ألم يُبْكِ هذا الحال رسول الله ﷺ الذي أصابَنا نحن ليالي وأيامًا، ولأجله دعا قائمًا وقاعدًا وراقدًا، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ الآيَةَ [إبراهيم:٣٦]، وَقَالَ عِيسَى عليه السلام:

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٩٢٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤) رقم (١٤٢٥٠): رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الآية [المائدة:١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ «**اللَّهُمَّ! أُمَّتِي أُمَّتِي**» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: «**يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فأتاه جبريل** عليه السلام **فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ -، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**»(١).

أكان رسول الله ﷺ يحمل همَّ أصحابه وقد هاجروا إلى المدينة واستقروا بها وأقاموا فيها خلافة النبوة وهم من عِزٍّ إلى عزٍّ أكبر وهكذا...؟! إنما هو حالنا نحن الذي لا اسوأ منه حالًا مرَّ على الأمة بشكل مطلق، وأي حال أسوأ من غروب شمس القرآن كاملًا عن أمةٍ محمد ﷺ كاملة؟! وأي سعادة للأب وهو يرى أبناءه في احتراب واقتتال ودماؤهم تنزف بحرابهم..؟! وحدث من هذا ولا حرج.

يا رب: اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على رسول الله وآله وصحبه... اللهم نرفع أحسنَ ما عندنا من استغاثة بك وحدك لا شريك لك... استغاثة معها زفيرها وأنينها، معها دموعها وبكاؤها، معنا إشفاقها وحرارتها، من أخلص قلبٍ عرفك يا ربنا، من قلب رسولك ﷺ...

يا رب هذا حالنا لا يخفى عليك، وهذا مقامنا في الأمم لا يفرح رسولك بل يُبكيه ويُحزنه ويُوجعه ويُؤلمه لو كان بيننا... كيف وقد أخبرته بما سيكون.. وها هو ما أخبرته به قد أصبحنا نحن المأساة التي استغاث لأجلهم رسولك ﷺ.

يا رب يا رب يا رب يا ذا الجلال والإكرام.. يا حي يا قيوم برحمتك

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

نستغيث.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم، سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَةَ عرشه، ومِداد كلماته... سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَةَ عرشه، ومِداد كلماته... سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَةَ عرشه، ومِداد كلماته...

يا رب: لو أَردتَ الانتقام لرسولك ﷺ منا لِخُذلاننا وهجراننا، وحاشاك، لَما أبقيتنا ولا أبقيت على ظهرها من دابة...

كيف لا وما من معصية فُعلت في الأمم السابقة التي أَهلكْتهم ربنا سبحانك بألوان من العذاب إلا ومعاصيهم قد حَيَت في أمة محمد ﷺ! ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ومع هذا فقد لطفت بنا لأجل رسول الله ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

يا رب: إنَّ مِن قومنا مَن جاهروا بالمعاصي واستعلنوا بها، يا رب ومن الرعاة مَن شَرَّع لها وحماها.. يا رب يا رب يا رب! إي والله يا رب فلقد فعلت في أمة حبيبك ﷺ كل ذلك وأكثر من ذلك، يا رب لكننا أمة محمد ﷺ.. يا رب نسبتنا لِمحمد ﷺ..

يا رب لقد وعدت رسولك ﷺ وها قد جاء وقت الوفاء، ومن أوفى بعهده منك ربنا.. ففي تلك الليلة التي بكى فيها رسولك ﷺ وانتحب، ولا أحد يعلم

بحاله سواك، فحننت عليه وأنت الحنان ربنا، وأي مَحَنَّةٍ كَمَحَنَّةِ ربنا على حبيبه محمد ﷺ فكان ما كان، عَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لَـمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**»، قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ. قَالَتْ: فَقَامَ، فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟! لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **الآية كلها** [آل عمران: ١٩٠]»(١).

نعم إن الآيات الكريمة التي أنزلت هي في التفكر... لكن التفكر نفسه وسيلة، والسماوات الأرض وخلقهما هما ميدان التفكر، وهو وسيلة كذلك، فما هي النتيجة.. بل ما هو هدف هذا التفكر؟

إن الله سبحانه يطمئن رسوله ﷺ على أمته ومصيرها رغم ما سيقع لها وما أخبره الله به عنها، وأن في خلق السماوات والأرض لآيات ظاهرات على ثبات الحق، وهل الحق إلا في أُمتك يا محمد، وهل خلق الله السماوات والأرض لِيتمكن الباطل وليرث الحق ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وهنا يوثق الله دعاء رسوله ﷺ، ويوثق نداءه في الأولين لآخر أمته محفوظًا لِيوم يقول فيه الناظرون - كما هو الآن -: قد ذهبت أمة محمد ﷺ إلى لا عودة.. قد ذهب الناس إلى الخلود في النار.. قد انطفأ نداء رسول الله ﷺ وهو

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢٠).

الداعي للآيات ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٩٣-٢٠٠].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد

وكيف لا نُدِيمُ الصلاة عليه ﷺ إلزامًا لنا وهو مَن حمل هَمَّنَا قبل أن نكون... واليوم نحن ننتظر والله إجابة الله ﷻ وهو ربنا سبحانه لا شريك له دعاء رسوله ﷺ فينا.. وهل من شيء أقرب عند الله من دعاء رسوله ﷺ لأمته بالرحمة والنجاة والعز والتمكين؟!

فيا رب صَلِّ وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

يا رب نحن الضائعون فاجمعنا.. يا رب نحن الممزقون فاجمع شملنا... نحن المتفرقون.. فألِّف بينَ قلوبنا.. نحن الأذلة فأعزَّنا بعزتك يا عزيز يا رحيم.

يا ربنا: إنا مغلوبون فانتصر لنا، وانصرنا، وارفعنا..

يا رب: نحن من ضيع حُوتَه اليابس الذي كان من صيدٍ صاده آباؤه فاتخذ

سبيله في البحر سربًا وذهب في البحر، فأنى لنا أن نجدَه.. نحن من خرق سفينته في لجة البحر فأنى لنا أن ننجو ونحن في لُجَّته.. نحن مَن ضيع أيتامه في قرية اللئام.. بل نحن الأيتام على موائد اللئام... نحن من أسلم عدونا ما تحت جدارنا من كنوز وتحت أرجلنا من ثروة فأنى لِعدونا أن يرحمنا؟!

فاللهم إنَّا نسألك من خير ما سألك منه محمد عبدك ورسولك، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه محمد عبدك ورسولك ﷺ.

يا رب: نجيت المشركين وقد جاءهم الموت من كل مكان كالجبال حين دعوك مضطرين، يا رب ليس عندنا أعلى ولا أغلى عندك ولا أثقل ولا أرجى من اضطرار رسول الله ﷺ ونحيبه وهو يهتف وسط الليالي: يا رب أمتي يا رب أمتي.... والعين تلبي فتنفجر دموعًا كريمة على لحيته الكريمة ﷺ حتى تبتل، وتزيد العين فيضًا من الدموع إثر فيض حتى يَبل حجره.... الله أكبر أي ليلة كانت تلك الليلة.. وأي دموع تفجرت من تلك العينين الكريمتين حتى بلَّت الأرض، نعم بلت الأرض التي كان يُصلي عليها مباشرة ويباشر القيام عليها برجليه الكريمتين، ويباشر السجود عليها بجبهته الشريفة... هناك كان ذاك الهتاف المجاب لنا منه ﷺ ربنا وأنت أعلم...

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

يا رب أنت سبحانك خالق الزمان والمكان وخالق الخلق... فلا ماضٍ عندك ولا مستقبل فكلُّه عندك وفي علمك سيَّان، فعلمك يا رب بحال رسولك ﷺ آنذاك - في تلك الليلة - كعلمك بحال أمة رسولك ﷺ التي استغاث لها لهذا اليوم، فما اختل شيء وما اختلف ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

يا رب: اليوم نستغيث بك باستغاثة رسول الله ﷺ العظيمة تلك.

يا رب: اليوم تُبعث في قلوبنا في ذاكرتنا حالة نبينا وحبيبنا ﷺ وهو يتوجع بين يديك ويرتجيك أن لا تردهُ وحاشاك.

يا رب: نحن نحفظ ذلك الحال بالروايات التي وردت إلينا هذا قصارانا، وأنت يا رب الحي القيوم.. السميع البصير.. الذي قلت لرسولك، وقولك الحق سبحانك: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩] فأنت من يذكِّرنا الآن ربي، وأنت ربي من ثوَّرت هذا الرجاء فينا، وأنت مَن حفظ عهد رسولك ﷺ، وأنت من أجابه آنذاك ليومنا هذا نحياه الآن؛ يا رب يا رب يا رب نحن الذين أَحْزنه حالنا حين كُشِف له الغيب فرآنا ورأى هذا الحال الأسفل لأمته.. نحن مَن أبكاه حالنا، نحن مَن أَوجعته أوجاعنا، يا رب قد حان.. يا رب قد حان.

ليست هذه الاستغاثة إلا من منبع تعليم النبي ﷺ «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ**»(١)، مصحوبة بكل ما يمكن استحضاره من حال النبي ﷺ في دعائه لنا نحن الآن، منبعثة من آلام الأمة اليوم وعنائها وأوجاعها، وأحمالها وآصارها وآهاتها ونيرانها المشتعلة في كل مكان منها.

يا رب ما أعظم فضلك على رسولك ﷺ حينما أجبتَ دعاءه في أمته، وأوقفت أسباب فناء الأمم أن تأخذ مجراها بعدما أحاطت بالأمة من كل جهة، واحتوشتها من كل عضو وعضل وعصب وعظم وشعر وبَشَرٍ فيها يا رب قد حفظت أمة يونس بن متَّى عليه السلام بعدما خرجوا إلى العراء؛ عجزتهم وأطفالهم،

(١) رواه أحمد (٢٥٠١٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ودوابهم معهم تجأر خوفًا منك ربنا واشتدت استغاثتهم وصراخهم، وطافت عليهم سحب الهلاك، سوداء مظلمة، واقتربت ولا تزال ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] فكشفت عنهم ذلك العذاب بمنك وكرمك وعفوك، فيا رب ونحن أمة حبيبك نتزلف إليك بحبيبك محمد ﷺ وبدعائه لا بدعائنا فليكن إنقاذ الأمة مما نُعانيه نحن اليوم وإعادتها إلى سيادة الأمم أمرٌ فوق طاقة كل ذي حجر وكل مستخدم عقله. يا رب إن إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار فمن يُصدق أن النار لن تأكله وأنه سيخرج منها، هذا مَن ألقاه فيها قعود حول النار... ولِذا فإن إعادة هذه الأمة إلى عزِّها الأول سيكون على مستوى الدنيا كلها بإجابة دعاء النبي ﷺ وإنه واللهِ أعظم بما لا يوصف - في مقاييس البشر وقدراتهم - من إجابة دعاء خليل الرحمن عليه السلام وإنقاذه من النار، فأين إنقاذ أمة اجتمعت عليها كل الأمم من إنقاذ فرْدٍ واحد اجتمع عليه أفراد وأكرم بذاك الأمة خليل الرحمن عليه السلام.

فكم لرسول الله ﷺ علينا من فضل عظيم إذ حفظنا الله بدُعائه ﷺ.. وهذا والله هو من قَدِم الصدق الذي قدمه أصدق الخلق ﷺ عند ربه لأناس لم يأتوا بعد ولم يُخلقوا بعد يوم رفع دعاءه.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلِّم

كم لله على رسوله ﷺ من فضل عليه وعلى أمته ﷺ.

وكم له ﷺ عندَ الله من جاهٍ ووجاهة وحب ومحبة حتى يُعطيه ما رجاه ويزيده فوق رجائه مما لم يَدْعُ به أساسًا.

فلو أن الله تبارك وتعالى أعاد الأمة اليوم على يد رجل واحدٍ منها لكان في ذلك خير عظيم وفيه الكفاية إذ كان إصلاحها على يد رجلٍ واحدٍ من أبنائها، ولكن الذي

فعله الله ﷻ هو أنه سبحانه يُصلحها على يد واحد من أبنائها وهو واحد من أبنائه ﷺ كذلك، وبهذا جمع الله لرسوله ﷺ المحبتين: محبة أمته، ومحبة ذريته، وإن شئت قلت: المحبة الشرعية والمحبة الفطرية...

فالرسول ﷺ ما سأل الله أبدًا أن يجعل المهدي عليه السلام ولده، ولم يعلم هو بالمهدي قبل أن تأتيه البشارة من الله ﷻ به، ولهذا فهي محض فضل من الله تعالى، كما أنها من عدل الله، فإن الكثير من البيوت حكمت في الأمة إلا بيت رسول الله ﷺ فإنه لم يحكم من ذريته من بعده أبدًا... فكان من عدل الله في هذهِ أن يحكم بيته ﷺ ولو لِمرحلة واحدة ولو لآخر مرة.. كيف وأنت لا تكاد تجد بيتًا تعرض للأذى والظلم ما تعرض له بيت النبي ﷺ وذريته ﷺ... فكانت هذهِ المرة القادمة هي المرة الوحيدة وكانت عن كل مرة، وكانت الإجابة لدعوة النبي ﷺ: «**يا رب أمتي، يا رب أمَّتي**»، وما كان مقصودها أمتي في الدار الآخرة في هذا الموضع وإنما الدار الدنيا، أما الدار الآخرة فلها أحاديث كثيرة أخرى، إذًا فكانت إجابة الله رسوله ﷺ في تلك الليلة حيث جاءه جبريل وقال له: «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**»(١)، كإجابة الله دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام حين دعا عند دعاء البيت العتيق هو وإسماعيل عليهما السلام حين قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فسبحان الله على هذا الإحكام والإكرام.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

لقد كان النبي ﷺ يعلم كم هو فضل الله عظيم عليه حتى خرج على أصحابه والبِشْرُ يظهر عليه.

ويعلم كيف سيعوض الله أمته بفضله ﷻ وبدعواته ﷺ حيث جعلها مرحلة النعيم الأعلى في حياة الأمة، حتى قال ﷺ: «**فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ**»[(١)].

ولهذا خرج النبي ﷺ يومًا منتشيًا مفتخرًا بحقٍّ بابن أُمته وهذا ابنه ﷺ، فقال ﷺ: «**مِنَّا الَّذِي يُصَلِّي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ**»[(٢)].

فتأسيس الأمر كله راجع للمهدي عليه السلام رغم أن النبي الرسول عيسى عليه السلام ومن أولي العزم من الرسل، إلا أن إمامة الدين والدنيا عائدة للمهدي عليه السلام مادام حيًّا، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إن عيسى يقول حين قدمه المهدي** عليه السلام: «**لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**»[(٣)]، وعيسى عليه السلام لا يعني كل أفراد الأمة، وأن الإمامتين محصورة فيهم ولا يتولَّى عليهم عيسى عليه السلام، إنما أراد المهدي تخصيصًا لأنه هو عليه السلام من يحكم بعدَ المهدي عليه السلام مباشرة ويستمرُّ حكمُه أربعين سنة، وهل يحكم عيسى عليه السلام إلا أمة محمد ﷺ لكن بعد المهدي عليه السلام، وجميع الفتوح تقريبًا إنما تكن في عهد المهدي عليه السلام، وما يبقى لعيسى عليه السلام إلا نشر السلام

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦).

حتى ينتشر السلام بين الدواب، كما قال النبي ﷺ: «فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ عليه السلام فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ[(١)] كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ، فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْـمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعُهُمْ، وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْـمَالِ، وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيُرْجِعُ السَّلْمَ، وَيَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ، وَتَذْهَبُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتُنْزِلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ، فَلَا يَضُرُّهُ، وَيُرَاعِي الْغَنَمَ الذِّئْبُ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيُرَاعِي الْأَسَدُ الْبَقَرَ، فَلَا يَضُرُّهَا»[(٣)].

نعم قدم المهدي عليه السلام الدنيا للسلام الشامل والكامل حتى أنه لا يبقى لعيسى إلا أن يُلغي الجزية لأنه ما عاد في الأرض إلا الإسلام كنظام وكأمة، ويقتل الخنزير لأن لا آكل له، وهذهِ علامة على عز الإسلام وظهوره المطلق، ويكسر

---

(١) الحُمَة: بالتخفيف السُّمُّ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٢٦١)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

الصليب لأنه الوحيد الذي جعل الله له الأمر، ليس لأن الصليب حق، معاذ الله، وإنما لأن المصلوب على الصليب هو عيسى ﷺ نفسه كما صوره المشركون من النصارى، فكان صاحب الحق في هذا هو عيسى ﷺ ولا حق لأحد أن يأخذ هذا الحق بنفسه، ومن فعل هذا يكون مثل أخذ حق ولي الدم قد جعله الله حقه، ولِهذا فإن النبي ﷺ لم يرو عنه إطلاقًا أنه كسر صليبًا، لم يرو عنه أنه أمر أحدًا بذلك، ثم إن عمر ﷺ حين دخل المسجد الأقصى لم يخلع الصلبان التي على صدر القساوسة، ولم يُحطم الصلبان التي على الكنيسة المجاورة للمسجد الأقصى... فهذا حق ادَّخره الله سبحانه لعيسى ﷺ، كما أن فيه تخفيفًا على أمة محمد ﷺ.

فانظر ماذا صنع ابن النبي ﷺ بالدنيا؟ وكيف غير الله به العالم كله؟ وكيف أدخل الله به الهدى إلى كل بيت؟ كما قال النبي ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(١)، فأي خبر أطيب لِقلب النبي ﷺ من هذا الخبر، وولده هو القائد الذي يقضي على الشرك والشر والظلم كله في الأرض، وكان هو القائد الذي أزال شر مَن دبَّ على الأرض وهم اليهود أول مرة بل وثاني مرة حينما نزل عيسى ﷺ، فلقد كان هو خليفة الله في الأرض حين قتل عيسى ﷺ الدجال، عليه لعنة الله...

ولِعظيم ما فعل المهدي بالدنيا ولأنه نقض عُقَدَ الشيطان، وحطم التاج

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، والطَّبراني (٢/ ٥٨) (١٢٨٠)، والحاكم (٨٣٢٦)، والبيهقي (٩/ ٣٠٥) (١٨٦١٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤): رجاله رجال الصَّحيح. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في «تحذير الساجد» (١٥٨): على شرط مسلم، وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

الذي أعده الشيطان للدجال لِيوليه العالم بل لِيلعنه رب العالم، غضب الدجال غضبته وانتفخ حتى حطم أغلاله وخرج، والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا**»[(١)]، وإلا لِمَ لَمْ يغضب الدجال طوال القرون التي مضت، وعلى الأخص العقود التي مرت؟! ولِمَ كانت هذه الغضبة والمهدي موجود وعيسى لم ينزل بعد؟! وهذهِ من حكمة الله، فلو أن الله لم يبعث المهدي عليه السلام في هذهِ الفترة وظهر الدجال كما هو حال المسلمين اليوم، لوقع في الأرض ما تفطرت له السماوات وخرت الجبال هدًّا حقيقة.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد...

وهذا الأمر بكل تفاصيله من الله تبارك وتعالى لأجل دعوة رسوله ﷺ، فيا رب لك الحمد.

يا رب صَلِّ على رسولك وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

أقليل من فضل الله أن يملأ الله الأرض كل الأرض قسطًا وعدلًا لأجل دعوة رسول الله ﷺ.

أقليل من فضل الله أن يجمع الله للناس غنى النفس وغنى القلب وكأنه لم يجمع من قبل للناس في أي عهد، وذلك لأجل رسول الله ﷺ، كما في الحديث: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا. فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْـمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»[(٢)].

أقليل من فضل الله أن يوسع الله على الناس توسعة ينعم عليهم في عصره نعيمًا لم يتذوق أهلُ الإسلام مثله قط، وذلك لأجل رسول الله ﷺ حتى قال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٥).

ﷺ: «فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ»(١).

أقليل يا أمة محمد أن يعيد المهدي عليه السلام قوَّامةَ القرآن وهيمنته على الكتاب كله، ولا يقبل بالقرآن شريكان في حكم الله، ولا يرضى به ملتحدًا... وإلا كيف يملأ الأرض قسطًا وعدًا؟!

بل هذا والله أعظم عظيم، فإنه لم يسبق قط أن أحدًا أقام القرآن على الأرض كلها، ولهذا جاء في الحديث: «.... **وَلَا يَتْرُكُ**...» فصلوا وسلموا عليه ﷺ.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

وهل من خطر على العالم كله منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة أخطر من المسيح الدجال، حتى قال النبي ﷺ: «**أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ**»(٢)، وقال ﷺ: «... **مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ**....»(٣).

فبمن يرد الله كيدَ الدجال ويبطل مكره وعمله.. هل من أحدٍ إلا المهدي عليه السلام، فهو يظهر وقد حصن المهدي الأمة وأعادها إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ولو أن الدجال ظهر والأمر كما نرى لكانت ردَّة عمت الأرضَ كلها، لكن بهذا حفظ الله نوره وأقام كتابه وحصن دينه، ثم ينزل عيسى عليه السلام فيقتل الدجال، فإنما يقتله والخليفة هو المهدي عليه السلام، وعيسى لا شك خير منه، لكن هكذا أرادها الله لرسول الله ﷺ، وهكذا أرادها لأمة رسول الله ﷺ.

والأمر يطول، لكن هذا في هذا الموطن كافٍ بإذن الله.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم(٢٦٠)، وكذلك ضعفه الحويني في النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة: (١/ ٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٠٢).

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

أما أنتم يا مَن تقرؤون هذهِ الكلمات سوف تدركون المهدي عليه السلام بإذن الله، وإني لأحسب أن هذا الجيل - الذي نحن فيه ومنه - هو جيل المهدي عليه السلام وجُنْدَه منهم... لكنكم يا أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سوف تصلُّون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومها صلاة غير هذهِ الصلاة التي تصلونها الآن.. لأنكم سوف تدركون فضلَ الله علينا به عيانًا بيانًا... سوف تستنشقون عبيرَ العزة، وتعيشون العزة وتتمرَّغون فيها، وتحيون حياة العزة، وتتولون إمامة العالمين... ولأنكم تُصلون عليه صلى الله عليه وآله وسلم حين تنظرون لولده المهدي عليه السلام فكأنكم ترون رسولكم صلى الله عليه وآله وسلم في المهدي عليه السلام، وهل يُذَكِّرُ النظر إلى الولد بشيء أعظم من تذكيره بأبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

والله يا رسول الله - صلى الله عليك وسلم تسليمًا كثيرًا - ها هي أمتك قد ملأت الأرض كثرة، فما تشرق الشمس ولا تغرب إلا على أَتباعك وأحبابك، فما من أحدٍ رفع:[أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] سوى أمتك يا رسول الله، فاللهم صَلِّ وسَلِّم على رسولك وآله وصحبه، وما من بقعة في الأرض إلا بَنَتْ أُمتك بيتًا لله يصدح عاليًا: [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله]، وها هي الشمس تسير كل يوم سيرًا منتظمًا من

الشروق وحتى الغروب على شطري الأرض، وفي اللحظة التي تغرب فيها من هنا تُشرق فيها على الشطر الآخر من الأرض، بناءً على وجود المسلمين وحركة الليل والنهار بحركة الشمس والأرض.

وبهذا التطابق ما بين الكون ونظام التشريع فإن ذِكرك يا رسول الله - بفضل الله وحده - ما عاد يغيب عن الأرض لحظة واحدة، والصلاة عليك لا تنقطع عن الصعود إلى الله لحظة واحدة، وإن أمتك لتهبُّ عن بكرة أبيها متحينة تَفَتُّح أبواب السماوات بانتهاء أذان المؤذن بالصلاة داعية لك يا رسول الله من خالص قلبها، وصادق ودِّها وحبها، طالبة من ربها في كل لحظة أن تكون أنت كما رجوتَ يوم القيامة.. أنت الأول، أنت صاحب المقام المحمود، أنت صاحب الوسيلة والفضيلة، هذه الأمة تهتف بذلك بعدما تفتحت لدعواتها أبواب السماوات، وبعدما تفتحت أبواب الإجابة بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله ﷺ، وعندها ترفع لك ما عَلَّمتها أنت عليك صلوات ربي وسلامه قائلة: «**اللهمَّ ربَّ هذهِ الدعوة التامَّة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة....**».

فمن يُحبك يا رسول الله اليوم على الأرض حبّ أمتك صلى الله عليك وسلم - ولله ولرسوله ﷺ الفضل -؟!

مَن يدعو لأحدٍ ممن خَلَق الله ﷻ دعاء أمتك لك صلى الله عليك وسلم تسليمًا كثيرًا؟

من يطرق أبواب السماوات طرق أمة محمد ﷺ لك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم تسليمًا كثيرًا؟!

أي اسم يناشَد رب العالمين لأجله مثل مناشدةِ أمتك لك باسمك الكريم

(محمد) ﷺ، ما بين مُصَلٍّ ومُسلِّمٍ وداعٍ بعد الأذان وباكٍ لذكر ربك ولأجلك يا رسول الله؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

أي محبوب في الوجود كله من البشر قد سكن قلبَ أُمة كما سكنت أنت يا رسول الله قلب أمتك، فأنت الحبيب الذي لا تزال هناك حيث يراك الله رب العالمين في قلب أمتك المشحون بحبك يا رسول الله...

قلبها الذي يغرد في قفصه بحبك يا رسول الله.. يُغرِّد مترنمًا باسمك، قد امتلأ اعتزازًا بك، وتفاخرًا بالانتماء لك يا رسول الله، وهو لا يزال يوثق ذِكرك يا رسول الله ﷺ بالصلاة والسلام عليك كلما ذكرك.

فاللهم اشهد أن رسول الله ﷺ هو صاحب الفضل من الخلق علينا، هو مَن عَلَّمنا، هو من زكّانا، هو مَن عرفنا الحبَّ، هو مَن سبقنا بالحب، هو من سبقَنا بالاشتياق إلينا، هو مَن أفاض علينا حتى غدا حبُّه في قلوبنا نبضها ونشيجها وحنينها وأَنينها الذي لا يسكن إلا برؤيتك يا رسول الله ﷺ، ولو كانت رؤيا منام.

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

الرسالة الثالثة: رسالة من الصلاة على رسول الله ﷺ نفسها تقول: إنني دعوةٌ إلى الله:

ليست الصلاة على النبي ﷺ هي مفتاح الدعاء المجاب، ولا هي مفتاح أبواب الخيرات، ولا هي ختم إجابة الدعاء فحسب، ولكن لَـمَّا كانت الصلاة

على النبي ﷺ لازمة كلما ذُكِرَ النبي ﷺ، والله وحده يعلم أن المسلم سوف يذكر رسول الله ﷺ أمام غير المسلمين وسوف يُصلي عليه أمامهم ﷺ كان ذلك بغير شك مثار تساؤلاتهم؛ ما هذا الكلام.. ما هذهِ الصلاة.. لِماذا تذكرون محمدًا في كل شيء ﷺ... ولِماذا كلما ذكرتم نبيكم ﷺ ذكرتم الصلاة عليه يقو لكم ﷺ ؟!

وهذا التساؤل كافٍ لفتح شمس من الهدى على هؤلاء السائلين والآخرين من أمثالهم.. ولِذا فإن هذا الأمر يلزم كلَّ محب لرسول الله ﷺ من المؤمنين أن يحسنَ الجواب؛ الجواب الصحيح وهو الجواب الهادي إلى الحق بإذن الله، بل أنت من يحمل الناس على سؤالك لتدخل إليهم وعليهم من باب الهدى، بل حتى لو كانوا مسلمين كان الشروع من هذا الباب لهم حتى لو لم يتساءلوا عن الصلاة ليعرفوا معناها ويتفقهوا في مغزاها، ويحملونها شمسَ هداية إلى الآخرين.

يا هؤلاء: تتساءلون لم نُصَلِّي على رسول الله ﷺ كلما ذكرناه؟!

والجواب بكلمة واحدة: إننا نحبه ونموت مسرورين لأجله، وننفق أموالنا لأجله، ونقدم أهلينا وأبناءنا وكل محبوب لأجله...

فهلَّا تساءلتم: لِماذا تحبونه؟

أقول: تأكد أننا نحبه أكثر من حبنا آبائنا وأمهاتنا لأنه رسول الله ﷺ.. لأنه هو مَن أنقذنا وأنقذ العالم من الجهل، هو مَن ردَّ للعالم عقله الذي استلبته الخرافات والشعوذات، وأصبح أكرم مخلوق يحقر أغلى ما فيه وهو العقل الكريم بل يُلغيه ليَعبد حيوانًا أو جمادًا أو نورًا أو أي مخلوق آخر.. هذا وهو سيد المخلوقات.. فكيف لا نحبه؟!

أنا لم يُنقذني أبي ولا جدي ولا أباهم ولا جدهم.. والآخر يقول نفس الكلام عنا، ولكن الذي أنقذَني وأنقذهم هو رسول الله ﷺ، فكيف لا أحبه أكثر من هؤلاء وهم أعز الناس عندي؟! فأنا أحبه لأجل نفسي ولأجل آبائي ولأجل أبنائي كذلك... ففضله على الآباء والذريات... فحبي أكثر من حب هؤلاء مجتمعين.

فكيف لا أعبِّر عن حبه بالصلاة والسلام عليه؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا كثيرًا

فهل فهمتم كم تعمل الصلاة والسلام عليه من معاني الحب؟! إنها مجرد رمز للحب، وتحت هذا الرمز بحور محبة ومعانٍ وغايات عظيمة لا تنتهي.

فاللهم صَلِّ عليه وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

يا أيها المتسائلون: لِماذا نحبه ﷺ، فثمة أجوبة لا تعد ولا تُحصى... لو عشت حياتنا فستجد أنه هو أعظم مَن يكون حبًّا لنا، وليس حبه لنا مجرد مشاعر نحن نريد التعبير عنها ونقول إنه يُحبنا، بل نحن نجد حُبَّه لنا في كل تفاصيل حياتنا، ففي شرب الماء علمنا، وعلمنا كيفيته، وفي الأكل علمنا آدابه، وفي النوم علمنا، وفي البيت علمنا، وفي السوق علمنا، وفي السفر علمنا، وفي التضييف علمنا، وفي الليل علمنا وفي النهار علمنا، وفي كل تقلُّبات الحياة علمنا وكأنه معنا، بل هو الحاضر الوحيد والمؤدب والمعلم الذي لا يكاد يُفارقنا، فيكف لا نحبه وهو في كل علم وتربية وتأديب يملؤه حبًّا لنا ويبقى هذا الحب يغور حرارة ويتفجر بركانًا في كل وقتٍ وحين وعلى مدى الأجيال إلى يوم الدِّين؟

يا أيها المسلمون: هل تعرفون قصة سيدٍ من سادات العرب وهو ثمامة بن أثال، وقد أسرته سرية من سرايا المسلمين، فحبسه النبي ﷺ وأمر به أن يربط في سرية من سواري المسجد، فكان سبب دخوله الإسلام هو حب الصحابة رضي الله عنهم

للرسول ﷺ، وقال للنبي ﷺ كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ[1].

فاللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد

والسؤال: كم في هذه الدنيا من معلمين؟ لكن من منهم أحبه قومه محبة رسول الله ﷺ، وكم من محب من هؤلاء كان حبهم له عن علم، فلم يكن مجرد حب أو تقليد، أو تعصب أو لأوهام اصطنعوها، بل هو حب لأنه علمنا كل شيء، ومَن ذا الذي علم قومه مثلما علمنا رسول الله ﷺ، وكم من معلم

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٢).

علَّم قومَه ما لا ينفعهم، ونحن نتحدى أن أحدًا يظهر لنا أصغر معلومة علمنا إياها رسول الله ﷺ ليست صحيحة، وكم من معلِّمٍ كذلك لم يربِّ أهله وقومهم، ولم يُزكِّهم ويطهرهم، لكن الرسول ﷺ علَّم ودقق، ولكنه فوق هذا يربي ويُزكي، فكيف لا تصلِّ عليه صلاة المحبين؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

بل إننا نصلِّي عليه ﷺ لأن صلاته ذاتها رحمة بنا.. فهل عرفتم لِماذا؟

ونصلِّي ونسلِّم عليه لأنه منقذنا من نار الخلود الأبدي، نعوذ بالله منها.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه تسليمًا كثيرًا

إن الصلاة عليه ﷺ تفتح لنا سيرته، فأبسط سؤال يقوله غير المسلم: مَن هذا الذي كلما ذكرتُموه صليتم عليه؟

وهنا يكون الفتح بالدخول إلى حياته العظيمة، وسيرته الهادية، وأخلاقه الحانية.. حتى كأن السائل يراه.

إن هذا السؤال ذاته يحمل جوابه القاطع الهادي إلى الحق لو أصغى أصحابه لسؤال الفطرة التي في نفوسهم لهم؛ إذ الفطرة تقول: هل لو كان عند هؤلاء المسلمين حرج في أصغر جزئية من دِينهم، ومن سيرة نبيهم ﷺ لَذكروه في هذا الأذان العام والذي أُمروا أن يرفعوه بأندى صوت، ويرفعوه في كل مكان لم يرفع فيه الأذان، ولِمدة خمس مرات في اليوم والليلة؟

يا قوم: إن ميزة الصلاة على النبي ﷺ شمس تتقد كلما صلينا عليه ﷺ، فحبه لا يزال في تصاعد، وشمسه في مزيد نور تبعثه لنا الصلاة والسلام عليه، فهي رباط حاضر لنا به ﷺ كلما ذكرناه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

سبحان الله! لقد أصبحنا في زمان يتساءل المتسائل: كيف نستطيع أن نجعل من الصلاة على رسول الله ﷺ **سبيلًا للدعوة إلى الله، وسبيلًا لِهداية الخلق؟!**

عجبًا: أيحتاج ذلك إلى بيان.. فكل أمرٍ في حياته ﷺ يدفعنا دفعًا.. حبًّا ووفاءً وتعظيمًا وتبجيلًا للصلاة عليه ﷺ.. فالصلاة عليه ﷺ باب الدعوة، كما أنها باب الدعاء وختم إجابته.

فرسول الله ﷺ هو الدعوة كلها؛ والقرآن الكريم في صدره، والقرآن وما أدراك ما القرآن الكريم، وكلامه ﷺ بالوحي وفعله بالوحي وكل شأنه بالوحي، ورب العالمين يرعاه في كل شأنه ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، ويقول له: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

الرسالة الرابعة: السلام إليك يا رسول الله ﷺ:

﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.. السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

يا رب العالمين بلِّغ سلامي هذا إلى رسولك ﷺ إذ أنا أكتبه الآن عني وعن كلِّ فردٍ في أمة محمد ﷺ.

يا رب بَلِّغ هذا السلام من كلِّ قارئ يقرؤه إلى رسولنا وحبيبنا وسيدنا محمد ﷺ.

يا رب ما كان لنا أن نؤدي السلام على رسولك ﷺ لولا أنك سبحانك فتحت لنا هذا الباب في صلاتنا من حيث كنا؛ حيث نقول في كلمة التشهد الثانية: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**»(١)، فنحن على هذا الدرب سائرون، ويا له من طريق ما أحلاه وما أطيبه.

يا رب يا أرحم الراحمين: **أنت سبحانك مَن علمتنا أن الصلاة على نبيك شيء، والسلام عليه شيء آخر،** وأن الصلاة عليه ﷺ لها أجرها، وأن السلام عليه له أجره، فالصلاة عليه بصلاة منك، والسلام منا عليه بسلام منك سبحانه، كما روى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ نَخْلًا فَسَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى خِفْتُ - أَوْ خَشِيتُ - أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ تَوَفَّاهُ - أَوْ قَبَضَهُ - قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟**» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قال: فَقَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ** عليه السلام **قَالَ لِي: أَلا أُبَشِّرُكَ إِنَّ اللهَ** عز وجل **يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ**»(٢)، زاد في رواية: «**فَسَجَدْتُ لِلهِ** عز وجل **شُكْرًا**»(٣).

فاللهم صَلِّ وسَلِّم عليه

يا رب قد خصَّصتَ رسولك ﷺ من بين الموتى بخَصِيصَةِ إبلاغه السلام... اللهم فأبلغهُ سلامَنا عَنَّا وعن أمته كافة، فهو ﷺ مَن أخبرنا بطريقة إبلاغِهِ السلام، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً**

(١) أخرجه البخاري (٨٣١).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٩) رقم (١٦٥٨): حسن لغيره.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٦٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٩) رقم (١٦٥٨): حسن لغيره.

سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(١).

فهؤلاء مجاميع الملائكة لا يعلم أعدادَهم إلا الله، ولا يعلم بقدرتهم على سرعة التواجد إلا الله، قد خصَّهم الله بهذا العمل العظيم، فماذا على الأمة إذا هي واصلت السلام عليه ﷺ حتى لو كان السلام مع الصلاة عليه ﷺ، أو كان السلام منفردًا؟ وكم يقلق الأب ويتألم إذا هجرهُ ولده حتى من إرسال السلام إليه؟! وكم يرى في المنام الأبناء البررة آباءهم الميتين حزينين إذا انقطعوا عن زيارتهم ولو فترة قصيرة؟ فلا يحسبن أحد أن رحمة رسول الله ﷺ حين مات تغيرت على أمته؟ لا والله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عليه السلام**»(٢).

ومع أن الله على كل شيء قدير، فإنه لأجل الجَمْع بين الأحاديث نقول: لعل المقصود بهذا الحديث هو من يُسلِّم عليه وهو في زيارته ويكون بِجوار قبره، أو لعله مختص بيوم الجمعة.. ولكن يبقى هذا الحديث مختصًّا بإفراد السلام عليه ولم يذكر الصلاة عليه مع السلام، وهذا يعني أن للسلام خصوصية، ومفهومٌ من الحديث الشريف هذا لو أن رجلًا وقف على قبره ولم يُسلِّم عليه ﷺ وإنما صلَّى عليه فقط لم يردّ الله سبحانه على رسوله ﷺ روحه في هذا المقام لأن هذا الشخص لم يُسلم عليه إنما صلى عليه، فإذا ثبتَ

---

(١) أخرجه النسائي (١٢٠٦)، وابن حبان في صحيحه (٩١٤)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٢) رقم (١٦٦٤): صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤١) واللفظ له، وأحمد (١٠٨١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

هذا ثبت أن للسلام خصوصيته للبعيد كما هو للقريب، وثبت أن ثَمَّ فرقًا لِجزاء السلام عن جزاء الصلاة صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا... فهذا خاص بردِّ روحه ﷺ - كما في الحديث نفسه - نعم وردت أحاديث أخرى بأن مَن يُصلي عليه تبلغه الملائكة الصلاة عليه من ذاك الشخص، وهذا فضل الله، فليست الصلاة عليه بأقل من السلام عليه أجرًا ولا قدرًا، معاذ الله.

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ عز وجل يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، قَالَ: بَلَى**»(١).

فهنا جاء التفريق بينهما في اللفظ فلم يجمعهما بلفظ الصلاة ولا لفظ السلام وإنما جعل كل واحدٍ منهما مستقلًّا عن الآخر، وفرَّق بينهما بحرف الواو وهي واو المغايرة، والملفت حقًّا في هذا الحديث كما في حديث عبد الرحمن بن عوف السابق أن التفريق بين الصلاة عليه وبين السلام عليه ﷺ كما ورد في العمل فقد جاء التفريق في الجزاء الفوري من الله تبارك وتعالى: ففي حديث عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ**»(٢)، هكذا جاء تفصيلهما وتفريقهما عن بعضهما، وهكذا جاء التفريق في نفس حديث أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه وبنفس الطريقة مع اختلاف في الملك

(١) رواه أحمد (١٦٣٦٣)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩١) رقم (١٦٦١): حسن لغيره.

(٢) رواه أحمد (١٦٦٢)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

واختلاف في مقدار الأجر فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ ﷻ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، قَالَ: بَلَى**»، إذا فرَّق بينهما في العمل كما في الجزاء، فلكل واحدة منها جزاؤها، ومَن ذكر واحدة منهما كان لها جزاؤها وحدها ولو أن الصلاة والسلام كانت شيئًا واحدًا لجمعهما النبي ﷺ بلفظ واحد في العمل، أو جمعهما ب العالمين في الجزاء بلفظ واحد كأن يقول: [فمن صلى وسلم عليك كان له عشرًا] لكن الله لم يقل ذلك هو أكرم من ذلك ورسوله ﷺ يستحق أكثر من ذلك.

فيا رب لك الحمد ولك الشكر كم تحب عبدك ورسولك محمدًا ﷺ حتى تُفصِّل الأجر لأجله هذا التفصيل، فلا تعطيه مجملًا إنما تعطيه مفصلًا ثم تتفضل بالمضاعفات تفضيلًا.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

يا رب شرعت لنا في التشهد لصلاتنا حين نلقاك على هذهِ الأرض سلامًا خاصًّا منك على رسولك ﷺ... لكل مصلٍّ يُقابلك ربنا، فيقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، **كما شرعت لنا في القسم الثاني من التشهد الصلاة على نبيك** ﷺ **دون السلام**، فاجتمع في الصلاة الواحدة السلام عليه مستقلًّا كاملًا والصلاة عليه كاملة مستقلة، لكن شاهدنا أن ربنا جعل كل واحدٍ منهما شيئًا غير الآخر، وفرَّق بينهما بكلام، ثم إنه ابتدأ سبحانه السلام عليه ﷺ، وهكذا يكون الأمر عند ابتداء اللقاء، فهل يضيرنا يا ربنا من شيء إذا نحن فصلنا بينَ السلام والصلاة عليه ﷺ؟!

يا رب ماذا عليَّ إذا هاج قلبي اشتياقًا إلى أبي وكنتُ بعيدًا عنه فأرسلت له سلامًا بيد مسافر من الصحب ألا يفرحه ذلك، كيف وهذا رسولك يا ربي ﷺ

هو أحبُّ إليَّ من أبي، فأرسلت عن طريقك يا رب العالمين سلامًا إليه أو عن طريق ملائكتك وأنا أخاطبه بشكلٍ مباشر: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)... ألا يصل سلامي؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

يا رب: إذا كان أبي المدفون في بلدي أسلِّم عليه حين أذهب إلى قبره القريب مني بعدما أسلم على أَهل المقبرة عامة، ثم آتي قبره وأُسلِّم عليه خاصة... أَفَنُقْطَعُ أنا وكل المسلمين عن رسولنا ﷺ السلام، ونُحْرَم من السلام عليه إلا إذا سافرنا وأتيناه من بعيد - وإنه لَيستحق الروح والمال والولد - وسلمنا عليه بجواره وكأنه كأي ميتٍ من موتى المسلمين؟!

حاشاك ربي أن تعامل الأقرب إلى كل قلبٍ معاملة سواه، والله إني ما أحسب إلا أن يقربه الله لنا حتى لكأنه الحاضر عند السلام عليه والصلاة عليه ﷺ... حتى لو تمتم الرجل بينه وبين نفسه تمتمة بالصلاة والسلام عليه لأسمعتها رسولك وحبيبك أو بلغته أنت سبحانه أو بلَّغَتْه ملائكتُك السواحون، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»(١)، لأنك ربنا سبحانك أنت ربنا الحبيب الذي له منتهى الحب وكماله ولحبك أحببناه ﷺ، وهو حبيبنا الأول في الخلائق جميعًا، وأنت حبيبه الذي لا شريك لك، فاجتمعنا في حقيقة الأمر نحن ورسولك ﷺ على حبك... فكيف لا تجمع المحبين المتحابين فيك

---

(١) أخرجه النسائي (١٢٠٦)، وابن حبان في صحيحه (٩١٤)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٩٢) رقم (١٦٦٤): صحيح.

متى أرادوا وتوصل سلامهم لسيدِهم متى أرادوا وأنت على كل شيء قدير، وأنت القريب الودود ربنا؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الرسالة الخامسة: تعالوا يا غير المسلمين:

يقولون: لماذا تكثرون الصلاة عليه؟ إنه نبيكم ﷺ

يا أيها الناس كافة: إن الصلاة على رسول الله ﷺ رسالة تقول لكم: يا كل مَن لم يصلِّ على رسول الله ﷺ من غير المسلمين، لِماذا جعلتمونا أحق برسول الله ﷺ منكم، من خدعكم وقال لكم إن الأمر أمر قومية عربية، أو أمر عرق أو وراثة دين...؟!

هو ﷺ لنا جميعًا لكل أتباع الأنبياء عليهم السلام دون استثناء... وإن شككتم في هذا فاقرؤوا كتبكم التي لم تحرَّف بعد وستجدون الوصية به ﷺ واضحة.

ثم إن الجواب موجود في نفس الصلاة على النبي ﷺ، **فأكملوا الصلاة وسوف تجدون الجواب القاطع**: (فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)، هل انكشفت الحقيقة فأبصرتموها بعيونكم؟!... أليس إبراهيم أبا الأنبياء عليهم السلام؛ الأنبياء الذين هم أصحاب الديانات أو الشرائع جميعًا.. هكذا هي الصلاة على رسول الله ﷺ.. فكيف إذا عرفتم أن إبراهيم عليه السلام هو أبو النبي ﷺ والنبي ﷺ ولده... إذًا أوَليس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إخوة، والنبي ﷺ يقول: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١)؟؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣).

إذًا فنحن نُصلي على إبراهيم ﷺ وهو قاسمنا المشترك، بل نحن نصلي على جميع أنبيائكم ﷺ، فما لكم لا تُصلون على نبينا محمد ﷺ؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

ربما قال قائلكم: أنتم لا تُصلون على أنبيائنا بل أنتم تُصلون على نبيكم فقط، وتقولون: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبهذا تخلصتم من الصلاة على أنبيائنا؟

تعالوا وصلوا عليه؛ اطرقوا بابه من خلال الصلاة والسلام عليه، وستعرفون في كل تشريع من شرعه حكمة وإتقانًا مثل إتقان الذرة الصغيرة مع المجرة الكبيرة؛ لأن الخلْق خلْق الله، ودين محمد ﷺ دين الله ﷻ، فلا يمكن أن يكونَ اختلال في دين الله بل هو أحكم وأتقن... وسينجلى لكم الحق في الصلاة على رسول الله ﷺ خاصة كلَّما زدتم من الاعتراضات أكثر.

تعالوا وصلوا عليه فليس لكم في نهاية الأمر إلا هذا، فنحن حينما نقول: (كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) ونقول: (كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) فنحن نقرُّ بأن الصلاة التي نطلبها لِمحمد ﷺ قد تحققت فعليًّا على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وأن البركة التي نطلبها لمحمد ولآل محمد قد تحققت كذلك فعليًّا لإبراهيم ولآل إبراهيم، فنحن نُريد لمحمد ﷺ ولآل محمد ﷺ من البركات مثلما أعطيت إبراهيم وآل إبراهيم ﷺ.

أرأيتم إلى أي درجة تُبين لكم الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ كم أنتم مُضيعون لأنفسكم ولأنبيائكم حين تتركون الصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ تسليمًا كثيرًا؟!

أرأيتم إلى أي درجةٍ صرفكم الشيطان وشياطين الإنس حين صرفوكم عن محمد ﷺ وعن الصلاة عليه؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

ألا أيها الناس: تعالوا إلى منبع الهدى والنور في الصلاة على رسول الله ﷺ، تعالوا وستقول لكم الصلاة نفسها: إن صيغة الصلاة على رسول الله ﷺ لتشهد بأن رسول الله محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء جميعًا، وأن آل محمد هم ختام كل آلٍ للأنبياء جميعًا، وإلا لِمَ جاء التعبير بفعل الماضي في قوله: (كما صليت) وقوله (كما باركت)، بينما الدعاء مستمر بالصلاة على محمد وعلى آل محمد ﷺ؛ لأن آله مستمرون من رسول الله محمد ﷺ إلى يوم القيامة.

تعالوا وانظروا في الصلاة على رسول الله ﷺ وادخلوا على رسول الله وأنتم تُصلون عليه ﷺ وعلى آله، فإنه هو نبيكم بعدما ذهبَ أنبياؤكم عليهم السلام، هو وصية أنبيائكم عليهم السلام قبل أن يذهبوا، ولم يبقَ لِوجود أنبيائكم من معجزة قاطعة بين أيديكم أبدًا، اللهم إلا شهادة رسول الله ﷺ، وشهادة معجزة محمد ﷺ وهو القرآن.

تعالوا واشهدوا لِرسول الله ﷺ وصلوا عليه صلاة كاملة وعلى آله، **فآله هم آل أنبيائكم، أتدرون لِماذا؟**

لأن آل أنبيائكم جميعًا قد ذهبوا ولا يعرفون، وحتى لو عرف عند البعض بعضُهم فأنتم أنفسكم تتشككون في ذلك، ومنكم من يُكذبونهم، ولا دليلَ قاطعَ عندكم عليهم، ولا يبقى لآل أنبيائكم بشكل قاطع إلا آل محمد ﷺ؛ لأن آل محمد ﷺ هم آل إبراهيم، فهم من إبراهيم عليه السلام، ومن أبنائه إلى أن انتهى الأمر إلى آخر الأنبياء مطلقًا، وهو ابن إبراهيم وابن إسماعيل عليهما السلام؛ إنه رسول الله ﷺ.

فهل تنوون أن تضيعوا الآل الذين هم آل أنبيائكم كما ضيعتم أنبياءكم عليهم السلام؟!

فاللهم صَلِّ على محمد وآل محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

تعالوا واشهدوا بأن الصلاة على رسول الله ﷺ شهادة بأن رسول الله ﷺ عبد لله رب العالمين، وأنه أول المذكورين عبودية لله تعالى.. كما أن جميع المرسلين عبادٌ لله رب العالمين.. وذلك لأن الصلاة هنا تعني الدعاء، وقولنا: (اللهم) تعني (يا الله)، أليست الصلاة على رسول الله كافية لأن تُوَحِّدَنا في عبادة الله لأنها وحَّدت أنبياءنا جميعًا عليهم السلام في عبادة الله؛ لأنهم جميعًا محتاجون لله تعالى، ولولا ذلك ما دعونا لهم، وهذهِ وحدها كافية لأنْ تهدم كلَّ مَنْ عظَّم نبيه وزعم أنه إله، لأنه لو كان إلهًا ما دعونا له، ولأنه مهما كان رفيعًا حتى من قالوا إن عيسى ابن الله، فإن الابن إذا عجز رفع حاجته إلى والده، وإذا سألوه عبادة وما استطاع رفع حاجتهم إلى أبيه، إذًا فلماذا يسأل الناس الولد؟! لِماذا لا يُباشرون سؤال الله رب العالمين؟! ثم إنها تتضمن دليل العجز بالنسبة لِجميع المخلوقين أنبياء وغيرهم، ودليل الكمال المطلق في كل شيءٍ للواحد الأحد الله رب العالمين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، إنها من الكلمة السواء التي دعانا الله إليها ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

يا أيها الناس: تعالوا اُطرقوا على سيدنا محمد ﷺ باب الصلاة على رسول الله صادقين، وسترون الخُلُق العظيم الذي هو جماع خلاصة خلق سادة خلق العالمين مجتمعين وزيادة، فإن إفراد النبي ﷺ وآله من جهة بالصلاة عليهم الصلاة والسلام

واجتماع إبراهيم وآل إبراهيم وفيهم الأنبياء وآلهم عليهم الصلاة والسلام، ليبين أنه ﷺ الآخِر الذي لم يتأخر وراءه نبي، وأن آله آخر آل الأنبياء فلم يتأخر وراء آلهم أحد، وأن هذا النبي الأخير ﷺ هو الوارث لِجميع الأنبياء عليهم السلام، ولِذا فإن الترتيب الزماني يقتضي أن البناء الإنساني ما زال يتدرج التدرج النفسي والعقلي وذلك من خلال اكتمال التجارب... حالُه في ذلك حال الفرد نفسه؛ فالفرد بغير تجربة ليس كمن جرب، ومن جرب في جانب واحد ليس كمَن مرت عليه التجربة مرتين، ومن جرب في جهة واحدة ليس كمَن جرب في مختلف الجهات.. هذا في الشخص الواحد، فكيف بتجارب الأمم، كيف بالعقول التي عركتها التجربة، والعقول التي ما زالت لم تتفتح بعد أبوابها... والله يخاطب الأمم على قدر عقولهم، وعلى قدر مؤهلاتهم لأنه لطيف بعباده تبارك وتعالى، ولهذا فإن كون الصلاة على النبي ﷺ تدل على أنه الآخر فإنها تدل على أن الصلاة عليه هي الصلاة على مَن تأخذ عنه ما جاء به دون تردد ولا تمهل ولا شك؛ لأنه ﷺ هو الآخر، ولا نقص في نبي من الأنبياء عليهم السلام، ولكن من المستحيل أن تُعطي اختبارات الجامعة لِرياض الأطفال أو للمرحلة الابتدائية، ومن المستحيل أن تكلف طلابَ المرحلة الابتدائية برسالة كرسالة الدكتوراه لينتقلوا من المرحلة الابتدائية.

فأنت حينما تخصه لوحده منفردًا بالصلاة إنما تُصلي على اكتمال الرسالات وكمالها التي ابتدأت عند اكتمال النفسية الإنسانية وتمامها، واكتمال العقل الإنساني وبلوغه أشده... وعند بلوغ الإنسانية هذا الحد تأتي هذه الرسالة لتطلق للإنسانية كام طاقاتها، وكامل قواها، وتطلقها في آفاق لا تنتهي الإنسانية ولا يختم للبشرية إلا ببلوغ ذروة ذراها، ولِهذا كان ملازمًا للصلاة على النبي ﷺ

أن تُصلي كذلك وتسلم لزومًا على آل النبي ﷺ، ذلك أن بلوغ الآفاق التي ترنو إليها الإنسانية إنما يكون حين يبعث الله ﷻ ولد النبي ﷺ، واسمه المهدي عليه السلام، فيزيل كلَّ العوائق التي تحول بين الإنسانية وبين آفاقها، فيزيل الظلم كله من الأرض، وهل من عائق مثل الظلم، ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا، ولِهذا قال النبي ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»[1]، كما في جاء وصف المهدي عليه السلام في كتب العهد القديم بأنه [تتضاعف المعارف في عهده]، إذًا فهو يظهر في عصر المعارف، وهل عصر المعارف إلا هذا العصر الذي يُسمى عصر العلم أو عصر الثورة العلمية؟! ثم إن المعارف في عهد لا تمشي على نفس التقدم العلمي الذي كان متصاعدًا، وإنما تتضاعف إلى أضعاف مضاعفة.

فاللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد

تعال إلى الصلاة على النبي ﷺ لِتشهد أن ما من نبي جاء بالشريعة الكاملة لأنه ما من نبي جاء برسالة لكل أهل الأرض جميعًا، وما من نبي إلا جاء لقومه خاصة، والمعنى هو الخصوصية والتخصص، فهذا شريعته تتخصص في ما يعني قومه خاصة، وذاك في ما يعني قومه خاصة، وثالث، ورابع، وهكذا كانت الرسالات السابقة عظيمة ومتخصصة، وبالتالي فإن بعد هذا الركب العظيم

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

الكبير وهم أعظم المتخصصين على الإطلاق، وكل واحدٍ منهم استحق الصلاة والسلام عليه منفردًا إذا ذُكر لوحده، ومع جميع الجمع إذا ذُكروا مع أبيهم إبراهيم ﷺ، ثم يأتي من بعدهم الكامل الذي استحق الصلاة والسلام عليه منفردًا ﷺ؛ لأنه جاء بالكمال المطلق، والكمال هو الذي صنعَه الأنبياء من قبله، فجاء هو أقرَّهم على كل ما جاؤوا به، ثم زاد على ذلك ما شرعه الله سبحانه له من شرع زائد... «**مَثَلِي ومَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيانًا فأَحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ويَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»[(١)]، فمن أراد أن يرى نبيه ﷺ الذي لم يره فلينظر إلى رسول الله محمد ﷺ، ومن أحزنَه ضياع دين نبيه فليأخذ بدِين محمد ففيه دينه، ومن ندم على ضياع سيرة نبيه وأنها ذهبت مع الذاهبين، فلا يحزن فإنها موجودة مائة بالمائة تمامًا في أخلاق النبي محمد ﷺ، ولِهذا حفظ الله ﷻ دِين محمد ﷺ، وحفظ الله ﷻ أخلاق النبي ﷺ، لم يُفقد منه شيء نحتاجه مطلقًا، وحفظه حفظًا يروى لنا بالروايات الصحيحة كأننا نراه رأي العيان، ورويت أغلب الأخلاق من خلال قصص حصلت فكان حفظها أسهل وروايتها أسهل كذلك، لهذا أقول لك: إذا رأيت رسول الله ﷺ رأيت نبيك ورأيت أَخلاقه وعرفت سيرته، وعرفت دِينه كاملًا غير منقوص، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والبزار (٨٩٤٩)، وأحمد في المسند (٨٩٥٢) بلفظ: صالح الأخلاق، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

وماذا يرجو المصلحون في كل الأمر وكل المجتمعات وكل الأمم إلا أن يَبلغوا بأممهم مكارم الأخلاق؟ إذًا فيا أيها المصلحون ويا أيتها الأمم إن الغاية التي تنشدون إنما هي عند مَن لا يزال البعض يستنكف إذا ذُكِر أن يصلي ويسلم عليه!!!

ودعني الآن أعمل اختبارًا أخيرًا لعله يُدْخِلُ قلبك وعقلك فعليًّا الصلاة والسلام عليه كلما ذُكِرَ رسول الله أمامك ﷺ؛ وذلك من خلال خلُقهِ... وحياته كلها خلقه ﷺ هات الآن أي خلق طيب من الأخلاق الكريمة التي أجمعت عليها الأمم، ولننظر هل لِهذا الخلق وجود عندَ النبي ﷺ أم ليس له وجود...؟ وأنا أتحدى أنْ لا تجد خلقًا كريمًا واحدًا من أخلاق الأمم السالفة ولا تجده عند النبي ﷺ، بل أتحدى على ما هو أكبر من هذا، وهو أن كل خلق كريم ترويه لي عن الأمم السابقة أو اللاحقة سوف تجد ذروة ذلك الخلق وكماله عند النبي محمد ﷺ...

وسوف أسرد للقارئ المكرم عينات من أخلاق النبي ﷺ قد كُتِبَتْ في كل عينة منها بابًا كاملًا في كتب الروايات المتخصصة الصحيحة ومنها ما كتب كتابًا في كل خلق، وأحيانًا كتبًا في الخلق الواحد من أخلاقه، وكل واحدٍ اليوم يَستطيع أن يدخل بنفسه خلال هاتفه على المكتبات ولينظر في هذه العينات التي آخذها من أخلاق النبي ﷺ العملية، وسيرته الحياتية، بالإضافة إلى كلماته الواضحة في كل خلق... وتطبيقاته العملية لها، فهو الكمال العلمي والعملي، وهو القدوة القائمة، فانظر فأمامك الآن كوكبة من محاسن الأخلاق.. فانظر فيها ثم أعد النظر ولن تجد في التاريخ البشري كله مماثلًا للنبي ﷺ أبدًا فضلًا أن تجد متفوقًا عليه فلا والله أبدًا: خلق الإخلاص، خلق الاحتساب، خلق الإخاء، خلق

الإرشاد، خلق الاستئذان، خلق الاستقامة، خلق الإصلاح، خلق الاعتذار، خلق الإغاثة، خلق إفشاء السلام، خلق الشهادة، خلق الأمانة، خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خلق الإنابة، خلق الإنذار، خلق الإنصاف، خلق الإنفاق، خلق الإيثار، خلق عمل البر، خلق برّ الوالدين، خلق البشارة، خلق البشاشة، خلق التأني، خلق التبليغ والتبيين، خلق التدبر، خلق التعارف، خلق التعاون على البر والتقوى، خلق تعظيم الحرمات، خلق التفاؤل، خلق تفريج الكربات، خلق التفكر، خلق التقوى، خلق تكريم الإنسان، خلق التناصر بالحق، خلق التواضع، خلق التودد، خلق التوسط، خلق التيسير، خلق التيمن، خلق الثبات، خلق الثَّناء، خلق الجود والكرم، خلق الحذر، خلق حسن الخلق، حسن السَّمت، خلق حسن الظن، خلق حسن العشرة، خلق حسن المعاملة، خلق حفظ الأيمان، خلق حفظ العورات، خلق حق الجار، خلق الحكمة، خلق الحلم، خلق الحمد، خلق الحنان، خلق الحياء، خلق الحيطة، خلق خفض الصوت، خلق الدعوة إلى الله، خلق الرأفة، خلق الرجاء، خلق الرجولة، خلق الرحمة، خلق الرِّضا، خلق الترغيب، خلق الرفق، خلق الترهيب، خلق الزهد، خلق الستر، خلق السكينة، خلق السلم، خلق السماحة، خلق الشجاعة، خلق الشرف، خلق الشفاعة، خلق الشكر، خلق الشهامة، خلق الشورة، خلق الصبر، خلق الصدق، خلق الصفح، خلق صلة الرحم، خلق الصمت وحفظ اللسان، خلق طلاقة الوجه، خلق الطمأنينة، خلق الطموح، خلق الطهارة، خلق العدل، خلق العِزَّة، خلق العزم والعزيمة، خلق العطف، خلق العفة، خلق علو الهمة، خلق عيادة المريض، خلق غض البصر، خلق الغيرة، خلق الفقه والفطنة، خلق القناعة، خلق القوة والشدة، خلق كظم الغيظ، خلق كفالة الأيتام، خلق الكلم

الطيب، خلق مجاهدة النفس، خلق محاسبة النفس، خلق المحبة، خلق المداراة، خلق المروءة، خلق المسارعة إلى الخيرات، خلق المسؤولية، خلق المعاتبة والمصارحة، خلق المواساة، خلق النبل، خلق النزاهة، خلق النشاط، خلق النصيحة والتواصي، خلق النظام، خلق الورع، خلق الوفاء، خلق الوقاء، خلق اليقظة، خلق اليقين.

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

أليسَ من الإنصاف أن تتوقف بعدما تقرأ كل خلق من الأخلاق مذكور هنا لحيظة واحدة لترفع له الصلاة والسلام فتقول: اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

أليست هذهِ الأخلاق الطيبة موافقة للفطرة الإنسانية السليمة، وهي في الحقيقة منظومة أخلاق الأنبياء عليهم السلام، لكن هل توجد هذهِ المنظومة بهذا الحجم وبهذا التفصيل عن إنسانٍ غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

يا أخي الإنسان ماذا تملك وأنت ترى هذا المُعَلِّم الشاهق الأعظم إلا أن ترى فيه مجموع الأنبياء عليهم السلام جميعًا.

وبِمَ تحكم على مَن أتى بأخلاق ضد هذهِ الأخلاق أليس هو عدوًّا للإنسانية؟!

والآن تعالَ أخي الإنسان: أليس لِمَن قَدَّم للإنسان كل هذهِ الأخلاق في منظومة واحدة اسمها: حياة محمد رسول الله ﷺ، حق الشكر على كل إنسان؟ ومن يشكر على هذا إلا الله ﷻ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ألا ترى أنه حقًّا ينبغي أن يكون هو «النبي الخاتم والآخر» حتى لو لم يرد لك نصًّا... كيف وقد ورد في القرآن حيث يقول الله سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

إذًا أليس هو النبي والرسول الجامع لكلِّ رسالات الأنبياء جميعًا عليهم السلام؟!

أخي الإنسان: ألا تود ـ من خالص قلبك ـ لو يُفتح الطريق بينَك وبينه فتقول له كلمة شكر وعرفان على ما علَّمنا وزكَّانا وقدَّم لنا ما لا غنًى لنا عنه اليوم مطلقًا ولا أي يوم؟!

وهل تستطيع أن تمسك قلبك عن شكره وأنت تقرأ كل خلق من هذهِ الأخلاق الكريمة الرفيعة على حدة؟!

هاك إذًا ما تتمنى؛ حرِّكْ لسانَك بالصلاة والسلام عليه بعد كل خلق من الأخلاق.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وآل محمد كما
صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

وإني لأحسب كل قارئ مسلم وغير مسلم يُعيد الآن قراءة ما مرَّ من أخلاق وردت مواقفها وتفاصيلها عن رسول الله ﷺ إلا أن يشكره ﷺ من أعماق قلبه

عن نفسه وعن الإنسانية جمعاء، وتمنى لو أن للإنسانية قلب واحد ولسان واحد لهتفت من أعماق قلبها الواحد وبصوتها الواحد هتافًا يملأ السماوات والأرض والوجود كله شكرًا لرسول الله ﷺ يقول فيه: اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على محمد وعلى آل محمد تسليمًا كثيرًا.

اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

فهل عرفنا لِمَ قال الله تبارك وتعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]؟ إنه النبع الواحد والمصدر الواحد لكلِّ هؤلاء القدوات... وهل يكون هذا المصدر من صنع البشر ـ معاذ الله ـ؟ إنه الله رب العالمين، فالله رب العالمين هو مَن أمر رسول الله ﷺ أن يقتدي بكلِّ هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، وجعله في الختام لِيجمع فيه للإنسانية كلها كلَّ خصال الخير، ويجعله هو القدوة وهو الأسوة ﷺ للجميع، فانظر كيف عدد الله من عدد الأنبياء قبله ثم قال له هذهِ النتيجة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فاقرأ ماذا قال الله سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦

وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٩٤].

وهل تنبهت أخي الإنسان كيف أن الله ﷻ بعدما ذكر الأنبياء عليهم السلام، وذكر أخلاقهم ـ ذكر الكتاب الذي أنزله على موسى عليه السلام، ثم بين بيانًا خاصًّا عن هذا القرآن وقال عنه أنه مبارك، فَفَضْله فاق كل فضل، وعلمه فاض على كل المصادر.

فاللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وسلِّم تسليمًا كثيرًا

ومن قرأ سورة كسورة الإسراء عرف أي أخلاق أنزلها الله ﷻ في القرآن الكريم، وعرف لِمَ أجابت عائشة بذاك الجواب للرجل الذي سألها عن خلق النبي ﷺ قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]»(١)، وتعرف حقيقة لِمَ قال: «**إِنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق**».

أخي في الإنسانية: تعال معي الآن وما أحسبك إلا توصلت بعقلك لوحدك واستنباطك الخاص مزية عظمى للصلاة على النبي محمد ﷺ تسليمًا كثيرًا، فالصلاة على النبي ﷺ ليست ترانيم يُرددها الإنسان، وربما أكثر مَن يردد الترانيم الأخرى عند الأقوام! لا يعقل معناها!

أما الصلاة على النبي ﷺ هنا إنما هي هداية إلى خُلُقٍ معين، والصلاة عليه هنا هداية إلى خُلُقٍ آخر، والصلاة عليه ثالثة هداية لخلق ثالث ورابع وسابع وسبعة عشر وسبع وعشرون وسبعون وسبعمائة وهكذا وهكذا، فهي هداية إلى خلق عملي، بل هداية إلى سيد الأخلاق رسول الله ﷺ، وهل من رجاءٍ يرجوه المنصف أكبر من أن يهديه الطريق حتى ينتهي به إلى سيد المرسلين أجمعين رسول الله ﷺ ؟!

فاللهم صَلِّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا

ويا أخي: ألا ترى معي إلى أن الصلاة على النبي ﷺ تهديني وتهديك وتهدي كل ناظر أنها هي الهادية على طبيعة هدى محمد ﷺ ودِينه، وهو أن دينه دين الحياة كلها، وأنه لا يحتاج الناس إلى شيء سواه في كلِّ مجال من المجالات؛ نعم بهذا الإطلاق..

أوَ ليس هو دين الله..؟! أو ليس الخلْق خلْق الله؟!

ثم هل رأيت التفاصيل الموجودة في منظومة الأخلاق الواردة عن النبي ﷺ.. هل تجد مثلها في كل ميدان من ميادين الحياة...

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٦٠١)، وصححه الأرنؤوط.

وما أكثر ما أطلق دين محمد ﷺ للعقل طاقاته ليستنتج هو ما يُصلحه ويصلح الناس، كما في إعمار الأرض والخلافة التي ولاه الله إياها، وقواعد هذا كثيرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله ﷻ عن رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وأعود لأقول: فلنقرأ القرآن لِنعرف حقيقة دِين سيدنا وإمامنا محمد ﷺ، فلنقرأ سورة الإسراء وسورة الكهف وسورة مريم وسورة طه وسورة الأنبياء، فلقد قال صاحب رسول الله ﷺ: أنه قال في «**بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالْأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي**»(١).

وقول ابن مسعود ﵁: إنهن من العتاق الأول: عتيق يعني قديم أي: من أول ما نزل، وعتيق: هو كل ما بلغ الغاية في الجودة، والتلاد: يريد أنها من أول ما قرأه وحفظه من القرآن الكريم، والله أعلم(٢).

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩٤).

(٢) فتح الباري (٨/ ٣٨٨)، شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٤٧٦)، نقلًا من كتاب فضائل سور القرآن الكريم ص (٢٥٨-٢٥٩).

والعجيب حقًّا أن الصلاة على النبي ﷺ تشمل كلَّ موقفٍ له ﷺ أيًّا كان ذلك الموقف، فهي لا تتبع الموقف إنما تتبع الرسول ﷺ...

أوَ لا ترى في هذا أنها إشارة تنبيه لك ولكلِّ واحدٍ أيًّا كان؛ هنا رسول الله ﷺ، فإما أن تصلي عليه وتستغفر إن لم تكن مسلمًا... ولا خيار لك إلا ذلك.

ألا تلاحظ يا أخي أننا لا نكتم الصلاة على النبي ﷺ، فما دمنا ذكرنا وأعلنا ذِكره ﷺ أو أشرنا إليه بأي صورة من الصور فيلزمنا أن نُصلي عليه ونعلن الصلاة عليه، سواءً كان السامع مسلمًا أو غير مسلم، وعلى أي دِين كان، بل حتى لو كان ملحدًا.

أوَ لا ترى في الصلاة على النبي ﷺ وأنت تستمع أو وأنت تقرأ مثل هذا الكتاب حثًّا لك وتحفيزًا لِذِهنك أن يسأل ليهتدي للجواب، وسوف يكتشف في كلِّ مرة أنه حين يسأل إنما بطَرْق باب الهداية بالصلاة على النبي ﷺ إلى أن تفتح الهداية قلبك بالصلاة على النبي ﷺ، أو تزيدك هدًى وإيمانًا إن كنتَ من المهتدين.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على سيدنا رسول الله

يا أخي في الإنسانية: ألا يبلغ بك ذِكر الصلاة على النبي ﷺ كلما ذُكِرَ هو أو ذُكِرَ أي أثرٍ عنه كريم، وكل ما يذكر عنه كريم ﷺ، أن تتنبه إلى أن ليس في دِينه ﷺ خلل مطلقًا، وليس في دِينه حرج مطلقًا، وليس في دِينه ما يستحيا منه مطلقًا، بل إنه كلما زادت الصلاة على النبي ﷺ أضافت يقينًا جديدًا على الهدى الذي تلقاه، ونورًا من الصلاة على رسول الله ﷺ فوق النور الذي عندَك، وهذا يعني بنظر المعاند للنبي ﷺ ومنطق الجاحد أن هذا يتحداني يستفزني بالصلاة على النبي ﷺ أن أَنْهَضَ لأعترض!

ونحن نقول: نعم إن هذا الفهم للمعاند حق، وأننا نستفز قواه العقلية كلها لتتنبه في كلِّ مرة وهي تستمع للصلاة على النبي ﷺ فتظهر ولو لمرة واحدة أن الصلاة على النبي ﷺ كانت في غير موضعها أو لم يكن موقعها هذا مستحقًّا لأن الهدي لم يكن هُدًى ـ عياذًا بالله من ذلك ـ!

أيها الإخوة في الإنسانية: هل ترون هذا ممكنًا، بمعنى: هل تروة أن الصلاة على النبي ﷺ في موضعٍ ما لم تكن هدًى وذلك من خلال ما مررتم به من هدًى وهو كافٍ لتحكموا.

إذًا فالصلاة على النبي ﷺ قطعًا دليل الهدى، وفيها الهدى نفسه، وتحمل الهدى لِصاحبها... فليكن كل واحدٍ منا صاحبها حتى لو لم يكن مسلمًا.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

يا أيها الإنسان: تعال وانظر ودقق النظر ما شئت! فإن هذا التدقيق هو المطلوب.. لأنه لن يكون التدقيق إلا موصلًا وموضحًا للحق الذي عند صاحب الحق، فإن حقيقة الصلاة على النبي ﷺ أنها كاشفة لحياة النبي ﷺ كشفًا حتى إنها لم تدع مجالًا واحدًا من مجالات الحياة إلا وأظهرت ما كان يفعل فيه أو يقول أو يتعامل.

حقًّا إنها في كل مرة تشير لك: تنبه؛ هنا رسول الله ﷺ، هنا كان يفعل كذا وكذا وكذا، وهنا مرَّ عليه هذا الأمر وكان تصرفه كذا، وهكذا في كل شيء، حتى لا تكاد تجد جانبًا من جوانب الحياة بحلوها ومرِّها إلا وتجد رسول الله ﷺ ثمَّ، وتجده هو القدوة والأسوة...

فلا غموض مطلقًا في حياته ﷺ، فتوقن عندَها أنه الحق، فلو لم يكن كذلك لخاف من انكشاف ما يسوء، كما توقن أنه قدوة للعالمين جميعًا دون

استثناء، حتى لو كانت بعثته في الأميين، بل ما كانت بعثته في الأميين إلا إشارة إلى أن دِينه أَوْلى للمتعلمين غير الأميين، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فلسان الحال يقول: إذا كان مفعول ما جاء به محمد ﷺ هو أن حوَّل الأميين إلى الأمة التي صدرت للعالم مفاتيحَ العلوم وكنوزها من خلال حضارة امتدت من بغداد إلى الأندلس... فكيف لو تناول علماء العصر الحاضر هذهِ الحضارة وآمنوا برسول الله ﷺ، ثم بحثوا في كتابه الذي أنزل عليه، وبحثوا في حياته... أي كنوزٍ ستتفجر للعالمين؟!

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد

يا إخواننا في الإنسانية: هل أدركتم أن باعث الصلاة الداخلي للصلاة على النبي ﷺ هو الحب الحقيقي، الحب العاجز عن أداء حق المحبوب مهما كان الحب، والفداء العاجز عن أداء حق المفتدى حتى لو كان المال والولد والروح وكل شيء، والشكر العاجز عن أداء حق الشكر والعرفان له، وأن هذهِ الصلاة عليه صلة تصلني مباشرة إليه، وهي طريق مفتاح يبلغ بي إلى أن أصلَّ إليه، وأي شيء أحب إليَّ من زيارته ﷺ لو كان حيًّا؟! إلا أنني الآن أستطيع أن أسير إليه بحداء الصلاة والسلام عليه.

فاللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك على رسول الله

أسير إليه حتى استأذنتم أدخل عليه الباب، فالصلاة على رسول الله ﷺ فيها الإذن والترحاب، أوَ ليس فيها السلام؟! وهل السلام إلا للاستئذان؟! وهل الجواب بالإذن إلا قد حصل حين ردَّ الله ﷻ على مَن يُصلي عليه صلاة صلى الله عليه عشرًا روحه ﷺ، ومن يسلِّم عليه سلامًا سَلَّم الله عليه عشرًا؟ فأي

جواب ينتظره مُستأذن أبلغ وأحبَّ من هذا الجواب، فَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ ﵁ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: «**أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ﷻ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا**»(١).

إذًا فالصلاة على النبي ﷺ ليست طريق الهداية فحسب، إنما هي طريق المحبة الغامرة مع الهداية، طريق المحبة القائمة الفاعلة الحاضرة، طريق السعادة المتصاعدة إنها النفخة الباعثة لإحياء الأمة وبعثها من جديد..

فاللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد تسليمًا كثيرًا



(١) أخرجه أحمد (١٦٣٥٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩١) رقم (١٦٦١): حسن لغيره.

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ﴾ !

«أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي
أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي
أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»

رواه مسلم



المقدمة: التشهُّد يشهد



«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١) هذه هي الصلاة التي جعلها الله في كل صلاة نصليها لرب العالمين ولو كانت ركعة واحدة..

فهل هذه الكلمات المباركات إلا دعاء بصلاة وسلام وبطلب البركة على هذه العترة والقربى والآل دائمة لا تنقطع إلى أبد الآبدين...

وهكذا تلقَّت الأمة كلها هذه الكلمات لتدعو بها حين تكون في لقاء ربها كل وقت وحين لرسول الله ﷺ ولذريته عليهم السلام.

إنه الوفاء الدائم المتعاقب في الأجيال حتى آخر الأمة يدعو به كل مسلم.. لباني الأمة ومؤسسها وهاديها بعد الله ﷻ ألا إنه رسول الله ﷺ.

ألا ترى أن هذا دعاء مجاب لأنه وحي من الله ﷻ على رسوله ﷺ وهو تعليم لكل مصلٍّ من المسلمين.. يرفعه إلى الله إذ هو في لقائه فهو دعاء مجاب قطعًا.

إنه رحمة من الله ﷻ بالأمة أولًا؛ إذ إن البعض ربما غفل عن وصية الله ﷻ ووصية رسوله ﷺ بآل بيته عليهم السلام والله قد قال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] فكان في هذا التشريع تحقيق بعض المودة لآل البيت والله تعالى يتقبله منهم ويثيبهم على ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٠).

فهنيئًا والله هنيئًا لآل البيت ﷺ بصلاة رسول الله ﷺ عليهم في كل صلاة صلاها لرب العالمين...

وهنيئًا لهم إذ هو ﷺ كان أول مَن صلَّى عليهم فمن سيبلغ مبلغ هؤلاء الآل.

وهنيئًا والله هنيئًا لضم الصلاة والسلام على الآل إلى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ... وحاشا لله ﷻ أن يردَّ دعاءً هو شَرَعَهُ.. وسؤالًا هو سبحانه علَّمنا إياه وأوجبه.. أو يردّ جمعًا جمعهم سبحانه مع رسوله ﷺ على أمره، أو يرد وفدًا وفدوا عليه يتقدمهم أحب خلْقه إليه رسول الله ﷺ.. أو يرد أمة تناشد ربها بالليل والنهار في آل بيت رسول الله الأطهار ﷺ تسليمًا كثيرًا.

هنيئًا لمن اختصتهم أمتهم بهذا الدعاء ترفعه لربها في كل لحظة من لحظات الزمن.. فلا أحسب أن الأرض بحكم سياحتها الفلكية في منظومة الفَلَك تخلوا لحظة واحدة من مصلين على رسول الله وآله ﷺ هذا في الفرائض ومواقيتها الخمسة وحدها.. فكيف إذا ضمت لها النوافل التي لا حدَّ لها ولا عدّ..

فسبحان الله هكذا إذا أراد الله ﷻ أن يكرم..

وهل الإكرام إكرامٌ معنويٌّ أو أخرويٌّ فحسب؟!

والجواب: الإكرام بكل صور الإكرام وأعظمها الإكرام الأخروي، ولكنه كذلك إكرامٌ في هذه الحياة.. إكرام فعليٌّ مشهود؛ لذا أبقاه الله بقاءً حقيقيًّا في أمة عظيمة؛ قدوة ومحبة واشتياقًا.. كما أبقاه بقاءً ماديًّا.. حسيًّا.. جسديًّا في آله ﷺ.. وبقي هذا الدعاء حافظًا لهؤلاء الآل الباقين في الأمة الخالدة.. وكان بقاء هذا الدعاء إشارة ظاهرة إلى بقاء هؤلاء الآل وخلودهم في هذه الأمة العظمى ما بقيت الصلاة، بل ما بقي ذكررسول الله ﷺ، كما يبقى هذا الدعاء حافظًا لآل

بيت رسول الله ﷺ من الضلال جميعًا، ومَن شذَّ لا حكم له.. فهذا هو الأصل فيهم.. وما ذلك إلا حماية لرسول الله ﷺ في الآخرين، ورعاية له في عقبه، وخلافة له خاصة من رب العالمين في أهله ﷺ، وإلا فإن رسول الله ﷺ قد استخلف الله في أمته كافة وفي ظروف الفتن المزلزلة خاصة في كل مسلم من المسلمين ومنهم آل البيت بغير شك كما قال النبي ﷺ: «**وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»؛ فَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: «**ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١).

ويكفي أن نعرف هنا حكمة الله العظيمة أن جعل هذه الصلاة شرعًا شرعه الله لأجل الآل على جميع أمة محمد ﷺ.. فإن الأمر المنتظر يستحق ذلك أعظم الاستحقاق... ولأنه أمر الأمة كلها وليس أمر آل البيت وحدهم.. ولأنه ميراث رسول الله ﷺ وجودًا وعدمًا.. ولأنه أمر القرآن العظيم.. ولأنه ختام صراع الأنبياء عليهم السلام على هذه الأرض قد كان مع الشيطان وجنده. ولأنه إما أن يَصْدق وعد الشيطان نعوذ بالله منه حين قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، أو يصدق وعد الله ومن أصدق من الله قيلًا، ومن أوفى بعهده من الله، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]،

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وقد جعل الله الآل هم حاضنة المهدي عليه السلام والأمة هي حاضنة الآل.. وهكذا جاء الدعاء من الكل إلى كل جزء من أجزائه ليعود الحفظ والعلو على الكل بجميع أجزاءه دون استثناء.

وربما يتفضل فاضل بسؤال يقول: ولماذا الدعاء لآل البيت ولم يكن للمؤمنين والصالحين كافة في التشهد؟

والجواب في التشهد نفسه، وذلك في ما كان قبل الدعاء لآل البيت في التشهد نفسه... أوليس في التشهد الأول قول الرسول ﷺ: «**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ**»[1]، أليس أسبق «**عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ**» هم الصحابة ومن بعدهم التابعين والقرون الثلاثة الأولى ثم جميع المؤمنين إلى يوم الدين، فهل قُدِّم كل هؤلاء أم لم يقدموا في التشهد.

فالآل هم الآل ولا مقصود سواهم، ولا تعميم للآل ليشمل الصالحين والتشهد يشهد بأن مصطلح الآل هنا شيء ومصطلح الصالحين شيء آخر وإن كان الجميع صالحين.. فلو كان هؤلاء هم هؤلاء ما جاء في التشهد هذا وهذا فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ**»، ثم قال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»[2] إلى آخره فهل يمكن أن يقع هذا التكرار في هذا التقارب في هذا الذكر أليس هذا نقصًا ومعيبًا في لغة العرب، وهذا لا يمكن أن يكون في دين الله!

وهنا أمرٌ لطيف إذا تدبرنا الدعاءين وجدنا أن «**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ**

(١) رواه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠).

الصَّالِحِينَ» هو أن القاسم المشترك بيننا وبين عباد الله الصالحين هو السلام، بينما الصلاة على رسول الله ﷺ ومعها الصلاة على الآل فصيغتها [اللهم صل على محمد وصل على آل محمد] أي أن قاسمهما المشترك هو الصلاة، فكان القائل يقول: [اللهم صل على محمد وصل على آل محمد].

إن الشطر الثاني من الدعاء شاهد على خلود آل البيت في الأمة الخالدة، بل شاهد على ما هو أكبر وأكثر من البقاء والحفظ وهو الزيادة والكثرة والبركة، وهل إذا بارك الله شيئًا استطاع أحدٌ أن يوقف بركته.. فوجود هؤلاء الكرام وكثرتهم منذ الزمان الأول حتى هذا الزمان إنما هو من إجابة هذا الدعاء لهم خاصة بالبركة، وأن أعظم البركة على هذه الأمة بعد عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام سوف تأتي بظهور النعم والخيرات التي لم تعرف هذه الأمة مثلها في كل عهودها قط وما هي إلا من هذا الدعاء العظيم وقبله من دعاء رسول الله ﷺ الذي أخبرنا بما ستكون عليه النعم وحال الأمة - والفضل لله أولًا وآخرًا - فقال: «**فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ**»(١). وسيأتي معنا ذلك بإذن الله.

لقد جعل الله ﷻ الصلاة على النبي ﷺ وكذا طلب البركة ومزيد البركة لهم قبل التشهد بالشهادتين وجعل قبل التشهد بالشهادتين التحايا والتحيات المباركات والصلوات الطيبات من العبد لربه سبحانه.. وهذا يعني أن كل موجبات إجابة الدعاء قد تقدمت قبل الصلاة على النبي والآل إذ الثناء على الله أولًا ثم فتحت أبواب السماء لأعظم كلمة وهي كلمة الشهادتين التي اختارها رسل الله ﷺ ليوم عرفة يوم يفتح الله عطاءه لخلقه فقال ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا**»(٢)،

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٨٥٤).

وقال ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(١).

وهكذا تكون الصلاة على النبي ﷺ في ختام التشهد فهي إذًا دعوة مجابة وكذا تأتي في ختام الصلاة لتكون سبب في رفع جميع ما دعا به العبد ربه في صلاته وأركانها من افتتاح الصلاة حتى آخر سجودها، كما أن الصلاة على النبي وآله ﷺ في هذا الموقع تكون مقدمة لجميع الدعوات التي شرعت بعدها وجميع المطالب الأخرى التي يختم بها العبد صلاته ويطلبها وذلك لما ورد عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: - أَوْ لِغَيْرِهِ - «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»(٢)، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ**»(٣).

ومن هذا الموقع للصلاة على النبي ﷺ نجد كذلك الحكمة ظاهرة وعظيمة في نفع الصلاة على النبي ﷺ على أمته وأن الصلاة والسلام والتبريك على الآل لا يتحجر عليهم وحدهم فبعد هذه الصلاة والسلام والتبريك والتقرب يفتح الباب أمام المصلي ليختم صلاته بالدعاء وأنعم به من ختام...

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (١٤٨١)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٤٠٣).

فتأمل كيف يسوق الله عبده ليجيب دعاءه وتأمل هذه المراقي التي يُرْقي بها الله عبده حتى يحقق له إجابة دعائه إذ هو في صلاته وقبل سلامه.

تأمل؛ كيف ابتدأ التشهد وهو ختام الصلاة ثم جاء الملتقي ما بين أول التشهد وآخره عند الشهادتين فهما الذرى.. ومن هذا المقام يكون عروج الدعاء القادم وأوله ومفتاحه وهو الصلاة على النبي ﷺ وهذا جزء لا يتجزأ من الصلاة ومن الدعاء.. وهو المفتاح وهو الدعاء فيه التدرج في العروج؛ فأول الصلاة هذه قدَّم المضمون ضمانًا لا ريب فيه.. وخبرًا منصوصًا بالقرآن لا خُلْفَ فيه وهو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فلقد تقدم أعظم مضمون وأكرمه وأعمه وأعلاه وأعظمه وهو صلاة الله وملائكته على نبيه ﷺ ثم جاء بعدها التبريك على المضمون وهو على رسول الله ﷺ ففي الشقين - الصلاة والتبريك - تقدم المضمون وهو رسول الله ﷺ ليكون ذلك ضمانًا لإجابة الدعاء لمن أرفقوا معه وهم آله وهم أولى الناس التحاقًا برسول الله ﷺ.. وأُمهم الزهراء أول الخلق التحاقًا برسول الله ﷺ وهي الرابط الوحيد ما بين رسول الله ﷺ وبين أبنائه إلى يوم الدين، وهل تسع شفاعته العالمين ولا تسع شفاعته لأهل بيته.. ومن هذه الضمانات تكون الانطلاقة للداعي ليطلب المصلي لنفسه ولأهله ولأمة محمد ﷺ وللناس أجمعين ولهذا علمنا أمر رسول الله ﷺ أن هذا الختام مقام دعاء، وقد ثبت أن للنبي ﷺ هنا دعاءً كثيرًا متنوعًا لأنه أعلم ﷺ بالموقع والتوقيت والأثر وأعلم بربه ﷻ، ومما ورد عن رسول الله ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ

مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْـمَحْيَا وَالْـمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْـمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)].

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْـمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْـمَحْيَا وَالْـمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـمَأْثَمِ وَالْـمَغْرَمِ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْـمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[(٢)].

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ «كَانَ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْـمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْـمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(٣)].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا يَعْنِي: وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ، وَسَجَدَ، وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْـمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[(٤)].

وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ

---

(١) رواه مسلم (٥٨٨).

(٢) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٣) رواه مسلم (٧٧١).

(٤) رواه النسائي (١٣٠٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، وصححه الألباني.

فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَّى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[١].



(١) رواه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني.

الباب[١] الأول

يا آل بيت رسول ﷺ هذا بعض ما لكم



لكم أولا: الصلاة في الصلاة عليكم:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

نعم إنها الصلاة على رسول الله ﷺ، ولأجل رسول الله ﷺ ولكن؛ ألا ترون أن ثَمَّ شيئًا لا يكاد يتدبره بعضنا في هذه الصلاة، ولا يأخذ من تدبرنا وتفكرنا وخشوعنا في الصلاة انتباهةً سريعة فضلًا أن نتوقف عنده بينما جعله رسول الله ﷺ جزءًا لا يتجزَّأ من الصلاة عليه، وجزءًا لا يتجزَّأ من فريضة الصلاة وسننها إذ لا يمكن أن تكون الصلاة جائزة وفيها الصلاة على رسول الله ﷺ جائزة بدون جزئها هذا وهو [وعلى آل محمد]! فسبحان الله كيف يفُوتُ هذا الشطر الأساس من الصلاة على رسول الله ﷺ، والصلاة كلها بركوعها وسجودها وقيامها وقعودها لا تُقبل من دون الصلاة على [آله] ﷺ ؟! وكيف يمكن أن تقبل؟

فهل يقبل رسول الله ﷺ التفريق بينه وبين أهله؟!

أيُرضي الرجل إذا جاء هو وأهله عندك أن تدخله وترد أهله؟!

(١) اخترت لكل موضوع فاصلًا عن الموضوع الآخر ورمزت له بـ «الباب» فنحن نريد بيت النبوة، والدخول إلى البيت لا يكون إلا من الباب، وإتيان البيوت لا يكون إلا من أبوابها، وكان لهذا الكتاب أربعة أبواب والحمد لله رب العالمين.

أيرضيه أنه إذا جلس هو وأهله سقيته لوحده وتركت أهله؟!

أيرضيه أن تهمل أهله وإن بالغت في العناية به؟!

أيرضي الرجل أنه إذا ما سافر أو مات وجاءك أهله من بعده لم تأْبه بهم، ولم تعطِهم بعض الحق الذي كنت تعطيه لهم يوم كانوا يأتون في مَعِيَّةِ أبيهم؟! أتراه سوف يرضى عنك إذا لقيته بعد ذلك؟!

إن الله ﷻ لن يقبل ركعة واحدة - كركعة الوتر - لو صليتها وصليت فيها على النبي ﷺ ولم تصلِّ فيها على آله فذلك لا يرضي الله ولا يرضي رسوله ﷺ... ألا يكفينا هذا كي نعيد حساباتنا من جديد؟!

فأين هم آل محمد في واقعنا نحن؟

هل نحن نستشعر أن آل بيت النبي ﷺ ما زالوا موجودين.. وإن سلالتهم ما زالت حية ترزق.. وأن نسبهم مازال محفوظًا... وأنه البيت الأكثر، والأكبر... المحفوظة بحفظ الله في هذا العالم المترامي إلى هذا اليوم وإلى يوم الدين وإن تشققت الأمة وقُطِّعت تقطيعًا بل إن [بيت النبوة] ما زال يجمع حوله من الصادقين المحبين ما الله به عليم.. هذا ولا سلطان لهم ولا ملك، ولا زكاة تحل ولا خمس يوجد، وغالبهم مساكين كما يأخذ البعض ذلك من قول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»[١]؟!

وفي مقابل هذا: ألم تتناقص وتتقاصر أُسرُ أكاسرة وقياصرة وأباطرة وملوك وأمراء شيئًا فشيئًا حتى ذابوا بعد فترة من الزمان من ذهاب مُلكهم ثم أصبح الناس يقولون: إنهم انقرضوا!، ولا يعرفهم أحد في المجتمعات إلا بعضهم بعضًا، ثم يأتي جيل منهم لا يتشرف بالانتساب إليهم أبدًا... وكم من هؤلاء بيننا

(١) رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

ونحن لا نشعر؟! وكم من هؤلاء مَن سيأتي عليهم ما أتى على مَن قبلهم وهم ما كانوا يظنون حدوث ذلك أبدًا، لأنهم لا يتصورون إلا أنهم في أملاكهم وأموالهم خالدين فيها أبدًا لأنهم أصحاب الأحقية منها.. وأنهم بنوها بأنفسهم كما قال قائلهم من قبل: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

إنهم لا يحسبون – حين يكونون في القمة العالية عند الناس – إلا أنه الخلود فوق القمم ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٣].

وفي مقابل هذا أحيانًا لشدة خفاء واختفاء ذكر آل رسول الله ﷺ الحقيقيين في هذا الزمان، واختفاء ذكرهم بين آل فُلان وآل فُلَان وآل عِلَّان أصبح المرء يتساءل: أحقًّا انقرض آل رسول الله ﷺ؟!

هل حقًّا أننا أصبحنا حين نصلي ونسلم على آل محمد فإنما نصلي ونسلم على الأولين من آله الذين كانوا في عهده ﷺ وبعده بقليل انقرضوا أو أنهم لا يكادون يعرفون أو يذكرون..؟!

هل حقًّا أن الصلاة والسلام على آل رسول الله ﷺ أصبحت تعبدية محضة.. لا نصيب لها من الواقع..؟!

أحقًّا أن آل رسول الله ﷺ تفانوا.. فما من مُخْبِرٍ ولا من أثرٍ ولا أثارة؛ فالأثر ذهب بذهاب أهله والأثارة حُوِّرت لغيرهم فتحولت إلى غيرهم وما عاد لهم في المذكورين من ذكر، ولا عاد للمتأخرين عليهم من شكر.

ولقد قال الله وقوله الحق المبين: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، فلقد قطع الله

ﷻ دابر الظنون هنا كما قطع سبحانه دابر الشيطان لعنه الله[١] فقد أنزل في آل رسول الله ﷺ وأقربائه بشكل مطلق وصيته هو سبحانه بشكل صريح، وأمر رسول الله ﷺ أن يبلغ أمته بها عنه هو سبحانه بشكل صريح كذلك.. لتبقى وصية خالدة، فإن بقاء قربى النبي ﷺ وخلودهم في هذه الدنيا لهو أعظم علامة على خلود الأمة، ولولا ذلك فكيف يوصي الله تعالى أمةً غير خالدة بأناس خالدين، والعكس صحيح.

لكم ثانيًا: وصية الله الجازمة... الدائمة.. اللازمة بكم ولكم:

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: **تلك الوصية القاطعة الصريحة** من رب العالمين هي قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، فقد حفظ الله ﷻ أمره الصريح هذا لرسوله ﷺ بقوله سبحانه: ﴿قُل﴾، وما كان له ﷺ إلا أن يقول ويبلِّغ، لأنه أَمْر الله له، ولأنها وصية الله لأمة محمد ﷺ من بعده كافة إلى يوم القيامة حيث يبلغها هو ويبلغها المؤمنون ويتواصى بها المتبعون له إلى يوم القيامة ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، فبلغها رسول الله ﷺ بما أوتي من جوامع الكلم، فأصبحت هي وصية الله ﷻ، ووصية رسوله ﷺ... فلم يُبْقِ الله ﷻ لإحكام هذه الوصية بعد هذا الإحكام إحكامًا.

والأدلة من خارج هذا النص كثيرة على أن علو هذه الأمة لا يمكن أن

---

(١) إذا قلنا: [لعنه الله] فقد لعنه الله، وهذا أشد ما يكون عليه، وقد ثبت هذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما ثبت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند ذكره نعوذ بالله منه، أما مدح الشيطان بذكر أعماله فهذا هو المنهي عنه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

يتحقَّق وآل البيت مهانون مستضعفون في ذلة والله يقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وفي الصلاة على رسول الله وآله في الصلاة هو رفع ذكر الله ورفع ذكر الرسول ﷺ والزعم برفع ذكر رسول الله ﷺ لا يمكن أن يقبله الله ورسوله ﷺ مع وضع ذكر آله وإهانتهم عليهم السلام، فالرسول ﷺ لا يرض أن يفرق أحد بينه وبين آله كما لا يمكن أن يرضى الله ﷻ أن تتبع الأمة النفاق في التعامل مع آله.. بحيث تدعو الله لآل البيت في صلاتهم مع ربهم ثم هي تذمهم أو تهملهم في حياتها فلا بدَّ أن يصدِّق عملهم دعاءهم، ولا بد أن تجسد صلاتهم حياتهم ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، ولا بدَّ أن ترفعهم الأمة حقيقة وتدعو الله برفعتهم وقد رفع الله ﷻ ذكره كرسول وكقدوة وإمام وما إلى ذلك، وأن يُلْحِقوا آله ﷺ وأقربائه وعترته وأهله به كما ألحقهم الله به في الصلاة والسلام والتبريك في الصلاة عليه ﷺ.

وإذا لم تفسَّر سنة النبي ﷺ الواضحة القاطعة في نفس الموضوع الذي ورد في القرآن العظيم في هذا الموضوع فلا أدري والله متى تفسر ومن ذلك قول رسول الله ﷺ ويا له من قول: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١).

أي عظمة في الوصية.. وأي بلاغ أبلغ في الأهمية وطلب الاهتمام من أن يجمع النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - الوصية بأهل بيته إلى الوصية

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨).

بالقرآن.. وأن يجمعها في اسم واحد وهو «ثَقَلَيْنِ»، وأي ثقل هذا الذي يُجْمَعُ مع القرآن.. وأي تعظيم لهذه الوصية من أن يسبقها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكلمة هي أعظم من كلمة [الله]، ثم هو يكررها ثلاثًاولقد كانت الواحدة كافية في الوصية والتذكير والتبليغ بها... ولكنه التذكير الذي لا تذكير مثله.. التذكير للأمة أجمعها.. التذكير بالمصير فكيف وهو يؤكد على كلمة التذكير فيقول: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ**».. «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ**».. «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ**»، نعم هي وصية واضحة لكنها تحمل روح الإشهاد الأعظم عليهم من خلال الكلمة الأعظم [الله].

لتبقى تصدح في أرجاء الزمان، وأسماع بني الإنسان، ويتراوح صداها في صدور أهل الإيمان.. ما تبقى في صدورهم الإيمان.

ثم اجتماع الاثنين القرآن العظيم وأهل البيت في اسم مشترك ووصف واحد هو الـ«ثَقَلَيْنِ» ليدل بوضوح على أنهما رباط للأمة مشترك وارتباط واقعي وثيق.. ولا يتمثل هجر القرآن بعد عهد لرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وعهد الصحابة يتمثل في هجر القرآن في مرحلة إلا في مرحلة ما قبل ظهور المهدي إذ انحلت الأمة من القرآن وانحلت عنه، فيأتي المهدي فيعيد القرآن...

وربما قال قائل، وما دور آل البيت في فترة ما بعد الصحابة ﷺ إلى عهد ظهور المهدي عليه السلام؟

أقول: بل الوصية للأمة بآل البيت كافة.. ولكل الأجيال، والجواب الكامل على هذا التساؤل هو هذا الكتاب كله.. إلا أن آل بيت رسول الله هم عترة رسول الله وأهله وذرياته.. وهم حاضنة المهدي في أصلابهم يحملونه جيلًا بعد جيل.. والله يعلم ما سيحدث لهذه الأمة وخصوصًا قبيل ظهوره من قتل وتشريد وتطريد وفيضانات وغرق وحرائق.. فكانت المحافظة عليه أشد، وذلك ما لا

يكون إلا بالمحافظة على آل البيت جميعًا ودائمًا وأبدًا إذ يمكن أن يكون أي واحدٍ هو المهدي أو هو الظَهْر الذي يحمله أو هو الرحم الذي يحتويه ومثل هذا ما صنعه الله في حفظ رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – بحماية إسماعيل عليه السلام من الذبح.. وقد صح في الحديث الذي سيمر معنا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: هَيْهَاتَ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: «**ذَاكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللهَ اللهَ قُتِلَ، فَيَجْمَعُ اللهُ تَعَالَى لَهُ قَوْمًا قُزُعًا كَقَزَعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ، يَدْخُلُ فِيهِمْ عَلَى عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، وَعَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ**»(١)، نعم إن الحافظ للمهدي هو الله.. والذي لا يعلم بسلسلة آبائه إلا الله، ولا يعلم بتنقله من صلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهوره إلا الله عز وجل، إلا أن من عادة الله جل جلاله أن يكلِّف الأمة بحفظ ما ضمن حفظه، ويكلفها بحماية ما ضمن حمايته، ويكلفها بإعلاء ما ضمن إعلاءه.. بل ذلك يكون أعظم أجرًا.. ومنه حفظ المؤمنين القرآن والحث عليه وهما بعض هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته، وحماية الكعبة والمسجد الحرام، وإعلاء الإسلام وكلمة الله مع أن كل واحدةٍ من هذه فيها نص في الضمان.

لذا فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الـ«ثَقَلَيْنِ» وذلك لأنه ما إن يبعث الله المهدي عليه السلام حتى يقيم القرآن العظيم منهج حياة للأمة وللناس كافة، – كما سيأتي بيانه بإذن الله لاحقًا – وهذا هو اجتماعهما القرآن والآل بعد افتراق دام مائة عام؛ فإذا اجتمعا

(١) أخرجه الحاكم (٨٦٥٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي.

فإنهما لن يفترقا حتى يلتقيا مع رسول الله ﷺ على الحوض.. أي حتى يلتقي القرآن ورسول الله ﷺ والمهدي عليه السلام على الحوض ومن بعدهم الآل والأمة في عصر المهدي جميعًا لنصرتها له وإعادتها للقرآن ولهدي سيد الأنام فهذا هو موضوع ذا اللقاء.. اللهم اجعلنا من أهله وحضوره.

لكم ثالثًا: حِفْظُ ذرياتنا بحفظ ذرياتكم يا آل البيت:

إن من أسباب حفظ ذرية الإنسان من بعده أن يحفظ هو ذريات الآخرين بقدر استطاعته كما قال سبحانه منذرًا ومبشرًا: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]؛ فكيف بذرية رسول الله ﷺ وهي التي حَمَّل الله ﷻ أجيال الأمة كلها وصية خاصة منه هو سبحانه ومن رسوله ﷺ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، إذًا فهل من الغريب أن يكون الجزاء من جنس العمل، ولا أقصد ضياع الأمة بتضييع أبناء رسول الله ﷺ، وإنما كذلك تضييع الذراري بتضييع ذريته ﷺ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، إذ كيف يحفظ الله مَن يُضيِّع وصية الله ورسوله ﷺ.. وكيف يحفظ الله ﷻ ذراري من لم يحفظ وصية الله في ذرية رسول الله ﷺ ولا عجب أن تجد بلاء الأمة منذ فترة من الزمان في فشوِّ الفساد في ذراريها.. وانتشار العقوق، وضياع أبناء الأمة، بل وانحلال الأخلاق، وانتشار الأمراض، وذهاب القوة والرجولة.. فلا حماية ذاتية لهم يدفعون بها عن أنفسهم، مع ذهاب المجاهدة من حياتهم، والرخاوة في الهمم والأهداف والأخلاق والأبدان.. وهذا وغيره كثير كله ثابت في أحاديث صحيحة عن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وربما يقول القائل: وهل اختزلت كل المصائب بتضييع آل البيت؟

أقول: لا ولكن المصائب كثيرة وأسبابها كثيرة، ولكل ذنب جزاؤه الذي يناسبه وتلك هي سنة الله، وذلك هو عدل الله والله يقول: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]..، ثم إن مثل هذا التساؤل لَيَنُمَّ عن استهانة أو تهاون بوصية الله ﷻ ووصية رسول الله ﷺ، وهذا هو التضييع وهل جزاء التضييع إلا الضياع، وهل جزاء التيه إلا التيه.. وهل ضاع بنو إسرائيل في الأرض إلا حينما أضاعوا الوصية التي كتبها الله عليهم وهو حفظ الأرض المقدسة فقال الله: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢٠،٢١] إلى أنْ حق عليهم جزاء التضييع بالتيه فقال سبحانه: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٤-٢٦]، ولقد حق على الجيل الجبان المتخلف - الذي حُمِّل الأمانة فلم يتحملها - التيه والضياع حتى الموت أو العجز والهرم إذ كان عذابهم في هذا التيه هو أربعين سنة، وما أدراك ما عذاب اليوم الواحد في التيه.. فكيف بالأربعين سنة؟!

الأمر الذي نشهده ونشهدُ به هو أن الأمة في عمومها في غياب أو تغيب عن وصية الله العظمى في ذرية رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ووصية رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في ذريته حتى آخر أيامه في هذه الدنيا.. وهو ﷺ إذ يوصي أمته بآل بيته كأنه يُشْهِد الله عليهم وكأنه - صلى الله

عليه وعلى آله وسلم - يدلهم على طريق سلامتهم إذ أراه الله عاقبة التنصل من الوصية، وبهذا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يأخذ أمته إلى طريق علوهم.. وطريق حفظ ذرياتهم هم، وسبب تخليص الله لهم مما حلَّ بهم اليوم.

أليس من الأسباب الشرعية لسحب الولاية من الوَصِيِّ تضييع الوَصِيِّ للوصية لسقوط الأهلية؟!

وإن مما اعتاده الناس وتفاخروا به في مفهوم الرفعة - وعلى وجه الخصوص عند العرب، لأن العرب هم مَن يحفظون الأنساب - هو رفع ذكر الأب بأبنائه والله أعطى رسوله ﷺ الكمال في كل شيء.. ولهذا سموا مَن لا ولد له يذكر به [أَبْتَر] ولقد عُدَّ من صور الأذى والصدِّ عن اتباع العرب للنبي ﷺ هو تكذيب قريش له فكانوا يقولون: [قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ، لَوْ آنَسُوا مِنْهُ خَيْرًا لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ]؛ ويروى أن بَيْحَرَةُ بن فراس وجد قومه قد أذنوا لرسول الله ﷺ أن ينزل عندهم، فقال: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ السُّوقِ يَرْجِعُ بِشَيْءٍ أَشَرَّ مِنْ شَيْءٍ تَرْجِعُونَ بِهِ، بَدَأْتُمْ لِتُنَابِذُوا النَّاسَ وَتَرْمِيَكُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ، لَوْ آنَسُوا مِنْهُ خَيْرًا لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، أَتَعْمِدُونَ إِلَى رَهِيقِ قَوْمٍ، قَدْ طَرَدَهُ قَوْمُهُ وَكَذَّبُوهُ فَتُؤْوُونَهُ وَتَنْصُرُونَهُ؟! فَبِئْسَ الرَّأْيُ رَأَيْتُمْ(١)، ولقد أنزل الله ﷻ سورة خاصة في مثل هذا فقال سبحانه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد:١-٥].

ولهذا فإن من أعظم الأذى للنبي ﷺ ولدينه أن يُؤذى أهل بيته أو يُحتقرون من قِبَل أمته، والعكس صحيح، إذ من يمثِّل الأب إلا أهله وأولاده؟!..

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٥٠-٣٥١).

فهل تقبل أمته أن تقوم مع ذريته مقام قريش مع رسول الله ﷺ وهو والد الذرية؟!...

لكم رابعًا: لا خلود للأمة إلا بخلودكم:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: بهذه الآية الكريمة جعل الله ﷻ في وجود ذريته عليه السلام في كل فترات الزمان معجزة لكتاب الله تعالى، وشهادة على أن القرآن العظيم حق، وأنه سبحانه عالم الغيب والشهادة، وأنه الخلَّاق العليم، وشهادة بقاء هذه الذرية إنما يعني ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.. إذ لو انقطع نسبه ﷺ في أية فترة من الفترات لتحقق ما نفاه الله ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وأنَّى لأعداء رسول الله ﷺ أن يبدلوا كلام الله.. وليس نفي انقطاع الذرية هو المقصود فحسب وإنما هو ضد ذلك وهو تحقق كثرة الآل في الدنيا إلى أبد الدهر لأن رب العالمين قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، مع تحقق معرفة العالمين لهم.

إن رفع ذكر الرسول ﷺ ليس فقط بأن يوجد من يحمل مبادئه فهذا ضروري ولكن كذلك برفع من يحمل اسمه فوق اسمه الشخصي واسم رسول الله ﷺ يحمله كل واحد من آل البيت فوق اسمه الشخصي حتى وإن لم يكن ذاك الولد على صلاح.. فمنتهى آل البيت جميعًا إلى رسول الله ﷺ وفي هذا الانتساب الفعلي بالسلالة والانتهاء إلى المنتهى وهو رسول الله ﷺ في كل منتسب هو رفعٌ لذكره ﷺ بحكم الله الشرعي وقدره الواقع النافذ في الخلق والأمر، وهو ما لا يمكن رده ولا كتمه، كما أنها شهادة لرسول الله ﷺ أنه الحق، وأن رسالته حق، وأنه الأعلى، وأنه لا مجال لإنكاره ﷺ مطلقًا، فوجود الابن دليل وجود أبيه.. فكيف بذرية رفيعة مترامية الأطراف، كل واحدٍ فيهم

دليل وجودي على رسول الله ﷺ.. وشهادة بأن أمة محمد ﷺ هي الأعلى، وأنه مهما دار الزمان فإنها الأمة الأبقى التي ستبقى هي صاحبة الكلمة الأخيرة على الدنيا كلها، ولهذا فإن الخطورة أن مَن تولَّى الإعراض عن نسب رسول الله ﷺ، أو عادى ذريته، أو انتقص من قدرهم، أو حاربهم أوأخفى ذكرهم أن يصيبه ما أصاب الأبتر الأول من البتر والانقراض.. حتى لو كان مسلمًا، ولو كان مدعيًّا لحب رسول الله ﷺ، ذلك أن حقيقة الشانئ الأبتر الأول ذاك إنما هو طعن في وجود ذرية تبقى لرسول الله ﷺ وليس هو طعن في الرسول ﷺ وحياته وبقائه..

وهذا هو المحال بعينه، بل ضد هذا هو الحق المبين، فما كان رسول الله ﷺ هو الأبتر، بل كان شانئه هو الأبتر، وكان رسول الله ﷺ هو الأكرم، والأبقى، وهو الأعلى، وهو الأكثر، وكان لزوم وعد الله هذا في الذرية هو الدليل الأشهر والأنشر والأنور.

إن مفهوم المخالفة هنا هو أكبر مما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ فليس المعنى الصحيح: أنك لست أنت الأبتر فحسب، لا ليس هذا وحده، فهذا معنى ظاهر قريب مقطوع به... لا يحتاج إلى تدبر، **ولكن المعنى الآخر هو: بما أن** ﴿شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ **فإن محبك هو الأبقى وهو الأعلى وهو الأكثر وهو الأكبر**، ولست أنت يا سيد الخلق عليك الصلاة والسلام وحدك وآلك في هذا البقاء والكثرة والعلو فحسب، وإنما معك في بقائك وعلوك محبُّك ومتولِّيك وهم جميع أمتك.. وهكذا تبقى هذه قاعدة مباركة خالدة تالدة تسري على كل محب لرسول الله ﷺ وآله إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين لأن المحب والمتولي هو من يقابل الشانئ والعدو. إذًا فكيف برسول الله ﷺ

نفسه، وآله الأطهار عليهم السلام.. ذلك هو ما يسميه أهل الأصول **[من باب أولى]**، ولن يُنْقَضَ هذا الإخبار الإلهي في أي فترة من فترات الزمان إلى أن تَقْبِض الريح الطيبة أرواح المؤمنين من تحت آباطهم.. وهذه كرامة لرسول الله ﷺ، وتعزية من رب العالمين، وتعويضًا منه لرسوله وحبيبه ﷺ على دعوى الشانئين عليه..

وأما مَن عامل ذرية رسول الله ﷺ على أنهم أبناء رسول الله ﷺ حقًّا وتحقيقًا كما هو الشأن في الصلاة على «آله» مع الصلاة عليه ﷺ؛ يبحث عنهم في زمن الضياع والتيه هذا، ويجمعهم، ويحوطهم، وينصرهم، ويعزَّرهم، ويعزّهم، ويتكفَّل بهم، متذلِّلًا لهم، طالبًا رضا الله بهم، وراجيًا رضا رسول الله ﷺ لقرابتهم منه.. هكذا كل واحدٍ في الأمة حسب استطاعته... فهذا هو العبد الباقي بقاء آل رسول الله ﷺ.. وهو العبد العالي لإعلائه آل رسول الله ﷺ، وهو العبد المحفوظ بحفظه وصية الله ووصية رسوله ﷺ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

والله ﷻ يعطي كل من جعل نفسه حاملًا لأمر الله أو عهد الله أو أمانة الله أو راية الله أو آية الله عطاءً يتناسب مع ما قدَّم إلا أن العبد لا يمكن أن يتصور عطاء الله ولا كمه ولا نوعه ولا مصدره ومن أين يأتيه كقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢،٣].

ليس بعد تعهد الله ﷻ بحفظه القرآن تعهد، وليس من تحدٍ بالقرآن تحد فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ومع هذا فإن الله حفظ القرآن أعظم حفظ بالحفظة الذين حفظوه بصدورهم وحفَّظوه النشء.. فتبين لنا أن هؤلاء

هم مناط تحدي الله بحفظ القرآن.. وبقدر ما في هذه المهمة من عظمة بقدر ما يجعل الله لهؤلاء الحفظة من عظمة عنده سبحانه وفي الدنيا والآخرة.. وهكذا فإن عهد الله ﷻ برفع ذكره ﷺ وذكر آل بيته إنما يعني عهد المؤمنين بهذا فعهد الله هو عهد المؤمنين فهم حراس دين الله والمرابطين طوال حياتهم لتنفيذ أمر الله...

ونحن إذا نظرنا في سلالات الأنبياء عليهم السلام فإنا لن نجد اليوم من يُعْرَف من ذراريهم أحد إلا دعاوى هنا أو هناك، أو عوائل قليلة نادرة والنادر لا حكم له وهو بعد ذلك ما يحتاج إلى تحقق وتمحيص وهذا ما يصعب جدًّا عندهم وعندها سنعرف أن هذه خصوصية لرسول الله ﷺ وهذه ليست بغريبة على هذه الأمة فهي الأمة الخالدة والخاتمة للأمم جميعًا وكتاب الله ﷻ هو الخالد والخاتم، ورسول الله ﷺ هو الخالد والخاتم، وسنته كذلك هي الخالدة والخاتمة، وهكذا الرسالة نفسها، وكذا الكعبة.

وسبحان الله العظيم: فكما لم يتعهد الله ﷻ بحفظ ما أنزل على الأنبياء من كتب وألواح وكلام فإنه سبحانه لم يتعهد بحفظ ذرياتهم إلى الأبد.. وكما تعهد الله ﷻ بحفظ ما أنزل على رسوله ﷺ وهو القرآن العظيم وكذا حفظ سنة رسوله ﷺ.. فقد ناسب هذا حفظ الكتاب وحفظ آل رسول الله ﷺ، ولقد جمع النبي ﷺ حفظ الاثنين في حديث واحد؛ القرآن والعترة، وجاء تسميتهما بالثقلين في نفس الحديث، وجاءت الوصية بهما بناءً على ذلك في الحديث ذاته، إذًا فما جزاء من أعطى [الثقلين] حقهما؟!

ولقد اعتاد الناس في الشرق والغرب.. في الشمال والجنوب أنه إذا ما سقط رئيسهم وكانوا يكرهونه لِظُلْمِهِ مثلًا فإنهم يحاولون الانتقام من أهله وأقربائه ووزرائه وما إلى ذلك، ولذلك فإن أهل ذاك الرئيس وأقرباءه لا يجدون ملجأً

إلا التنكُّر والتخفِّي والهروب بعيدًا، وعلى الضد من ذلك، إذا ما كان الناس يحبون رئيسهم وقائدهم حبًّا عظيمًا، فإن حبهم العظيم في قلوبهم يبقى محفوظًا له في أولاده وأهله وأقربائه.. كما يبقى حفظًا، وإكرامًا، وإحاطة، ونصرة، وتعزيزًا، وتوقيرًا... لكن مما اعتاده الناس في كثير من البلاد هو مَن يأتي يبعد القيادة السابقة كاملة إلا ما ندر، وأول مَن يبعد مَن ينتسب لمَن قبله.. ومع الأيام ينسى مَن سبق كأن لم يكن.. وهذا يعني أنه لا الحكم ولا الآل، ولا الآل مع الحكم يخلد الناس في القلوب أو يخلدهم في الآخرين.

ولذا فإن آية حب رسول الله ﷺ الفعلية بعد موته ﷺ إنما هي في حب أقربائه وآله، بل لقد جعل الله ﷻ حب أقربائه مرتبطًا بالإيمان في القلب أساسًا، وليس مرتبطًا بالأعمال الظاهرة وحدها. كما في حديث العباس رضي الله عنه: «**حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**» -، فقد جعل الله ﷻ مودتهم ميدان سباق.. إذ لو كانت عملًا لتحدَّدت بالاقتداء واستوى فيها المقتدون، ولكنها سباق في أخص خصائص المحبة وأدقها وخلاصتها، وهي ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

ومن الخلود الحسي المشهود لرسول الله ﷺ الخلود لذريته، وختم الخلافة كلها بالخلافة في ذريته ويا له من ختام لم تسمع بمثله الأنام؛ ويا له من خلود وخبر جعل الأمة كلها تنتظره وخصوصًا إذا اشتدَّ عليها الحال.. فلقد بشَّر النبي ﷺ بخروج المهدي في هذه الأمة.. والبشارة بخروج المهدي إنما هي بشارة بخلود آل رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ**»، وسيأتي معنا بيان ذلك بإذن الله.

ولا عجب أن يقول النبي ﷺ في آخر حديث التبشير بالمهدي عليه السلام: «**لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ**» وإن كانت فترة عيسى عليه السلام بعده مع أن عهد عيسى عليه السلام وفترته

إنما هي امتداد لعهد المهدي ﷺ فالمهدي هو من يوطئ لعيسى هذا العالم، وهو من يزيل الظلم كله ويملؤها قسطًا وعدلًا، فالعالم سلام وأمان ولذا فعيسى يكسر السيف ويلغي الجزية، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير.. فلا قتال ولا أديان إلا دين الإسلام؛ كما صح في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْـمَسِيحَ الدَّجَّالَ»**(١)

ولهذا فإن رسول الله ﷺ قد قطع لأمته بأن ذريته باقية في هذه الدنيا لا تقبل الفناء بالأمراض ولا غيرها كما فنيت ذراري كثيرة، ولا يأكلها الوباء وإن فشى وعمَّ وطمَّ، ولا تتحلل وتذوب في غيرها كما هي العادة في المصاهرات والهجرات وما إلى ذلك، والمقصود أنها محفوظة مضمونة مأمونة من الانقراض والفناء، وحفظها ليس لأنها آية على آيات في كتاب الله فحسب، وليس لمجرد الحفظ والبقاء ردًّا على ذاك الهالك القائل عن رسول الله ﷺ: إنه أبتر... فحسب، بل بقاؤها إنما هو ادخار من الله ﷻ لعلو هذه الأمة وللناس كافة بعد أن يعم الظلم وتحلولك الظلمات، ويظهر الفساد في البر والبحر والفضاء، وتمزق أمة محمد ﷺ تمزيقًا حتى لا يبقى سبب يربط الناس بعودة أمة محمد ﷺ فكل الأسباب تُفضي إلى نتيجة واحدة وهي الأفول فتأتي كلمة الله التي لو تغير كل شيء ما تغيرت، ويبينها النبي ﷺ بيانًا في القطع لا نظير في صوره لا يمكن تصورها ولا وصفها؛ فعن ابن مسعود ﷺ قال النبي ﷺ: **«لَوْ**

(١) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٩٧)، والحاكم (٤٢٠٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»(١).. فهل يتصور أحدٌ أن الله يمكن أن يؤخر يوم القيامة لحظة واحدة.. فضلًا أن يؤخره يومًا؟ والجواب: قطعًا لا. فماذا إذًا إذا بقيت الأمة على حال السفول وبقي يوم واحد على يوم القيامة لا غير؟! هنا يقول النبي ﷺ مبينًا هذه الحتمية العظمى.

إذًا فبقاء آل البيت حتى يوم القيامة حتمية لا رادَّ لها.. وحتمية بقاء آل البيت لرفعة شأن الأمة وعلو الإسلام ونشره انتشارًا لا نظير له مطلقًا حتمية نصية ولا تبديل لكلمات الله.

وهكذا تبقى ذرية المهدي عليه السلام وذلك من بقاء ضمان الله لذرية رسول الله ﷺ وخلودها، كما أن فيها منارة ملموسة شامخة على الهداية والهدى والمهدي الذي هو [خليفة الله] عليه السلام.

واستحلال البيت من قبل أهله بالاقتتال بينهم ثم هلكتهم على يد المهدي حتى تأتي الحبشة في آخر الدنيا فيعتدون على البيت ويهدمونه ويستخرجون أساساته... وآنذاك تكون الساعة أقرب ما تكون؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ**»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلَّا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٣) رواه أبو داود (٤٣٠٩)، وحسنه الألباني.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ أَبَا قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**»(١).

وأذكر من هذا الحديث ورواياته أمرين عظيمين؛ **الأول**: أن الرسول ﷺ ذكر البيعة للمهدي من قبل الأمة ولم يذكر عيسى بن مريم، بينما ذكر آخر الأمر وهو تخريب الكعبة وذلك لأن عيسى عليه السلام تبع لخلافة الله التي ابتدأت بالبيعة للمهدي عند البيت..

والأمر الثاني: هو هدم الكعبة وما كان إلا بعد ذهاب خلافة الله كما حفظ الكعبة لأنه هو السبب الرئيس والمباشر لبعث المهدي عليه السلام، فذهابها ذهاب خلافة الله أولًا.. ولا قيمة للأرض بغير دين الله وخلافة الله بدليل ذهاب بيت الله الأعظم، وهذا يعني ذهاب آل بيت رسول الله ﷺ قبيل ذلك فلقد قبضت أرواحهم بالريح الطيبة مع من ختم بهم في هذه الأمة.. أحسن ختام في جيل النصر الشامل الكامل... وما هؤلاء إلا حثالة الخلق من أحباش وغيرهم في جيل البهيمية والوحشية.

وقد روى سَعِيدُ بْنُ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ أَبَا قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٧٩١٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد (٧٩١٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ففي هذا الحديث قد جمع النبي ﷺ عقودًا من السنين في عقد جامع بما آتاه الله من جوامع الكلم؛ فمن أول البيعة للمهدي.

لكم خامسًا: رَبْطكم بالإيمان ورَبْط الإيمان بكم:

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: لقد أخذ رسول الله ﷺ هذا الأمر الوارد في الوصية بالحزم وأبانه في مواقف خاصة وأخرى عامة حتى آخر حياته ﷺ، وحسمه ﷺ لدرجة أنه ربطه بالإيمان وجودًا وعدمًا؛ فعن العباس رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ قُرَيْشًا إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَقُوهُمْ بِبِشْرٍ حَسَنٍ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِوُجُوهٍ لَا نَعْرِفُهَا، قَالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ**»(١)، وعنه أنه دخل على رسول الله ﷺ فقال: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**»(٢)، وأما قول العباس رضي الله عنه: «**إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا**» فهذه هي طبيعة مرحلة التشريع، والتربية فيها دائمة ومستمرة إلى لحظة وفاة النبي ﷺ، وفي ذاك المجتمع منافقون كما قال الله سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]، ثم إنه لا يُظَنُّ بأصحاب رسول الله ﷺ إلا خيرًا. وما فعله النبي ﷺ إنما هو من وصية الله عز وجل له، وهو القدوة ﷺ ومن ثَمَّ وجب على كل إمام للمسلمين وكل

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٧٦) باختلاف يسير، وأخرجه ابن ماجه (١٤٠) بنحوه، وأحمد (١٧٧٢) واللفظ له، **وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح**.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧٧)، **وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح**.

واحدٍ من المسلمين أن يتحمل نصيبه من وصية الله ووصية رسوله ﷺ ويعطيها حقها كاملًا في «آل» رسول الله ﷺ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ولذا فإن الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يساوون أحدًا بآل رسول الله ﷺ ولا آلهم هم، ولا يساوون قراباتهم بقرابة رسول الله ﷺ حتى بعد موته ﷺ، بل كان الأمر بعد موته ﷺ أكثر وأكبر؛ وهذا أمرٌ عظيم والله، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعليٍّ رضي الله عنه: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»**(١)، وعن ابن عمر عن أبي بكر رضي الله عنهم قال: **«ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»**(٢).

فلقد ربط الله ﷻ ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **بالإيمان القلبي وموجباته:** وغضب لأجلها غضبًا شديدًا وبرز بين عينيه عرق وظهر منتفخًا منتبرًا من شدة الأمر لئلا يستهين به أحد... بعد هذا الموقف وإلى يوم القيامة.. وليجتمع بهذا كل أركان الغضب الحق، ولتظهر آثار التأثُّر.. وليرويها الناس بعد هذا صوتًا وصورة... ولتحضر أمام عيني كل متهاون بحق آل بيته ﷺ صورة رسول الله ﷺ ووجههُ الشريف بتغيره العنيف.. وكيف ظهر الغضب على ملامحه وكيف برز ذلك العرق بين عينيه وكأنه يريد أن ينفجر..

وسبحان الله! فإنه «وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ» وكأنه ﷺ يرى من سيفعل هذا إلى يوم القيامة.. فإن لم يكن يراه فأنت أيها المقصر في حق آل البيت ينبغي أن تجعلهم بين عينيك دائمًا وأبدًا، وكأنك ترى وجه رسول الله ﷺ ومن فورك فترتدع.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠)، (٤٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣).

«**وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»: هكذا تغيَّر ذلك الوجه الصبوح.. هكذا تحوَّل التفؤل... هكذا كاد الأمر يتحول إلى ليل.. وكاد الأمل أن يتزحزح.. فلتتذكروا ولتتصوروا ولتستحضروا يا أمة محمد هذا الموقف من رسول الله عليكم إن تغيرتم يومًا على آل بيته...

«**وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»: هكذا يتقدم رسول الله ﷺ بنفسه دفاعًا عن آل بيته أمام أذى أي إنسان بل وأمام أي مسلم من المسلمين يتقدم لهم بإساءة أو نحوها وإن لم تكن مباشرة عليهم فإن رسول الله ﷺ هو مَن يباشر الدفاع عنهم، وإذا غضب رسول الله ﷺ فقد غضب رب العالمين.

«**وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»: لم يتحقق النبي ﷺ هنا كعادته، ولا طلب من اتهموا بهذا ليعرفهم.. لأن المقصود هنا ليس مقصودًا شخصيًّا ولا حكمًا قضائيًّا، بل المقصود إنما هي مسألة إيمانية ووصية ربانية ثابتة في القرآن.. ورسول الله ﷺ مكلف بتبليغها بل بتحقيقها في أمته، فالمسألة أكبر بكثير من كونها مسألة أفراد مع أفراد، وأكبر من الحاجة إلى تحقق وتتبع.. فليكن الأمر ما يكون لكن الرسالة ينبغي أن تبلغ لمن لم يحضر لئلا يقعوا في هذه الهوة القاضية وهم لا يشعرون.. أما الصحابة في عصره فرسول الله ﷺ موجود وهو رأس الأولين والآخرين وشرفهم جميعًا.. أما المخوف عليهم فهم مَن بعد رسول الله ﷺ وخصوصًا في أيام تضييع الأمانات كما أخبر رسول الله ﷺ: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(١) والآل من أعظم الأمانات وأثقلها... وقد مرَّ معنا حديث [الثقلين].. فالخوف في حقيقته على الأمة بأكملها، والخوف ليس على أن تظلموا هؤلاء الآل بينكم، إنما الخوف أن يكون الله قد نزع الإيمان من قلوبكم،

(١) رواه البخاري (٦٤٩٦).

ولهذا نفى النبي ﷺ دخول الإيمان لمن لا يحبكم، ووالله إنها لمسألة في غاية الخطورة ومنتهاها.

«**وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»: فليدرّ العرق بين عيني مَن تَحَمَّل الأمانة عن رسول الله في آل بيته عليهم السلام.. وإلا فلا أمانة

«**وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»: هذا العرق مقام وخصوصية ولهذا لم يظهر إلا لأصحاب الخصوصية هؤلاء.. فمقامهم هنا بين العينين، وتفديهم العينان والروح، وهكذا ينبغي أن يكون مقامهم عند الأمة فهذا هو موضع احتضانهم ولا فلا.

«**وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»: ولا يزال هذا العرق يدرّ بين عيني بعض آل البيت ظاهرًا لا خفاء فيه.. وليس هو بلازم.. إلا أنه دليل على تلك الأصالة وأي أصالة مثلها: قال ابن منظور: «**وعِرْق كُلِّ شَيْءٍ: أَصله، وَالْجَمْعُ أَعْراق وعُرُوق، وَرَجُلٌ مُعْرِقٌ فِي الْحَسَبِ وَالْكَرَمِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ قُتَيْلَةَ بِنْتِ النَّضْرِ بْنِ الحَرْثِ:**

أَمُحَمَّدٌ ولأَنْتَ ضَنْءُ نَجيبةٍ فِي قَوْمِهَا، وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقِ

أَي عَرِيقُ النَّسَبِ أَصيل»(١).

«**وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»: درَّ عرق ليذكِّر كل الناس بأن هذا هو الأصل صاحب هذا العرق هو الأصل لكل ما تفرَّع مما قرب أو بعد من هذه الشجرة إذ الأصل هو عرقها.

وحين درَّ عرق بين عينيه فإن رسول الله ﷺ قد أكَّد ذلك تأكيدًا عظيمًا وأقسم عليها قسمًا صريحًا... والمودة ليست هي قضية آلية كأن يحب آل بيت النبي ﷺ كحب أي عائلة مسلمة أخرى.. بل هي خصوصية عن أية عائلة مسلمة من المسلمين كافة.

(١) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٢٤١).

لذا فإنَّ رَبْط الصلاة والسلام على آل رسول الله ﷺ مع الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ نفسه في جملة مباركة واحدة تشير إلى عظمة الاستثناء في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ﴾ وأنه لا يمكن تصور عظمته، ولهذا جاء الحسم القاطع والإيضاح الجامع المانع في قوله ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**».

فإنه إذا أدلى كل آلٍ إلى مَن انتسبوا له وتناسلوا عنه كما هو الشأن في العشائر والقبائل العربية والمسلمة من قبيلة فلان وعشيرة فلان وآل فلان... فإن آل رسول الله ﷺ قد أدلوا من رسول الله ﷺ بنسبهم؛ فمَن يضع نفسه وأباه وجدَّه وآله الكرام رحمهم الله أجمعين في مقابل رسول الله ﷺ؟!

ولهذا فإن النبي ﷺ قال في حديث العباس رضي الله عنه: «**حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**».

لكم سادسًا: المودة:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]: إنها نازلة في رسول الله ﷺ وقرابته.. وأن هذه الخصوصية تبقى فيهم إلى يوم القيامة، وأن حفظ خصوصية القربى إنما هي إيمان لارتباط الأمر بركن الإيمان الثاني، وهو الشهادة لرسول الله ﷺ، وأن هذا من الوفاء وهي أمة الوفاء، وأن من الوفاء الذي فُطِرَ عليه الناس عامة والعرب خاصة، وأن الرفعة في المقام لا تخص الفرد الفذّ وحده، بل لا بد وأن تشمل عائلته، وأن أول خير الرجل وبركته إنما تكون لأهله وآله وقرابته... وهذا رسول الله ﷺ وهو يشرِّف الثقلين، فكيف لا يشرِّف آله وقرابته، وهو يبارك العالمين فكيف لا تخص بركته ذريته ﷺ أكثر، وأن هذا عهد الله وعهد رسوله ﷺ في هذه الأمة.

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وأن هذا هو الموافق للطبع البشري السليم، فإن إحسان الآباء على الآباء يبقى محفوظًا عند الأبناء، فكيف بإحسان رسول الله ﷺ الذي إحسانه على الأبناء كما كان على الآباء؟!

ثم إنه الموافق لقاعدة الجزاء من جنس العمل فالمودة بالمودة، فالله سبحانه قد أمر المؤمنين بالمودة في القربى: أي مودة قربى - النبي ﷺ -، ولقد عَلِمْنَا أن المودة هي أشد الحب، وأعظمه، وأخصه، وأخلصه، وهذا هو الذي يليق بأمة محمد ﷺ نحو قربى رسول الله ﷺ، ذلك أن رسول الله ﷺ قد أعطى هذه الأمة من الحب حبًّا لا يحبه بشرٌ بشرًا أبدًا أبدًا.. والأحاديث في هذا كثيرة، ويكفي أنَّ نشيجه وبكاءه في دعائه.. في دنياه وآخرته: «**اللَّهُمَّ! أُمَّتِي أُمَّتِي**»[(١)]، وهكذا الأمر حتى على الصراط... بينما دعاء الأنبياء عليهم السلام يوم ذاك: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»[(٢)]؛ **ولهذا كان أمر الله لأمة محمد ﷺ هو تحديدًا** ﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾ لأقربائه ﷺ إلى يوم القيامة، ذلك لأن مودته لأمته ﷺ لن تنقطع بموته ﷺ، ولأن مودته لها لم تخص الطائعين من أمته، بل هي كشفاعته، وهي كما قال ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[(٣)]، فكانت المودة بالمودة؛ فكانت ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ﴾ هي ما يناسب مودة رسول الله ﷺ، ولا شيء دونها يليق بما قدّم رسول الله ﷺ، فكيف بما أخفى رسول الله ﷺ ولم يظهره، لكن رب العالمين عَلِمَهُ سبحانه.. وأعلمنا بأنها أعظم من كل تصور لهذه الأمة.. لذا جاء الواجب علينا وهو

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

(٢) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

﴿ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾، وهذا الأمر معهود في البشر.. ويشهده الناس في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب.

﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ لا ينبغي أن يُمَيَّع وتعمم ﴿ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ لتصبح بعد كل هذا المودة في قرباكم أنتم! فأين قربى رسول الله ﷺ؟!

ثم إذا كانت ثمة قربى وكانت كل الأمة قربى.. أوليس ثَمَّ ممن في القربى أقرب، ويكون آخرون أقرب منهم، وأقرب، ويكون مَن عُدُّوا أول مرة في القربى أصبحوا أبعد وأبعد، وهكذا.. إذًا فمَن هم أقرب القربى، وأُسّ القربى؟! إنهم آله ومَن عَلَّمهم الله ﷻ بالألف واللام العهدية فقال سبحانه: ﴿ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾، فكانوا هم المعدودين المحدَّدين ومَن تناسل منهم، لأنهم المعرَّفون بالألف واللام العهدية، وهكذا فهم من يصدق عليهم آل البيت وأهل البيت والعترة.

وإن الصلاة على النبي ﷺ ليست ترانيم وطقوس تردد في موضعها ويخرج المردد لها من تبعتها وما افترض الله فيها وإنما هي ﴿ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ والمودة هي أخص الحب وأخلصه، وأرقه وأعظمه وأبلغه وأحسنه وأحنَّه... وهذا هو ما يليق برسول الله ﷺ وبمن أدلى منه ﷺ.

﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ **نواة الأمة هي أسرة النبي ﷺ الأولى**: لو نظرنا إلى هذه الأمة على أنها بنيان أو أنها جسم إنسان أو نحو ذلك.. أليس لكل شيء أساسه الذي بني عليه مثل الهيكل العظمي وما كساه الله به بعد ذلك، ومثل الخلية ونواتها؛ فما نواة هذه الأمة من العوائل والأسر؟ أليس آل رسول الله ﷺ هم النواة.. أليس رسول الله ﷺ هو نواة الحق في هذه الأمة كلها..؟!

ولهذا كانت الحكمة البالغة في ذكر الله ﷻ وصيته وآيته في كل أسرة إيجاد المودة فقال سبحانه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، بينما قال في وصيته سبحانه بآل بيت رسول الله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فالأمةكأسرة واحدة ولكنها كبيرة والأسر الأخرى من حولها تدور كأنها الأفلاك ورسول الله ﷺ وأسرته وآله هم القلب وهم الروح لأجزاء الأسرة الكبيرة.. فأبى الله إلا أن تكون هذه الكوكبة وأطرافها القريبة والبعيدة نواة واحدة... فما أجل وأجمل حركة أجزاء النواة خلقة وعظمة وجمالًا وفطرة في كل الأشياء التي خلقها الله.. فلكل شيء أساسه وأسه.. هنا تأتي الأسرة في بنيان الإسلام فكان أول لبناته هو بيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها والتي كانت أول من دخل الإسلام بالإجماع كما سيأتي ذلك... وكان من هذه الأسرة الذرية المباركة، وبغير آل البيت والوصية بآل البيت فمن حق أي واحد أن يسأل: يا أمة محمد أين نواتكم.. أين هم في واقعكم.. وأنى لمخلوق أن يستطيع استبدال نواة خلقها الله فكيف بالنواة التي اجتمع فيها الخلق والأمر؟! أي [خلْق الله] الذي خلق محمدًا ﷺ وقدَّر أن تكون هذه السلالة منه، [وأَمْره] في القرآن بمودتهم وفضل الله عظيم أن أبقى نواة الأمة حية متواصلة متناسلة متكاثرة.. فمتى ما أراد الله ﷻ إحياء أمة محمد ﷺ فما هي إلا أن يسقي هذه النواة فإذا بها قائمة على سوقها وإذا بالجميع مخصب مثمر حولها.. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، إذا ما ذهب رسول الله ﷺ وطار العهد وذهب الإيمان والأمان فمن وريثه، وبمن

أوصى.. والجواب: عَنْ ثَوْبَانَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْـمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ**» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْـمَهْدِيُّ**»[(١)].

والمودة طريق قد فتحه الله ﷻ لأمة محمد ﷺ إلى رسول الله ﷺ عن طريقٍ واحدٍ وهم آله، فلم يجعل للمودة صورة ولا صيغة محددة ولا شكلًا محددًا، ولا طريقة محددة بل أطلقها... والناس أعرف بطرق المودة الصادقة وكيف يعبِّرون هم عنها.. وكلٌّ بحسبه، لكن الله جعل الناس عند المودة لآل رسول الله ﷺ في سباق... فأكثر ما تتمثل عند وجود الآل أنفسهم، وعند لقائهم حتى لو كانوا أغنياء فضلًا عن أن يكونوا فقراء، وعند الصلاة والسلام على رسول الله وآله معه في كل وقت وعلى الأخص في الصلاة.

يقول الإمام البقاعي ﵀ عند بيان قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشوى: ٢٣] قال: «وعَبَّر في المنقطع بأداة الاستثناء إغراقًا في النفي بالإعلام بأنه لا يستثني أجرًا أصلًا إلا هذه المودة إن قدر أحد أنها تكون أجرًا، ويجوز أن تكون «**إلا**» بمعنى «**غير**» فيكون من باب:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فمن كان بينه وبين أحد من المسلمين قرابة فهو مسؤول أن يراقب الله في قرابته تلك، فيصل صاحبها بكل ما تصل قدرته إليه من جميع ما أمره الله به من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه، وهذا وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

ثواب أو عقاب، فكيف بقرابة النبي ﷺ»[(١)].

فأي مسلم هذا الذي لا يشعر في داخله اشتياقًا لا يوصف لشكر النبي ﷺ.. وهل شُكْر الإحسان إلا خُلُق فطري فُطِرَ عليه الإنسان لمن أحسن إليه.. فكيف بإحسان رسول الله ﷺ الذي يعيش معك إحسانه الليل والنهار والدنيا والآخرة.. ولهذا جاء فتح هذا الطريق العظيم لإشباع بعض جوعة النفس بأخلص شيء وأحلاه وأعلاه وهو المودة بقرباه ﷺ.

قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

إن المتحدث هنا هو رب العالمين سبحانه.. وهو سبحانه مَن أمر رسوله ﷺ أن يقول هذا القول عن الله سبحانه ﴿قُل﴾ كما يقوله ﷺ بنفسه وعن نفسه، وإن القول طلبًا لنفسه ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ إذًا فالأمر يتعلق به هو ﷺ لأن الأجر كما هو معتاد يستحقه من أحسن وهذا هو المتعارف عليه وهو ﷺ المحسن الأعظم من الخلق للخلق، وهذه كلمة جميع الأنبياء عليهم السلام، وهذه الكلمة ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ تساوي ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [هود: ٢٩]، ولهذا فلقد نفى الله ﷻ عن رسوله ﷺ سؤاله إياهم أجرًا أو مالًا، وأما مطلوبه ﷺ فهم أهله وقراباته في هذه الأمة من بعده؛ وليس المطلوب هنا هو أقرباء بعضكم بعضًا فذلك شيء آخر وهو ثابت وكثير في نصوص كثيرة إنما هنا الخصوصية لرسول الله ﷺ وأقربائه وعلاقتكم بهم، **ولو كان المطلوب أقرباء الناس كافة بعضهم مع بعض لما حققت الآيات هدفها فإن الهدف إنما هو تقديم شيء لرسول الله ﷺ، تطيب به خواطر المؤمنين** حيث يقابل إحسان رسول الله ﷺ، ولا يماثله - لأن مماثلة إحسانه ﷺ محال على بشرٍ بلوغه -

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٧/ ٢٩٧-٢٩٨).

... وهذا مثل قول الله ﷻ للمؤمنين في عهده ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، فالصدقة مطلوبة وإن كانت صغيرة مع أنها من المستحيل أن تماثل فضل رسول الله ﷺ عليهم، لكن إذا ما مات رسول الله ﷺ فمن يوصل صور وفاء المحبين إلى رسول الله ﷺ.. من يحمل تعبيرات شكر المؤمنين إلى رسول الله ﷺ.. من يبلغ **ومَن الذي** يأخذ نيابة عنه ما يُهدى إليه، وما يُتْحفُ به، ونحو ذلك.. أم أنه باب أغلق إلى الأبد مع أن إحسانه ﷺ باق إلى الأبد، ومَن أولى الناس بالميت إلا أهله؟! **ومَن الذي يتذوق من خلاله المعطي** لذة محبته لرسول الله ﷺ واشتياقه إليه، **ومَن يقارب الإحساس** العظيم في مشاعر المسلم العميقة نحو رسول الله ﷺ إلا بالإحسان إلى أهله من بعده ﷺ، وذلك بعد موته ﷺ؟! **ومَن الذي إذا أعطيناه فَقَبِلَ** منَّا شعرنا براحة عظيمة، لأن أباهم ﷺ هو المتفضل علينا، ولأن خبرها سوف يصل إلى رسول الله ﷺ؟ أليس هو ولده وفلذة كبده، لأنه من فلذة كبده فاطمة عليها السلام؟!

ومَن هم الحبل النسبي الخلْقي الحقيقي الوحيد الواصل من بين جميع المسلمين في الأمة وبين رسول الله ﷺ؟

الجواب: قطعًا إنه آل رسول الله ﷺ، ولهذا فإن التعبير بالأجر في قوله سبحانه: ﴿أَجۡرًا﴾ إنما المراد به إشعار المؤمنين بأنهم قدموا شكرًا فعليًّا إلى رسول الله ﷺ، وأنه قد وصل إليه، لأن مراد النفوس الوفية المؤمنة هو العطاء في مقابل الإحسان، ولكن مَن يستطيع أن يكافئ إحسان رسول الله ﷺ؟! فالذي يعطي مودة وتوددًا يعطي أجود الجود المستطاع، والذي يعطي مودة لا يريد جزاء أكبر من ودهم فلا غاية بعد الود.. والذي يعطي مودة يكون أكبر

عقاب له أن ترد عطيته وهذا يعني رفض مودته.. فمعطاء هذا لا يخالطه أي مَنٍّ ولا ذرة أذى، بل ولا إحساس بعيدٍ بفضل، بل الفضل إذا فتح له باب المودة.. ليفرح ويواصل التودد.

ولما أن علمتْ تلك النفوس المؤمنة أن رسول الله ﷺ لن يقبل مالًا ولا أُجرة مقابل دعوة الله ﷻ في حياته وأنه قد مات الآن فلم يكن للشكر المناسب من طريق إلا أن تقدم المودة لآل رسول الله فهم أهله ﷺ، وهم السابقون لهذا بسبق أبيهم رسول الله ﷺ. والوصية بهم من رب العالمين ومن رسول الله ﷺ موجودة في كل بيت مسلم من المسلمين وكان أعظم الناس عملًا وفهمًا للوصية بآل البيت عليهم السلام هم أصحاب رسول الله ﷺ.

وهذا العطاء لآل البيت محدد الغاية والصفة وهو أنه مودة وليست صدقة، ولا هي صلاة فحسب.

كيف وربنا قال: ﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾ والمودة موضوع كبير، ولكنه منه ما كان يقبله رسول الله ﷺ فهي الهدية، و﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾ هي سر الهدية وهي سببها وهي أعلى غاياتها؛ ألم يقل النبي ﷺ: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»(١) ومن طلب بصلته ومحبته المودة من آل البيت فله ذلك وأعظم من ذلك، له المودة من الله وله المودة من رسول الله ﷺ.

إن قربى رسول الله ﷺ الذين عرَّفهم الله ﷻ هنا بالألف واللام الذين هم عَلَمُ كل قربى، والذين هم حين تتقطع القربى يوم تقوم الساعة فإن قرباه ﷺ لن

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، والبيهقي (١٢٢٩٧)، وحَسَّن إسناده ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٠٤٧)، وحَسَّن الحديث الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٩٤).

تنقطع، كما سيمر معنا ذلك في حديث عمر ﵁، وأما ما ورد عن ابن عباس ﵄ فيها فإنه يقتضي تخصيص قرابة رسول الله ﷺ لا إطلاق القربى بشكل عام، فعن ابن عباس ﵄ في قوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال: «كان لرسول الله ﷺ قرابة في جميع قريش، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني احفظوا قرابتي فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم»(١).

وهذا هو الأمر الطبيعي، وهو طريق الأنبياء ﵈ في دعوتهم، وهذا هو منهج الأنبياء ﵈ بمناداتهم على قومهم عند دعوتهم: يا قوم.. ومثل هذا النداء إنما هو تحفيز للاستجابة وإثارة للغيرة ليدركوا الحق ويتبعوه قبل أن يفوز به غيرهم.. مثل نداء العرب والعروبة.. فالنبي ﷺ منكم فلم يسبقكم غيركم، ومن هذا القبيل تخصيص النبي ﷺ بالنداء والإنذار بقوله: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ»(٢).

وهنا نقول أليست العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؟!

فما ذكره ابن عباس ﵄ إنما هو صورة واحدة للإفادة من القربى وطلب مراعاتها وإعطائها حقها.. ويبقى كلام الله ﷻ أوسع وأكبر من سبب النزول بما لا يحصى ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ثم أين هو التضاد بين هذا وهذا؟!

وهل يأمر الله ﷻ المشركين بحفظ القرابة بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى وإن لم يسلموا ثم يضيعها المسلمون بعدما دخلوا في دين الله؟!

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين (٤/ ٢٨٩).
(٢) رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

والسؤال قبل ذلك هو: هل المؤمنون بالله وبرسوله ﷺ مطلوب منهم صلة القربى فحسب أم مودة قربى رسول الله ﷺ بناءً على هذه الآية؟! وكيف يمكن أن يحفظ حق رسول الله ﷺ في أقربائه ﷺ؟! والخلاصة أن ما من أحدٍ من المسلمين إلا وكان يتمنَّى شكر رسول الله ﷺ من خلال قرابة رسول الله ﷺ، كما هي الصلاة على محمد ﷺ فإن معها وآل محمد ﷺ.

وابن عباس رضي الله عنهما الذي روى سبب نزول هذه الآية قد أقرَّ زيدًا على عمله واستنتاجه في تفسير القرابة والآل.

وعن الشَّعْبِيِّ قَالَ: «صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جِنَازَةٍ ثُمَّ قُرِّبَتْ لَهُ بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَهَا فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ**»، وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَافَأَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَخْذِهِ بِرِكَابِهِ أَنْ قَبَّلَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ»(١).

أليس هذا هو الحق والعدل في كل موصٍ فرَّط في وصيته.. فكيف بوصية الله ﷻ الواضحة المنصوصة في كتابه، ووصية رسول الله ﷺ إلى آخر لحظات حياته.. أفيقر الله المفرِّط وقد منحه فرصة حتى آخر عمر الدنيا.. أفيمنحه فرصة وقد أضاع على آل البيت خاصة الدين والدنيا، وأضاع [الثقلان] القرآن والآل؟! لا والله.. إذًا ماذا يجب على الأمة إذا التقى [الثقلان] إقامة كتاب الله على يد المهدي عليه السلام وهو أعظم وأعلى وصور آل البيت في ختام عمر الأمة العظيمة الكبيرة إلا أن تؤدى الوصية على أعلى ما تستطيع وتَعْتَبِر بمصير من فرط ممن كان من قبل.

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥١٤) رقم (٨٣٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٥٧).

ثانيًا: الصحابة أعلم منا فلنرجع إليهم:

الذي ينبغي أن نرجع إليه ونتحاشى الحيدة عنه هو المصطلح كما جاء المراد به في شرع الله أولًا فهو الحد القاطع والحَكَم الفاصل، ومن ذلك أن الصحابة ﵃ لم يكونوا يطلقون آل رسول الله ﷺ إلا على آل رسول الله ﷺ؛ وأهله وعترته، وأرحامه، وذرياته، وما كان الأمر يختلط عليهم أبدًا، وهذا ما ورد عن كل أحد تحدَّث بهذا. وكانوايتعبَّدون الله بهذا التفريق بين آلهم هم، وبين آل رسول الله ﷺ والتفريق إنما هو بتقديم آل رسول الله ﷺ على آلهم هم.

فقد قال أبو بكر الصديق ﵁ لعلي بن أبي طالب ﵁: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِن قَرَابَتِي**»(١).

وميَّز عمر بن الخطاب ﵁ الحسن والحسين ﵉ في العطاء على ابنه عبد الله ﵁؛ فأعطى كل واحد منهما عشرة آلاف، فقال عبد الله بن عمر: لِمَ فضّلت عليَّ هذين الغلامين وأنت تعرف سبقي في الإسلام وهجرتي؟ فقال له عمر: ويحك ياعبد الله، ائتني بجد مثل جدهما، وأب مثل أبيهما، وأم مثل أمهما، وجدة مثل جدتهما(٢).

وقد قال عمر بن الخطاب للعباس ﵄ يوم فتح مكة: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ، وَمَا لِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ(٣).

وقد مرَّ معنا قريبًا حديث الشَّعْبِيِّ قَالَ: «صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جِنَازَةٍ ثُمَّ

---

(١) رواه مسلم (١٧٥٩).

(٢) انظر «سيرة آل البيت» لحمزة النشرتي، وعبد الحفيظ فرغلي، وعبد الحميد مصطفى، (٢/ ٤٣) ط المكتبة القيمة.

(٣) شرح معاني الآثار للطحاوي (٣/ ٣١٩) رقم (٥٤٥٠)، وقال الطحاوي: هَذَا حَدِيثٌ مُتَّصِلُ الْإِسْنَادِ صَحِيحٌ مَا فِيهِ مَعْنًى.

قُرِّبَتْ لَهُ بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَهَا فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَافَأَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَخذِهِ بِرِكَابِهِ أَنْ قَبَّلَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ»(١).

وَعَنْ أَبِي الْمُهَزِّمِ قَالَ: «كُنَّا مَعَ جِنَازَةِ امْرَأَةٍ، وَمَعَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَجِيءَ بِجِنَازَةِ رَجُلٍ، فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ فَصَلَّى عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا أَقْبَلْنَا أَعْيَا الْحُسَيْنُ، فَقَعَدَ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ قَدَمَيْهِ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا؟! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: دَعْنِي، فَوَاللهِ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مِنْكَ مَا أَعْلَمُ لَحَمَلُوكَ عَلَى رِقَابِهِمْ»(٢). أي أنه ومع هذا الذي فعله فهو يعتذر عن تقصيره في حق الحسين عليه السلام فرضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ رحمه الله: «كَانَ العَبَّاسُ إِذَا مَرَّ بِعُمَرَ أَوْ بِعُثْمَانَ، وَهُمَا رَاكِبَانِ، نَزَلَا حَتَّى يُجَاوِزَهُمَا إِجْلَالًا لِعَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٣).

أليست هذه فاصلة في التفريق ما بين القرابة والنبوة؟

وَعَنْ مُدْرِكِ بْنِ عُمَارَةَ قَالَ: «رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ آخِذًا بِرِكَابِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَأْخُذُ بِرِكَابِهِمَا وَأَنْتَ أَسَنُّ مِنْهُمَا؟! فَقَالَ: إِنَّ هَذَيْنِ ابْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوَ لَيْسَ مِنْ سَعَادَتِي أَنْ آخُذَ بِرِكَابِهِمَا؟!»(٤).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥١٤) رقم (٨٣٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٥٧).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ١٨٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٣).

(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ١٧٩).

ولهذا مَيَّز رسول الله ﷺ سلمان الفارسي رضي الله عنه عن جميع الصحابة في الخندق الذين كانت لهم القبائل والعشائر؛ فقال: «**سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**»(١)، ولو نسبه إلى أي [آل] لكان يمكن أن يُنازع، أما هذا المقام فلا مطمح أبدًا لأحدٍ به.

ثم لو كان الآل يشمل جميع المؤمنين ويشمل أنصار الرجل وجنوده لقال الصحابة: يا رسول الله كلنا من آلك.. لكنه تحقيق الفارق الذي يجب أن يستحضره كل أحدٍ يحاول أن يجعل آل البيت كأي آل، أو يُميِّع مصطلح [الآل] فيجعل الأصل فيه الأنصار، وهذا إنما هو من الإنصاف الذي أمر الله، ومن أداء الحق لأهله والذي اختصهم الله به من دون الناس، وأنه لا يجوز لكائنٍ مَن كان أن يخلط نسبه بنسب رسول الله ﷺ إن لم يكن هو من نسب رسول الله ﷺ.. نعم، أنا لا أتحدَّث عن المصاهرة، فهذا أمر مشروع ذلك أن الناس خلْق الله، والزواج قضاء الله وقدره، وأنه إن استحق أحد الاستثناء بإدخاله هذا المقام فمَن

---

(١) رواه الحاكم (٦٥٣٩)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٢) رقم (٦٠٤٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٣٠) رقم (١٠١٣٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ، وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْجُمْهُورُ، وَحَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. **وقد صحَّ موقوفًا على علي رضي الله عنه ومثل هذا لا يقال بالرأي**؛ قال الذهبي في السير (١/ ٥٤١): يعلي بن عبيد: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري قال: قيل لعلي: أخبرنا عن أصحاب محمَّد ﷺ، قال: عن أيهم تسألون؟ قالوا: سلمان؟ قال: أدرك العِلم الأول، والعِلم الآخر، بحر لا يُدْرَك قَعْره، وهو منا أهل البيت. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في حاشية (السير): رجاله ثقات، وأخرجه الفسوي في (المعرفة والتاريخ) (٢/ ٥٤٠) مطولًا... ورجاله ثقات، والطبراني (٦٠٤١) وأبو نعيم في (الحلية) (١/ ١٨٧) وانظر المطالب العالية (٧). ا. هـ. ومع هذا فإن شهرته وتلقي الصحابة والعلماء والأمة له بالقبول والاستشهاد كافٍ في قبوله.

يمنحه إنما هو رأس آل البيت، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، ولهذا قال: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»، وهذا باب قد أُغلق بموت سيد ولد آدم رسول الله ﷺ.

فوا عجبًا لتقديم أصحاب رسول الله ﷺ على أنفسهم وأهليهم وكبار الناس والسبق في حياته ﷺ وبعد موته رضي الله عنهم.

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْضَرَ فَهْمًا، وَلا أَلَبَّ لُبًّا، وَلا أَكْثَرَ عِلْمًا، وَلا أَوْسَعَ حِلْمًا مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ! وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَدْعُوهُ لِلْمُعْضِلاتِ، ثُمَّ يَقُولُ: عِنْدَكَ قَدْ جَاءَتْكَ مُعْضِلَةٌ، ثُمَّ لا نُجَاوِزُ قَوْلَهُ، وَإِنَّ حَوْلَهُ لأَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»(٢).

وفي طبقات ابن سعد عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهَا ذَكَرَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَكْثَرَتِ التَّرَحُّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ، فَأَخْرَجَ عَنِّي كُلَّ خصي وَحَرَسِي حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَةَ عَلِيٍّ وَاللهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ بَيْتٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمْ وَلأَنْتُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي(٣).

دخل زين العابدين بن الحسين بن علي عليه السلام على عمر بن عبد العزيز فنزل له عن كرسيه وجلس بجواره، وتواضع له وبالغ في الاستماع إليه.. حتى خرج زين

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨١-٢٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٧١٠).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٢٥٧).

العابدين، فقال له بعض مَن حضر: لِمَ فعلت هذا يا أمير المؤمنين وأنت الخليفة؟ فقال عمر: هذا الذي يودُّ كل أحدٍ أنه مكانه وهو لا يود أن يكون مثل سواه.

ونقطة أخيرة لبيان الفارق ما بين القرابة وبين الذرية وأبناء العم وهم أقرب القرابة.. وكلهم الأهل والآل والقرابة هي أن العم يأتي بأبناء عم وأبناء العم يأتون بأبناء أبناء عم وهكذا تتسع الدائرة وإن تقارب الأصل أما الولد فيبقى هو الولد وإن تباعد عن الأصل ولهذا قال النبي ﷺ عن المهدي عليه السلام أنه منِّي كما قال عن فاطمة عليها السلام أنها منِّي وقال عنه: من ذريتي ومن عترتي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النبي ﷺ**»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَجْلَى أَقْنَى، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ قَبْلَهُ ظُلْمًا، يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ**»(٢).

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ**»(٣).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»(٤).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٩٥٣)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١٥٧٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١١٣٠)، وقال التويجري: إسناد صحيح على شرط مسلم، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح دون قوله: «يكون سبع سنين».

(٣) رواه أحمد (٦٤٥)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، وحسنه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنَّا الَّذِي يُصَلِّي عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ**»(١).

لكم سابعًا: السلام عليكم وعلى آلكم حتى آخركم:

والتشهُّد يشهد:

وهكذا جاء اختصاصهم من دون الناس بالسلام عليهم من الله «﵈»: مَن في هذه الأمة تستطيع أن تقول عنهم: ﵈؟ إنهم آل بيت رسول الله ﷺ... مَن في هذه الأمة يُخَصُّ بعد رسول الله ﷺ أن تقول: «﵈»؟

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﵁ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَحَسَنٌ مَعَهُ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(٢).

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﵄: أَنَّ عَلِيًّا ﵇ قَالَ: «كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ ﵍ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي»(٣).

فما أجملها والله من رواية.. وما أجمله والله من أدب.. وما أجملها من مقامات ومعرفة بها: فهنا الولد وهو الحسين ﵇ يقول: إن عليًّا ﵇ قال: «كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ،

(١) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.
(٢) رواه أحمد (٢٠٣٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(٣) رواه البخاري (٢٠٨٩).

فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ عليها السلام بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ولو أنني كنت مكان التابعي راوي الحديث عن الحسين لقلت: عن الحسين عليه السلام، ولكن فاته ذلك رحمه الله على أمانته في الرواية وعفا الله عنه لما فاته.

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: «إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادِرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام تَمْشِي، لَا وَاللهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم»[١]، وقد مَرَّ معنا هذا الحديث قبل قليل.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أُتِيَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا، فَقَالَ أَنَسٌ: كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ»[٢].

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ**»[٣].

وَعَنْ أَبِي بَكَرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُنَا يَوْمًا وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي حِجْرِهِ، فَيُقْبِلُ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيُحَدِّثُهُمْ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى الْحَسَنِ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، إِنْ يَعِشْ يُصْلِحْ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ**»[٤].

وَعَنْ أَبِي بَكَرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما يَثِبُ عَلَى ظَهْرِهِ إِذَا سَجَدَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَقَالُوا لَهُ: وَاللهِ إِنَّكَ لَتَفْعَلُ بِهَذَا شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ تَفْعَلُهُ بِأَحَدٍ. قَالَ الْـمُبَارَكُ: فَذَكَرَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ

---

(١) رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) رواه البخاري (٣٧٤٨).

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٤) رواه أحمد (٢٠٤٧٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ»[١]، فَقَالَ الْحَسَنُ: فَوَاللهِ وَاللهِ، بَعْدَ أَنْ وَلِيَ لَمْ يُهْرَقْ فِي خِلَافَتِهِ مِلْءُ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ.

ما سمعت أن ﷺ أطلقها أحد من الصحابة على أبي بكر ولا عمر ﵄، وهما أفضل خلق الله من الناس بعد الأنبياء ﵈ ولا أطلقوها على أحدًا من الصحابة ﵃..

بل لم يطلقوها على العباس وهو عم رسول الله ﷺ وعم علي بن أبي طالب.. والعباس لا شك من القربى لكن ما السبب في عدم إطلاق الصحابة ﵇ عليه إذا ذكر إلا أن هذه خصوصية مرتبطة بفاطمة ﵍.. وهي التي تميز السلالة وحدها ليس إلا والأصل هو الوصول إلى رسول الله ﷺ ولهذا جاء في الحديث عن إبراهيم ﵇ وهو ابن النبي ﷺ لأنه ابن النبي ﷺ مباشرة وإن كان من مارية القبطية ويشاء الله تعالى أن يقبضه إليه فلا يبقى طريق إلى رسول الله ﷺ إلا فاطمة وأي طريق أكرم منها ﵍؛ فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ سَمِعَ الْبَرَاءَ ﵁ قَالَ: لَـمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ ﵇، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ**»[٢].

ومما لا شك فيه أن الأصل أن كل واحدٍ من آل رسول الله ﷺ من فلذة كبده الشريفة يستحق أن تقول فيه: ﵇، بشرط أن تُعلَم خاتمته، ولما لم يكن ذلك ممكنًا إلا بموته على الإسلام، أو بإخبار الغيب، فإن المسلم يتوقف في هذا من بعد رسول الله ﷺ، ولكن لا يتوقف في كمال الأدب معهم، والتكريم والتبجيل... ومن هذا الباب فيبقى المهدي ﵇ بعد الصحابة من آل البيت هو المقطوع له بالحق في قولنا ﵇ فهو مشروع في حقه لكثرة ما ورد فيه عن رسول الله ﷺ من تزكية وبشائر... بحيث لا يدانيه لهذا الأمر في الآخرين أحدٌ.

---

(١) رواه أحمد (٢٠٤٨)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري (١٣٨٢).

وقد مرَّ معنا بعض الأحاديث في المهدي عليه السلام كما سيأتي شيء آخر وهي أحاديث متواترة بغير شك.

لكم ثامنًا: الوصية لجميعكم:

وهنا سؤال يتبادر: هل وُدُّ آل البيت مشروط بصلاحهم أو بصالحيهم؟

وهذا أمرٌ عظيم يخطئ فيه كثير من الناس اتِّباعًا لبعض العلماء رحمهم الله؛ ذلك هو تقييد حق قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتباعهم السنة، أو كونهم صالحين، أو قدوات، أو كونهم غير مبتدعين، ونحو ذلك!

وهذا هو الخطأ الفاضح.. فإن الحساب على الصلاح وضده لله سبحانه وحده.. ونحن لا نكافئ آل البيت.. إنما نحن نريد شكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم، ونقدِّم له فيهم المودة منذ ذلك الحين وإلى يوم القيامة، والله عز وجل حين أمر بالمودة في القربى لم يشترط، ولم يُقيِّد... فمَن يكون له الحق أن يشترط، أو يُقيِّد بعد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟! فالقرابة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي علَّة المودة وليس شيئًا آخر أبدًا وليست قريش من القرابة إذا ذكرت القرابة، ولهذا لما جاء العباس رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**»(١).

ففي هذا الحديث أعظم شهادة على أنه لا ربط بين حق القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين مدى الاستمساك بالدين والسنة وما إلى ذلك، ولو كانوا كذلك لاستووا مع أي أحدٍ آخر، وعلى هذا الوهم فلا ميزة لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ولا النسبة إليه صلى الله عليه وآله وسلم! وهذا ما يبطله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بشهادة حال راوي

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٧)، وقال أحمد شاكر: إسناد صحيح.

الحديث الشاكي، فهذا هو العباس ﷺ من آخر الناس إسلامًا عن غيره ومع هذا ما قال النبي ﷺ هنا: لا تؤذوني في أصحابي، ولا قال: لا يحلُّ فعل هذا، كما يقوله في مثل هذه المواقف مع عامة المؤمنين، وإنما قال: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**».

فإذا كان أعظم مراد المؤمن وأكبره هو محبة الله له فالله يدله على طريق من طرق محبته؛ والله سبحانه يقول له: إذا أحببتهم أُحبك.. إذا وصلتهم أُحبك.. إذا أَحبوك أُحبك.. إذا دافعت عنهم أُحبك.. إذا تفقدتهم أُحبك.. إذا دعوت الناس لمحبتهم أُحبك.. فكم من باب للمحبة فتح الله سبحانه هنا.. وكم قَرَّب لنا ربنا هذه الغاية.. كيف جعلها تتحقق من خلال علاقة بشر موجود بيننا.

إن رسول الله ﷺ قد بيَّن في هذا الحديث أن حب آل البيت ليس رغبة عند المؤمن أو عدم رغبة، أو أنه عرضةً للطوارئ، وإنما هو إيمان أو لا إيمان! وأي حساسية أكبر من هذه وأعظم خطورة من هذه العلاقة.. النوع من الصلة ومن هذا المستوى من العلاقة ومن هذا الاشتراط! وهذه خصوصية غير موجودة لأيِّ آلٍ على الأرض إلا لأكرم آلٍ وهم آل رسول الله ﷺ.

إذًا فلا مجال إلا أن يوطِّن المسلم نفسه لهذا، ولا يُدْخل الأهواء والأمزجة في هذا، بل لا يدخل الاشتراطات العامة في هذا الأمر المخصوص، ولا يأتي بالقيود الأخرى ويُقيِّد بها العلاقة بآل بيت رسول الله ﷺ مثل الصلاح والفساد.. فماذا بعد قسم النبي ﷺ: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**»، فلم يتطرق النبي ﷺ لعمل صالح ولا لخُلُق ولا نحو ذلك.

تأتي الفضيلة العظيمة على أمة محمد ﷺ وهي أن حب آل البيت إيمان، وأن بُغْضهم مانع لدخول الإيمان القلب.... فلا يسع الإنسان إلا أن يحبهم لله،

وكون محبتهم لله فإن ذلك علامة على أن الله ﷻ يحبهم، بل ويحب مَن يحبهم.. نعم ربما ظهر منهم ما ظهر من الفساد حالهم في هذا حال سائر الناس فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون **إلا أن المشاهد أن مَن ظهر منه من آل البيت ذلك فإنها فترة ويعود أحسن ما كان** - بإذن الله -... وقد شاهد من راقب أحوال أهل البيت هذا كثيرًا حيث إن مَن زلَّ منهم فإنه وإن طالت زلَّته فهو على موعد مع الرجوع إلى الله ﵎، وأنا ممَّن راقب أحوالهم والحمد لله رب العالمين.

ومع هذا فلا ينبغي للأمة أن تقف مكتوفة الأيدي نحو مَن فسق من آل البيت بشكل مخصوص وجميع آل البيت بشكل عام... مع مراعاة وصية الله ووصية رسوله ﷺ.. وإقالة عثراتهم والرفق بمَن عصى منهم غاية الرفق، والحلم غاية الحلم، والدعاء لهم والاستغاثة بالله ﵎ ليعودوا إلى مقامهم الذي رفعهم الله إليه أصلًا ليكونوا للمتقين إمامًا...

فأي فضل أعظم من أن يدلنا الله ﵎ على باب محبته ﵎ هو سبحانه، فيقول: حب هؤلاء لي، وحب هؤلاء حب لي، وحب هؤلاء عبادة عندي وشاهد هذا قوله ﷺ.

«**حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ**»، هكذا يجعل رسول الله ﷺ عدم محبة آله لله تعالى ولرسوله ﷺ لأنهم آله حجابًا دون دخول الإيمان القلب، **وهذا يعني أنه لا يكتفي هنا بعلاقة عادية مثل أي إنسان لا تعرفه أو ليست لك علاقة به؛ فأنت لا تحبه ولا تبغضه، بل هو مع هؤلاء خاصة.. لا تقبل عند الله هكذا علاقة ولا يقبل الإيمان دخول هذا القلب ليس لأن فيه بغض آل البيت بل لأنه ليس فيه حب آل بيت رسول الله ﷺ.. والفارق كبير بين الاثنين**، فالمؤمن بمجرد أن يعرف أن هذه المجموعة مثلًا من آل البيت فهو يحبهم من فوره ليس لأعمالهم وأحوالهم، وإنما لأن شرط محبتها متحقق فيها، وهو أنهم قرابة رسول الله ﷺ،

فالمعادلة محسومة وفورية، لأن الأمر فيه رسول الله ﷺ، فَحُسِمَ وتمَّ وانتهى.. كما قال المصطفى ﷺ: «**لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**»، فكفّةٌ فيها رسول الله ﷺ هي الراجحة دون شك وقوم فيهم رسول الله ﷺ لا يشقى فيهم جليس، وآل هذا حالهم لا يُتَحقق أو يتشاور من إكرامهم أو عدم إكرامهم ولا إكرام أحدهم أو عدم إكرامه، ولا بقول شفاعته أو عدم قبولها... بناءً على موازين في مقامات الناس.. فلا وصية بآل مطلقًا كالوصية بآل رسول الله ﷺ.

أما مَن ادَّعى أنه من رسول الله ﷺ وهو ليس كذلك وقد ارتد وكان حربًا على الإسلام والمسلمين وعلى قومه وأهله وبلده فهذا مَن يُضاعف له العذاب ضعفين - نعوذ بالله من ذلك -. ونعود لموضوعنا لئلا يفسده هؤلاء المفسدون، ويفسدوا الجو الإيماني عند الحديث عن قربى رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار عليهم السلام فنقول:

والسؤال هو: ما الرابط بين محبة آل بيت رسول الله ﷺ وبين الإيمان؟!

والجواب الأول: أن هذا بيت النبوة ومن يحب بيت النبوة في الناس فقد قدَّم الشهادة والمحبة لصاحب البيت نفسه؟!

وهل صاحب البيت إلا رسول الله ﷺ؟

ثم أليس الله رب العالمين يحب ما يحب رسوله ﷺ ويبغض ما يبغض رسوله ﷺ؟! أليست هذه معادلة مضطردة عند الله مع كل أحدٍ يحبه رسول الله ﷺ أو يبغضه؟ وقال رسول الله ﷺ: «**وإنَّ فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وإنِّي أَكْرَهُ أنْ يَسُوءَها**»(١)، وقال ﷺ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٤).

والجواب الثاني: هو أن الله ﷻ اصطفي في كل أمة من يشاء من الأفراد، فقد اصطفى الله ﷻ من الآل والأُسر في كل قومٍ من الأقوام.. هذا هو الظاهر من قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فإذا كان الفرد هو اللبنة في ابتداء الإنسانية، فقد أصبحت الأسرة هي اللبنة بعد ما كبرت المجتمعات، فإذا لم يصطفِ الله آل بيت رسول الله ﷺ في الأمة المصطفاة أمة محمد ﷺ فأي بيت يصطفيه؟! وهل يمكن أن يصطفي بيتًا فوق بيت رسول الله ﷺ؟! ولهذا جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(١)، فهل من المعقول أن يتوقف الاصطفاء عند رسول الله ﷺ؟! بل والله؛ من هنا يبتدئ الاصطفاء الأعظم والأعلى.. إنه من رسول الله ﷺ.

ومن هنا كان ضرورة الاصطفاء لآل محمد ﷺ في أمة محمد ﷺ، ولذا كانت عظمة الصلاة على محمد وعلى آل محمد ﷺ.. بالقول: [اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد]، فهي صيغة ضمت الآل إلى رسول الله ﷺ.. فكانت هذه الفضيلة العظيمة التي يهبها الله ﷻ لهذه الأمة؛ فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقل.



(١) أخرجه الترمذي (٣٦٠٥)، ومسلم في صحيحه (٢٢٧٦) دون عبارة: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل. وصححه الألباني.

الباب الثاني

بِمَ حَفِظَكم الله ﷻ يا آل بيت النبوة حفظًا إلى الأبد؟



حفظكم الله أولا بكلماته: فكل آية أنزلها الله في آل البيت إنما هي [كلمة الله] فيكم وفي بقائكم وفي بركتكم الباقية إلى يوم القيامة:

فمنها قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومنها قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ١-٨].

ومنها قول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

ومنها قول الله ﷻ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

ومنها قول الله ﷻ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ومنها قوله ﷺ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

ومنها قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

هذه بعض كلمات الله، والله ﷻ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ١٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢].

وهذا هو ما ورد ذكره وتفصيله في الكتاب كثيرًا وتبقى آيات الله في آل بيت رسول الله ﷺ آيات على أن هذا البيت باقٍ، وأن الواجب الذي أُنيط بالأمة نحو آل البيت باقٍ، وأن بقاءهم حبل حي واصل بينهم وبين رسول الله ﷺ كما في الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

وأن بقاءهم عين يقين تفيض على الأمة باليقين بأن القرآن حق ورسول الله ﷺ حق وما أخبر الله به كله حق.

ويشاء الله ﷻ أن تذهب جلُّ آثار الرسول ﷺ وما بقي منها لا يستطيع الناس ملامسته.. فهو وراء الحجب والزجاج والأقفال المحكمة.. هذا ولا يصح نسبة أكثرها إلى رسول الله ﷺ ليجعل الله ﷻ تفرَّد حبل الوصال إلى رسول الله ﷺ وصالًا حيًّا قائمًا دائمًا مباركًا ببركة رسول الله ﷺ... وبابًا مفتوحًا بين الناس وبين رسول الله ﷺ.. فمن أراد شكر رسول الله ﷺ... وأي مسلم لا يريد ذلك.. فالله هو سبحانه مَن يدلنا على هذا الباب فيقول سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾.

وسبحان الله فإن الصحابة ﭫ وعندهم آثار رسول الله ﷺ عامرة إلا أن الصحابة ﭫ لم يعترضوا على آثاره ﷺ ويتبركوا بها كما كانوا يتبركون بها في حياته ومنهم من ادخرها لآخرته، ومنهم مَن جعلت معه في قبره... أما آل البيت فهم الحياة الباقية منه هو ﷺ بين الناس للناس.. وهم باب الود المفتوح إلى رسول الله ﷺ.. والباب المفتوح إلى السماء وإجابة الله تعالى للمؤمنين.

وليس أحد فرقانًا بين الأمور إذا اختلفت مثل الفاروق عمر ﭬ، بل هو مَن قال فيه رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»(١).. فماذا صنع عمر حين اشتد الأمر على الأمة حتى حارت الألباب وكادت المجاعة تعصف بالخلافة والأمة؛ فَعَنْ أَنَسٍ ﭬ «**أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﭬ كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُسْقَوْنَ**»(٢).

حفظكم بالحفظ الثاني: بأسماءٍ لها حدودها وحماها:

عَنْ أَنَسٍ ﭬ «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﭬ كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُسْقَوْنَ»(٣).

فقد دفع الله ﷻ عن آل رسول الله ﷺ كل عدوان من أي نوع من خلال أسمائهم الجامعة المانعة التي أطلقها عليهم كعائلة، ومن خلال مصطلحات

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٥٤٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد (١٧٤٠٥)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

عامة ومعلومة عند الناس ولها حرمتها.. وقول أنس ﷺ: «كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ» فهو عم رسول الله ﷺ وهو كبير آل البيت.. وقول أنس ﷺ: «كَانَ إِذَا قُحِطُوا» يدل على الديمومة.. لم يستسق مرة واحدة.. فالعبارة واضحة وأنس ﷺ يعني ما يقول.

إن كل مصطلح لآل البيت فقد ربطت برسول الله ﷺ فأصبح لها فوق حرمتها المعتادة قدسيتها وحماها.. «**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ**»(١)، وإن كانت الأمة كلها حمى رسول الله ﷺ إلا أن آل بيته هم حمى رسول الله ﷺ المخصوص في الأمة، وأي حمى أعظم عند الله من حمى رسوله ﷺ ومدار هذا المصطلح أو ذاك إنما هو رسول الله ﷺ مثل أن العباس عم رسول الله ﷺ أو ابن رسول الله ﷺ وهذه الأسماء ارتبطت بأعظم ما يقدسه المسلمون وهو رسول الله ﷺ **فهم [الآل]** آل رسول الله ﷺ، **وهم أهل البيت**: أي بيت رسول الله ﷺ، **وهم العترة**: أي عترة رسول الله ﷺ بدليل قوله ﷺ: «وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»(٢)، وهم ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ كما قال الله ﷻ: **أي قربى لرسول الله** ﷺ، أليس لهذا الربط حرمة وقدسية لا تنبغي لبيت سواه ولا تحقير لأحدٍ من المسلمين وآله – معاذ الله –، لكن من ذا الذي تطيب نفسه أن يجعل نفسه وآله في مقابل رسول الله وآله ﷺ ؟!

لقد عجبت كيف حصن الله ﷻ آل رسول الله ﷺ حتى لكأنه حصن حصين عال منيع لا يمكن اختراقه، وجعل الاسم يذب عن نفسه ومسماه، ويدفع غير أهله من الدخول في أهله.

(١) رواه مسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه أحمد (١١١٠٤)، والترمذي (٣٧٨٦)، والطبراني في الكبير (٣٦٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده.

فلقد سماهم الله ﷻ [أهل البيت]، و[آل البيت] وبهذا أخذ البيت حق الحرمة المقررة لكل بيت، ولكل [القربى] فلها رباطها المخصوص لها وحدها دون غيرها.. إنه وبمجرد أن يقال [بيت] أي بيت من البيوت تظهر هنا الخصوصية، والأمان، والآداب الملازمة وما إلى ذلك، فإن لكل بيت حرمته، ويمنع دخوله من غير أهله إلا بإذن وسلام واستئناس قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى جَوْفِ بَيْتٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ دَخَلَ، وَلَا يَؤُمُّ قَوْمًا فَيَخُصُّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ حَتَّى يَنْصَرِفَ، وَلَا يُصَلِّي وَهُوَ حَاقِنٌ حَتَّى يَتَخَفَّفَ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ**»(٢).

فهل بيوت رسول الله أقل حرمة من بيوت الآخرين من المؤمنين قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ

---

(١) رواه أبو داود (٩٠)، والترمذي (٣٥٧) وقال: حسن، وأحمد (٥/ ٢٨٠)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (١٠٩٨) واللفظ له وفيه قال أبو عبد الله البخاري: أصح ما يُروى في هذا الباب هذا الحديث، وذكره في الترغيب والترهيب وعزاه أيضًا لابن ماجة (٣/ ٤٣٧)، وقال محقق جامع الأصول: حديث حسن بشواهده (٥/ ٥٩٧).

(٢) رواه البخاري - الفتح ١٢ (٦٨٨٨)، مسلم (٢١٥٨) واللفظ له.

لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وكما أن في دخول من ليس من أهل البيت فعليًّا أمرًا حرامًا والداخل مستحق للعقوبة.. فإن من أدخل نفسه البيت على أنه من أهل البيت وليس هو من أهل البيت أعظم خطيئة وافتراء.. فكيف ببيت رسول الله ﷺ وهم أعظم البيوتات حرمة؟! كيف بمن أدخل الآخرين من المؤمنين من أهل البيوتات الأخرى بفتواه في بيت رسول الله ﷺ وزعم أن هذا حقهم؟

وبناءً على هذا فلننظر نظرة سريعة فيما سمَّى الله ﷻ به آل رسول الله ﷺ؛ ولقد اختار لهم الله ﷻ ما يحوطهم ويحرسهم ويحفظهم ويحفظ نسبهم مُحَصِّنًا إياهم بحصن حصين حين سمَّاهم سبحانه: بـ ﴿ٱلْقُرْبَىٰٓ﴾، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰٓ﴾ [الشورى: ٢٣]، فالقربى إنما هم قربى الرحم... والرحم الأقرب، والأقرب لرسول الله ﷺ هي فاطمة ثم هما الحسن والحسين وهما الوحيدان من فاطمة عليها السلام ثم يأتي البقية تباعًا كما سنأتي لذلك عند التفصيل بإذن الله.

وهذا مصطلح ﴿ٱلْقُرْبَىٰٓ﴾ من رب العالمين ينبِّه إلى خطورة فعل كل مَن جاء من غير هذا الطريق وأراد أن يدخل في قربى رسول الله ﷺ أو ينتسب لهم ولو تشرُّفًا أو تقرُّبًا أو تحبُّبًا! فإنه تجاوز حدًّا حدَّه الله فلقد صح في الحديث: «**وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْـمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**»(٢)، وقال النَّبِيُّ

(١) رواه مسلم (١٣٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٧٦٦).

ﷺ قَالَ: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ وَمَنِ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).

وما كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون هذا وهم يعرفون جيدًا شرف الانتساب لرسول الله ﷺ وقد كانوا رضي الله عنهم يغبطون كل واحد من آل البيت على أمرٍ اصطفاهم الله له أعظم الغبطة وأشرفها، ولهذا أتوا البيوت من أبوابها... وسلكوا للبيوت سبلها.. ولهذا قال عمر رضي الله عنه حين خطب زينب ابنة علي رضي الله عنه: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سَبَبِي وَنَسَبِي**». فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَسَبٌ وَسَبَبٌ(٣)، ومع كل هذا فما أصبح الفاروق رضي الله عنه من آل البيت أبدًا، وهذا ما كان يقوله علي رضي الله عنه عن نفسه للناس: «**لا تزوجوا الحسن، فإنه مطلاق**»(٤)، وكان الحسن عليه السلام مكثرًا من زواج النساء فكان الناس يقولون: والله لنزوِّجنَّه رغبة في القرابة من رسول الله ﷺ.

وهذا ما سيأتي معنا المزيد من أدلته الباهرة بإذن الله، وكما وسَّع بعض العلماء - عفا الله عنهم - مفهوم [القربى]، حتى أخرجوها من أن يكون مقصودها هو بيت رسول الله ﷺ تحديدًا، مستشهدين بقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؟! فنحن نقول: إن مقامكم بين الصحابة رضي الله عنكم فرقان للأمة فيكم.

(١) رواه البخاري (٦٧٦٨).
(٢) رواه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١) باختلاف يسير.
(٣) أخرجه الحاكم (٤٧٣٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣).

ونحن نقول أولا: مَن هم الآل في أصل وضع الكلمة.. مَن هم الأهل في أصل الكلمة؟ أهم جنود الرجل، وزملاؤه، وأعوانه، ووزراؤه، أم هم نسله، وذرياته، وأقرباؤه؟! والسؤال الأدق والأخص هنا هو: مَن هم آل رسول الله ﷺ تحديدًا؟

والجواب: واضح، ومعروف؛ فالأصل في الآل والعترة هو المعنى المعروف الجامع لكلمة [الأهل]. إلا أن العجب حقًّا ممن استدل باستخدام كلمة الآل لغة وترك معناها المنصوص في القرآن والسنة وعند الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذاك استدلالهم بقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾! وبناءً على هذا صرفوا معنى [آل البيت] عن آل بيت الرسول وأهله ﷺ وخصوصيتها بهم إلى تعميمها على الأصحاب والأحباب والأنصار والجند وما إلى ذلك.

والجواب: هل كان لفرعون ذرية حتى ينصرف [الآل] إلى غير أنصاره وحزبه...؟! فإذا لم يكن لفرعون ذرية بدليل قول زوجه: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، إذًا فلا احتمال أن يدخل فيها غير هؤلاء الموالين له على باطله، ولا علاقة للنسل والذراري، لأنه لا وجود للذريات عند فرعون، حيث أقيم هؤلاء مقام الذرية المعلومة، ولو كان الآل بالنسبة لفرعون غير المناصرين له لدخل فيها امرأته، وامرأته ليست من الذين يُحشرون معه.

ولا من الذين يدخلون معه العذاب، وهكذا لا يدخل فيهم مؤمن آل فرعون، والذي قال ربنا ﷻ عنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ

كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وهذا المؤمن قطعًا يُحمل على أصل الكلمة وظاهر النسبة، وهو أنه من ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، أي من أهله ورَحِمِهِ، أي من الأصل، لا ممن يلحق به من ذريته.. فلا ينبغي التشغيب على خصوصية آل البيت بالتعميم والإبعاد لحقوقهم وخصائصهم عنهم.

فما هو الأصل الشرعي الذي لا ينبغي الحيدة عنه إلا بصارفٍ يصرف عنه... إنهم [آل البيت] بالمفهوم الأصلي لكلمة [آل] والخصوصية الأصلية لكلمة [البيت].

وهكذا مصطلح [الآل] فإنه معروف في اللغة والأصل حمله على ما حمله عليه نص الآيات والأحاديث الواردة في آل رسول الله ﷺ، والحذر كل الحذر من أنْ نُحَكِّمَ اللغة على قول الله وقول رسوله ﷺ بأي نوع من أنواع التحكم... فآل رسول الله ﷺ هم آل رسول الله ﷺ، ولذا جاءت الصلاة على رسول الله ﷺ وآله فإنها تذبُّ عن الآل أعظم الذبِّ، فحين أُدخل الصحابة في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة عليه في خارج الصلاة واعتاد الناس على ذلك وأصبح الناس يقولون: اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم حتى ظن بعض الناس أن الصلاة والسلام على الصحابة واردة بنص، جاءت الصلاة والسلام على الآل منفردة دون الصحابة رضي الله عنهم في تشهُّد الصلاة فأصبحت اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، فهي الأصل، ولا مانع من إدخال الصحابة خارج الصلاة لورود نصوص عامة أخرى.

ومع هذا فما من أحدٍ أدخل الصلاة على الصحابة في تشهُّد الصلاة، ولم تُجعل ضمن الصلوات الإبراهيمية أبدًا، ثم إن إضافة الصحابة على الآل خارج

الصلاة ليشهد شهادة واضحة أن الآل شيء والصحابة شيء آخر، فلقد فرَّقت [واو] المغايرة بينهما وأبانت الواو الآل عن الأصحاب أوضح إبانة.

نعم؛ الله ﷻ سمَّى أصحاب النبي ﷺ وجعل من الصحابة آله وهذا لا شك فيه، لكن منع سبحانه كما ذكر من دخول الصحابة أو غيرهم في آله أو أهله أو بيته بدليل آيات كريمة وأحاديث كثيرة منها حديث العباس، والحديث الموقوف الصحيح عن عليٍّ رضي الله عنه: «سلمان منا آل البيت»، والوصية للصحابة ومن بعدهم بالآل.

والصحابة رضي الله عنهم **يعرفون هذا الحد أعظم المعرفة** كما ذكرت ذلك من قبل وعلى هذا تدل أشعارهم وتصرفاتهم.

ولا أدري هل من حق من لم يكن من الصحابة أن يُدخِلَ نفسه في مصطلح [الصحابة] أو يدخل غيره فيهم؟

وهل من حق من لم يشارك في غزوة بدر أن يُسمَّى من [البدريين]؟

وهل من حق من لم يبايع تحت الشجرة أن يسمى من [أصحاب الشجرة]؟ إلا عثمان بن عفان بنص الحديث وهو قول النبي ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**» فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»[(١)].

وهكذا [القربى، والآل، والأهل، والعترة] بالنسبة لآل بيت رسول الله ﷺ فهي أسماء سماهم الله ورسوله ﷺ بها، ومُخصصة عند الإطلاق عليهم وحدهم ولا يدخل فيها إلا من أدخله النص نفسه أو رجل أدخله رسول الله ﷺ، ولا تخصيص أبدًا إلا لسلمان الفارسي رضي الله عنه كما مرَّ ذلك معنا.

ومن الأسماء التي لحرمتها وقع في كل المجتمعات والملل فضلًا عن

(١) رواه البخاري (٣٦٩٨).

المجتمع المسلم مصطلح ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال الله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، **فلا يزال أهل البيت في رعاية الله وحفظه**، فسبحان مَن سمَّاهم ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، وجعل لهم من اسمهم النصيب، وسبحان مَن سمَّى أزواج النبي ﷺ بهذا فنسب البيوت لهن ونسبهنَّ للبيوت، فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وفي هذا الاسم حيث نسبة أهل البيت إلى البيت أنه وإن شطَّ منهم مَن شط فإنه لا بد أن يعود إلى البيت، ولذا فإنه لا يزال في عوائل [أهل البيت] اجتماع وتَحَلُّق حول بعضهم البعض، ولا يزال المقدم بينهم أهل العلم والتقى والنقاء وإن لم يكن أكبرهم سنًّا، فإنهم مجتمعين وإن تفرقت عوائلهم وكثرت أسرهم ذلك أن عادتهم الاجتماع كبيت واحد.. فسبحان من سماهم ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ من أول مرة... وهو عالم الغيب والشهادة، فلقد بقى مصطلح البيت حقيقة في حياة آل بيت النبي ﷺ وإن اتسعت أفرعهم وزادت أسرهم وكثرت أعدادهم فهم يعلمون - في الأساس - أن مرجعهم جميعًا إلى بيت النبي ﷺ؛ وأن صاحب البيت ﷺ هو اعظم مَن يعنيه شأنهم واجتماعهم وحفظهم وصلاحهم.

ولقد أصبح سُنَّةً عند بيوتات لآل البيت وأن يجتمع مجموع الأسر منهم - في أي بلدٍ أو حي من الأحياء نزلوا - **في ديوان واحد** يجلس فيه كبراؤهم، وأحيانًا يكون المجلس لشبابهم.. حتى لكأنهم بيت واحد، وهم وإن وقع بينهم من تحاسد ونحوه أحيانًا إلا أن هذا نتيجة الزمان السيء والنفوس التي أصابها من طبائع أهل الأزمنة الأخيرة ما أصابها، فأهل البيت جزء يتأثر بالزمان وأهله،

ومع هذا فهم أقل تأثُّرًا من غيرهم بكثير، كما أن حسد آل البيت في العادة ليس على المال ولكن على المكانة والأصالة، وهذا عادة ما يكون عند الجهلة منهم.

حفظكم بالحفظ الثالث: بخُلُق الحياء:

فإن الله ﷻ لعظيم حبه لرسول الله ﷺ ولآل بيت رسوله ﷺ فإنه سبحانه حَفِظَهم بحفظه فلا يزالون على العهد وإن اشتدت عليهم الأيام وكثرت البلاءات.

لقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] إن شهادة رب العالمين أوضح ما تكون، فكم في هذه الآية من تأكيد لعظمة مقام النبي ﷺ في مقام الأخلاق، بل هو المتمكن من مقام الأخلاق كلها، لأن الله جعله عليها.. فكيف لا تكون هذه الأخلاق إرثًا في ذريته وإنما كانت مزية لشخصه وشخصيته، فكيف وقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ﴾ لتفرده وخصوصيته وتوارث الخُلُق فطري وأمر معروف عند الأمم وكما قال القائل(١):

بِأَبِهِ اقْتَدى عَدِيٌّ فِي الْكَرَمْ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ

إذًا فكيف لا تكون إرثًا في ذريته ﷺ وصبغة فيهم وعليهم.. وليس هذا فحسب فإن هذا الإرث ضرورة خلقية وجينية بالإضافة إلى الضرورة الشرعية، بل والضمانات الربانية.. فإن كثرة الذرية لا تعني الرفعة بغير تميز في الأخلاق وصلاح العمل.. ولهذا كان الاثنان مجتمعين في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] كثرة الذرية وحسن أخلاقهم المميزة **وعلى الأخص خلق الحياء..**

---

(١) يُنسب لرؤبة بن العجّاج، من أبيات يقال: إنه مدح فيها عديّ بن حاتم الطائي ولا أظن أن رؤبة رأى عدي بن حاتم، حيث توفي عدي سنة ٦٨ هـ. وتوفي رؤبة سنة ١٤٥ هـ. وبين وفاة حاتم، ووفاة رؤبة سبعة وسبعون عاما، ولعله عديّ آخر من سلالة حاتم أو أنه ضربه مثلا للوراثة المحمودة.

وما أدراك ما الحياء، الحياء الذي لا نظير له في بيوتات الأرض أبدًا، بل ولا في التاريخ كله، فأي آلٍ مثل آل رسول الله ﷺ، لأنه النسل الذي أخذ الحياء من مصدره ومنبعه من رسول الله ﷺ؛ ومنه ﷺ انبثق الحياء فكان آل بيته وعترته ونسله المبارك هكذا إلى يوم القيامة.. ولقد اختص النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بنصيب عظيم من خلق الحياء.

فعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا**[(١)]»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ شَيْءٌ لَمْ يَقُلْ لِمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَكِنَّهُ يَعُمُّ فَيَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ..**»[(٣)].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ[(٤)] لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ[(٥)]، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ! فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[(٦)].

---

(١) خدرها: سترها الذي تستتر به

(٢) رواه البخاري - الفتح ١٠ (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) أورده ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٧٠)، وكل رواته ثقات.

(٤) تهتش له: تقابله بطلاقة وجه.

(٥) لم تباله: لم تكترث به ولم تحتفل لدخوله.

(٦) رواه مسلم (٢٤٠١).

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂: «أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ الْـمَحِيضِ؟ قَالَ: «**خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً**[(١)] **فَتَوَضَّئِي ثَلاثًا**» ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَحْيَا، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، أَوْ قَالَ: تَوَضَّئِي بِهَا، فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ»[(٢)].

وَعَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: «بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قَالَ: «**ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ**»، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ**»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ، بَارَكَ اللهُ لَكَ، فَتَقَرَّى[(٣)] حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَمَا أَدْرِي: آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ، حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ[(٤)] الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً، أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ»[(٥)].

لذا لقد بقي الحياء في آل البيت مزية كسائر المسلمين دينًا وزادت عندهم طبعًا وجينًا **وهكذا يجعلهم الله جميعًا حتى من يعصِ منهم سبحانه فإنه لا**

(١) فرصة ممسكة: قطعة من قطن أو صوف بها طيب.

(٢) رواه البخاري – الفتح ١ (٣١٥) واللفظ له، ومسلم (٣٣٢).

(٣) تقرَّى: تتبع الحجرات واحدة واحدة.

(٤) أسكفة الباب: عتبته.

(٥) رواه البخاري – الفتح ٨ (٤٧٩٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٢٨).

يلبث إلا ويهرع مستغفرًا تائبًا، وإن وقع، وإن عاود المرة الأخرى... **فإنه في نهاية الأمر لابد أن يغلبه حياؤه الذي فَطَرَه الله عليه،** فسبحان مَن فطرهم على ما فطر عليه أباهم ﷺ، وسبحان مَن فطرهم على ما يحب، وسبحان مَن فطرهم ليحفظهم وليعيدهم إليه دائمًا وأبدًا، ويعيدهم إلى رسول الله ﷺ وكأنه يعود إلى رسول الله ﷺ ولكأنهم أول المقصودين بقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وإن لم يكن هم هؤلاء المذكوورين في الآية فإنهم أولهم لأنهم جاؤوك إذ هم أقرب الناس منك نسبًا. وسكنًا فهم أهل هذا البيت، وهم الأقرب لأنهم القربى.

حياءً عظيمًا موروثًا من أبيهم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم رسول الله ﷺ الذي كان « أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا»(١)، حياءً موروثًا لهم من خلق دينهم الذي هو موطنهم وهو بحرهم الذي ولدوا فيه، ذلك أن خُلُق هذا الدين الحياء، والنبي ﷺ قال: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ**»(٢).

لا غرابة أن يكون الحياء من موروث رسول الله ﷺ فهو الأصل وهو الكل، ولكنك تعجب أن الحياء طَبْع وأنه في جميع أمهات المؤمنين كما قالت أصغرهن وأعلمهن وأفضلهن بعلمها على نساء العالمين عائشة ﵂ حيث قالت: فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَ: قُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: أَلا تُخْبِرِينِي؟ كَيْفَ كَانَ أَمْرُكِ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والطبراني في الأوسط (١٧٥٨)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

ﷺ وَعَلَيَّ حَوْفٌ[١]، وَأَنَا أَخُوضُ الْمَطَرَ بِمَكَّةَ، وَمَا عِنْدِي لَحْمٌ وَلا جِسْمٌ فِي مَا يَرْغَبُ فِيهِ الرَّجُلُ، وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَزَوَّجَنِي، أَلْقَى اللهُ عَلَيَّ الْحَيَاءَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَاجَرَ وَأَنَا مَعَهُ، فَحُمِلْتُ إِلَيْهِ، وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ»[٢].

حفظكم بالحفظ الرابع: ببرهان ربكم في صدوركم:

ومن رعاية الله ﷻ لهم هو أنه يحفظهم بأن يريهم على الدوام ما يردعهم مما يصح تسميته **ببرهان ربهم** إذ قال الله ﷻ في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وأي برهان أعظم من رسول الله ﷺ الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. فإذا كان رسول الله ﷺ برهانًا للناس كافة، فكيف لا يكون أعظم وأقرب برهان لأهل بيته؟! ومن لم يعرف إحساس آل البيت بهذا البرهان في قلوبهم.. فلا يحق له أن يجادل في ذلك ولا أن يماري بما لم يدرك ولم يعرف ولم يعلم.. أنه أمر ذاتي في فطرهم، وبمجرد أن يعلم أحدهم بأن أباه رسول الله ﷺ وأنه من آله وأقربائه.. نعم إنهم ليسوا بمعصومين، والشيطان لا يتركهم.. ولكن الله يعيدهم سريعًا بهذا البرهان العظيم.

ثم إنه لا يزال في أهل البيت مذكِّرون من داخلهم، والأعلم فيهم ينصح حتى

---

(١) الْحَوْفُ: شَيْءٌ يَصْنَعُهُ الْأَعْرَابُ عَلَى الصِّبْيَانِ مِنْ سُوَرٍ يُلْبِسُهُ الْأَعْرَابُ أَبْنَاءَهُمْ، وقال الطبري: ثوب لا كمين له تلبسه الصبية، وقيل سيور تشدها الصبيان عليهم.

(٢) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣/ ٢٣٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٥٣)، وقال نور الدين الهيثمي: فِي الصَّحِيحِ بَعْضُهُ.

من هو أكبر، ولا يزال فيهم كبراء في الوعظ والتقى والنقاء ودعاة إلى الله سبحانه، ولا يزال الأكبر فيهم يذكِّر الأصغر والأب يذكر الولد، فبقي هذا البرهان في هذه الذراري المباركة منارة ومنبرًا ومذكِّرًا ومحذِّرًا ومنيرًا، وما أحسن ما قال القائل: [أنه إن لم يردعه دينه ونسكه فليردعه أصله ونسله](١)، وأن هذا البرهان لطالما قال للرجل من آل البيت: إن اشتعلت في نفسك نار الشهوات وأوشكتَ أن تقع في الحرام فانظر ليدك ورجلك وانظر لوجهك... واربأ بنفسك أن تدنس جسد رسول الله بالحرام فإن جسد رسول الله ﷺ عندك أمانة، وأنه إياك أن تظن أن هذه مجرد مواعظ تخويفية فاحذر أشد الحذر من هذا التهاون في هذه الأمانة، فقد قال الله ﷻ لأقرب الأجساد المباركة لجسد رسول الله ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

هكذا هي الحصانة التي فرضها الله عليكم رجالًا ونساءً إلى يوم القيامة يا آل بيت رسول الله ﷺ.. بل لستم أنتم من يقف موقف المتفرج على الفتنة، أو المتفرج عند الفتنة، وماذا يصنع بدينه، أو يقف موقف ردة الفعل الساكتة إن رأى الحرام يُعرض عليه أو رأى الجمال يطل من شرفة الغواية، أو كلمة الخضوع، أو مشية الشيطان... أنتم فوق ذلك وفوق، أنتم من لا يُقْعِدُ نفسه مقعدًا بمستوى مقعد الشيطان نعوذ بالله منه ومن نوَّابه... إنك ممثل أبيك رسول الله ﷺ.. ولذا فأنت الضحية العظيمة السمينة عند الشيطان.. فاستعذ بالله

(١) وأصل ذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقوله: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧،٣٨].

دائمًا، وتَذَكَّر رسول الله ﷺ، وقم من فورك لله تعالى ولأجل رسول الله ﷺ.. قم من مقعد دعوة الرذيلة هذا.. واصعد عاليًا حيث اصطفاك الله.. وتذكر قول جدك ﷺ: «فَأَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ»(١).

حفظكم بالحفظ الخامس: بحفظ نسائكم حيث جعل القنوت فيهن خُلُقًا:

فوالله هذا الذي رأيناه بأعيننا بأمهاتنا، وهو ما رأيناه فيمن تناسل منهن من بناتنا، وبناتهن، وأخواتنا، وبنات أعمامنا، وعماتنا، وقريباتهن، ولذا فإن نساء آل البيت يحفظن جيدًا قول الله في أمهاتهن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. نعم هذا إرث ترضعه الأم لابنتها أبد الدهر، وعلى هذا تكون أسرهن وتتكون، وعلى هذا تُربَّى بناتهن ويكبرن، وكذا الأبناء.. فلا تزال تجد التواضع فيهن، ولكن في مقابل ذلك الغفلة الفطرية عن الريبة، وتجد ابنة آل البيت المصون الأبيَّة العلية، والعفَّة الإيمانية النقيَّة، ومنعة الطهارة النبوية، فلا يليق بأهل البيت إلا القنوت لله رب العالمين.. وإن التربية على القنوت والتزامه هي إرثٌ خُلُقي فيهن خاصة، وهكذا هنَّ ينشِّئن فتيانهن وفتياتهن.. إنها الرزانة والاتزان، إنه الوقار والتواضع، إنه الخشوع والخشية، وهذا هو ما يريده الله منا جميعًا.. وهذا هو ميراث رسوله ﷺ فإن الواحد من آل البيت ﷺ يعيش متواضعًا أكثر من أي متواضع من أقرانهم، وعزيز أكثر من أي عزيز فيهم.. فهو السهل الممتنع الذي بهذا القنوت لله رب العالمين يضاعف له الأجر ضعفًا وهو لا يعلم، وهكذا هي المؤمنة ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٩٥٣)، والطبراني في الكبير (١٣٦٥٠)، وقال الهيتمي في مبلغ الأرب ص (١): حديث سنده لا بأس به.

أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، والله ﷻ يقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، فلما لم يبدلهن تبين أنهن كذلك وخيرًا من ذلك.

وهل أمهات المؤمنين إلا أمهات آل البيت قبل المؤمنين... إذ هل فاطمة إلا من خديجة.. وهل خديجة إلا جدة الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وعليهم السلام، فهي جدة آل البيت أجمعين، وهي أول مَن دخل في الإسلام.

ولقد اعتاد عامة المسلمين أن يسموا المرأة من آل بيت رسول الله ﷺ [عُلْوية] وهذه نسبة، كما اصطلحوا على تسمية الرجل من آل البيت [سيد] اشتقاقًا من حديث رسول الله ﷺ في الحسن: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(١)، وقوله ﷺ عن الحسن والحسين: «**سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢).

وعلى هذا المنهج سارت قوافل بيوتات آل النبي ﷺ عبر الأجيال.... ذلك أن أمهات المؤمنين غرسٌ غرسه الله في بيوتات رسوله ﷺ.. وهل آل البيت إلا غرس أمهات المؤمنين، وهل آل البيت إلا من فاطمة الزهراء التي هي غرس من خديجة، وهل الجميع إلا غرس رسول الله ﷺ؟!

وهكذا كما تبقى الفسائل المتتابعة تحمل جينات الأم الأولى بخصائصها ومزاياها تبقى هذه الذرية متوارثة سلوك من قال الله عنهن: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، هذا ليست أدبيات مجردة

---

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨)، وأحمد (١١٦٣٦)، والنسائي في الكبرى (٨١١٣)، وصححه الأرنؤوط.

لكنها الحقيقة التي يعيشها آل البيت وتعيشها أسرهم وينشأ عليها صغارهم.. وهذا والله هو ما وجدناه صغارًا وكبارًا.. والسر الأعظم من كل ذلك أن بيت النبوة وآله من البيوتات المتعاقبة تبقى في رعاية الله حمايةً لبيت النبوة الأول، ولذراري النبوة.. وهل تصلح التربية إلا بصلاح الأمهات كما قال القائل[(١)]:

الأُمُّ مَدْرَسَـــــــةٌ إِذَا أَعْـــــــدَدْتَها أَعـــدَدْتَ شَـــعْبًا طَيِّـــبَ الأَعْـــرَاقِ

وسر بقاء هذا المسلك كذلك هو دعاء المؤمنين كافة في صلواتهم، وأول داعٍ وأعظمه على الإطلاق هو رسول الله ﷺ الذي صلَّى على آله وسلَّم كما صلَّى على نفسه في الصلاة وسلَّم، فهو مَن علَّمنا الصلاة والسلام في التشهُّد، فاللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وآله.

فما التربية المنفطرة من علويات هن رمز للعلو والرفعة والحياء والوفاء والكرم والشجاعة والتقوى والتنسُّك.

تأمل كيف عاشت أمهات المؤمنين بعد رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وفرض الحجاب.

حفظكم بالحفظ السادس: حساسية الحرَّاس لمقام رسول الله ﷺ:

فالحارس يحرس ومَن حرس لله ولرسوله ﷺ حرسه الله ﷻ، ومَن رابط لله أجرى الله له أجر المرابط إلى يوم القيامة، ولما حرس الزبير رضي الله عنه كانت البشرى بأنه حواري الرسول ﷺ؛ فلقد صح في الحديث: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٢)]، فكما حرست عيناه ليلًا فقد حرسهما الله ﷻ من أخطر خطر من جهنم، فآل البيت هم

(١) من قصيدة الأم مدرسة لشاعر النيل حافظ إبراهيم.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

من أشد الناس حراسة لصاحب البيت - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، لأنهم أشد الناس خوفًا من أن يؤتى رسول الله ﷺ من قبلهم، وأحدهم أشد ما يكون حساسية أن يعير الدين بتقصيره بحق رسول الله ﷺ ومن أن يمسَّ رسول الله ﷺ أي مساس من قِبَلِ الواحد منهم أو من أبنائهم أو بناتهن، كما أنهم أعظم مَن يكونون خوفًا من غَيْرة الله على رسول الله ﷺ، فقد جعل الله هذا الخوف حافظًا ومحفوظًا عند الصغير منهم والكبير... والله قادر على أن يذبَّ عن رسوله ﷺ ويدافع عنه، وقادر أن يبرئه! فكأن كل واحدٍ من آل البيت على ثغر حراسة أو في فسطاط رباط على كل شيء فيه بل وعلى جلده الذي يحويه فهو حذر أشد الحذر أن يلامس جلده جلدًا حرامًا.. ذلك أن جلده من جلد رسول الله ﷺ حقيقة، أو يدخل بطنه مالًا حرامًا لأن بطنه من بطن رسول الله ﷺ، وهكذا يده ورجله وسائر بدنه، فهو حَذِرٌ أشد الحذر من يوم البراءة وموقف البراءة ولحظة البراءة.. التي يُسْلَخ فيها جلد السوء سلخًا قبل أن يبلغ أذاه رسول الله ﷺ، خوفًا من أن ينزع الله رداءه عنه ويلبسه رداء الزور، ويُحْرم الاقتراب من رسول الله ﷺ فيكون كأن لم يكن.

وهذه الخصوصية من رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ليست فرضية ولا تدخل في العموميات، ولا لإثبات ما ليس عليه في واقع العلاقات إثبات.. بل هي الخصوصية المتوارثة من سيد آل البيت بعد النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو والد السبطين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قَالَ: «**كَانَتْ لِي مَنْزِلَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَكُنْتُ آتِيهِ كُلَّ سَحَرٍ فَأَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيِّ اللهِ، فَإِنْ تَنَحْنَحَ انْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي، وَإِلَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ**»(١)، ولقد شرحت هذه الأحاديث في كتاب أسميته [فستبصرون]

---

(١) رواه النسائي (١١٣٨)، وقال في جامع الأصول (٦/ ٥٨٧): حديث حسن.

بأسلوب مسجوع لأمر مشروع... وهو كما ستراه هنا في شرح هذا الحديث، وقلت هنا:

قوله: عن علي ﷺ: **سبحان الله:** فهذا عليٌّ ﷺ وعليه السلام... هو مَن يروي هذا الحديث عن مقامه المخصوص العليِّ عند سيد الأنام ﷺ.

وفي هذا الحديث شاهدٌ للمنزلة العلية لعليٍّ ﷺ... وشاهدها الثاني هو أن وقتها أبرك أوقات الزمان.

في وقت لا تطرق الأبواب ولا تفتح لا لطوارق الظلام... إلا لمضطر أو لأقرب المقربين للإنسان... فكيف وعلي ﷺ يقول في هذا الخبر... إن هذا وقت موعده الثابت «فَكُنْتُ آتِيهِ كُلَّ سَحَرٍ».

وكيف وعلي يقول وهو القاض والعلامة وحلال الدقائق... «كَانَتْ لِي مَنْزِلَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ»، فهل مثل تعبير أمير المؤمنين تعبير جامع مانع لائق؟!

ومع هذا فانظر إلى أدب عليٍّ في استئذانه.. وقوله: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيِّ اللهِ»، وما قال عند استئذانه: السلام عليك يا أخي أو يا ابن العم ولا قال: أي توقير يقوله العوام... وهذا دليل أن هذا المقام - مقام النبوَّة - لا يبلغه عليٌّ فضلًا عن بقية آل البيت الكرام.

ومع هذه الخصوصية لأبي الحسن ﷺ وهو ابن العم وزوج البنت، وهذا الوقت له من الزمان... إلا أنه لا بد من الاستئذان...

وأنه لا عذر لمن يصلي أن يهمل مَنْ على الباب... ففي التنحنح كفاية وهو أبلغ جواب.

علي ﷺ أخصُّ الخاصة من آل البيت الكرام فكان له أخص وأغلى أوقات

الزمان، ومع هذا فقد كان هذا الوقت له لبُعده عن مزاحمة أي إنسان، كما أن دخول أهل البيت بعضهم على بعضٍ ليلًا وإن تكرر فلا شبهة ولا كلفة ولا نكران.

هذا علي ﵁ هو أخص الناس به في صغره، وهو أول الصغار إيمانًا فلم يراجع أحدًا في قرار هدايته، وعاش النبي ﷺ في بيتهم مع علي براعم وفتيانًا، فكان التفاهم والتواد تاريخًا، وكان الوفاء كبارًا وشبانًا، وما كان من الإحسان مثل أن يهبه فلذة كبده في الكبر، ومثل أن يخص عليًّا بالسحر.

ألا والله ما ألطف مواعيد السحر، وما أعظم خشوع صلاة السحر ودعاء السحر وذكر الله في السحر... بل ما أجمل لقاء السحر، وحديث السحر، بل ما أجمل صمت السحر.

قول عليٌّ ﵇: «**فَإِنْ تَنَحْنَحَ انْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي، وَإِلَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ**»: سبحان الله ما أعظم فطانة أمير المؤمنين.... وما أعظم مهمة التنبه لإشارات سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم... وممن أخذها عليٌّ والجذر واحد مع سيد المرسلين... وممن أخذ القرآن والسنة والهدى إلا من معلمه ومعلم العالمين... فعامل عليٌّ ﵇ النحنحة معاملة الاعتذار للمستأذنين، وربطها بقوله سبحانه: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]./

ولعل البعض شاهد من بعض أبناء آل البيت غير ما أكتب هنا إلا أن هذا لا يطعن في الأصل والمفترض.. وسر هذا هو تغيُّر الناس والأمة، وهل أبناء آل البيت إلا جزء من الأمة المتغيرة.. ولقد عشنا نحن فترة من الزمان رأينا فيها كيف كان الناس من كبار السن يحدثوننا عن آبائنا وأجدادنا ويروون عنهم من القصص العجيبة في محاسن الأخلاق ومكارمها، رغم أننا قد عايشنا الكثير من ذلك من آبائنا وأعمامنا... إلا أنهم كانوا يحتقرون ما هم عليه إذا ذكروا آباءهم... فالشاهد أن هذا طبع راسخ وسنن متبعة وما هذا التغير عند البعض إلا

غبار تطيره نفحة الحق ويحوله الصيب النافع بل يحوله الطلّ إلى خير عظيم - بإذن الله - فهم لبقية الآل جنة بربوة ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وإن هذا الذي تجري عليه التربية الأصيلة في بيوتات آل البيت إنما هو تعاهد حقيقي تنشأ عليه ذرياتهم إنشاء.. فالواحد منا قد نشأ وهو لا يذكر أول مرة ولا يدري كم مرة عُرِّف بأنه من آل بيت رسول الله ﷺ، وعُرِّفَ بعظمة هذا النسب، وبحقوقه، وأن عليه أن لا يتطلع إلى أي نسبٍ آخر مهما كان، وما من أحدٍ منا يُخطئ إلا قال له أبوه وأمه أو أخوه الكبير لائمًا: تفعل هذا وجدك رسول الله ﷺ! هذا فوق أنَّا كنا في مجتمع يقدِّر هذا النسب أعظم التقدير.. ولا أزال أذكر أنهم كانوا ينادون الواحد منا ونحن صغار بقولهم: [مولانا]، بل يعظِّمون شأن أمهاتنا ونسائنا أكبر إعظام وإجلال. وما أقول هذا الذي أقوله إلا كشاهد على أن هذا المنهج سَرَىَ في آل البيت من آل البيت الأول ولا ينبغي أن ينقطع بل لن ينقطع أبدًا...

حتى أن أخي المفضال أبا أحمد محمد - حفظه الله ورعاه - يقول: حرصت أن أقبل قدم أمي حبًّا وبرًّا في الوقت الذي كنت أَدْلُك رجلها وأبادلها الحديث.. فلما أحست بقبلتي نفرت أشد نفرة وسحبت رجلها - وهي: الهادئة الوقورة - وقالت لي: يا بني كيف تُقَبِّل رجلي وجدك رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟! هذا وقد كانت أمي أمية رحمها الله.

حفظكم بالحفظ السابع: بإقامة الأمة مقامكم من مقام رسول الله ﷺ:

لما جاء العباس رضي الله عنه إلى النبي ﷺ قال: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللهِ، لَا

يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي»(١).

«**حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ**»: هكذا يرقى النبي ﷺ بحب آل البيت عن الحب المتكلف أو الحب الطبعي إلى حب العبادة.. فمن يحب آل البيت فيحبهم لله..

وهذه العبادة فتح من الله مهم في باب العبادات وأقرب القربان.

«**وَلِقَرَابَتِي**» هكذا يوثق النبي ﷺ هذه العبادة ويربيها كما هو شأنه العظيم في بيان ما يأمر الله به، فإن قوله: «وَلِقَرَابَتِي» لا ينفي كونها عبادة، بل يزيدها توثيقًا وأي عبادة أعظم من أن يجتمع فيها الله ورسوله، ثم إنها عبادة باقية وغير مقيدة بحياة رسول الله ﷺ، بل النسبة لرسول الله ﷺ يتبين أنها له ولأجله وإن كان غائبًا فلتؤدَ على أعلى ما يكون الحب، وهنا يدخل فيها أعمال المحبين وصلاتهم وتواصلهم ونحو ذلك من طرق وأحوال وأعمال.. فلتؤدَ نحوهم لرسول الله ﷺ.. وإنكم حين تقدمون ما تقدمون لرسول الله ﷺ كأنكم ترونه من خلال هؤلاء القرابة.. ودونك هذا الباعث وهذا الإحسان.

فما من أحدٍ من أمة محمد ﷺ إلا وهو يعرف أن مقامكم الأعلى هذا إنما هو من المقام الأعلى في ذرية آدم وهو مقام رسول الله ﷺ.. وإلا فمن أين لكم مقام سواه، ثم ما معنى آل البيت إذا أُطلقت، وما معنى القربى والعترة وأهل البيت.. وهذا من الإجماع الذي توارثته الأمة عامةً وعلماء.

فالأمر ليس مرتبطًا بحياة رسول الله ﷺ بين الناس أبدًا.. فيبقى المقام من المقام.

رَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَـمَّا مَرِضَتْ فَاطِمَةُ، أَتَى أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا فَاطِمَةُ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ، فَقَالَتْ: أَتُحِبُّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٧)، وقال أحمد شاكر: إسناد صحيح.

أَنْ آذَنَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ – قُلْتُ: عَمِلَتِ السُّنَّةَ ﵂ فَلَمْ تَأْذَنْ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا بِأَمْرِهِ–، قَالَ: فَأَذِنَتْ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَتَرَضَّاهَا، وَقَالَ: وَاللهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ وَالمَالَ وَالأَهْلَ وَالعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ البَيْتَ. قَالَ: ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيَتْ[(١)].

حقًّا: يعجب المرء من تعظيم أبي بكر الصديق ﵁ بعد وفاة رسول الله ﷺ، ومجيئه بنفسه معتذرًا لفاطمة ﵍ وهو الخليفة، وعجبت لدرجة تعظيم الصديق حيث خص آل البيت باستهلال... فقدم الله ورسوله ثم قال: ومرضاتكم، وهذا يعني أن قيمة آل البيت ومقامهم محفوظ في عهد رسول الله وبعد رسول الله ﷺ.

ثم انظر إلى حلف الصديق بالله، وانظر إلى على أي شيء حلف: «**وَاللهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ وَالمَالَ وَالأَهْلَ وَالعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ البَيْتَ**».

وليس هذا فحسب بل قال: «**ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيَتْ**»، فأي مسلم بعد هذا لا يغير منهجه في مراجعة مقام آل البيت في معتقده أولًا وفي خلفه معهم ثانيًا.. وهكذا الأمر، رضي الله عن الخليفة الأول وأرضاه.

ولا يعلقنَّ أحد الأمر بالأسماء ويحجرها عليها؛ فالجامع بيننا وبين الصديق وفاطمة ﵄ هو أن الأمر بعد وفاة رسول الله ﷺ، ثم إن ما بين آل البيت اليوم وبين أي واحد من المسلمين هو كما بين الصديق وفاطمة، فكيف وهو خليفة المسلمين!

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢١)، وقال محققه: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨ / ٢٧)، وإسناده صحيح، لكنه مرسل، وذكره الحافظ في الفتح (٦ / ١٣٩)، ونسبه إلى البيهقي وقال: وهو وإن كان مرسلًا فإسناده إلى الشعبي صحيح.

ليس بأحدٍ أولى من أحدٍ في دين الله... لكن كل المؤمنين ينظرون بنظر خفي خفيف حبيبٍ لطيف فيه الإجلال والتوقير والإكبار والغبطة لمن علموا أنه ابن رسول الله ﷺ.. حتى لو كان من أهل الشراب.. أو كان ممن تعاملوا بالربا أحيانًا من آل البيت، أو كان ممن فعل كبائر - عفا الله عنا جميعًا -.. فإنهم لا يستطيعون نزع هذه الصبغة من نظراتهم ولا من أفكارهم أبدًا.. ويأبى الله سبحانه إلا أن يجعل نظرات الآخرين تلاحق ابن آل البيت وتلاحقه وهو يحاول أن يتغافل ويتغافل لكن ما في داخله أشد إيلامًا وملامًا وأشد؛ رسائل تَبْعَثُها نظرات الناس وعبراتهم قبل عباراتهم تقول له: أنت لست مثلنا، وليس كل أسرنا وآبائنا مجتمعين مثل أبيك... ولا أحد يحب الله أباه مثل حب الله أباك.. يا هذا أبوك سيدنا رسول الله ﷺ.. وأبونا فلان وعلان.. أَوَما كفاك!..

فإما أن يتوب وهذا والله هو الرجاء من ربنا وهذا ما عهدناه والحمد لله رب العالمين، وإما براءة رسول الله من هذا وأمثاله نعوذ بالله ونعيذ آل بيت رسول الله ﷺ ونعيذ أمة محمد ﷺ من ذلك.

ولهذا فإنك في أكثر الأحيان تجد أن مَن يأبى إلا معصية رسول الله ﷺ، وأصر على ذلك واستكبر، وهو يزعم أنه من آل البيت، فإن الناس يبرِّئون رسول الله ﷺ وآله منه ومن أمثاله، ويبرئون النسب الطاهر من هذا وأمثاله، وكثيرًا ما يضربون له مثلًا بأبي لهب وبغيره من الملعونين، حتى وإن تزيَّا بزي آل البيت ولبس العمامة السوداء أو الخضراء، وإن فعل ما فعل... وهكذا جعل الله لآل البيت الأطهار حرزًا مخصوصًا في قلوب المؤمنين، ويبقى مقام آل البيت في قلوب مَنْ مَنَّ الله عليهم محفوظًا، وتبقى غيرتهم عليها وحدها حرزًا وحصنًا، ولا يخفى موقف الفرزدق حيث وقف لمَن غار من زين العابدين رحمه الله فقال: مَن

هذا؟! مستهجنًا، مستحقرًا شأنه، إذ اجتمع الناس حوله وهو يطوف بالبيت، بينما تركوه هو وهو الخليفة الوليد بن عبد الملك، فأجاب الفرزدق ﷺ بما قال:

هَـذَا الَّـذِي تَعْـرِفُ البَطْحَـاءُ وَطْأَتَـهُ ... وَالبَيْـتُ يَعْـرِفُهُ وَالحِـلُّ وَالحَـرَمُ
هَـذَا ابْـنُ خَـيْرِ عِبَـادِ اللَـهِ كُلـِّهِمُ ... هَـذَا التَقِـيُّ النَّقِـيُّ الطَّـاهِرُ العَلَـمُ
هَـذَا ابْـنُ فَاطِمَـةٍ إِنْ كُنْـتَ جَـاهِلَهُ ... بِجَـدِّهِ أَنبِيَـاءُ اللَـهِ قَـدْ خُتِـمُـوا
وَلَـيْسَ قَوْلُـكَ مَـنْ هَـذَا بِضَـائِرِهِ ... العُرْبُ تَعرِفُ مَنْ أَنْكَـرتَ وَالعَجَـمُ
كِلْتَـا يَدَيـهِ غِيَـاثٌ عَـمَّ نَفْعُهُـمَا ... يُسْتَـوْكَفَـانِ وَلَا يَعْرُوهُـمَا عَـدَمُ
سَـهْلُ الخَلِيـقَةِ لَا تُخْشَـى بَـوَادِرُهُ ... يَزِينُـهُ اثْنَـانِ حُسْـنُ الخَلْـقِ وَالشِّيَـمُ
حَمَّـالُ أَثْقَـالِ أَقْـوَامٍ إِذَا افْتُـدِحُوا ... حُلْـوُ الشَّمَـائِلِ تَحْـلُو عِنْـدَهُ نَعَـمُ
مَـا قَـالَ لَا قَـطُّ إِلَّا فِـي تَشَـهُّدِهِ ... لَـوْلَا التَّشَـهُّدُ كَـانَتْ لَاءَهُ نَعَـمُ
عَـمَّ البَرِيَّـةَ بِالْإِحْسَـانِ فَانْقَشَـعَت ... عَنْهَـا الغَيَـاهِبُ وَالإِمْـلَاقُ وَالعَـدَمُ
إِذَا رَأَتْـهُ قُرَيْـشٌ قَـالَ قَـائِلُهَا ... إِلَـى مَكَـارِمِ هَـذَا يَنْتَـهِي الْكَـرَمُ
يُغْضِـي حَيَـاءً وَيُغْضَـى مِـنْ مَهَابَتِـهِ ... فَمَـا يُكَـلَّمُ إِلَّا حِـينَ يَبْتَسِـمُ
بِكَـفِّهِ خَيْـزُرانٌ رِيـحُهُ عَبِـقٌ ... مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِـرْنِينِهِ شَمَـمُ
يَكَـادُ يُمْسِـكُهُ عِـرْفَانُ رَاحَتِـهِ ... رُكْنُ الحَطِـيمِ إِذَا مَـا جَـاءَ يَسْتَلِـمُ
اللَـهُ شَـرَّفَهُ قِدْمًـا وَعَظَّـمَـهُ ... جَـرَى بِـذَاكَ لَـهُ فِي لَـوْحِهِ القَلَـمُ

ولقد مثَّل الفرزدق قلب كل مؤمن، وجعل نفسه ولسانه، ويده، وصدره حصن دون رجل من آل بيت رسول الله ﷺ وأي رجل إنه زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة عليهم السلام.

نعم ليس أحدٌ أولى من أحدٍ بدين الله وبدعوة الله لكنه طبع فطري غالب في الإنسان أن الطفل الصغير هو أول الأطفال إسراعًا إلى أبيه من بين الأطفال المجتمعين جميعًا في مكان ما كمدرسة أو نحوها.

وهكذا هم أل بيت رسول الله ﷺ وذرياته معه في البرزخ وفي الدار الآخرة.. فمات رسول الله ﷺ الذي ينتظر لحوق فاطمة عليها السلام به أن بأخدها ويترك ولدها في الخارج وهو في الحقيقة ينتظر أهله جميعًا كما أشار لهذا بقوله: «**وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي**»(١)، أي: جميع أهلي لحاقٌ بي لكنك أنت الأولى.

وإذا ما جرى على أناس ما قال الله سبحانه – وهو حق –: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦] أن يجري ذلك على رسول الله ﷺ مع آله وهو الشفيع الأكبر في الخلق للخلق.

وإذا كان الله سبحانه يقول في مقامات المؤمنين في الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] فحاشاه سبحانه أن يقطع رسول الله ﷺ في الجنة عن ذريته لعظيم درجته ويتركه بغيرهم فالرسول ﷺ أب وأي أب مثله... وما عهدنا الصحابة – رضوان الله عليهم – يتركون أبناءهم يركبون على ظهره، لكن ولداه الحسن والحسين يركبان على ظهره ويركب بهما المنبر.. نعم ذلك لحكم عظيمة بيَّنَّا بعضها في هذا الكتاب.. لكن أساس ذلك أنه أب، فكيف وهو أب لأكبر وخير ذرية وآل... آل شرع الله عليهم الصلاة والسلام.

وهكذا هم آل البيت مع رسول الله ﷺ زمن الغربة، وفي أرض الغربة، وفي حال الاغتراب.. فإنه حقيق بالرجل من آل البيت أن يكون أول الذاكرين في

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٣).

مجالس الغفلة، وأول المنادين في زمان الفرار إلى الفيئة إلى رسول الله ﷺ، وأول الثابتين ومثبت الخائفين في زمان التولي عن الزحف، فهو لا يتوقف ولا يَسَعه أن يتوقف عند حد التعبد السلبي ولا الثبات الشخصي، وإنما هو إحياء دين الله وبعث هدي رسول الله ﷺ سواءً كان رجلًا من آل البيت أو امرأة من نساء آل البيت الطاهرات الشريفات قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣،٣٤]، ومن الحكم الباقية القطعية في آل رسول الله ﷺ بقاء الخير في السلالة المباركة إلى آخر رجل منهم وآخر امرأة منهن، وهم على يقين وإن لم يصرِّحوا، ويتواصون بآداب ذلك فهو عهد الله وإن لم يعلنوه لكنهم على العهد سائرون ومتعاهدون ومتواصون، وقد كان رسول الله ﷺ يتطلع إلى الآخرين منهم إذ هو ينظر للفتية من آل بيته في عهده ﷺ.

إذًا فمهما رأيت من بعض آل البيت منغمسين مع الناس وتراءى لكم أنهم مبتعدون عن مظاهر الاستمساك المعتادة في الملتزمين - حفظ الله الجميع - إلا أنهم يعلمون بغير شك ولا ذرة ارتياب أنهم سائرون نحو إنقاذ الناس جميعًا.. وإنقاذ أمة محمد ﷺ أولًا، وهم لا يشكون في مسيرهم هذا أبدًا مهما كانت الفتنة أو اشتدت العواصف بالأمة، أو تحولت إلى إعصار أو سموه طوفانًا فإنهم لا يشكون في أن سفينتهم سالمة وأنهم في أمان لأن الله يرعاها ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، وإن درجة اليقين في هذا المسير وسلامته من درجة اليقين بنبوة رسول الله ﷺ ورسالته، ولقد صحَّ عن

ابن عباس ﵄ أثرٌ لا يمكن أن يُقال من قبيل الرأي وهو حبر الأمة ﵁؛ فَعَنْ أَبِي مَعْبَدٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَذْكُرُ فِي الْـمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**وَاللهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَخَتَمَ اللهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ كَمَا فَتَحَهُ، وَقَالَ: بِنَا فُتِحَ هَذَا الْأَمْرُ وَبِنَا يُخْتَمُ**»(١)، «**إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًّا حَدَثًا لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتَنُ وَلَمْ يَلْبَسْهَا يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا، فَتَحَ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ اللهُ بِنَا**». قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعَجَزَتْ عَنْهُ شُيُوخُكُمْ تَرْجُوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ مَا يَشَاءُ**»(٢)، وهذا لا يعني بيان عُمْر المهدي ﵇، بل يعني أنه ورغم فتن زمانه في شبابه وما بعد شبابه فإنها لم تمسه والله حفظه وسلَّمه ورعاه وهداه منذ أن كان صغيرًا وشابًّا مع أنه متلبس بالحياة تمامًا غير معتزل، ولهذا فإن الله ﷻ يصلحه للخلافة والإمامة وقيادة العالم في ليلة.. وليس المقصود كما ذهب إليه البعض من أنه كان فاسدًا.. عياذًا بالله، ولهذا فإن هذه العبارة تدل على عظمة حفظ الله ورعاية الله له كما تدل على الفترة الزمنية التي يعيشها المهدي وتربى فيها، ومن ثَمَّ كان للربط ما بين آل البيت ودخول الإيمان القلب حكمة عظمى منتظرة بحيث لو لم يدخر الله ﷻ آل بيت رسول الله ﷺ إلا لها لكفى الأمة وكفاها.. وما ذكره ابن عباس ﵄ إنما هو تلك البشرى التي ما بشر النبي ﷺ بشرى في هذه الدار بأحاديث وأخبار مثلها ولا بكثرتها؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ

(١) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري: هو موقوف ورجال إسناده ثقات.

(٢) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناد المؤلف إبراهيم بن بشار له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطريقين يصح الأثر موقوفًا.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا**»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**يَخْرُجُ الْـمَهْدِيُّ فِي أُمَّتِي خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا**» - زَيْدٌ الشَّاكُّ - قَالَ: قُلْنَا: أَيُّ شَيْءٍ؟ قَالَ: «**سِنِينَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَلَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ مِنْ نَبَاتِهَا شَيْئًا، وَيَكُونُ الْـمَالُ كُدُوسًا**(٢)»، قَالَ: «**يَجِيءُ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي، قَالَ: فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَ**»(٣).

وهذا الحديث يفسِّر عظمة تخوُّف الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في الحديث السابق الذي رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وخشيتهم التي عبَّر عنها يقول: «خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ».. أي حدث عظيم، وربما ظن الكثيرون أن ذلك الحدث هو قتل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم ظنوا أنه قتل عثمان والفتن الشداد، ثم ظنوا أنه اقتتال معاوية وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ثم ظنوا أنها فتنة الإقبال على الدنيا في الخلافة الأموية، ثم ظنوا أنها فتنة التتار، ثم ظنوا أنها فتنة سقوط الأندلس كما قال القائل(٤):

لمثل هذا يَذُوبُ القَلْبُ من كَمـــدٍ ... إنْ كان في القلب إسلامٌ وإيمـانُ

وكل هذه فتن عظام وخصوصًا بمقارنتها بما قبلها وهي الفترة التي تسبق المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مباشرة حتى وإن امتدت قبل ذلك بمائة عام بالتمام والكمال.

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٣٦٤)، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح.

(٢) كدوس: أي مجموع كثير.

(٣) أخرجه أحمد (١١١٦٣) واللفظ له، وأخرجه الترمذي (٢٢٣٢) مختصرا، وقال: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد، وحسنه الألباني.

(٤) قصيدة لأبي البقاء صالح بن شريف الرُّنْدي يرثي الأندلس.

إذًا فالحدث الذي تخوف منه الصحابة ﵃ حدث على الأمة بأكملها.. وهو حدث أكبر من كل حدث في التاريخ كله.. وتحديد هذا الحدث لا يمكن أن يحدده إلا من وقف متأملًا الأحاديث إذ هو في آخر الأمة.. ليستطيع أن يجمع الأحداث العامة كلها ثم يستطيع أن يحدد بما آتاه الله من بصيرة واستنباط وإنصاف وأحسب أننا الآن على مشارف الحقبة الجديدة للأمة... وهنا نقول: إن قتل من يقول: [الله الله] إنما هو من يذكِّر الناس بالله.. كما هو المعروف عند الأنبياء ﵈ وأتباعهم ومثل هذا قول الأنبياء ﵈: اتقوا الله.. اخشوا الله.. توبوا إلى الله... ليس قول هذا الاسم الكريم: الله هو المقصود: بل المذكر الناصح هنا يشير إلى أن الناس قد تحللوا من شرع الله ومن كتاب الله ومن هدي رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في حياتهم العامة... وهجروا القرآن.. بل اتخذوه مهجورًا...

نعم لأنها الصيحة الغربية المذكرة لهم بعودة الأمة إلى كتاب الله كاملًا الذي هجرته منذ مائة عام تقريبًا فهذا ما لا يطاق، وهو يقتضي القتل رسميًّا.

ولقد صح في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ**»(١).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**لَغَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَى أُمَّتِي**» قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «**أَئِمَّةً مُضِلِّينَ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٤٨٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) رواه أحمد (٢١٢٩٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وحديث علي عليه السلام هذا يبين بجلاء بأن آل البيت حين يتولون الأمور متمثلين في المهدي عليه السلام فليس ذلك من إعدادهم أو تدبيرهم أو تخطيطهم في الخفاء أو تعاملهم مع قوى عظمى... بل هو من عند الله وحده، وهو مفاجئ لكل الناس، ومفاجئ للمهدي عليه السلام نفسه من حيث تَوْقِيتِهِ.. فما هي إلا ليلة تكون كالسيف فاصلة ما بين عصرين عصر ظلام وظلم مطبق وعصر رحمة وعدل مطلق.. فهذا الذي سيكون إنما هو من علم الغيب.. ولا دخل للبشر فيه، ولا طاقة لأحدٍ به.

حفظكم بالحفظ الثامن: أبعدكم سبحانه عن دائرة الصراع:

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن لا يتولى خلافة الأمة الإسلامية من أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الحسن بن علي عليه السلام إلى هذا اليوم أحد، وكان في هذه أحسن حفظ لهم من معترك تحصد فيه الأسر حصدًا، وتهلك فيه الأسر هلاكًا.. فحفظ الله أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذرياته من تلك الصراعات... وحفظهم من موتات مثل هذه.. بل هم على الضد من ذلك.

لقد أكرم الله الأمة بصرف آل البيت عن الصراع على الحكم فجعلها أكبر من دخول حلبة الصراع على الدنيا، ونزهها عن هذا.

ورحم الله الأمة أن يكون لها موقف مقابل لنبيها حين تقف مقابل آل بيته، فيهلكها الله عز وجل.

وكم نسمع من بعض المثقفين من آل البيت مقولة: إن آل البيت أولى بحكم الأمة من سواهم؟! ولو علم هؤلاء باختيار الله عز وجل لهم لما اختاروا لأنفسهم ما قالوه ولما تمنوه، وهم يعلمون أنه اختيار الله ليس لهم وإنما لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم... فليرضوا بما رضيه الله لهم.

ثم كم سيكون فضل الآل اللاحقين؟ فهل يبلغ فضل الحسن والحسين عليهما السلام... ومع هذا فقد رأينا ما استقرت في عهودهم وأن الفتن أوقدت من قبلهم لكنهم ما استطاعوا أن يطفئوها، وما أطفأها إلا الحسن عليه السلام وذلك بالتنازل لمعاوية رضي الله عنه بالخلافة فاستقر أمر الأمة بهذا.. وقد امتدح النبي - صلىالله عليه وآله وسلم - هذا التناز من الحسن ورفعه على المنبر وامتدحه وقبَّله، وسمى تنازله عن الحكم إصلاحًا، وحلاه وجلاه وسوَّده وأعلاه وقال: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ**»(١)، وقد مرَّ معنا الحديث فَعَنْ أَبِي بَكَرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُنَا يَوْمًا وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي حِجْرِهِ، فَيُقْبِلُ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيُحَدِّثُهُمْ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى الْحَسَنِ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، إِنْ يَعِشْ يُصْلِحْ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ**»(٢).

ونحن لو فرضنا أن ذرية الحسن أو الحسين قد حكموا بعد أبويهما - عليهما السلام - لدخلوا في المذموم بدرجاته المختلفة وأقصد به الحكم الوراثي أو الحكم العضوض أو الحكم الجبري... ولعل إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عن ذكر حكم الآل إخبار بذلك، كما ينبغي أن يقابله من آله الإعراض عن طلب الحكم أو الخلافة إذ لصلحت للأمة في عصورها المختلفة لأشار إليها ولو إشارة.. ولعل الله جعل لهم في الحسن والحسين عليهما السلام عبرة ودرسًا نافعًا للأجيال من طرفي الحكم من طريق طلبه وطريق التنازل عنه، ولهذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحسن والحسين شيئًا عن حكم آل البيت إلا المهدي عليه السلام، وذكر أن حكمه على منهاج النبوة، فلو حكموا قبل المهدي لكان حكمهم على غير منهاج النبوة؛ فَعَنْ أَبِي مَعْبَدٍ قَالَ:

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) رواه أحمد (٢٠٤٧٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَذْكُرُ فِي الْـمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **«وَاللهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَخَتَمَ اللهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ كَمَا فَتَحَهُ، وَقَالَ: بِنَا فُتِحَ هَذَا الْأَمْرُ وَبِنَا يُخْتَمُ»**[(١)]، **«إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًّا حَدَثًا لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتَنُ وَلَمْ يَلْبَسْهَا يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا، فَتَحَ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ اللهُ بِنَا»**. قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعَجَزَتْ عَنْهُ شُيُوخُكُمْ تَرْجُوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ مَا يَشَاءُ»**[(٢)].

ولما كان حكم المهدي على منهاج النبوة لم يكن فيه مطالبة بالثأر للحسين ولا مطالبة بحكم الحسن.. فلا هذا ولا هذا.. وهل يطالب المؤمن ثأرًا من أمته أو كان ابن آل البيت مطالبًا بحكم أبيه من أمته... ولهذا ما فضحهم الله كما أريد لهم بهذا.. فلا يحسبن مَن يقول: إن آل البيت أولى بالحكم بعد الصحابة فهذا ما لم يرده الله ورسوله ﷺ لهم، وحفظهم الله عن التلطخ به وبأوزاره... ويكفيهم ويغنيهم ويزيدهم بعث المهدي [خليفة الله] الأوحد في تاريخ الأرض كلها.. ومسك ختام الأيام ومسك الخلافة على الأرض وفي آخرها وختام الدنيا.

ولهذا فإن المتتبع لحركة الحكم في لعالم الإسلامي لا يجد أن لآل البيت ذكرًا بين الخلفاء بعد عليٍّ والحسن والحسين عليهما السلام، وأما غير الخلفاء من الحكام فإن من النادر أن يكون أحد من آل البيت على بلد.. طوال تاريخ المسلمين..

---

(١) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري: هو موقوف ورجال إسناده ثقات.

(٢) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناد المؤلف إبراهيم بن بشار له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطريقين يصح الأثر موقوفًا.

هذا رغم أنه طوال التاريخ الإسلامي وآل البيت هم أعظم وأكبر وأكثر الأسر الإسلامية انتشارًا بين الناس، وأكثر ما تكون محبة المسلمين لآل بيت رسول الله ﷺ، لكن ذلك الحب والتأييد لم يُغْرِ آل البيت بالنزاع على تولي الأمور والدخول في فتن وسفك دماء ونزاع على السلطة وما إلى ذلك.. فاستمر زهد آل البيت في هذا المقام، ولأنهم اختاروا ما اختار الله لهم جعل الله العاقبة في الدنيا لهم فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وجاءت العاقبة لآل البيت عاقبة للأمة، وللأمم كلها، وهكذا جاءت العاقبة بمستوى ختام أعظم أمة، وما تستحقه، وختام الصراع الكبير والطويل ما بين الشيطان وجنده وبين الحق وجنده... وبمستوى دعوات النبي ﷺ العظيمة وإلحاحه بها على الله في ليالٍ طويلة لهذه الأمة حين أراه الله ﷻ ما سيحصل لهذه الأمة في أسوأ حالاتها وأسفل سفولها.. وليس بعد هذا السفول من سفول، فاستجاب الله دعواته وأعطاه وأعطاه حتى رضي، وقد قال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، ومن ثَمَّ جاء الإخبار بالمهدي كبشرى على لسان المصطفى ﷺ فقال مخاطبًا أمته ومخاطبًا أصحابه الذين يحملون هم الرسالة والأمة كلها: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صَحَاحًا**»، **فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صَحَاحًا؟ قَالَ:** «**بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ**»(١) أم تحسب أن هذا مقام عادي؟!

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ**

(١) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»(١)، هكذا يجمع النبي ﷺ هذا الموقف ودلالاته بقوله: «**تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»، فالتكرمة ليست للمهدي وحده بل للأمة كلها أولها وآخرها.

«**تَكْرِمَةَ اللهِ**»: ودونك عظمة لهذه التكرمة إذ نُسبت لله ﷻ، وسوف نأتي لصور تكرمة الله لهذه الأمة.

ثم لنسأل كل واحدٍ من المسلمين: هل تتمنى أن يكون ذلك العز لدين محمد ﷺ على يد ولدك أم على يد ولد رسول الله ﷺ؟! وما من مسلم يقدم نفسه على رسول الله ﷺ، ولقد قال عمر ﵁: «**مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ، وَمَا لِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ**»(٢).



(١) رواه مسلم (١٥٦).

(٢) شرح معاني الآثار للطحاوي (٣/ ٣١٩) رقم (٥٤٥٠)، وقال الطحاوي: هَذَا حَدِيثٌ مُتَّصِلُ الْإِسْنَادِ صَحِيحٌ مَا فِيهِ مَعْنًى.

الباب الثالث

تفاصيل في داخل آل البيت الكرام



هل من فارق ما بين آل البيت وأهل البيت والقربى والعترة؟

ليس لأجل التفريق للتشقيق ولا للمفاخرة والمكابرة - عياذًا بالله من ذلك -.. فإن أغلب الناس يتناولون هذه المصطلحات ولا يجدون فارقًا بينها، ولا يجدون من أظهر هل من فارق بينها أم انها متحدة من كل جهة؟! وهذا الفهم نعمة من نعم الله ﷻ فهذه المصطلحات هي شيء واحد من جهاتها كلها فكلهم الآل، وكلهم الأهل، وكلهم القربى، وكلهم العترة، اللهم إلا من ناحية واحدة.. ولولا أن هذا أمرٌ شرعي ضروري لما أظهرْته.. وهو يزيد الأمر قوة ووحدة.. كما يزيده بيانًا، ثم إن الصحابة ﭫ عاملوا آل البيت على هذا الأساس، بل إن آل البيت أنفسهم تعاملوا مع بعضهم على هذا الأساس كما سيأتي معنا بإذن الله. فمن هذه الجهة يصبح ضرورة، فإن الفرز في داخل القربى يكون أحيانًا فرقًا وهو خير.. لأنه العدل، ولما ينبني عليها من حقوق خاصة فيما يتعلق بهم كلهم رغم إن الحقوق المشتركة بينهم جميعًا معروفة وقائمة.. ولما له في حفظ الأنساب من أهمية شرعية، وضد هذا يكون خلط الأنساب وهذا محرَّم.

أما من الناحية اللغوية فإن أهل اللغة لا يكادون يفرقون بينها أبدًا، وعلى هذا الأساس سار أكثر من بحثها من العلماء والمشايخ وخصوصًا في هذا الوقت.

ولا أريد أن أضيع المسألة في المباحث اللغوية وغيرها، ولهذا سأظهر ما بينها من فوارق من خلال كلام الله وكلام رسوله ﷺ مع تأكيدي أن هذا يُعضد

وحدة آل البيت وقوتهم، وهم أولى من يصل قراباتهم ولهذا سوف نبتدئ **بمصطلح: القربى،** [القربى] فالقربى تشمل الجميع ما بَعُدَ وما قَرُبَ فالجميع من القربى، وهذه تنطبق على جميع أسماء آل البيت فكل اسم منها إذا ذُكر وحده شمل الجميع؛ شمل القربى وأهل البيت وآل البيت.. ولكن إذا ذكروا مجتمعين اقتضى الفصل بينها.. وذِكْرهم مجتمعين لا يكاد يوجد فيما ورد عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ، وفي هذا إشارة إلى أن الله ﷻ يريد لهذه القرابة أن تكون على قلب رجل واحد.. متقاربة متحابة.. وأن يَحْذَروا المفرقين، وأن الأمة كلها مطالبة أن تحرص على هذه الخاصية وخصوصًا في هذا البيت.. لوجود الوصية به كقربى وكآل بيت وكأهل بيت وكعترة، وهذه المسميات مقتضية للوحدة والتقارب والتحاب، فكثرة الروابط والأحزمة تدل على قوة الارتباط والالتحام، ولا تدل على التفكك والضعف.

ونحن حين نبتدئ بـ[القربى] فلأنها الأشمل والأوسع والأجمع وذلك إذا اجتمعت المصطلحات الثلاث، ودليل اسم القربى مأخوذ من قول الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣] وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما لها وذكر سبب نزولها؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ قال: «كان لرسول الله ﷺ قرابة في جميع قريش، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني احفظوا قرابتي فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم»(١)، وهذه حقيقة لا ريبة فيها.. فرسول الله ﷺ من قريش.. وهو يشترك معهم جميعًا في قرابات وإن بعدت، ومن هذا الباب جاءت الوصية العامة بأن الخلافة في قريش...

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين (٤/ ٢٨٩).

أما من ناحية أن جميع قريش من آل البيت فهذا ما لا يقوله ابن عباس ﵄ عن نفسه، بل ولا تحتمله النصوص الأخرى وقد بيَّنَّا ذلك قريبًا، فعن العباس ابن عبد المطلب ﵁ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ قُرَيْشًا إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَقُوهُمْ بِبِشْرٍ حَسَنٍ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِوُجُوهٍ لَا نَعْرِفُهَا. قَالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ**»(١)، وعنه أنه دخل على رسول الله ﷺ فقال: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلهِ، وَلِقَرَابَتِي**»(٢)، ففي هذا الحديث تصريح واضح بالتفريق بين قرابة قريش وقرابة رسول الله ﷺ، وأنه إذا ذُكر الفرق بين المصطلحات لم يكن مصطلح قريش وقريش مصطلح عام مثل العرب والعربي، فهو مصطلح كبر وهكذا، أما مصطلح آل البيت فهو أخص من جميع هذه المصطلحات.

وهذا التفريق يعرفه الصحابة ﵃ أحسن المعرفة وأضبطها وقد قال أبو بكر الصديق ﵁ لعليٍّ ﵁: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»(٣)، وعن ابن عمر عن أبي بكر ﵃ قال: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»(٤)، **كما أن هذا الحديث وأمثاله ليدل دلالة واضحة على أن أعمام**

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٨١٧٦) باختلاف يسير، وأخرجه ابن ماجه (١٤٠) بنحوه، وأحمد (١٧٧٢) واللفظ له، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧٧)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٤٠)، (٤٢٤١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧١٣).

النبي ﷺ من [القربى] وأن هذا المصطلح عند انفراده يشمل أهل البيت وآل البيت والعترة؛ فعن الشَّعْبِيِّ قَالَ: «صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جِنَازَةٍ ثُمَّ قُرِّبَتْ لَهُ بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَهَا فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ**»، وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَافَأَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَخْذِهِ بِرِكَابِهِ أَنْ قَبَّلَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ»(١).

أهل البيت: فالأزواج قطعًا من أهل البيت.. فهم الأهل.. وقد قال الله سبحانه مخاطبًا نساء النبي ﷺ أساسًا فقال في آية الحجاب: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهكذا سمَّت الملائكة سارة زوج الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

وأهل البيت هم كذلك آل هاشم وآل المطلب كما هو قول الإمام الشافعي والإمام أحمد بخلاف قول الإمام أبي حنيفة والإمام مالك فإنهما لا يَدْخلان في آل البيت عند هذين الإمامين، لكن النصوص في هذا واضحة.

ومن الأدلة على هذا ما جاء عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ**»(٢).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥١٤) رقم (٨٣٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٥٧).

(٢) رواه البخاري (٣١٤٠).

وبنو هاشم هم: [آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث ابن عبد المطلب]، وقد صح في الحديث.. وفيه: «**أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي ﷻ، فَأُجِيبُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ ﷻ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ. قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: أَكُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ(١).

وموالي آل البيت لا تحل لهم الصدقة كذلك لأنه في هذا الأمر منهم؛ فلقد صح في الحديث عن مِهْرَانَ مولى رسول الله ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ، وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ**»(٢).

وكيف تحل الصدقة لمولى آل البيت وهو جزء لا يتجزأ من البيت نفسه طعامًا ومنامًا واهتمامًا ليلًا ونهارًا وسفرًا وحضرًا... كيف وقد قال النبي ﷺ عن الهرة التي تتربَّى في البيت جزء منهم مثل أطفالهم؛ ففي الحديث: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ**»(٣)، ومثل هذا الحديث: «**ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ**»(٤).

آل البيت: وشمولية [آل البيت] ثابتة للقربى ولأهل البيت وللعترة بشكل

(١) رواه أحمد (١٩٢٦٥)، وقال الأرنؤط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد (١٥٧٠٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح بشواهده.

(٣) رواه أبو داود (٧٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري (٣٥٢٨).

عام، ومتى ما ذكرت منفردة شملت البقية قطعًا ولكن عندما تذكر للتفصيل والفرز والتحقق فإن آل البيت هم ولد النبي ﷺ من فاطمة عليها السلام وولديها الحسن والحسين عليهما السلام، وعلي عليه السلام ولا يمكن أن تكون الحسبة إلا بعلي عليه السلام ليس لأنه أبوهما فحسب وإنما لأنه كذلك زوج فاطمة تخصيصًا وتحديدًا، ولهذا فإن أولاد علي عليه السلام من غير فاطمة ليسوا من آل البيت بالمعنى الخاص بآل البيت.

ولقد وثق الله حقيقة انتساب الحسن والحسين وذرياتهما إلى رسول الله ﷺ أعظم توثيق وأعظم من توثيق نسبهما إلى علي عليه السلام نفسه... كما مرَّ معنا ذلك فلو أن الحسن والحسين ينسبان إلى علي عليه السلام لأصبح نسبهما وذرياتهما تنتهي إلى النار لأن أبا طالب في النار وهو علي بن أبي طالب، فأبى الله ﷻ إكرامًا لرسول الله ﷺ ولذريته ذلك فجعل النسب إليه وأصبحت النسبة إلى سيد أهل الجنة على الإطلاق وفي هذا كرامة لآل البيت ليس مثلها كرامة.. ولا حتى لو انتهت نسبتهما إلى علي عليه السلام.

وهكذا جاءت نسبة الحسن والحسين على لسان رسول الله ﷺ في أغلب الأحاديث إلى رسول الله ﷺ كقوله ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ**»(١).

وإن كان ثم حديث بنسبتهما إلى علي عليه السلام فهذا الإثبات ما لا يمكن أن يكون إلا كذلك فهما ولداه حقيقة.. لكن الحقيقة الشرعية العظمى غلبت كما أنها لا تنفي أبوَّة علي عليه السلام لهما.. ومعاذ الله من هذا الفهم الذي لم يقل به أحدٌ مطلقًا.

وهذا تفرُّد لا أعرفه لأحدٍ من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام مع ذرياتهم فلم يُعهد

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

أن تنسب الذرية إلى الأم وأهلها وإن كانوا من الشهرة والكرامة.. ومن أكرم من أب الحسنين... لكن إدلاء أبي الحسنين جاء إلى أبي طالب وإدلاء فاطمة إلى رسول الله ﷺ... فأي الكفتين ترجح.. حتى لو كان مع أبي الحسنين الثقلين مجتمعين.

وهذا بغير شك هو أحب لعلي عليه السلام لمحبة الوالد لولده أعظم من محبته نفسه، ولأنه الأمر الذي علي عليه السلام في والده الذي مات على كفره فكان عوض أبي الحسن بولديه عليهما السلام حيث كان التعويض ليس بمشاركتهما له في النسبة إلى أبيه أبي طالب، بل النسبة لهما بالنسبة لرسول الله ﷺ، وأي تعويض مثل هذا التعويض ثم إنه النسب الأحب إلى كل الذرية بغير شك، ولا يوجد من ينازع في هذا أبدًا، وهو النسب الأعلى في ذرية آدم كلها.

إحكام الله ربط الآل الطاهر بأصله الأعظم إحكامًا فوق المعتاد:

إنه موضوع يستحق التخصيص والتحقيق والتنقيح والتدقيق لخصوصيته وعظمته.

أولًا: لمَن نسبة البيت: فهل إذا قيل آل البيت قصد به بيت سيدنا علي عليه السلام على أنه زوج فاطمة عليها السلام ووالد الحسن والحسين عليهما السلام أم قصد به بيت رسول الله ﷺ وكان من ضمن آل البيت عليٌّ نفسه عليه السلام؟!

هل من مرة ربط الله ﷻ بيت النبوة بعليٍّ عليه السلام، وهل من مرة ربط النبي ﷺ بيوته بعليٍّ عليه السلام، هل نَسَبَ علي عليه السلام مرة بيت النبوة إلى نفسه - وحاشاه - عليه السلام؟

والجواب: لا شك ولا تردد ولا اختلاف أبدًا عند أي مسلم من المسلمين أن نسبة آل البيت إلى رسول الله ﷺ فلن يكون رسول الله ﷺ تابعًا لغيره في بيته وآله وعترته، وكما قال الصديق رضي الله عنه: «**مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَمَامَ**

رَسُولِ اللهِ»(١) كما هو ﷺ بين العالمين.. وهذا أمر طبيعي ولازم شرعي.. فإن من المستحيل أن يكونوا جميعًا وفيهم رسول الله ﷺ ولا يكون هو المتقدم عليهم جميعًا وعلى الأمة جميعًا.. ولو كان على مختلف عصورها فإنها تنسب إليه فيقال: أمة محمد ﷺ.. ولا يقال في عهد عمر رضي الله عنه أمة عمر ولا في عهد علي رضي الله عنه أمة علي، بل أمة محمد ﷺ.. وهكذا الشأن مع الناس، وهكذا هو في الدار الآخرة فهو القائل: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ، إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**»(٢)، فكيف والبيت جزء في أمة محمد ﷺ.

ويبقى كل واحد من أبناء آل البيت بأفرعه المعروفة ينتسب إلى أبيه مثل أبناء العباس وأبناء جعفر وأبناء نوفل وأبناء علي ومع هذا فهم جميعًا من آل بيت رسول الله ﷺ وإن لم يكونوا من ذرية الحسن والحسين.. وإن كان من آبائهم مَن هو أكبر من رسول الله ﷺ سنًّا وإن كانوا له أعمامًا أو أبناء عم.. ذلك أن الذي اجتذب الجميع إلى الانتساب إليه وإلى قرباه ذو قوة جذب لا يمكن مقاومتها لا في قوانين الأنساب، أو السلالات، أو العلاقات، أو الحياة؛ إنه سيد الأنبياء والمرسلين عليه السلام؛ كما قال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الأحزاب: ٦].

نعم الحسن بن علي والحسين بن علي عليهما السلام لكن أبى الله عز وجل أن يكون آل البيت إلى علي وإن كان المدار على الحسن والحسين وفوقهما فاطمة عليها السلام

---

(١) رواه أحمد (٢٢٨٠٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٣١٤٨)، وصححه الألباني.

وفوق الجميع الذي يجتمع عليه الآل من سبق ومن لحق ومن في المركز ومَنْ حوله هو رسول الله ﷺ وكيف لا يكون كذلك وعند هذا المحور والمركز تدور البشرية كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]. إذًا وعند هذا المنتهى حيث رسول الله ﷺ تكون انطلاقة بث الذرية؛ رجالًا كثيرًا ونساءً ومن فاطمة عليها السلام يكون تسلسلها ومن الحسن والحسين يكون بثها، كما يكون انتشارها وكذلك تسلسلها.. كما أن الله يأبى لهذه الذرية أن ينتهي نسبها إلى النار حيث إنها لو نسبت لعلي عليه السلام لكان بعده أبو طالب، وأبو طالب في النار كما أخبر النبي ﷺ(١) فجعل الله مآل هذه الذرية المطهَّرة إلى سيد الخلق أجمعين ﷺ.. وليس في هذا - معاذ الله - نقصًا في حق علي رضي الله عنه لكن مَن ذا الذي ينازع رسول الله ﷺ أمرًا يريده الله ويريده هو ﷺ سيد الثقلين وأمهما سيدة نساء أهل الجنة، فأية حظوة تقارب هذه الحظوة في الذراري على الإطلاق.

وكل هذا ما كان إلا بانتساب الذراري إلى السبطين الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمهما فاطمة عليها السلام التي تُدْلي إلى رسول الله ﷺ حتى لو قيل: الحسن والحسين ابنا علي عليهم السلام أجمعين، فإنهما حبل آل البيت المتين... وهل البيت هنا إلا بيت صاحبُهُ رسول الله ﷺ.

وهذا لا يعني أبدًا أن آل البيت محصورون في ذرية الحسن والحسين اللهم إلا من حيث التسلسل النسبي المعروف، أما من ناحية التعريف الشرعي فقد

---

(١) الحديث رواه مسلم (٢١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**».

ضمَّ إليهم النبي ﷺ من أخذوا الحكم الشرعي وهم مَن تحرم عليهم الصدقة كما سيأتي معنا.

إذًا فنحن نتحدَّث هنا في السلالة من رسول الله ﷺ تحديدًا وهم الأصل وهم أصحاب البيت فنسبة البيت الصريحة إلى صاحبه ﷺ، وفاطمة تحديدًا؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**الْـمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»(١)، وما قال: من ولد [علي] رضي الله عنه.

ثانيًا: الإحكام الخَلْقي: إن الإحكام الخَلْقي الذي جعله الله سبحانه وتعالى في تحقيق نسبة السلالة إلى رسول الله ﷺ جعله بطريقة لا يمكن أن يتخيلها بشر، أو تكون في غير هذه القرابة والآل والأهل، فهذه الأسرة المباركة كلها من فاطمة عليها السلام، وفاطمة من رسول الله ﷺ وليست هذه السلالة بهذا الاعتبار لأجل نسبتها إلى علي عليه السلام وإنما هم من فاطمة بنت رسول الله ﷺ وذكر سرّ هذا الاعتبار ضروري كما أنه معروف فإن الشبه بغير شك ما بين الأب وابنته أعظم من الشبه ما بين الزوج وزوجته لأن القرب ما بين الأب وابنته بغير شك أعظم...

وهذا هو ما جاء نصًّا، فكيف وشبه فاطمة برسول الله ﷺ جاء معنى ومبنى وجاء حبًّا وقربًا؛ فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَا - كَانَتْ «**إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا**»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ،

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني.
(٢) رواه أبو داود (٥٢١٧)، وصححه الألباني.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: «لِمَ تَبْكِينَ؟»، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ**» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ»[١].

ثم إنه ﷺ يقول عن باطن الأمر وسره: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»[٢]، وقال ﷺ: «**إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَيُنْصِبُنِي مَا أَنْصَبَهَا**»[٣].

فتفرُّد هؤلاء الآل أعظم تفرُّد بين كل آلٍ وأهلٍ وعترة وقربى.. وسيمر معنا مزيد إيضاح لهذا الأمر – بإذن الله تعالى – في المبحث القادم عند بيان معنى مصطلح [آل البيت]، ثم إن عليًّا عليه السلام ليس له ذاك الشبه برسول الله ﷺ ولا ينطبق عليه «بَضْعَةٌ مِنِّي»، بل هو كما قال النبي ﷺ لِعَلِيٍّ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى؟**»[٤].

ثالثًا: ماذا لو كانت النسبة لعلي عليه السلام: لو كانت النسبة لعلي عليه السلام لنازعت بقية الذراري ذرية علي منازعة قوية ولها حججها.. كيف وعندهم من الأدلة الكثير على فضل أبيهم ومصدرهم.. فمثال ذلك آل أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، وآل عمر

(١) رواه البخاري (٣٦٢٣).
(٢) رواه البخاري (٣٧١٤)، ومسلم (٢٤٤٩).
(٣) رواه الترمذي (٣٨٦٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٤) رواه البخاري (٣٧٠٦).

ﷺ، وعلي -عليه السلام ورضي الله عنه- لا ينازع أبدًا أبا بكر وعمر فضلهما وإمامتهما وخلافتهما.... لكن الله سبحانه وهو عالم الغيب والشهادة قطع كل طريق وكل منازعة حين نسب هذا البيت إلى رسول الله ﷺ.. فهو الشرف الأعلى وهو الحماية التي ليس بعدها في الثقلين حماية.. حماية آل البيت بقيت وتبقى إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين لأنها من حماية الله ودفاعه ﷻ عن رسوله ﷺ الكامل، وأقول: الكامل، لأن دفاع الله ﷻ عن رسوله ﷺ في حياته لم يمنع دفاع الصحابة عنه وذبهم عنه وأخذ الأسباب لهذا، أما دفاعه عنه وحمايته له بعد موته فهو أعظم، وما يتبقى منه فذلك من باب إثابة المؤمنين، واختبار الآخرين، ورفع مقامات، وإهلاك قامات، و ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].. فحفظ النسب الباقي من حفظ الله لرسول الله ﷺ، ولئن قال الله ﷻ لمَن سبقه: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٨،٧٩]، وقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٨،١٠٩] فالله سبحانه أعطى رسول الله ﷺ ذلك وترك له ذرية عظيمة رفيعة كريمة في الآخرين... إذ لم يبق مَن يعرف من ذريات الأنبياء عليهم السلام أحد تقريبًا.

رابعًا: أعود لأؤكد: أن النسبة لعلي عليه السلام شرف عظيم لا يعلم بعظمته إلا الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ إلا أن النسبة حين تقابل النسبة لرسول الله ﷺ فلا ولا الثقلين مجتمعين..

ومع هذا فإن عدم النسبة لعلي هي تزكية لعلي في هذا المقام ذلك إذا كان هذا علي وهذا فضله، وإذا كان هو بهذا القرب والخصوصية من رسول الله ﷺ نسبًا وتربية ومعايشة في بيت واحد، وأبناء وتقاربًا ودخولًا وخروجًا.. وبهذا

تصبح الرسالة واضحة؛ فإنه إذا كان علي بهذا القرب من الآل، وكان بهذا المقام بين الصحب ﭫ، فهو الوحيد من الآل الذي اجتمع فيه النهران كرامة الآل وكرامة الصحب، ومع أنه لم يُنسب له الآل بل لم يُنسب له أبناؤه.. فكيف بغير علي..؟! ألا ما أعظم مقام الآل إذ ربطوا مباشرة برسول الله ﷺ، وتركوا ما تعارف عليه أهل الأنساب من نسبة الولد إلى أبيه فإن هنا حمى الله وهل أعظم من رسول الله ﷺ؟!

خامسًا: الأم الكبرى هي خديجة بنت خويلد ﭫ: من حكمة الله تعالى أن أم فاطمة هي خديجة بنت خويلد ﭫ... مع أنه لا يوجد نص واحد بنسبة الحسن والحسين إلى خديجة إنما هي أم فاطمة وفاطمة ابنة رسول الله ﷺ... فإذا لم يتواصل ذكر نسب الآل إلى الأب وهو علي ﭐ فأنى له أن يتواصل إلى الجدة وهي خديجة ﭫ، وهي بالنسبة لرسول الله ﷺ زوجة.

إلا أن المزية في خديجة أم المؤمنين... غير موجودة في أية أمٍّ للمؤمنين أخرى كأمٍّ لآل البيت حقيقة... فهي السابقة للإسلام في نساء العالمين.

وخديجة لها بيت إذ لم يكن لأمهات المؤمنين الأخريات زواج من رسول الله ﷺ ولا بيت ولا شيء مطلقًا، وفاطمة ﭐ لم تدخل في صراع الضرات فلقد توفيت عنها أُمها وهي صغيرة، فهي ابنة أبيها وكفاها ذلك رعاية من الله ﷻ ومن رسوله ﷺ، وفاطمة ﭐ بقيت هي البذرة الوحيدة التي كتب الله لها البقاء والنماء والثمار والعلو والإشهار والذرية الأبرار بين ما لا يُعدُّ ولا يُحصى من البذر الذي بُذر، في أراضٍ طيبة كريمة متنوعة... ألا ما أغلاها من بذرة بل ما أعظم رعاية الله لها.

وما أعظم شبهها ببذرة هاجر ﭐ إذ لم تلد إلا إسماعيل فكان منه رسول

الله ﷺ وكانت حماية الله سبحانه لإسماعيل عليه السلام فوق قدرة كل ذي قوة وقدرة.. فمَن يحول بين السكين والعنق الطري في ذاك الخلاء وذاك الفضاء ولا مطالب ولا مدافع ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات:١٠٤-١١٣].

سادسًا: كان منتهى آل البيت إلى خديجة رضي الله عنها... ويأبى الله أن يترك أمَّ آل البيت عليها السلام بغير بيت، فلقد جعل جزاءها يناسب عطاءها لرسول الله ﷺ ويناسب مقامها فكانت بشارتها العليا بأعلى إسناد بالسلام عليها ببيت في الجنة؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عليها السلام مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**»(١).

لأن الجزاء من جنس العمل فناسب أن يكون جزاء أم بيت النبوة بيت في الجنة.. وناسب أن يكون تربية الأبناء وتحمل ضجيجهم وصخبهم هو أن لا ضجيج ولا صخب في بيت الجنة.. ولما أن ماتت خديجة عن أولادها كانوا صغارًا ومات من مات قبلها صغيرًا بغير شك فعلى كل حال فالصخب ملازم لمن ذهب ولمن بقي. فهذا بيت لأم البيت يُقدم أول الإسلام لأول الراحلين المؤمنين والمؤمنات لتكون هناك لكل الراحلين من أبنائها الذين يأتون من بعدها.. وهذا لا يعني أن ليس لآل البيوت بيوت في الجنة ولكن الأمر على

---

(١) رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

قياسات الدنيا وأعرافها فسعادة أم البيت الكبرى أن تجتمع ذريتها عندها هنا في بيتها ولو يومًا في الأسبوع ولو يوم الجمعة.. أو متى ما أرادوا فالبيت موجود والسعادة بحضوركم... ولهذا جاء في الحديث قال الإمام الذهبي: قال الشيخ قال عز الدين أبو الحسن ابن الأثير: «خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة»(١).

إذًا فهذا يجلي حقيقة أن اللبنة الأولى للإسلام كله إنما هي لبنة آل البيت لأنها الأسرة الأولى وحجر الأساس في صرح الإسلام، ولو أن الصديق رضي الله عنه - فرضًا - سبق خديجة إلى الإسلام لاختلف الأمر، فبدخول خديجة أصبحت اللبنة الأولى وتم وضعها في موضعها الأول للمجتمع المسلم بل للأمة المسلمة إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها إنها لبنة آل البيت، وهذا يدخل في قول ابن عباس رضي الله عنهما: فَعَنْ أَبِي مَعْبَدٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَذْكُرُ فِي الْـمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **«وَاللهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَخَتَمَ اللهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ كَمَا فَتَحَهُ، وَقَالَ: بِنَا فُتِحَ هَذَا الْأَمْرُ وَبِنَا يُخْتَمُ»**(٢)، **«إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًّا حَدَثًا لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتَنُ وَلَمْ يَلْبَسْهَا يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا، فَتَحَ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ اللهُ بِنَا»**. قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعَجَزَتْ عَنْهُ شُيُوخُكُمْ تَرْجُوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ مَا يَشَاءُ»**(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ١٠٢).

(٢) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري: هو موقوف ورجال إسناده ثقات.

(٣) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناد المؤلف إبراهيم ابن بشار له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطريقين يصح الأثر موقوفًا.

وكان ذاك البيت يكبر والزوجات يزددن ولكن تبقى صاحبة البيت الأولى خديجة لأن بيوتات النبوة كلها لم تورث ولدًا إلا البيت الأول لذا روت أم المؤمنين عائشة ﵂ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ، أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ ﷯ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ﷯ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ ﷯ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**»[(١)].

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اَللهِ ﷺ – إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَسْأَمْ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَاسْتِغْفَارٍ لَهَا فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَحَمَلَتْنِي اَلْغَيْرَةُ فَقُلْتُ لَقَدْ عَوَّضَكَ اَللهُ مِنْ كَبِيرَةِ اَلسِّنِّ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اَللهِ ﷺ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا فَسَقَطْتُ فِي يَدِي، فَقُلْتُ: اَللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ بِغَضَبِ رَسُولِكَ ﷺ لَمْ أَعُدْ لِذِكْرِهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ، قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اَللهِ ﷺ مَا لَقِيتُ قَالَ: «**كَيْفَ قُلْتِ؟! وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ اَلنَّاسُ، وَآوَتْنِي إِذْ رَفَضَنِي اَلنَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي اَلنَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي اَلْوَلَدَ حَيْثُ حُرِمْتُمُوهُ**»، قَالَتْ: فَغَدَا وَرَاحَ عَلَيَّ بِهَا شَهْرًا»[(٢)].

ويجب أن نعلم أن معنى قوله ﷺ هو الدليل على مقصود البيت وأن خديجة حقًّا هي الأم الكبرى لآل البيت فليس المقصود بقوله ﷺ: «**وَرَزَقَنِي اللهُ ﷯ وَلَدَهَا**» يعني: الذكور، بل الولد هو الابن والابنة، الذكر والأنثى على حد سواء، لذا كان الولد المقصود هو جميع أولادها ذكورًا وإناثًا.. وكان الولد الباقي الذي كانت منه الذرية إنما هي فاطمة ﵍.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٦٤)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

سابعًا: وهكذا حماهم الله حين أفرد الذرية من فاطمة عليها السلام:

فمَن يحمي البنت مثل أبيها... ومن ثَمَّ فحماية الذرية من حماية فاطمة عند رسول الله ﷺ... وحماية هؤلاء الكرام جميعًا مع رسول الله ﷺ في ضمان الله رب العالمين هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ كيف نبني البناء المنطقي.. فقال: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**»(١)، وقال ﷺ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**»(٢).

ونحن حين نقول هذا لا نقوله إلا لأن النسبة من بعد ذلك إنما تنتهي لرسول الله ﷺ.. ولأن الأنساب الأخرى لقربى النبي ﷺ ليست محفوظة كما حفظ الله النسبة لمَن جاء من فاطمة حصرًا.. ولأن في حفظ النسب من فاطمة والحسن والحسين تحقق وعد الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، أكثر، ثم إنها هي الأصل في انتساب السلالات الأخرى وهذا ما لا يمكن أن يقوم مقامه فرع من الأنساب آخر ولو كان أولئك الأبناء من العم أو ابن العم أو الأخ أو نحو ذلك، وخصوصًا وأن الله ﷻ حصر الخطاب وخصَّه بقوله: ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

ومَن لم يقدِّر هذا الأمر قدْره فليتصوَّر: ماذا لو لم يأت من فاطمة الحسن والحسين وغيرهما أبدًا؟!

ثامنًا: «إِنَّ ابْنِي هَذَا»: ولنعيد النظر الآن ثانية في حديث إجلاس النبي ﷺ ملتقطين بعض إشارته العظيمة التي تتعلق بموضوعنا هذا؛ فمن المعلوم أن

(١) رواه البخاري (٢٩٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٤).

الرسول ﷺ كان لطيفًا رفيقًا بالأطفال حتى أنه كان يحملهم في صلاته ولكنه في هذا الحديث فعل شيئًا أكثر من كل ذلك فلنتدبر.. فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنبَرِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(١).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُنَا يَوْمًا وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي حِجْرِهِ، فَيُقْبِلُ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيُحَدِّثُهُمْ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى الْحَسَنِ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، إِنْ يَعِشْ يُصْلِحْ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(٢).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ يَثِبُ عَلَى ظَهْرِهِ إِذَا سَجَدَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَقَالُوا لَهُ: وَاللهِ إِنَّكَ لَتَفْعَلُ بِهَذَا شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ تَفْعَلُهُ بِأَحَدٍ. قَالَ الْمُبَارَكُ: فَذَكَرَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(٣). فَقَالَ الْحَسَنُ: فَوَاللهِ وَاللهِ، بَعْدَ أَنْ وَلِيَ لَمْ يُهْرَقْ فِي خِلَافَتِهِ مِلْءُ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ.

الصحابة ﷺ أدركوا أمرًا عظيمًا وحكمة بالغة مقصودة هنا؛ فقالوا: إنك لتفعل شيئًا ما رأيناك تفعله بأحد فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنبَرِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(٤). هكذا فلنتعلم أن ما من شيء من رسول لله ﷺ إلا ويجب أن

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) رواه أحمد (٢٠٤٧٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد (٢٠٤٨)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٤) رواه البخاري (٢٧٠٤).

نتدبره موقنين بأنه يستحق التدبر؛ فالروايات الثلاث اتفقت على تعريف **الحسن** «**إِنَّ ابْنِي هَذَا**» لم يقل النبي ﷺ: إن ابن علي هذا وقد كان قادرًا أن يقول ذلك... لكنه عرَّف المعرف عندهم.. وقطع به قطعًا ليبلِّغ الشاهد الغائب.. وليبلِّغ أهل ذاك العصر أصحاب العصور كلها، دون أن ينفي رسول الله ﷺ أبوة علي عليه السلام للحسن عليه السلام إلا أنه أثبت المطلوب فقال: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا**».. هذا هو أصل النسب لي من الرجال وهذا هو أول الولدين الاثنين الحسن والحسين، وهذا الذي لا يمكن لأحدٍ أن ينازعه أو يزاحمه بأنه الأول وأخيه الثاني.

وكأن النبي ﷺ والحسن بجواره وهو في حجره فَيَقْبِلُ على أصحابه فيحدثهم ويُقْبِلُ على الحسن فيُقَبِّله، نعم قد ذكر النبي ﷺ أنه سيصلح بين فئتين عظمتين من المسلمين إلا أن حكمة النظر والتدبر ثم التقبيل لا تقتصر على هذا كما أن حكمة قوله: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا**» لا تقتصر على هذا.. فهذا وأخوه هما أبوا الذرية العظيمة التي يحفظ الله ﷻ ذريتي ويرفع بها ذكري.. ويحفظ بتناسلها ديني ويجعل العاقبة لهذا الدين على العالمين حين يبعث منا ولدي المهدي.. في أيام يكاد الدين أن ينتهي، والعدل يختفي، والشيطان ينتشي، والدجال ينتظر الإشارة ليظهر.. فينتقض غزل الشيطان لعنة الله عليه حين يبعث الله ﷻ المهدي فكان ما سنبينه هنا بإذن الله في الختام مختصرًا في الباب الرابع باب الكلمات الثلاث.

فقوله ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا**» عن الحسن باسم [هذا] له دلالاته العظيمة في تحديد النسب إليه هو، فهو أقرب قريب من الرجال إليه ﷺ وكذا أخوه الحسين عليه السلام.. فمن حيث النسب إلى رسول الله هما ابنا رسول الله ﷺ وهنا فهما أقرب إلى رسول الله من أبيهما علي عليه السلام نسبًا، وفارق القرب هو كما بيَّنَه النبي ﷺ هنا؛ فهو كما بين الابن وبين ابن العم والعم وسواهما من آل البيت.

ثم إن قوله ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا**» هو تأكيد على القرب، وتحقيق للبنوة وتقصُّدٌ لها بقوله: «**هَذَا**».

وقوله: «سَيِّدٌ» «لَسَيِّدٌ»: فهو السيد ومن يأتي من هذا سيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... فلقد ختم النبي ﷺ بختمه سيد وأكده بقوله: «لَسَيِّدٌ» فمن يستطيع أن ينزع ختمه عن سيادته، وما قوله: «**وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ**» إلا شهادة على سيادته الثابتة التي ورثها من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

تاسعًا: غلبة [جينات[1]] سيد الخلْق ﷺ:

وهو أنه لا يمكن أن يكون الولد إلا آخذًا من والديه.. نعم يكون لأحدهما أشبه من الآخر.. أما جيناته فتكون مشتركة وتكون الغلبة في الشبه لأحد الوالدين أكثر.. وهذا أمر معتاد وذلك لأن الزوجة من أناس آخرين حتى لو كانت ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال الزوج أو ابنة خاله أو خالته وهذا بعض حكمة الله أن الرسول ﷺ ما جاءه ولد من زوجاته إنما جاء ولداه من ابنته فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام فكان شبه الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله ﷺ عجيبًا وفاطمة عليها السلام التي ما كان أحدٌ أشبه برسول الله ﷺ منها.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه **قَالَ «صَلَّى أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ: بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَا**

(١) جينات [جمع]: مفرد جينة: (حي) جزئيّات مادّيّة دقيقة توجد في صبغيّات الخليّة، وإليها تُعزى الصِّفات المميّزة للكائن الحيّ، وبها تفسّر قوانين مندل الوراثيّة؛ استطاع العلماء التحكم في بعض الجينات الوراثيّة لدى الحيوانات. معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٢٨).

شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ»[١].

وعن علي قال: الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك[٢].

وليس بعد هذه الدقة في بيان الشبه من دقة.. ومَن أعلم من عليٍّ وهو أبوهما عليهما السلام.. فسبحان الله؛ فلكأن الاثنين اجتمعا في شخص واحد هو رسول الله ﷺ، فهل بعد هذا الشبه من شبه.. ولكأن قسمة العدل كانت قدرهما وحدهما.. ولكل واحدٍ منهما عليهما السلام نصفها كما هي قسمة الله في الإرث للولدين الذكرين يتيمي الأبوين النصف لكل واحدٍ منهما.

عاشرًا: لا ذرية إلا بفاطمة عليها السلام:

ولهذا صح في البيت قول النبي ﷺ عن فاطمة: «**بَضْعَةٌ مِنِّي**» وهو ما رواه الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْـمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِينِي ما آذاها»**[٣].

وسبحان الله! **إن هذا هو منتهى الوضوح في بيان جد آل البيت ظاهرًا بَيِّنًا لا يختلط به سواه.. فلقد نسب النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه إلى أبيه،** وليكون هذا هو نسب آله لكل مَن جاءه من زوجاته من غير فاطمة عليها السلام، فليسوا هم ذرية من رسول الله ﷺ، فهم أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنهم لم يكونوا من فلذة كبد النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٢).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٥٨).

(٣) رواه البخاري - الفتح ٩ (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له.

نعم؛ يبقى للأقربين من بني هاشم عامة قرابة ولا شك في ذلك؛ فَعَنْ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ فِي أَبٍ كَانَ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَطَمَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَاءَ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: لَيَلْطِمَنَّهُ كَمَا لَطَمَهُ، فَلَبِسُوا السِّلَاحَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّ أَهْلِ الْأَرْضِ تَعْلَمُونَ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ** عز وجل**؟**» فَقَالُوا: أَنْتَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْعَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لَا تَسُبُّوا مَوْتَانَا، فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا**»، فَجَاءَ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لَنَا[1]، ومع هذا فإن العباس رضي الله عنه احتاج هنا إلى تخصيص، وإلا فإن الآل والبيت مرتبط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أجاب هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَجَاءَ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لَنَا.

وهنا أعود لأؤكد على أن علي لولا زواجه من فاطمة لما انطبق عليه مصطلح آل البيت بالفهم المخصوص لآل البيت فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد فرق بين علي عليه السلام وبين فاطمة ونسب علي إلى أبيه وسماه ابن أبي طالب.. لو أنه اختار الزواج من غيرها لانقطع هذا الحبل الجامع مع آل البيت.

وأمر آخر في ثبات قوة الشبه وقوة الارتباط بين آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث الكبير الكريم أن فاطمة بضعة منه فهو أكبر في حمل الجينات للذراري من مجرد الزواج وأنها قطعة منه وهذا ما يسمى بتطابق البصمات الوراثية وهذا ما لا يكون في غيرها من الذراري لأن الأزواج غير الزوجات، ولأن الزوجات لسن من الأزواج.. أما فاطمة فهي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرًا وباطنًا خلقًا وخلقًا فكان الحسن والحسين وذرياتهما كذلك.

ويبقى من أدلة التخصيص لذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته لفاطمة وذريتها وخروج حتى زوجاته كما في حديث الكساء وهكذا يخرج الأعمام وأبناؤهم.

(١) أخرجه النسائي (٤٧٧٥)، وقال محقق جامع الأصول (١٠/ ٢٧٢): إسناده حسن.

فَعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ(١) مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]»(٢).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا، وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا». قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ»(٣).

فأم سلمة رضي الله عنها قطعًا من الأهل وأمهات المؤمنين وكل هذا بنص القرآن، لكن هنا الحديث عن الذرية وحصرًا من فاطمة وما دخل علي رضي الله عنه إلا لأنه زوج فاكمة ابنة رسول الله ﷺ وإلا لكان الأولى أن يدخل أعمامه، ومثله أبناء أعمامه الآخرين.

عن مدرك بن عمارة قال: «رأيت ابن عباس آخذًا بركاب الحسن والحسين، فقيل له: أتأخذ بركابهما وأنت أسَنُّ منهما؟! فقال: إن هذين ابنا رسول الله ﷺ، أو ليس من سعادتي أن آخذ بركابهما؟!»(٤).

وقد بيَّنَّا بحمد الله الكثير من الأدلة على اختصاص ذريته ﷺ بهذا والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مرط مرحل: أي فيه صور الرحال.

(٢) رواه مسلم (٢٤٢٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٠٥)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني.

(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ١٧٩).

الباب الرابع

الثمرة العظمى للآل في الختام

الكلمات الثلاث الأخيرة لكم على العالمين

المقدمة:

وإنما نختم باختصار شديد بثلاث كلمات ونبينها مما ذكره رسول الله ﷺ عنها: **أما الأولى** فهو اسمه **المهدي، وأما الثانية**: فاسمه [**خليفة الله**]، **وأما الثالثة**: فهي [**تكرمة الله هذه الأمة**]، ولن أذهب هنا وهناك من علامات الساعة وما ورد في تفاصيلها ومواقيتها وكيفيات حدوثها، **فلعل في تحديد الكلمات بثلاث فوائد: أولها**: لضبط الأمر عن الإسهاب، **وثانيها**: إن هذا البيان المختصر سوف يفك مغاليق عدة في تلك الأحداث القادمة وأسرارها، **والثالث**: وهو الأكثر أهمية وهو عظمة مقام آل البيت ودورهم الأعظم في آخر هذه الأمة بيان كلمات ثلاث فقط، وهل المهدي إلا ابن رسول الله ﷺ. إن من يتحدث عن آل البيت ثم هو لا يذكر أكثر مَنْ ذكره النبي ﷺ من رجالات آل البيت بعد الصحابة من آل البيت فلكأنه يفرق ما بين الأم ووليدها، أو كأنه حرق الشجرة من أصلها بعدما أثمرت ودنا ثمرها.. وإنني والله لأعلم أن الله قد كتب للأمة العاقبة وكتب العاقبة تحت لواء آل بيت نبيها ﷺ.. وكتبه للمهدي عليه السلام.. وربط الآخرة بالأولى.. فكما كانت الأمة وهي الأصل والتأسيس فلا بد أن تكون الآخرة لآل البيت كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ فَعَنْ أَبِي مَعْبَدٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَذْكُرُ فِي الْـمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**وَاللهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَخَتَمَ اللهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ كَمَا فَتَحَهُ، وَقَالَ: بِنَا فُتِحَ هَذَا الْأَمْرُ وَبِنَا**

يُخْتَمُ»(١)، «إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًّا حَدَثًا لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتَنُ وَلَمْ يَلْبَسْهَا يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا، فَتَحَ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ اللهُ بِنَا». قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعَجَزَتْ عَنْهُ شُيُوخُكُمْ تَرْجُوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ** ﷻ **يَقُولُ مَا يَشَاءُ**»(٢).

وهذه الكلمات الثلاث ثابتة عن رسول الله ﷺ وهي مجموعة في حديثين؛

أما الحديث الأول فمنه كلمتان وهو ما رواه ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْـمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ**» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ - فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْـمَهْدِيُّ»(٣)، **أما الحديث الثاني فمنه**: فهو عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ** ﷺ **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(٤).

(١) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري: هو موقوف ورجال إسناده ثقات.

(٢) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناد المؤلف إبراهيم بن بشار له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطريقين يصح الأثر موقوفًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم (٨٤٣٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه مسلم (١٥٦).

الكلمة الأولى: المهدي عليه السلام

أولا: لماذا كل هذا للمهدي عليه السلام؟

أولا: لأنه بَشَّر به البشير صلى الله عليه وآله وسلم (١):

لقد شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم التبشير بالمهدي منذ أيامه صلى الله عليه وآله وسلم... فقال صلى الله عليه وآله وسلم: [أبشركم بالمهدي] فليستبشر العباد به فإنها السنة وليتواصل التبشير به فإن ذلك كذلك سنة، وليزدد الناس هذه الأيام تبشيرًا به فذلك أولى وألزم ما يكون اليوم حفاظًا على الإيمان والأمل وإبعادًا لليأس والقنوط في زمن الفتن والضياع والله يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، كيف والمؤمنون يشهدون بأن العلامة الفاصلة ما بين العلامات الصغرى والكبرى إنما هو المهدي بل هو العلامة الرابطة وأن العلامات الصغرى تكاد تكون قد انتهت.. وليشتد التبشير به الآن فإنَّ ما بشَّر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أظلنا زمانه وحضر أوانه.

وهنا ينبغي أن نتوقف لنعرف ماذا عن المهدي متقيدين بما ورد، وإن أعظم ما نستنبط منه هنا إنما هي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولها تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بـ [المهدي] هذا الاسم المجمع عليه، وبما أن البحث مخصص لآل البيت فلا يمكن أن نتجاوز المهدي عليه السلام **فإنه الذروة المجمع عليها من آل البيت بعد علي**

(١) أرجو التنبه هنا: أن كل نقطة من النقاط الكثيرة في الكلمات الثلاث عليها دليلها ولها تعليلها.. فلا تشغلنك نقطة عن أخرى.. أو تقرأ عنوانها دون أن تكمل شرحها فلربما فاتك معرفة الدليل وفاتك التعليل.. فمهما سر جديد كل نقطة، وهذه الملاحظة لهذا الباب كاملًا.. والحمد لله رب العالمين.

والحسن والحسين عليهما السلام... وإن تاريخ الأمة العتيد ومستقبلها الجديد السعيد.. وموعودها المنتظر وختامها الأنعم المنتظر هو ما وردت فيه أحاديث بلغت حدَّ التواتر.. والتي أخذت حقها من الرواية والتحقيق... لكنها لم تأخذ حظها من الاستنباط والتنزيل على الواقع من غير تعسف ولا تكلف.

ومن حقنا هو أن نتداول بشارة رسول الله ﷺ بيننا... بل أنن لا أدري لزامًا علينا اليوم أن ننشر هذه البشرى ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.. وإلا لِمَ بشَّر بها رسول الله ﷺ... هل نكتمها؟! ألم يبشر بها الأولين حتى ظن البعض أنه عمر ابن عبد العزيز كما ورد في الحديث.. فكيف ونحن نرى العلامات الواضحات البينات وأننا أظلنا زمانه... ولربما يدرك هذا الكتاب قبل أنتهي من مراجعته هذه وهي تحمل المراجعة رقم (١٢) والله أعلم، ثم هل للأمة اليوم من حاجة لحفظ مثل حاجتها للتثبيت وقد قال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، ثم ما هو السبيل الذي يمكن للأمة أن تتخذه ولم تتخذه.. ألم يسقط في أيدي الجميع، حتى هذه الصولة العزوم فإنها سوف تؤتي ثمارها بإذن الله قطعًا ببعث المهدي الذي هو [أمر الله]، وهذا هو الموعد وإنهم أعلم الناس بهذا وهو ما صح في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ:** «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»(١).

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: «قالوا: يا رسول الله، وأين هم ... إلخ».

وأمر آخر عظيم وهو أن كل مؤمن يسمع ما يسمع عن المهدي وقربه سوف يشهد الله ﷻ فيما بينه وبين نفسه أو مع خاصته؛ أن يبايع له فإنه وإن مات فالأعمال بالنيات، ولأن بيعة المهدي بيعة الله، وكما ذكر عَنْ نَوْفٍ، قَالَ: «**رَايَةُ الْـمَهْدِيِّ فِيهَا مَكْتُوبٌ: الْبَيْعَةُ لِلهِ**»(١)، ولقد ثبت أن زيد بن نفيل كان يبحث عن نبي قد أظل زمانه وأوصاه راهب الشام أن يرجع بين قومه إلى مكة فرجع، لكنه قتله قطاع الطرق، وكان قد أوصى ولده سعيد وهو أح المبشرين بالجنة إلى النبي ﷺ وسأله عن أبيه وقد مات قبل الإسلام ولم يشهد الشهادتين، ومات ولم يرَ رسول الله ﷺ ولم يعرفه ﷺ.. وليس عنده ثم شيء لا بيعته له وشهادته له بالرسالة قبل الرسالة، فقال النبي ﷺ كما في الحديث عَنْ نُفَيْلِ بْنِ هِشَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَمَرَّ بِهِمَا زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَدَعَوَاهُ إِلَى سُفْرَةٍ لَهُمَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي لَا آكُلُ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ. قَالَ: فَمَا رُئِيَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَكَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَغَكَ، وَلَوْ أَدْرَكَكَ لَآمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ. قَالَ: «**نَعَمْ، فَأَسْتَغْفِرُ لَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**»(٢).

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ﵁ قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمْتُ، أَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَوْلَ زَيْدِ ابْنِ عَمْرٍو، وَأَقْرَأْتُهُ مِنْهُ السَّلَامَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ ذُيُولًا**»(٣).

---

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٣).

(٢) رواه أحمد (١٦٤٨)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) تخريج سير أعلام النبلاء (١/ ١٣١)، وضعفه الأرنؤوط.

ثانيًا: ولأنه بالمهدي عليه السلام تتحقق الهداية للأمة كافة:

فإن له من اسمه [المهدي] القسط الأتم الأكمل على مستوى البشر وإن الله إذا سمى اسمًا كان حقيقة المسمى ذلك كاملًا لصاحبه... كيف وهذا هو الوحيد الذي حمل هذا الاسم كما قال النبي ﷺ: [أبشركم بالمهدي].

وهداية الأمة ضرورة لهداية العالم بعد ذلك.. وإصلاح الأمة قاعدة إصلاح العالم من ورائه، وإصلاح الأمة سيكون بوقت قياسي أشبه بسرعة النور الذي يعم الوجود إذا أسفر الفجر جدًّا وابتدأت الشمس بالشروق وعلا ضحاها.. وما هذا إلا من الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، وأول مَن يملك العرب جميعًا تحت حكمه هو المهدي، وإن كان الأعاجم من أهل المشرق سيبقون العرب.. وعلى كل فإن كل هؤلاء سوف يتوبون إلى الله جميعًا ببعث المهدي وسيتوب الله عليهم جميعًا.. وما بعثه الله إلا رحمة وقد صح في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**»(١)، فليست قصة المهدي هي إدخال الناس من الأديان الأخرى والمبادئ والمذاهب الباطلة إلى الإسلام فحسب، إنما الهداية الأولى هي إعادة الناس إلى دين الفطرة والحنيفية السمحة.. بلا ترقيع ولا حيل ولا تتبع للمخارج والرخص.. إنما هو ما جاء به رسول الله ﷺ.

ثالثًا: ولأنه المهدي يبعثه الله في الفترة الأكبر دجلًا والأبعد عن الهداية..

كما قال النبي ﷺ: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ**

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٠) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٤٠٩٨)، وصححه الألباني.

سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صَحَاحًا»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صَحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ»(١)، وكل هذه تُحمل في الأساس على ما يصاب به الإيمان والمؤمنون والأمة وليس المقصود هو زلزال الأرض فحسب كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٩-١١]، ولم يذكر أحد أن المدينة أصابها في وقعة الخندق زلزالًا شديدًا ولا زلزالًا خفيفًا، رغم أنه سوف يسبق بعث المهدي كثرة زلازل وخسوف ونحو ذلك ولقد مرَّ معنا حديث علي ﷺ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: هَيْهَاتَ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: «ذَاكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللهَ اللهَ قُتِلَ»(٢)، وهذا يعني قتل مَن يأمر بالمعروف ويذكر الناس بالله.. كما سيأتي معنا بيان ذلك في الحديث.. إذًا فماذا يعني ذهاب الفتن والزلازل والخسف والمسخ بمجيء المهدي إلا أن أسبابها قد ذهبت والهداية على مستوى الأمم قد تحققت.

فضلال هذه الفترة ضلال دجل وتدجيل وما كان الله ﷻ ليسميه المهدي لولا أن حاجة العالم إلى الهداية هي الحاجة، ولولا أنه عالم قد ضل الطريق، ولولا أن الأمة المحمدية تبعت المغضوب عليهم والضالين.. فكاد يصيبهم من غضب الله وعقابه ما استحقه المغضوب عليهم والضالين.. ولكن هنا تأتيهم

---

(١) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم (٨٦٥٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي.

رحمة الله ببعث المهدي عليه السلام فيهم فتكون الهداية الشاملة الجامعة لأمة الإسلام... إن خاصية هذه الفترة إنما هو الدجل في الدين وفي الحياة، وهو إلباس الحق بالباطل حتى يشتبه على الإنسان الحلال بالحرام والحق بالباطل والباطل بالحق والنفاق بالإيمان والإيمان بالنفاق، والإلحاد بالتوحيد والتوحيد بالإلحاد.. وحدِّث ولا حرج.. فلا شيء يحتاجه الناس في هذه الظلمات التي يصبح فيها المؤمن كافرًا أو يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا تتلاعب بهم الأهواء مثل الريشة في مهب الريح.. مثل حاجتهم الهداية إلى الصراط المستقيم.. وهذا ما لأجله بعث الله عز وجل المهدي عليه السلام كيف وهذه وهي فترة خروج الدجال وإذا ما ظهر تبين أنه لا دجل يُذكر بجوار دجله، ومن ثم كان بعث المهدي هنا ضرورة لا مثيل لها.

رابعًا: ولأنه المهدي عليه السلام: فإن هداية الخلق من الكفر إلى الإيمان متحققة على أوسع مستوى:

وهذا هو ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث واضحة.. واسمه يدل على غايته، ويدل على تحققها على تفردٍ لم يحدث على مستوى الأرض كلها وعلى مستوى الأمم جميعًا.. بل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الهدى على مستوى البيوت وليس البلاد فحسب ففي الحديث: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(١)، لكن الاستثناء هنا بقوله: «**وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**» إنما هو فيمن لم يهتد وهؤلاء يتبعون النظام العام الذي يقيمه المهدي عليه السلام في الأرض كلها وما هو إلا

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

منهج القرآن العظيم ورسول الله ﷺ لا يخالفه أبدًا فلو أن رسول الله ﷺ كان في وقته لما حكم إلا بهذا.. وهذا الطريق به تصلح الأرض ويعم العدل فمن أراد العز فهو في الهداية.. ومن أبى إلا العناد فهو وشأنه الشخصي إلا أنه لن يُترك فيعيد الظلم ويستعبد البشر، إنما هو حكم الله بعز عزيزًا أو بذل ذليل وحكم الله لا يكون إلا رحمة بخلق الله. فحكم الله عمَّ الأرض كلها دون استثناء لأن المهدي [خليفة الله] وهذا حكم، وأما الهداية فتكاد تطبق على الأرض كلها وهذا لأنه المهدي، وهذا ما جاء تفصيله في حديث الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا**»(١)، وهؤلاء المعاندين سيرون بأعينهم عز الإسلام وخيره، ويرون عدله ورحمته وهدايته فلا يبقى منهم أحد إلا دخل الإسلام حتى لا يكاد يوجد منهم بعد ذلك أحد في الأرض إلا من غلبت عليه شقوته.

خامسًا: ولأنه المهدي فإنه يُعجِز عصر السرعة بسرعة تغيير الواقع عن ملاحقته:

وجريان الأحداث بالسرعة التي لا يبلغها أي تصور في عالم السرعة الحديث هذا وذاك لسبب واحد هو أنه [المهدي]؛ فهو المهدي الذي تكفل الله بهدايته في كل شيء دون استثناء مطلقًا.. وهنا الهداية في بلوغ الغايات بأقصر وقت وأسرع طريق وأقل تكاليف فالإعداد سريع والنصر سريع، والهداية سريعة لدرجة كأنه غير معني إلا بالنتائج، وهو يتناول الغايات مباشرة.. ورغم أنه يأخذ بالأسباب أحسن الأخذ لكن أخذة المهدي إلى أسرارها وغاياتها

(١) رواه أحمد (٢٣٨١٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وراياتها لذا كان تساقط الممالك بين يديه بالجملة.. ونصر الله والفتح بالجملة... ودخول الشعوب في دين الله أفواجًا بوقت لا يبلغ سبع سنين.. نعم كل هذا العالم وهذه الأرض بكل مَن عليها.

فالله يهديه في طُرُق القلوب كما يهديه في طُرُق المواجهة والحروب، والله يهديه ويهدي له كل شيء، ويهديه سبحانه إلى التدرج الذي هو الحق فتأمل البداية: فَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْـمَهْدِيِّ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هَيْهَاتَ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: «**ذَاكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللهَ اللهَ قُتِلَ، فَيَجْمَعُ اللهُ تَعَالَى لَهُ قَوْمًا قُزُعًا كَقَزَعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ، يَدْخُلُ فِيهِمْ عَلَى عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، وَعَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ**»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ**»[(٢)].

هكذا يسوق الله له أصحابه الأول كما يسوق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قزع السحاب.. وهم من هذه الأمة وليسوا بملائكة.

وفي الحديث عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْـمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٦٥٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٨٧٧٥)، والترمذي (٢٢٦٩)، وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الأوسط (٣٥٣٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًّا.

أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ**». قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ[(١)].

إذًا فهذا الحديث واضح في تسارع الأحداث وليس هو للغزوات التي حصلت في عهد رسول الله ﷺ بدليل أن جزيرة العرب كانت مفتوحة.. فكيف يغزونها؟! وهي أحداث متتابعة متسارعة حتى أن المهدي لا يحتاج أن يذهب إلى فارس ويفتحها، بل فتحها من داخلها من أهلها. ولا تُكَلِّفُ تضحيات كثيرة فبمجرد ظهوره يحدث طوفان هناك لم يشهد له العالم قوة ولا حجمًا فلا يقف أمامه شيء فتتحول كلها إلى المهدي وجندها إلى جند المهدي، وجيشها إلى جيش المهدي ويكونون أشد ما يكونون نصرة وأسرعها، وأكثر تماسكًا لما فرطوا في حق آل البيت من قبل وعلى الأخص بالافتراء والابتزاز والاستباحات.

وإذا كان هذا هو وضع فارس وهي القوة العظمى في هذه البقعة.. فإن غيرها أسرع منها وبلا تكاليف لا دماء تذكر لأنه إنما جاء رحمة... ولم يثبت أن المهدي يقتلع كل أحد من حكمه، بل هو نظام الخلافة فمن شاء بقي واتبع النظام وإلا ترك وعفا الله عما سلف، فهي خلافة الله الأولى والأخيرة، وهذا هو خليفة الله.

ومع هذا فإنه لأمر عظيم يبهر العالم.. بحيث لا يكاد أحد يصدق ما يحدث، بل ما من أحد يمكن أن يضمن شيء، فمن مفاجأة اليوم حتى تكون

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٠).

مفاجأة الغد مثلها أو أكبر منها... وكل حدث يحمل رسالة من عند الله أن هذا الأمر أمر الله، وأن هذا هو [خليفة الله]، وأنه رحمة الله، والله لا بد أن يرحم عباده كافة إلا حثالة يأبون ذلك، ولهذا فرغم أن الأمور بأسبابها المعدة أو نتائجها المنطقية إلا أنها لا يمكن فصلها عن تجلي الله ومعية الله بل وأسماء الله الحسنى وآثارها على كل شيء لكل أمور المهدي... أليس هو [خليفة الله]؟!

فأنى لجيش يأتي من المشرق لا غطاء جوي، ولا آليات عسكرية عاتية، ولا عدة كما ينبغي، ولا هي أعداد تكافئ أعداد العدو، ثم هم يواجهونهم والنتيجة كما قال النبي ﷺ: «**فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ**»[١]، وقد روى مسلم أيضًا عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**»[٢]، فأي بلاء حسن عظيم فعلوه في المعركة في صحراء جزيرة العرب، وهم أنفسهم ينطلقون مباشرة إلى الأرض المقدسة.. فأي بأس أشد وبأس هؤلاء القادمون من المشرق.. ولئن قال: رأس العدو الحيوانات البشرية المتوحشة! فإن هؤلاء القادمون شيء آخر فلا توقف عندهم أبدًا حتى ينصبوا راياتهم في إيلياء وهي القدس، وما من رسالة سوف تصل إلى العالم كله أبلغ وأعظم وأصدق من رسائلهم العظيمة صوتًا وصورة حية لا تمثيل ولا رعب أفلام، بل هو الحق الذي مَن رآه فإنه لا يكاد ينام.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٣).

وما رأيت هنا حديثًا يكاد يكون صريحًا في توقيت ظهور المهدي وبيانه من هذا الحديث الصحيح العظيم؛ فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِئَةُ سَنَةٍ**» قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْـمُجْلِبَةِ عَلَى النَّاسِ»(١).

سبحان الله كيف أكَّد النبي ﷺ مرتين أو ثلاثًا على تحديد المدة، فالمدة مقصودة.. وتحديد المدة مقصود.. هذا أمر، والأمر الثاني: فإن الرجل سأل عن الأمارة فكانت هي الأمارة التي تسبق ظهور المهدي.. فهنا قال: «**نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْـمُجْلِبَةِ عَلَى النَّاسِ**».. وعن بعث المهدي قال النبي ﷺ: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْـمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ**»، وسؤال الرجل عن مرحلة ستمر بها الأمة وهي مرحلة الرخاء.. أي مرحلة الارتخاء بالنسبة لما كان عليها الحال، وذلك من ذهاب الجد والجهاد، والتفرغ للدنيا، وانتشار أخلاق الرخاوة والتشبه بالمغضوب عليهم والضالين، وكان ذروة الارتخاء بأمرين: الأول: ذهاب القرآن كمنهج لحياة المسلمين، والثاني: ذهاب الحزام الواحد للأمة فانتشرت دولًا هنا وهناك.. وقد تم على هذا الارتخاء الذي نحن ما زلنا فيه منذ مائة عام تقريبًا؛ أي منذ ٢٩/ ١/ ١٩٢٤م يوم اختيار ما يُسمى بمجلس الأمة التركي لكمال الدين أتاتورك.

(١) رواه أحمد (٢٢٧٧٠)، والحاكم في المستدرك (٨٥٣٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

سادسًا: **لأنه المهدي ﵇: تتحقق على يديه إعادة توحيد العرب بصورة كاملة شاملة جامعة مانعة** وذلك بالبيعة الأولى والثانية والثالثة: كيف لا وهو المهدي ﵇ وهو الإمام المسلم العربي القرشي الهاشمي جده سيد الأولين والآخرين وسيده رسول الله – صلى الله علي وآله وسلم – أن يهدي العالمين إذا لم يهتد على يديه العرب بإذن الله.. وهداية العرب إنما تعني توبتهم مما هم فيه من معاص.. إذًا فأول خطوات الهداية للعالمين إنما تبتدأ بتوبة العرب قبل غيرهم وهذا ما ثبت عن النبي ﷺ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**»[(١)].

فهو «**يَمْلِكَ الْعَرَبَ**» لكنه ليس بملك يمين إنما كما هو ثابت [خليفة الله] إذا فقوله ﷺ يقتضي أن معنى يملك العرب ليس يحكم العرب فحسب ولو أراد هذا لقال يحكم العرب إنما المراد أمرٌ أكبر من هذا بكثير – والله أعلم –: الأول: يملك العرب بمعنى أنه يطيعونه طاعة عظيمة ويسلمون له تسليمًا كاملًا تسليم من لا يملك من أمره شيء أو تسليم المملوك لسيده، والثاني وهو متمم لهذا وهو أن معنى «يَمْلِكَ الْعَرَبَ» إنما تعني يملك قلوب العرب فهم يفدونه بأرواحهم فهو مصدر اعتزازهم وفخرهم وإلهامهم وهو معيد حياتهم الجديدة لأعظم سعادة بإذن الله الذي هداه وتولاه بعد أن ذاقوا عقودًا طويلة من المهانة والذلة والضياع فكان التعبير الأجمع والأمنع والأعظم هو أنه «**يَمْلِكَ الْعَرَبَ**» ملك محبة وقلوب فهو ما يناسب المرحلة التي ظهر فيها وهي الحكم الجبري القهري كما ورد في الحديث، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵁ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا فِي

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٠) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٤٠٩٨)، وصححه الألباني.

الْـمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ، أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**»، ثُمَّ سَكَتَ(١)، فتكون ردة فعلهم عظيمة كما تكون توبتهم عظيمة بالتالي في بيعتهم عظيمة، وإحساسهم بالمسئولية عظيم وخصوصًا وأنهم قد سَبِقوا من المسلمين الآخرين إلى بيعة المهدي ونصرته في الصولات الأولى حتى الخسف بالجيش الشامي.

سابعًا: لأنه المهدي عليه السلام أموره كلها تتحقق بسرعة فائقة:

تدل النصوص الواردة بمجموعها كما ستراها: على أنه بمجرد إصلاح المهدي عليه السلام في تلك الليلة تكون الليلة فارقًا ما بين زمان وبين زمان كالبرزخ الذي قال الله فيه: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١٩-٢١].

ولأنه المهدي عليه السلام فإنه ينتشر خبره في الأرض سريعًا في لمح البصر فهو من تكفل الله بتعريف الناس لأنه آية من آيات الله قبل قيام الساعة، فكيف وهو أنفع الآيات لخلق الله وذلك لقوله سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

فتأمل: ما هو أثر آية الدابة على هداية الخلق ونفعهم، وكذا آية الدخان أو طلوع الشمس من مغربها.. نعم لكل آية حكمتها.. لكن أول تلك الآيات وأعظمها نفعًا ورحمة وهداية إنما هي بعث المهدي فلا تسأل كيف سيعرف الله الخلق جميعًا به بسرعة لا يتصورها أحد.. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١]... وهل يجوز أن يجهل أحد [خليفة الله] في الأرض كلها وهو إنما جاء للأرض كلها، وهو من يأتي لها حين يأتي على أنه خليفة الله وهو مَن يُخَلِّصها كلها من كل ذرة ظلم.. إذًا فالله سبحانه هو مَن تولى إصلاحه في ليلة، والله ﷻ لم يجعل أمره متدرِّجًا ومتمرحلا.. وهو من جنس عصره فهو عصر السرعة إلا أنه يعجز عصره فيما برعوا به وهو العلم، ولذا يُسمى بعصر الثورة العلمية.. وهل من شيء أسرع من الخبر صوتًا وصورة وحركة... وهنا سَيَعْلَم الناسُ أن الله سبحانه هو علم الناس هذه الوسائل العجيبة في الاتصال.. حتى إذا ما تمكن منها أظهر الله المهدي من خلالها فكانت هدايتهم هي الغاية.. فسبحان من قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بما شاء في الكيف والوقت والمكان وهل مَن أصلحه الله في ليلة واحدة للخلافة ينتظر شيئًا إلا أن يباشر مهامه من كرسي سلطانه الذي بوَّأه الله إياه، ومن مقامه الذي رفعه الله إليه واسمه الذي حلاه الله به وهو [المهدي].. ومن يستطيع أن يحول أو يوقف أو يعطل [خليفة الله] المهدي وغايته..

وهكذا فإنه لما كانت مهمة الأنبياء عليهم السلام وهم سادة الخلق وأعظمهم هي البلاغ مكنهم الله من البلاغ وأمرهم بمباشرة البلاغ والتبشير والإنذار من وقت بلاغهم على وقت الفور، وهذا هو الواجب، كما قال الله سبحانه: ﴿ مَّا عَلَى

ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١،٢].

فمن اللحظة التي أبلغه الله بها أنه المهدي فعليه أن يبلغها الناس كما أمر فهذه سنة الله مع أكرم خلقه عليه وهم الأنبياء عليهم السلام فكما أن النبي ﷺ بشير ونذير ومبلغ من اللحظة التي أبلغه الله بها.. ولذا فإن البلاغ يخضع لوسائل كل عصر وهو على الفور فيجب عليهم حسب ما عندهم من وسائل فكان البداية بالأقربين ثم أماكن تجمعهم، وفي أسواقهم ونواديهم... أما الآن فكل ذلك في لحظة ولجميع الدنيا ولو لم يكن المهدي من تلك اللحظة كذلك لكان هذا الاسم والعياذ بالله اسمًا لا حقيقة له، وادعاءً لا تصديق له... وما الذي يؤخر المهدي ومن الذي يملك تأخيره والله هو سبحانه هو من بعثه في ليلة كما في الحديث: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ**»(١)، نعم ليس هو نبي ولا رسول بل هو ابن وتابع لسيد الأولين والآخرين إلا أنه مبعوث لإقامة ما جاء به سيد المرسلين ﷺ على مستوى الأرض كلها في الوقت الفريد الذي تمتلئ الأرض فيه بالناس ولكنها تمتلئ ظلمًا وجورًا.. إذًا فهو مبعوث لهذا العصر بكل ما أنزل الله في العصر الأول ولذا بيَّن النبي ﷺ أن خلافته على [منهاج النبوة] ولهذا حكمه وطريقه وغايته هو تحقيق ما أراد رسول الله ﷺ تحقيقه على مستوى الأرض كلها بما جاء به رسول الله ﷺ فإن الله تبارك وتعالى هو من يرعاه ويتولاه... فالله سبحانه هو من قال سبحانه على لسان رسوله ﷺ عن المهدي أنه [خليفة الله] فهو خليفة الله من أول لحظة كما أنه المهدي من أول اللحظة..

(١) رواه أحمد (٦٤٥)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، وحسنه الألباني.

ثم إنه لا ينشيء أمة فالأمة موجودة ولا ينقص إلا الخليفة، والمنهج موجود ومحفوظ ولا يبقى إلا إقامته وهو كلام الله ﷻ وهدي رسوله ﷺ، والكعبة قائمة والحمد لله.. ولا يبقى إلا توجه الأمة نحوهم وهذا ما لا يملكه إلا الله والله متكفل به من أول لحظة وهو أنه انطلاق المهدي في مهمته فالنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»[1]، ويقول النبي ﷺ في هذا الشأن قولًا فريدًا وهو: «يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ».. فبما أن الله بعثه كما نص في الحديث فإن المهدي يعلن للناس ذلك لأنه مكلف بذلك لا يواري ولا يداري؛ مثلما وقف النبي ﷺ على جبل أبي قبيس... فعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْحَكَمِ قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَضَاقَ بِهِ ذَرْعًا، فَمَكَثَ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، حَتَّى ظَنَّ عَمَّاتُهُ أَنَّهُ شَاكٍ، فَدَخَلْنَ عَلَيْهِ عَائِدَاتٍ، فَقَالَ: «**مَا اشْتَكَيْتُ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، فَأَرَدْتُ جَمْعَ بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ لِأَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ**». قُلْنَ: فَادْعُهُمْ، وَلَا تَجْعَلْ عَبْدَ الْعُزَّى فِيهِمْ - يَعْنِينَ أَبَا لَهَبٍ - فَإِنَّهُ غَيْرُ مُجِيبِكَ إِلَى مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَخَرَجْنَ مِنْ عِنْدِهِ، وَهُنَّ يَقُلْنَ: إِنَّمَا نَحْنُ نِسَاءٌ. فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، فَحَضَرُوا وَمَعَهُمْ عِدَّةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَجَمِيعُهُمْ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا. وَسَارَعَ إِلَيْهِ أَبُو لَهَبٍ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِعَ عَمَّا يَكْرَهُونَ إِلَى مَا يُحِبُّونَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: «هَؤُلَاءِ عُمُومَتُكَ وَبَنُو عمك، فتكلم لما تُرِيدُ، وَدَعِ الصَّلَاةَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَتْ لِقَوْمِكَ بِالْعَرَبِ

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

قَاطِبَةً طَاقَةٌ، وَأَنَّ أَحَقَّ مَنْ أَخَذَكَ فَحَبَسَكَ أُسْرَتُكَ وَبَنُو أَبِيكَ إِنْ أَقَمْتَ عَلَى أَمْرِكَ، فَهُوَ أَيْسَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَثِبَ بِكَ بُطُونُ قُرَيْشٍ وَتَمُدُّهَا الْعَرَبُ فَمَا رَأَيْتَ، يَا ابْنَ أَخِي، أَحَدًا قَطُّ جَاءَ بَنِي أَبِيهِ بِشَرٍّ مِمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ». وَأَسْكَتَ رَسُولُ ﷺ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ الْـمَجْلِسِ، وَمَكَثَ أَيَّامًا، وَكَبُرَ عَلَيْهِ كَلامُ أَبِي لَهَبٍ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَأَمَرَهُ بِإِمْضَاءِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، وَشَجَّعَهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَانِيَةً، فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلهِ أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا، مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ، مَا غررتكم وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَاللهِ، لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بالإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لَلْجَنَّةُ أَبَدًا، وَالنَّارُ أَبَدًا، وَأَنْتُمْ لأَوَّلُ مَنْ أُنْذِرُ**»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «**مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مُعَاوَنَتَكَ وَمُرَافَدَتَكَ، وَأَقْبَلَنَا**(١) **لِنَصِيحَتِكَ، وَأَشَدَّ تَصْدِيقَنَا لِحَدِيثِكَ، وَهَؤُلاءِ بَنُو أَبِيكَ مُجْتَمِعُونَ، وَإِنَّمَا أَنَا أَحَدُهُمْ، غَيْرَ أَنِّي وَاللهِ أَسْرَعُهُمْ إِلَى مَا تُحِبُّ، فَامْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ، فَوَاللهِ، لَا أَزَالُ أَحُوطُكَ وَأَمْنَعُكَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ نَفْسِي تُطَوِّعُ لِي فِرَاقَ دِينِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ حَتَّى أَمُوتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»، وَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ كَلامًا لَيِّنًا، غَيْرَ أَبِي لَهَبٍ فَإِنَّهُ قَالَ: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، هَذِهِ وَاللهِ السَّوْءَةُ، خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى يَدِهِ غَيْرُكُمْ، فَإِنْ أَسْلَمْتُوهُ حِينَئِذٍ، ذُلِلْتُمْ، وَإِنْ مَنَعْتُمُوهُ قُتِلْتُمْ**»، فَقَالَ أَبُو طالب: «**وَاللهِ، لَنَمْنَعُهُ مَا بَقِينَا**»(٢).

والله ما بعثه إلا هو متكفل تمامًا بحفظه.. كما أنه سبحانه يجعل له القبول

---

(١) بصيغة أفعل التفضيل.

(٢) أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ١١٨) رقم(٢٣٥).

من فوره في القلوب جميعًا فيشع نوره وأمره.. ويهب لنصرته الخلق سريعًا بطريقة لا تسمح لأحد أن يتخذ قرارًا بإيقافهم أو السيطرة عليهم.

ثم إنه [خليفة الله] وهل يستطيع أحد أن يقتل [خليفة الله] قبل أن يحقق المهدي غايته كاملة كما أراد الله وكما أمر رسول الله ﷺ.. ولأن لم يستطع أحد أن يبلغ قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه لأنه سيف الله وسيف الله لا يثلم ولا يكسر... فشأن خليفة الله كذلك.

وهكذا كونه [المهدي] فإن أساس هذا تبليغ الإسلام بل الهداية إلى الإسلام كما مرَّ معنا فلا بد أن يَبْلُغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار، وقتل المهدي أو اغتياله أو هزيمته معناه إطفاء [نور الله] ومعناه تغيير [كلمة الله] التي أخبر بها وأخبر بها رسول الله ﷺ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

ثامنًا: لأنه المهدي عليه السلام: يحوِّل الأمة إلى هادية بهديه بإذن الله.. ويحوِّل المغتربين من المسلمين إلى هداة مهديين بإذن الله...

أو ليس هو القدوة الحاضرة أمام العالمين.. أليس المسمون المفتونون هم الصفوف الأولى في عمق العدو، وهم أول صفوف المواجهة، أليس الواجب علينا إمدادهم بالعدة.. وهل عدتهم إلا الهداية، ألا يرى المسلمون كيف أن النصارى الذين بينهم وكذا الهندوس ونحوهم يدخلون في الإسلام أفواجًا.. ألا يكون أعظم ميدان للسباق إلى الله هو هداية خلق الله.

فالدعوة في هذه المرحلة لن تكون مقتصرة على علماء الشريعة، أو طلاب العلم، أو الخطباء، أو الجماعات الإسلامية ونحوها بل هي الأمة الداعية إلى

الله بأكملها صغارها وكبارها.. وكل أحد قد حفظ واستوعب من آيات الله الهادية من حجج المهدي ﷺ ما يسر الله له.. وكل واحد عرف طريق الدعوة فسلكه وأبدع في طرقه وفَتْحِ أبوابه - بإذن الله - فالهداية والدعوة إليها أمر في غاية الجد والاجتهاد... وإني لأحسب أن الله قد ادَّخر المغتربين لأعظم أيامهم حيث سيكونون منارة نور في أي البلاد يكونون ويقومون بدور الفاتحين.. حيث سيكونون أعظم المقصودين في الإعلام العالمي.. وهل للإعلام العالمي من حديث إلا المهدي وما صنعه في هذا العالم وقتها.

والجميع يتغذى من المهدي - ما يهتدي به ويهتدي به الخلْق بفضل الله إلى الله كل يوم بالليل والنهار - نفسه أعمالًا هادية وقرارات كريمة، وكلمات نورانية وحجج بالغة عليَّة.

تاسعًا: لأنه المهدي ﷺ يبلغ الله هداه في كل لحظة العالم:

حتى هذه اللحظة لم يستوعب الناس من غايات فتح الله ﷻ للناس من وسائل التواصل الاجتماعي وعلى الأخص ما يتعلق بالهواتف المحمولة ونحوها.. لكنهم إذا ما رأوا ما ستكون هذه الوسائل حيث تصبح أنهار هداية تتدفق على الأمم، وكل هاتف ونحوه جدول هداية يشتبك مع الجداول الأخرى يسقي الهاتف قلب صاحبه ومنه إلى قلوب آخرين وهكذا وهكذا حيث لا يمكن مراقبتها ولا الحدُّ من تدفقها، وخصوصًا وأن المهدي قد قضى على أرض الواقع على الإضلال وقطع رأس الإفساد الإعلامي الذي هو أخطر مصانع مكر أهل النار، وأهل النار يقولون: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]، ويقول سبحانه عنهم:

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٩]، فإذا انتهى ذلك لم يبق بين الناس وبين الحق من حائل أو مشوِّش فيسلك الناس سبيل الحق.

ولقد عَوَّدَ الهاتف المحمول صاحبه متابعة كل خبر جديد صباح كل يوم ومساء كل يوم وكل ساعة.. وبهذا عظموا كل شيء وتهيئوا لكل شيء.. فهل من خبر سيصل إلى كل هاتف أكبر من أخبار المهدي وجديده.. وذلك على مستوى العالم.. أي على مستوى كل هاتف وإيميل ومواقع تواصل ونحوها بكل لغاتها.

عاشرًا: لأنه المهدي فالجميع يحبه:

وما دام الجميع يحبه فالجميع يفتح له قلبه؛ لقوله وفعله وقراراته.. هذا فوق أنه يصدقه وشاهد هذا هو قول النبي ﷺ كما في الحديث: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْـمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْـمَالَ صِحَاحًا**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ»، قَالَ: «**وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ غِنًى، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي، فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ**». وقد مرَّ معنا الحديث والحمد لله رب العالمين.

ثم إن مطلعه هو مطلع الخير كله على الأمة وعلى الناس؛ فالناس به متفائلون دائمًا ولكل حدث وكل قادم ومستقبل، ويعلمون أنه لن يأت منه إلا الخير وكل يوم تزداد بشائره ويظهر الله للناس من فضله عليه وكراماته ما يراه الناس في شئون حياتهم العامة والخاصة، كما يستبشرون بالغيث من بعد ما قنطوا... فهم بكل ما يأتي من المهدي فهو بشرى رسول الله ﷺ الذي قال أول الحديث: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْـمَهْدِيِّ**».

حادي عشر: ولأنه المهدي عليه السلام: فإنه يزيل الاختلافات في الأمة بين الناس كافة:

ويحقق العدل المطلق في الأرض كلها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بشراه: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا**».

نعم هو يبعث على شدة اختلاف في الأمة وفي الناس كذلك.. فيزيل كل الاختلافات ويعيد للناس ألفتهم على الفطرة كما صح في الحديث.

ألا يكون هداه مقبولًا ومحببًا للنفوس... فكيف وهو الذي وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم كرمًا له لم يصفه أحدًا سواه مطلقًا فقال عنه كما في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عن المهدي: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا**»(١). فإذا ذهب الاقتتال على المال فقد ذهب أكبر أسباب الصراعات.. وبقية الأسباب تأتي بالعدل الذي يقيمه وميزان القسطاس المستقيم الذي يحكم به.. فإذا كل واحدٍ وكل بلد وكل صاحب حقه فماذا يريد من ذلك.. فإن من لم تنفع معه الرحمة نفع معه العدل.

فأي سبب محبة لم يتوفر في المهدي عليه السلام عند أهل الأرض كافة.. فهو ليس موضع اختلاف بل هو يقضي على الاختلافات والنزاعات والفتن كما مرَّ معنا في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ غِنًى، فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٩١٣).

(٢) رواه أحمد (١١٤٨٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٢٨٥)، والترمذي (٢٢٣٢)، وابن ماجه (٤٠٨٣) مختصرًا، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حال العلاء بن بشير المزني، فقد انفرد بالرواية عنه المُعَلَّى بن زياد المَعْوَلي -وهو القُرْدُوسي، ومَعْوَلة بَطْن من الأزد-، ولم يُؤثر توثيقه إلا عن ابن حبان، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

ثاني عشر: لأنه المهدي:

فإن هداه لا رِدَّة بعده أبدًا بإذن الله، فلا ولن يحدث أن ترتد البلاد التي آمنت أبدًا فذلك أن بعد المهدي عليه السلام سيحكم عيسى عليه السلام أربعين سنة وقد ذكرنا أنها امتداد لعصر المهدي.. وفي عهد عيسى عليه السلام تنتهي قصة الصراع على الأرض.

ومن الأدلة على أن البلاد التي آمنت في عهده لن ترتد عن الإسلام أن عيسى عليه السلام يعقب المهدي عليه السلام وهذا وحده كاف في هذا الأمر، وأمر آخر هو أن حديث النبي ﷺ في أنواع الملك من بعده وختمها بقوله: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»، ثُمَّ سَكَتَ؛ فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ، أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»**، ثُمَّ سَكَتَ(١).

وهي المشهد الأخير لصولة الإسلام على ساحة الأرض فما عاد الصراع إلا طرفًا واحدًا وهو الحق وبعدها يبعث الله الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين من تحت آباطهم.. وهكذا يعلن عن انتهاء الصراع الطويل بخسارة إبليس خسارة نهائية مطلقة؛ فماذا بعدما تركت الأرض خرابًا وقد قبضت أرواح

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

المؤمنين، إلى أن يرفع منها القرآن العظيم، وتهدم الكعبة قبل النفخ في الصور.. وأصبح حال الأرض حال من أراد هدم بيته القديم المؤقت.. فرفع أغلى شيء عنده وترك الباقي أنقاضًا خرابًا لتعيث في جنباتها الجرذان والحشرات والآفات وما إلى ذلك.

فإن الدنيا تقفل أبوابها على هداية الخلق: وعليه فإن من اهتدى في عهده من البلاد والشعوب فإنها لا تعود إلى الكفر ولا ترتد.. وإن بعد المهدي عليه السلام عيسى بن مريم عليه السلام وهو يحكم أربعين سنة.. تبلغ فيها البشرية ذروتها في الرشد، وفي الخير، وفي النعم وفي الشكر، وفي حسن الخلق والذروة في الأمان والسلام كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن فترة عيسى عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْـمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْـمُسْلِمُونَ**»(١).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْـمَهْرِيُّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي**

---

(١) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٩٧)، والحاكم (٤٢٠٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(١).

إن بعث هذه الريح الطيبة وذهاب السكرات وشدائدها بل فيها من التلذذ ما يشتمه من ريح المسك أعظم مبشر لهؤلاء المؤمنين بالانتقال الفوري إلى النعيم الأبدي، وهذه ريح عظيمة وتدل على كثرة المؤمنين في الأرض الذين هم ثلة قليلة تقوم عليهم الساعة كما سماهم النبي ﷺ حثالة وشرار الخلق.. وهو يعني النصر النهائي القاضي على الباطل بخسارته وخسارة إبليس خسارة مطلقة وخيبته خيبة نهائية من تحقق وعده الذي وعد وقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، بل ذكر النبي ﷺ ذلك في حديث النواس بن سمعان في آخر عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فقال: «**فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(٢)، والحمد لله رب العالمين.

ثالث عشر: ولأنه المهدي:

فهو لا يفارقه الهدى أبدًا...

وثم استغراب يثير البعض.. أو إعراض واعتراض على المهدي فيقولون: وهل هو نبي حتى تكون له العصمة..؟!

أقول: لا حاجة لدليل مستقل يقول أن المهدي معصوم، أو ليس بمعصوم

(١) رواه مسلم (١٩٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

فإنه يكفيه أن يسميه الله ﷻ ورسول الله ﷺ المهدي ويكفيه أن يجعله حقيقة المهدي ويكفيه أن يصلحه الله في ليلة ليصبح بعدها هذا الإصلاح غير قابل للخطأ أبدًا، ويكفيه أن يقول رسول الله ﷺ عن ابتداء أمره يبعثه الله فقال: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي**» - أَوْ «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»(١)، وورد «**لَبَعَثَ**»، وهكذا جاء من رواية علي رضي الله عنه(٢)، ويكفيه أن يصلي بعيسى عليه السلام وعيسى هو المعصوم، ودرجة عيسى لم تنزل إذا نزل في أمة محمد عن درجته يوم كان في بني إسرائيل يكفيه أنه إذا أطلق اسم المهدي لم ينصرف لشخص إلا المهدي المنتظر فهل للمهدي الحظ الكامل من اسمه أم لا؟ ألا يعطيه كل ما في اسمه من معان ويجعلها حقيقة فيه أم لا... فمن أين يأتيه الخطأ إذا كان قد يُهدى إلى الحق في كل شيء... هُدي في كل حكم.. هدي إلى كل عدل وتجنب الظلم فلم تصبه منه ذرة.. وهدي إلى كل قرار، وهدي إلى النصر في كل معركة، وإذا كان يُهدى في كل شيء فما حاجته إلى الاجتهاد... وكل الذين في الأمة مهما كانوا فرقاء متفرقون على فرق ومذاهب وأحزاب في الدين أو في الحياة، واجتمعوا في عهده الواحدة والسبعون فرقة لليهود، والثنتان والسبعون فرقة للنصارى، والثلاث والسبعون فرقة للمسلمين.. وما أدراك ما فرق المسلمين.. ومَن يقوي حكمهم دون ميل لأحدٍ.. ومن ذا الذي يسلم من الميل.. ولذا كان هو [المهدي] ولم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

يكن سواه.. وقد نص في الحديث لأنه بمجيئه ينتهي الاختلاف بشكل شامل ومطلق.. إنما الاختلاف قبله كما قال ﷺ في الحديث الذي مرَّ معنا: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: «**بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ**»[(١)]، فيومها ينقطع كل خلاف بين المسلمين بل بين الناس، ولا تصبح الحاجة إلا إلى الإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ دون إضافات الفرق المختلفة كلها، ودون أسمائها وشعاراتها.. فلا فِرَق ولا فُرقة، ولا شعارات، ولا شارات التفريق، إنما هو الإسلام قد ألقى بثقله وقوته فلا مزحزح له؛ كما قال النبي ﷺ: «**يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ،........ فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيُعْمِلُ فِي النَّاسِ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ، يَمْكُثُ تِسْعَ سِنِينَ**»[(٢)].

يكفيه أن رسول الله ﷺ سماه [المهدي خليفة الله]... إذًا ليس الخطأ هنا وهو بهذا الاسم والمسمى لو أنه وقع فيه ليس محسوبًا عليه كشخص إنما هو محسوب على الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

إن الخطأ في هذه المرحلة لا يمكن تصويبه، وهذا يناقض الحق وقاعدة الحق، والختام بالحق.

ويعلم الله ﷻ ما سيفتحه الله وما فتحه من علوم وعلى الأخص في الاتصالات ووسائل التواصل الحاضرة في كل لحظة وبيد كل واحد.. ويعلم الله الحرب

(١) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٨٩)، وأبو داود (٤٢٨٦)، وابن حبان (٤٩٤٨)، والطبراني في الأوسط (١١٥٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٥) رقم (١٢٣٩٩): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

الإعلامية وما ستصنع لو أنه ترك المهدي لاجتهاده لحظة واحدة... إن الله سبحانه يرسل هذا الرجل ليغير هذا العالم في ظرف سبع سنوات فالخطأ الواحد ربما أخَّر سنين وربما هدم الدعوة كلها، وهذه ليست دعوة فردية أو اجتهادية أو حزبية أو تخريبية إنه هدى الله ﷻ قد جاء، وإنه الهداية متمثلة في رجل بين الناس، ثم إنه إذا ما أخطأ أي خليفة أو عالم فسيعقِّب عليه الناس المتخصصون.. فمن سيعقب على المهدي... ومن سيصحح خطأه وهو في آخر الدنيا.

ثم إنه المهدي؛ فدعوته إذًا موجهة في الأصل لهداية غير المهتدين وإن كانت هي لأمة محمد ﷺ أولًا! لذا فمن سيصحح خطأ المهدي عند هؤلاء الضالين المتربصين لو أنه أخطأ.. ولذا يخطئ وهذا الخطأ الواحد قابل للتكرار والتنوع وقابل للزيادة والنقصان.. ولماذا يخطأ والله قادر على أن لا يجعله يخطأ.. كيف وقد سماه المهدي.. وكفى؛ إن الله لن يدع العالم يصطاد عليه خطأ، أو يتجاوز في خطأه بل يتجاوز في هداه.

وكم سيكلف الخطأ الواحد الأمة إذ المراقبة أخطر ما تكون وأدق ما تكون.

رابع عشر: ما اسم المهدي بالضبط؟

وهنا سوف يتساءل حريص عن المهدي، وكون اسمه محمدًا واسم أبيه عبد الله، وأن هل هذا هو معنى الحديث ومقصود النبي ﷺ ومقتضى قوله؟!

بل أنا أرى أن المقصود هو معناه ومقتضاه وليس أحرف الاسم ومبناه، فكما بشَّر النبي ﷺ بالمهدي وأرفق ببشراه أنه يواطئ اسمه اسمي فإن عيسى عليه السلام حين بشر بالنبي ﷺ أرفق بأن اسمه أحمد.. فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي

ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦]، والنبي ﷺ [محمد] هذا هو اسمه الذي سماه به جدُّه عبد المطلب، واسمه الذي عُرف به في أهله وقومه وعند العرب كافة وغير العرب، وهو الاسم الذي يُنادى به كل وقت في الأذان وهو الإعلان للصلاة، والذي يصلي عليه في الصلاة عليه ﷺ، وهو الاسم المحفوظ الذي ينطق به كل داخل للإسلام، وبهذا الاسم يسأل ملائكة السؤال في القبر، وبهذا الاسم كان جبريل عليه السلام يجيب حُرَّاس كل سماء من السماوات حين يقولون له: ومَن معك؟ فيقول: محمد، وبهذا الاسم يجيب النبي ﷺ حين يقول له رضوان خازن الجنة: مَن؟ فيقول: محمد، فيقول له: بك أُمرت أن لا أفتح لأحدٍ قبلك.

فانظر إلى قول الله ﷻ عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦]، إذاً فإن اسم أحمد ليس هو الاسم الذي عرف به رسول الله ﷺ إنما المقصود معناه العظيم الكبير، فما أكبر معاني أحمد، إذ لو أتيت بكل محمود عند الناس لكان هو أحمد منه، ولو أتيت بكل حامد لكان هو ﷺ أعظم منه حمدًا.. وهكذا في كل ما يتعلق بهذه المعاني وبكل معاني الحمد والشكر سواها، فأحمد هو الذي لا يماثله أحد في الخَلْق ولا في الخُلُق ولا في شيء من الخيرات مطلقًا وهذا هو المقصود في السماء التي جاءت بعد أحمد في الحديث: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْـمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»(١).

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤) واللفظ له.

فالاسم والعنوان الرئيس هو محمد ﷺ والباقي على معانيها إلا أحمد فإنه أعظمه مقاربة من محمد - فصلى الله عليه وآله وسلم - كما بينها النبي ﷺ وأما قول النبي ﷺ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فإن الرواية الأخرى تفسر أن المقصود ليس المعنى الحرفي للاسم وإنما المقصود هو المعنى والمقتضى والمشابهة للمعاني في اسم محمد وبهذا جاءت رواية بن مسعود وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي**» - أَوْ «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» - **يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي**» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»(١)، **وقد أوضحها ابن مسعود إيضاحًا فاصلًا حين سئل: ما يواطئ؟** قال: يشابهه، ولم يقل: يطابق... فليس هو هو... ولا هو نسخة طبق الأصل منه بل يشابهه.. وتفسير راوي الحديث هذا يبين بأن اسم المهدي لن يكون محمدًا قطعًا بل اسم يواطئ اسم محمدًا أي بمعناه ويقاربه بمبناه فالمواطأة هنا بشقيها اللفظية والمعنوية.

ولربما كان اسمه الذي سماه أهله به شيئًا ولكنه لا يعرف به إنما يعرف باسم آخر ينادى به فأخذ مكان الاسم الأصلي، ولربما تكون كنيته هي الاسم الذي يعرف به فتقوم مقام الاسم الأصلي بل أكثر مثل أن تكون الكنية تحمل بعض معاني محمد أو معاني الحمد.

ولربما كان اسم أبيه ليس هو المقصود أي ليس اسم أبيه المباشر عبد الله كما قال النبي ﷺ: أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب.. فالعرب تسمي

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

الجد أب، وهو أبوه الذي هو أشهر من أبيه المباشر، والعجيب أن من قالوا أن اسمه محمد بن عبد الله ليس عندهم أي رواية مصرحة بأن اسم المهدي محمد واسم أبيه عبد الله بل كل ما فيها اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي؛ وفارق بين التصريح بالاسم وبين [على اسمي]، فهذه فيها من الإبعاد عن الاسم ما فيها مقارنة بقوله: ﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ كما في الآية ولم يكن اسمه الذي عرف به إلا محمد ﷺ فكيف وما ورد إنما هو صارف عن اسم محمد واسم عبد الله وهو قوله ﷺ: «**يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي**».

فَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا فَجِئْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: «**مِمَّنْ أَنْتَ يَا رَجُلُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، قَالَ: «**فَكُنْ إِذًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا مِنْهُمْ، قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْـمَهْدِيِّ**»[(١)].

وقوله: «**مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ**» فلعله يفيد بشكل واضح أن لأهل العراق خصوصية مع المهدي عليه السلام؛ فهو إما أن يكون منهم فإن أسعد الناس بالقائد المنتصر أهله، وإما لأن أهل العراق هم أول مَن ينصره من العرب كما في الحديث؛ قال النبي ﷺ كما في روايات عديدة ينصره الله بعصائب وفي روايات أخرى بعصب أهل العراق وأبدال الشام، فإن النبي ﷺ قدَّم العصائب في بعض الروايات، ثم إن أهل العراق بغير شك هم من أهل المشرق.. والله أعلم.

وقوله: «**فَإِنَّهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْـمَهْدِيِّ**» فهذا يدل على أن هؤلاء خاصة هم أسعد الناس به وجميع الخلق به سعداء، إلا أنهم الأسعد لأنه يخلصهم من الضلالة إلى الهدى وبخلاصهم يتخلص أتباع كثير إذ هم مركز قيادة، ولولاه

---

(١) السنن الواردة في الفتن (٥٧٨)، وقال محققه: إسناده حسن.

لهلكوا وشقوا في الدنيا والآخرة، كما أنه يخلص الأمة كلها، وهذا الأثر موقوف صحيح إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، ومثله لا يُقال من قبيل الرأي مطلقًا، إذ إن ما ذكر هنا إنما هو من الإخبار بالغيب ولا يمكن أن يقال بالرأي، وثَمة اعتبارات أخرى لا أود التطرق لها هنا من قوله: «فَإِنَّهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْمَهْدِيِّ» والله أعلم.

خامس عشر: المهدي والدجال وتقابلهما:

لأنه هو المهدي وابن أبرك بيت.. وابن رسول الله ﷺ وهو خليفة الله فهو قائد [جند الله] والمهدي هو خير غائب يُنتظر، لأنه يقابل شر غائب يُنتظر، إذًا فهو من يقابل الدَّجَّال الذي يزعم أنه [هو الله] تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا وهو من يصلح لعصر الدجل ويحوِّله إلى عصر الصدق والعدل والرحمة وهو من يقود الجيش الذي يتولى قتل الدجال وعيسى ﵇ هو من جعل الله قتل الدجال على يديه...

نعم إن الدجال فتنة عظيمة لم تظهر على الأرض فتنة مثلها أبدًا.. وما كان الله ﷻ ليترك أمة محمد ﷺ للدجال ولا لسواه ولهذا فإن الله ﷻ يبعث المهدي ﵇ في وقت أشد ما يكون الدجال فورانًا وفتنة وسيطرة.

قَالَ مُعَاذٌ: «**يُوشِكُ الْقُرْآنُ أَنْ يُنْسَخَ، قَالَ: يُنْسَخُ حَتَّى لا يُقْرَأَ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنْ يَسْلُكُ النَّاسُ وَادِيًا، وَيَسْلُكُ الْقُرْآنُ وَادِيًا غَيْرَهُ**»(١).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ**

---

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٥٩٦) رقم (٢٧٠)، وقال محققه رضاء الله المباركفوري: رجاله ثقات وهو موقوف على معاذ ﷺ ورجاله ثقات سوى يزيد بن عبد الله ذكره ابن حاتم دون توثيق أو تجريح.

كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ قَبْلَ الْـمَسِيحِ الدَّجَّالِ كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ أَوْ أَكْثَرُ**». قَالَ عَبْدُ اللهِ بن أحمد: قَالَ أَبِي: وقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ - يَعْنِي الطَّيَالِسِيَّ: «**قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٢).

إنما الذي أريد بيانه هنا أن الدجال ورغم كل ما ورد من شرِّه الذي لم يوجد له مثيل قبله إلا أن شرَّه لا يكون له ذاك الأثر.. فهناك فارق بين أن يكون شرُّه عظيم وبين أن يكون أثر شره عظيم نعم؛ فلقد أثمر بيان النبي صلى الله عليه وسلم لأمر الدجال وتجليته له وكشفه إياه حتى لكأن قارئ السنة وراويها يرى الدجال لدقة الوصف بعينه - نعوذ بالله منه -، ثم فإنه لو لم يبعث الله عز وجل المهدي عليه السلام في الفترة التي سبقت ظهور الدجال لأحرق الأخضر واليابس وأفسد الدين والدنيا معًا... فلقد أصبحت فترة ظهور المهدي عليه السلام هي فترة الفتوحات العظمى والهدايات العظمى؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْـمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْـمُسْلِمُونَ: لَا وَاللهِ، لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْـمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ**

(١) رواه مسلم (١٥٧).

(٢) رواه أحمد (٥٨٠٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْـمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[١].

لا شك أن هذا الحديث قد جمع - والله أعلم - الأحداث جميعًا بحيث لا يمكن للإنسان العادي أن يدرك الفواصل الزمنية بين أولها إلا أن الظاهر هو أن القسطنطينية إنما هي أوربا وهي ربما قيصر وما أعظمها وذكر السيوف وغيرها إنما هو إشارة للجهاد والفتوح وإشارة إلى المدى الذي بلغته الفتوح.

هكذا يكون المنادي هو الشيطان نعوذ بالله منه.. فالشيطان يريد أن يوقف الفتوح بهذه الكذبة ويريد أن ينقذ جنده من الهزائم، كما يريد أن يستعجل الدجال بالخروج فلعله يوقف المد الإيماني والهدى الذي أعاد البشرية إلى ربها، وهكذا يبطل الله كيده كما يريد الله سبحانه للمؤمنين الأعداء، وما إن يرجعوا حتى يخرج الدجال... فالدجال هو الدجال وصنيعته الدجل والسحر والحيل والكذب.. والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، والدجال يُبعث معه الشياطين كما في الحديث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الْأَرْضِ، الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ، وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ، عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: أَنَا رَبُّكُمْ، وَهُوَ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ** - ك ف ر

(١) رواه مسلم (٢٨٩٧).

مُهَجَّاةٌ - يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ، يَرِدُ كُلَّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ إِلَّا الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ، حَرَّمَهُمَا اللهُ عَلَيْهِ، وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَبْوَابِهَا، وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ، وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ: نَهَرٌ يَقُولُ: الْجَنَّةُ، وَنَهَرٌ يَقُولُ: النَّارُ، فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ، فَهُوَ النَّارُ، وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّارَ، فَهُوَ الْجَنَّةُ»، قَالَ: «وَيَبْعَثُ اللهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ، لَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا الرَّبُّ»، قَالَ: «فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ، فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ، فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ، وَيُجْهِدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ. فَيَنْطَلِقُونَ، فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَتُقَامُ الصَّلَاةُ فَيُقَالُ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، خَرَجُوا إِلَيْهِ»، قَالَ: «فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ، يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ. فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ»(١).

والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والأصل أن من يهديه الله على يد المهدي أنه لن يضل بإذن الله وما ورد من ذكر بعض الأحداث لبعض الأحياء وبعض الناس فإن هؤلاء عادة ما يكونون في بعدٍ سحيق عما يجري وفي جهل عميق وفي فقر ماحق، والأرض كبيرة والأقوام كثر ويحدث مثل.. ولا يخل الأمر من هؤلاء، ولهذا فقد نصح النبي ﷺ بأن

(١) رواه أحمد (١٤٩٥٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم.

يفر منه ما دام يستطيع الفرار ويخاف الفتنة، ومن لم يستطع الفرار فليواجهه وليبصق في وجهه.

ولقد صح في الحديث: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ قَلِيلٌ**»(١).

كما صح في الحديث: «**فَلْيَتْفُلْ فِي وَجْهِهِ**»(٢).

والله سبحانه ما بعث الدجال إلا بعدما هدى الله الناس بالمهدي بعثه وحدَّد مدته أربعين يومًا وفي رواية أربعين ليلة، فإن أيامه ليالٍ طالت أم قصرت.

ثم إنه لا يمر بمكان ثم يعود إليه مرة أخرى... فالوقت لا يكفي، وحيله قد انكشفت فإنه ما إن يغادرهم حتى تعود حياتهم كما كانت عليه من البؤس لذا قال الله سبحانه: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]... وهكذا يشيع خبره وتعود إليهم عقولهم فيدركون خدعتهم... ولذا فإنه في نهاية الأمر لم يكسب بلدًا واحدًا ولا شعبًا واحدًا، ولا يجد من يقاتل معه ويحميه غير الحفنة الأولى التي خرجت معه فيقتله المسيح عليه السلام بعد هروبه وفرره من المعركة بباب لد وكما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفرار منه لمن يخاف على دينه فقد أمر من ابتلي به أن يبصق في وجهه ولا يبالي فقال: «**فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَتْفُلْ فِي وَجْهِهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَيَقْتُلُهَا، ثُمَّ يُحْيِيهَا**»(٣).

وكل ما نقرؤه مما يظهره الدجال للعباد في أول الأمر إنما هو دجل ولا يعدو

(١) رواه مسلم (٢٩٤٥).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٨٨٧٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٨٨٧٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ.

كونه تخييل سواءً كان مطر السماء وكنوز الأرض ونهر نار ونهر ماء فالنبي ﷺ يخاطب كل العصور والمقصود واحد وهذه الألفاظ يفهمها كل العصور.

فَعَنِ الْـمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﵁ قَالَ: «مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ. قَالَ: وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ. قَالَ: هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ»[(١)]، وفي رواية: «إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، وَنَهَرٌ مِنْ مَاءٍ»[(٢)]، وفي رواية: «إن الناس يقولون: إن معه الطعام والشراب»[(٣)]، ومثله لأحمد من حديث جابر ﵁: «وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ»[(٤)].

حقًّا هو أهون على الله من ذلك؛ من أن يكرمه بهذا وأهون من أن يسير الله هذه النعم ليستخدمها في ردة الناس عن دينهم.. هو أهون من أن يعينه وهو يقول للناس: أنه الله - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - فلا يظن مسلم أن الدجال سوف ينجح في مهمته بل هي الخسارة الأعظم للشيطان لأنها الخسارة الأخيرة لهجمته الأخيرة وسلاحه الذي ادخره لآخر الدنيا.. **وكيف ينجح والنبي ﷺ** قد استودعنا الله؛ فَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﵁ قَالَ: « ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ

(١) رواه مسلم (٢٩٣٩).

(٢) رواه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٠٢٤٦).

(٤) رواه أحمد (١٤٩٥٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم.

نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[١]...

وهذا يردنا إلى الحقيقة الأولى وهي تسمية النبي ﷺ بـ[الدجال]، وأن من ينبعث معه لنصرته إنما هم الشياطين... وها نحن في عصر قد رأينا فيه العجب العجاب من أمثال ما ذكر وأمور أخرى لم تذكر..

ونحن الآن أمام واقع.. ويجب على كل مسلم أن يكون ثابتًا على الحق فإن ما يأتي به الدجال إنما هو الدجل ليس إلا ولا كرامة له عند الله ﷻ.. وما يأتي إنما يشاهده الناس وهو من عمل أشر الشياطين الذين خرجوا معه..

وهنا فلنعلم أن كل عمل الدجال هو العيش السريع والفوضى والإرباك ولهذا أوصانا النبي ﷺ بالثبات... إنه الاختبار الأخير للبشرية.. ولا بدَّ أن يكون الاختبار الأشد.. والبشرية قد بلغت الذروة في استخدام عقولها وفتح الله ﷻ لها من العلوم ما لم يفتح لمن سبق عصرها عصر النهضة العلمية عشر معشار ما فتح عليها.. فإذا لم تستخدم عقولها وتكتشف دجل الدجال فالحجة عليها قائمة لأنب العالمين حصنها بالعلم، وحصنها بأعظم شيء وهو المهدي الذي بعثه قبل الدجال عليه لعنة الله.

ثم إن من رحمة الله أن مكث الدجال قصير فما هي إلا أربعين يومًا وفي رواية أربعين ليلة.

سادس عشر: وهنا يأتي سؤال لماذا لم يقتل المهدي وهو خليفة الله عليه السلام الدجال وهو أخطر فتنة ظهرت على الأرض؟

والجواب مختصراً: المهدي عليه السلام هو أعلم الناس بأن من يقتله إنما هو عيسى عليه السلام فالمهدي ليس بصاحبه ولذا فقد ترك السعي في هذا الشأن لأن صاحبه محدد

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

ومُقدَّر ولا مبدل لكلمات الله كما قال النبي ﷺ لعمر الفاروق رضي الله عنه حين استأذن في قتل ابن صياد: ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**»[1].

ومن حديث جابر رضي الله عنه وفيه قال عمر رضي الله عنه: ائْذَنْ لِي فَأَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ يَكُنْ هُوَ، فَلَسْتَ صَاحِبَهُ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِنْ لَا يَكُنْ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ**». قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُشْفِقًا أَنَّهُ الدَّجَّالُ[2].

وهذا الخطاب من رسول الله ﷺ يبين حدود الله التي لا يجوز للمسلم أن يتجاوزها أو يفكر في مجاوزتها... حتى لو جاء وقت خلافتك يا عمر فرضي الله عن الفاروق.

والجواب الثاني: هو أن من كان السبب الحقيقي في قتل الدجال إنما هو المهدي عليه السلام لأنه السبب في خروجه من كهفه وذلك كما ورد في حديث حفصة لأخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين ولعنة الله على الدجال حيث قالت لأخيها: «**رَحِمَكَ اللهُ، مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا؟**»[3] فلماذا لم يغضب هذه الغضبة من قبل..؟!

والسؤال هو: ألم يرد بأن الشياطين تبعث معه وعنده.. فمن أخبره بأن المهدي قد بلغ هداه الأرض كلها كما صح عن رسول الله ﷺ، وأعاد الأمم إلى كتابه وسنة رسول الله ﷺ وما بقي للشيطان من عرش في الأرض فقد ذهب كرسيه،

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣١).

(٢) رواه أحمد (١٤٩٥٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣) رقم (١٢٥٦٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٢).

وهزم أصحابه وأكثرهم قد اهتدوا وتحولوا إلى أعدائه، وقد ذهب التاج الذي نظمه الشيطان للدجال حين خرج.. وليس من أمرٍ يغضب الدجال غير نصر الله والفتح العظيم هذا، ولهذا فإن خروج الدجال يوافق عز الفتوح وذروتها كما مرَّ معنا أن خروجه ذلك بعد فتح القسطنطينية.

ومن ثمَّ فإنه يخرج والشياطين معه لينقذوا المشروع الأخير فهو إمام الضلالة الذي اخرته الشياطين لهذا اليوم..

ولأنه المهدي عليه السلام: ويقابله الدجال فهنا حقيقة يجب أن يعرفها كل مسلم من المسلمين لتلك الأيام العصيبة هي **أخطر شيء الإيمان** بالدجال فإن الإيمان به ساعة يعني قفل باب التوبة أمامه فلا عودة أبد الآبدين كما هو عند طلوع الشمس من مغربها أو من ختمته الدابة، فإنه لا عودة لهؤلاء وإن تابوا.. فما قيمة التوبة بعد ما تطلع الشمس من مغربها أو بمن ختمته الدابة، وقد قال الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد جمع النبي ﷺ هذه الآيات الثلاث في حديث واحد فقال ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(١).

فطلوع الشمس من مغربها حدٌّ واضح ومعروف للتوبة.

ودابة الأرض وختمها للناس معروف كذلك.

لكن مجرد ظهور الدجال لا يعني أبدًا إغلاق باب التوبة إذًا فذلك مخصوص

(١) رواه مسلم (١٥٨).

بمن يؤمن به ولو ساعة واحدة، ولهذا فإن هتاف النبي ﷺ الباقي في أمته إذا عاث الدجال: «**يَا عِبَادَ اللهِ اثْبُتُوا**»(١) فهو اختبار خاطف يمرُّ مرة واحدة على أكثر الناس، ذلك أن مرور الدجال كما قال النبي ﷺ: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**»(٢).



(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٥)، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

الكلمة الثانية: «خَلِيفَةُ اللّهِ»

فإن ثقل هذه الكلمة لا يمكن أن يتصوره أحد ولا يقدر وزنه أحد فالخليفة بأمة فكيف بآخر أمة.. فإنه حين تنتهي آخر خلافة ويبيتون بغير خليفة الله المهدي فإنه سيتولى من بعده مباشرة عيسى ابن مريم عليه السلام وستأتي الريح الطيبة تقبض كل روح مؤمنة.. فسيبقى في الأرض مَن يوصفون كما في الحديث حثالة، ويتهارجون كما ورد في الحديث: «**وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(١).. وأي أمة في التاريخ كله دون استثناء عندها من حلَّاه الله بأنه «**خَلِيفَةُ اللهِ**».. فماذا تعني هذه الكلمة «خَلِيفَةُ اللهِ»، ولماذا المهدي خاصة «خَلِيفَةُ اللهِ»؟! وهو ما ورد في الحديث عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في آخره: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْـمَهْدِيُّ**»(٢).

ويشاء الله أن يتتابع الناس على فهم تقليدي لهذِهِ الكلمة، فلزم التنبيه إلى كل التفرد الذي فيها.

أولًا: «خَلِيفَةُ اللّهِ»:

لأن الله سبحانه سماه بذلك وكفى، وبهذا سماه رسول الله ﷺ وكفى،

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وما كان لأحدٍ أن يسمي أحدًا بهذا الاسم والله لم يأذن بذلك وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك من عند نفسه ولو فعلها لتقبلناها وما كان من حق أحد أن يسأله فضلًا أن يردها.. ولقد ذمَّ الله المشركين على تسمياتهم فقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، إذًا فحين سماه الله بذلك فقد جعل فيه كل ما يجتمع في هذا الاسم من خصائص ومزايا وعظمة. فكل مؤمن على ثقة بأنه لن يدرك أحد - من الأحياء اليوم - خصائص هذا الاسم، اللهم إلا من يدركه وفتح الله عليه.. لأن الأمر عظيم ولا نظير له حتى يقاس عليه.

خليفة الله: لأنه هو من يصدق عليه هذا الاسم على الوفاء والتمام، فهنا وراثة وهنا رجوع؛ والمهدي من يصدق عليه الاثنين معًا فإن الوارث هو من يخلف وليس هو من يسبق أو من تقدَّم زمانًا... فكان المهدي بالنسبة لكل من سبقه من الخلفاء وغيرهم كذلك، وكان المهدي هو مَن سبق الجميع من حيث هو «خَلِيفَةُ اللهِ» ولم يُلحق أبدًا.. ولم يكن المهدي عليه السلام خليفة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين ولا لسواهم بل هو يأتي في مرحلة قد انقطع فيها حكم الإسلام انقاطًا كاملًا، وأصبح الحكم بالقرآن في خبر كان، ويصبح ذلك هو الخطر الأعظم الذي تُجمع أنظمة الأرض جميعًا إفناءه من الوجود..

ثانيًا: خليفة الله:

لأنه هو من اختاره الله لتخليص بيوته في الأرض من الخوف، بل تخليص أعظمها من شر الدواب على الأرض: فهو من يخلص بيت المقدس ويطهره ويعيده ويعظمه ويعليه؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَخْرُجُ**

مِنْ خُرَاسَانَ(١) **رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ»**(٢).

وَعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللهِ الْـمَهْدِيَّ»(٣).

ولقد مرَّ حديث اقتتال الأبناء الثلاثة حول البيت فلا يردعهم إلا ظهور المهدي فيتحدون على قتاله فيخيرهم ثلاثة خيارات خير فيرفضونها فيكون هلاكهم جميعصا على يديه، وهكذا تتحرر بيوت الله كلها من الخوف ويتحرر أهلها وتعود إلى عظمها وعلها ومصدرها ونسبتها الحقيقية [بيوت الله] على يد خليفة الله المهدي عليه السلام.

ثالثًا: خليفة الله:

هو خليفة الله وما يتصور عاقل أن المقصود يكون أنه يأتي من بعد الله فهذا هو الكفر الكبار نعوذ بالله من ذلك، فإن لغة العرب أوسع من هذا الجمود وهذا الكفر وهذه الطريقة في التعامل مع لغة العرب فهو «**خَلِيفَةُ اللهِ**»: أي خليفة من عند الله بهذه الخصوصية، وهو «**خَلِيفَةُ اللهِ**» لأن غيره ينتخبه الناس، أو يوصي به من سبقه، أو يأخذ الخلافة غِلابًا أو نحو ذلك من تصرفات وتدخلاتهم.. أما المهدي فإنما هو تدخل الله وحده لا شريك له وهو اصطفاء الله واختياره... هي

---

(١) خراسان: بلاد واسعة تشتمل على أمهات من البلاد، منها: نيسابور وهراة ومرو.. انظر معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

(٢) رواه أحمد (٨٧٧٥)، والترمذي (٢٢٦٩)، وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الأوسط (٣٥٣٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًّا.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٨٧)، وقال االأرنؤوط: إسناده ضعيف، وأخرجه الحاكم (٨٧٨١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

ليلة يصلحه الله فيها للخلافة ويرفعه رفعة في الخلافة لكي يعتلي هذا المقام المتفرد فيه في تاريخ الأرض كلها حتى إذا ما أطلق خليفة الله لم ينصرف هذا المصطلح إلا إليه فهو مثل [**بيت الله**] إذا أُطلق لم ينصرف إلا إلى الكعبة لأن الله هو سبحانه من أمر ببنائه تخصيصًا وتحديدًا بينما المساجد الأخرى تنسب لبانيها أو المنفق عليها أو الموقع الذي بنيت فيه... وأولها مسجد رسول الله ﷺ فهو منسوب إليه.. وكل ناقة تنسب لصاحبها أو راعيها إلا ناقة صالح فهي [ناقة الله].. وهكذا [سيف الله] لخالد بن الوليد، و[أسد الله] لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وخليفة الله لم يتوله الله في ليلة ثم تركه إنما تلك الليلة فقد كانت هي الابتداء والرعاية والهداية والإلهام في كل شيء حتى الانتهاء أي حتى لقاء الله الذي سماه خليفة الله.

رابعًا: [خليفة الله]: في ختام الأمة الخاتمة:

لا يمكن أن يكون خليفة الله إلا في هذه الأمة فلو كان في أية أمة لخَلَفَ [خليفة الله] خليفة لبشر وهذا ما لا يمكن أن يكون ولا ينبغي لأن هذه هي الأمة الخاتمة ومسك الختام للأنام فيها وهل يكون الختام لجميع خلافة قامت في الأرض إلا بخليفة الله في أمة خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أجمعين وعلى يد خير آل اصطفاهم الله آل رسول الله ﷺ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، لَمْ يُسْمَعْ بَلاءٌ أَشَدُّ مِنْهُ، حَتَّى تَضِيقَ عَنْهُمُ الأَرْضُ الرَّحْبَةُ، وَحَتَّى يُمْلَأَ الأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، لَا يَجِدُ الْـمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عز وجل رَجُلًا مِنْ عِتْرَتِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ، وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، لَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ مِنْ بَذْرِهَا شَيْئًا إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، وَلَا السَّمَاءُ مِنْ**

قَطْرِهَا شَيْئًا إِلَّا صَبَّهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، يَعِيشُ فِيهِمِ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ ثَمَانٍ، أَوْ تِسْعَ، تَتَمَنَّى الْأَحْيَاءَ الْأَمْوَاتُ مِمَّا صَنَعَ اللهُ ﷻ بِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ خَيْرِهِ»(١).

خامسًا: [خليفة الله]: لا سابقة له في الحكم ولا إرث ولا علم له بالخلافة قبل تلك الليلة:

لا يمكن أن يكون خليفة الله في هذه الأمة إلا بختامها لأنها لله وحده.. ولأنه خليفة الله فإنه لا يأتي مطالبًا بحكم سابق ولا خِبْرة له في الحكم وليس هو ابن حاكم ولا جده حاكم، ولا هو قائد عسكري يقوم بانقلاب إنما الله ﷻ هو من يتولاه وهو لا يدري فإذا جاء الموعد أصلحه الله للخلافة في ليلة واحدة.. وهيأ له كل شيء، نعم هو يكون من أهل العلم والتقى كما أنه من ذرية النبي ﷺ كما هو منصوص.. فإصلاحه ليس معناه خَلْقه ولا يعني إصلاحه من فساد أو كفر عياذًا بالله من ذلك إنما هو إصلاحه للخلافة كما قال سبحانه: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فهي موجودة وهي زوجه لكنها ما كانت عندها القدرة على الحمل وعلى الولادة وعلى الرضاع وما إلى ذلك.

إذًا فالمهدي هو الخليفة الموعود الذي يهدي الله الخلق على يديه ويرجعهم إليه رجوعًا كاملًا إما مسلمين راغبين وإما مسلمين مستسلمين لحكمه ومع ذلك فهو سائر على طريق رسول الله ﷺ لا يخطئه بشعرة... وحكمه في كل قضية هو حكم رسول الله ﷺ لو أنه كان موجودًا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي

---

(١) رواه الحاكم (٨٦٨٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، وتعقبه الذهبي فقال: وسنده مظلم، وقال التويجري في أشراط الساعة (٢/ ٢٧٥): وفيما تقدم من الروايات الصحيحة شاهد له.

يَعْمَلُ بِسُنَّتِي، يُنْزِلُ اللهُ لَهُ الْبَرَكَةَ مِنَ السَّمَاءِ، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، يَعْمَلُ سَبْعَ سِنِينَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَيَنْزِلُ بَيْتَ الْـمَقْدِسِ»(١).

وَعَنْ مَطَرٍ قَالَ: قِيلَ لَهُ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَهْدِيٌّ، قَالَ مَطَرٌ: «لَقَدْ بَلَغَنَا عَنِ الْـمَهْدِيِّ شَيْءٌ لَمْ يَبْلُغْهُ عُمَرُ»، قَالَ: «يَكْثُرُ الْـمَالُ فِي زَمَانِ الْـمَهْدِيِّ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَيَسْأَلَهُ فَيَقُولُ لَهُ: ادْخُلْ فَخُذْ فَيَأْخُذُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَرَى النَّاسَ شِبَاعًا قَالَ: فَيَنْدَمُ، فَيَقُولُ: أَنَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ فَيَسْأَلُهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ مَا أَعْطَاهُ فَيَأْبَى، فَيَقُولُ: إِنَّا نُعْطِي وَلَا نَأْخُذُ»(٢).

وما هذا الخليفة إلا رجل لا يعرف على مستوى العالم بل ولا يعرف له أسماء على مستوى الأمة اللهم إلا من خلال قلة قليلة.. فبهذا ستتجلى عظمة الله في خلقه وعلى خلقه غير مشوبة بجهد فلان المشهود عند الناس أو فلان الغني بين الناس أو فلان القائد المقدام بين الناس.

فيتجرد أتباعه أولًا في الخُلَّص من أهل الإخلاص... متجردين كامل التجرد لله كتجرد قائدهم اسمًا ومسمى... فهو خليفة الله... فلا تبعية لقوة عظمى ولا صغرى، ثم إن التبعية لا تعني إلا لبيعة لله ومما يستأنس به هنا قول لكعب الأحبار قال فيه: راية المهدي مكتوب فيها [البيعة لله](٣) فلأنه [خليفة الله] فبيعته بيعة الله ثم هو أكثر الناس تواضعًا، وأعرف أناس بنفسه، وأبعد الناس عن

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٤)، وهو إذا ضم إليه الطريق السابق برقم (٥٤٩) يصلح للاستشهاد به.

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٥)، أورده السلمي في عقد الدرر ص (٢٤٣) رقم (٢٨٢) من رواية المؤلف. وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (ق٩٨/ ب رقم ١٠٥٤) عن ضمرة به نحوه، وهو أثر مقطوع لأنه من كلام مطر الوراق، وإسناده صحيح.

(٣) أثر من الإسرائيليات التي أُمرنا أن لا نصدقها ولا نكذِّبها.

الكبر والأشر والبطر والاغترار لأنه بغير شك أقرب الناس لله والله أقرب إليه... وهو قدوة للآخرين في هذا الشأن بحيث تتحول أخلاق الناس وموازينهم إلى تعظيم معالي الأخلاق وتحقير أسافلها وتحقير من يتكبر أو يتعالى فلا يتمنى أحدٌ من عامة الناس أو ضعفائهم أنه ذاك المتكبر حتى وإن كان حاكمًا أو كان غنيًّا.. وهذا تغيير جذري في الفكر البشري وفي الخلق البشري.

وسرُّ ذلك هو أن المهدي عليه السلام ممن نشأ على هذا الخلق ونبت ونمى وأينع فكان طبيعيًّا أن يكون خلقه هذا هو ثمرة ذلك ولا يمكن أن يتغير، بل ولا يمكن إلا أن يزداد من هذا الخلق العظيم مقتديًا بجدِّه سيد الأولين والآخرين ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:٢-٤].

سادسًا: [خليفة الله]: لا يمكن إلا أن يكون من آل البيت:

كما أن [خليفة الله] المهدي لا يمكن إلا أن يكون من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لا يمكن أن يكون في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا من آل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. فنسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه يواطئ اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويذكر به واسم أبيه كذلك.. وقد مرَّ معنا بيان معنى «يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي».

فكيف يذكر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن لم ينتهي إليه نسبه؟ وهل يتحقق قول الله عز وجل في الآخرين: لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ٤] مثلما يرفع بكون المهدي ولده وتابع له فبه يجتمع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدر الله وشرع الله فالله قد ادخر لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم إحياء هذه الأمة بولده ليكون هذا المكسب والكسب له هو صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**»(١).

(١) أخرجه النسائي (٤٤٥٢) واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

فقدر الله الخلْقي أن جعل المهدي من فاطمة ﷺ وأمر الله شرعي أن جعل المهدي ﷺ هو من يحيي دين الله والخلافة التي على منهاج النبوة بعد ان انقطع من الوجود ومضى على انقاطعها قرنًا كاملًا.

سابعًا: خليفة الله: لأن روح الله عيسى ﷺ سوف يلتحق به:

لأن ربك هو الحكيم العليم.. والله سبحانه يعلم أن عيسى ﷺ سوف يلتحق به فكيف يلتحق به وهو النبي الرسول وهو كلمة الله وروح الله ﷺ.. أما المهدي خليفة الله فليس ثمة أدنى حرج في أن يتقدم ويصلي بعيسى ﷺ، وأن يتقدم إمامًا وخليفة على المسلمين وفي المسلمين عيسى ﷺ.. لأنه خليفة الله ومن ذا الذي يدخل بين الله وخليفته، ومثله قول المرأة التي دخل عليها النبي ﷺ فَقَالَتْ: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، فَقَالَ: قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: يَا أَبَا أُسَيْدٍ، اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ، وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا**»(١).

ثامنًا: خليفة الله: لأنه يواجه مَن زعم أنه هو الله وإنما هو المسيح الدجال - لعنه الله:

لأن من يبعثه المهدي ﷺ لإطفاء ناره وإبطال شرِّه إنما هو الدَّجَّال.. والدَّجَّال هو من يفتري على الله الكذب حتى يدَّعي بعد ذلك أنه [هو الله]!.. فإن المهدي هو مَن يقود الحملة على من زعم أنه الله فمن يقودها سواه؟ وإذا لم يباشر قتل الدجال الذي زعم أنه هو الله روح الله عيسى ابن مريم فمن يقتله؟ إلا أن الحقيقة هي أن المرحلة الأطول والأشد التي يمكثها الدجال في الأرض إنما هي ما قبل نزول عيسى ﷺ فإن نزول عيسى ﷺ إنما يكون في آخر أيام

---

(١) رواه البخاري (٥٢٥٥).

الدجال، ولذا فإن المهدي هو قائد المواجهة من أولها، بل هو من أعاد الأمة قبل الدجال وحصنها، وهو من يواجهة قبل أن ينزل ابن مريم عليه السلام ويرمم ما يصيب الدجال، وهو مَن جعل إبليس يستصرخ الدجال فيخرج من غضبة يغضبها.. وإلا لم يخرج الدجال من قبل.. ولم خرج من غضبه إلا لأن المهدي حطم عرش الدجال ونثر خرز تاجه الذي نظمته له الشياطين وأبطل كل كيد الشيطان فأصبح الناس شاكرين على ضد ما وعد.

تاسعًا: لقد جعل الله ﷻ نظام التدافع على الأرض سببًا في حفظ البقاء وفي دفع الفساد المطلق على الأرض:

ولولا ذلك لكانت غلبة أمة واحدة ظالمة على الأرض كلها إنما يعني الفساد المطلق على الأرض كلها.. والله ما خلق الأرض وأنزل آدم عليه السلام لهذا، بل قال سبحانه: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٨،٣٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢٥١ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٥١،٢٥٢].

وهنا في هذه الفترة من الزمان نشهد أنه لم تبق على الأرض غالبة مفسدة إلا قوة واحدة، وأنها الآن في مرحلة إنقاذ سيطرة الفساد بالإلزام لأهل الأرض... ولهذا فلا بد يقينًا أن تكون هذه القوة قد بلغت مرحلة سكرات الموت، وكما قال الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [يونس: ٤٩]، لأنها أرادت المحال وهو تبديل كلمات الله ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وهنا يأتي سؤال يقول: ومتى يكون ذلك تحديدًا أو تقريبًا؟

والجواب: هو أن خلافة الله لا بد أن تقوم... ومنهاجها منهاج رسول الله ﷺ، فليست هي دين جديد - معاذ الله - بل كما قال النبي ﷺ في آخر حديث وختامه: «**ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**»، ثُمَّ سَكَتَ[١].

عاشرًا: خليفة الله: لأنه يأتي بعد انقطاع الخلافة مائة عام:

فإذا ترك الله البشر بعد سلسلة عظيمة من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والهداة المهديين.. ومع هذا فلا يزال الناس يتلاعب بهم الشياطين وتجتالهم عن رسالات أنبيائهم عليهم السلام.. حتى بعث الله سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم وختم به رسالات المرسلين عليهم السلام.. وها هم الناس ودَّعوا ما سميت بالخلافة منذ مائة عام وعادوا أشد ما يكونون عداءً لمنهج القرآن لحياة الناس.. وفشا فيهم ضد ذلك هو استباحة كل ما حرم الله، بل استباحة كل ما جاء به المرسلون عليهم السلام وما جاء به سيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلوا لكل استباحتهم تشريعًا مثل فاحشة قوم لوط وغيرها؛ قَالَ مُعَاذٌ: «**يُوشِكُ الْقُرْآنُ أَنْ يُنْسَخَ، قَالَ: يُنْسَخُ حَتَّى لَا يُقْرَأَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَسْلُكُ النَّاسُ وَادِيًا، وَيَسْلُكُ الْقُرْآنُ وَادِيًا غَيْرَهُ**»[٢]، فتحللوا وانحلوا وتراخو واسترخوا فلا القرآن ولا السنة.

عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَذْكُرُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، حَتَّى سَأَلَهُ

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٥٩٦) رقم (٢٧٠)، وقال محققه رضاء الله المباركفوري: رجاله ثقات وهو موقوف على معاذ رضي الله عنه ورجاله ثقات سوى يزيد بن عبد الله ذكره ابن حاتم دون توثيق أو تجريح.

ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِئَةُ سَنَةٍ**» قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجْلِبَةِ عَلَى النَّاسِ**»(١).

وبهذا انقطع نظم عقد الخلافة الواصل المتصل من بعد رسول الله ﷺ والخلافة الراشدة إلى ما قبل مائة عام، وأصبح مَن يعيش المرحلة يقطع بأن الأمر انتهى ولا عودة أبدًا، وأن الخلافة غدت تاريخًا للذكرى أو للافتخار ليس إلا!.. وانتهى كل إرث للخلافة وبهذا الاعتبار أصبح المهدي خليفة الله.. فهو ليس برسول ولا نبي، ولا هو خليفة يخلف غيره أبدًا.. بل هو كما سماه رسول الله خليفة الله وقد صح في الحديث قوله ﷺ: «**فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ**»(٢).

حادي عشر: خليفة الله: لأنه مَن يوقف الانحدار المحتم:

لو تصورنا أن الناس سوف يستمرون على هذا الانحدار إلى زمن قادم فمتى سيعودون إلى الله.. بل هل من طريقٍ للعودة.. كيف والموعود القادم هو شرُّ فتنةٍ ظهرت على الأرض وهو الدجال.. ولا نبي ولا رسول ولا خليفة؟! إنهم

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٧٠)، والحاكم في المستدرك (٨٥٣٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وضعَّف الحديث آخرون كأحمد والذهبي في الميزان، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع.

يسيرون قطعًا إلى زمان أحال الإنسانية إلى البهيمية كما ذكرها النبي ﷺ في نهاية عمر الأرض وأيامها كالحة الظلمة: «**وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(١).

فما كان للناس ولا للأمة بعد كل هذا إلا الرحمن سبحانه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك: ٢٨].

إذًا فكانت ﷺ.. وكان فضل الله.. وكان وعد الله الذي وعد به رسول الله ﷺ وكان ذلك هو المهدي الذي هو [خليفة الله] الذي قال فيه النبي ﷺ «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي**» - أَوْ «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» - **يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي**» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»(٢)، وكان هو أعظم علامة على هداية الله ورحمة الله ونعمة الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وهكذا هي رحمة الله في الدنيا والآخرة؛ فإنه وبعد ما انقطع الأمل إلا بالله جاء الله برحمته وأمره وهداه.. فأرسل لأجله عبدًا من عباده لم يعرف ولم يشتهر بين المشتهرين وجعله هو من يحمل هدى الله ويطير به في كل مكان.. وهذا ما يقطع بأن الهدى ليست بيد الأنبياء ولا المرسلين عليهم السلام ولا الدعاة ولا المهدي وإنما هي بيد الله سبحانه لأن من هو أعلم وأعظم من المهدي لم يفعل

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

ذلك وهكذا هو الشأن في الشفاعة في الآخرة تنقطع كل شفاعة، ويرفع الشفعاء أيديهم جميعًا فتأتي [شفاعة الله] نعم [شفاعة الله].

ولقد صح في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ؟ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

وسبحان الله، فهكذا هي [خلافة الله] مثل [شفاعة الله] فبعدما انقطع جهد البشر وبلغت استطاعتهم مداها جاء الله سبحانه برحمة ونعمة للعباد، ولهذا جاءت ثمرة [شفاعة الله]، [عتقاء الله]، وهكذا تأتي ثمرة [خلافة الله]، و[رحمة الله]، و[هداية الله]، و[نعمة الله]، و.....

ثاني عشر: خليفة الله: لأنه لم يخلف ولن يُخلف فكما أنه لم يَخْلُف أحدًا كما بينَّا فإنه لا يخلفه أحد من الخلفاء من أمة محمد ﷺ ولا يمكن أن يكون ذلك لأنه هنا يقع المحظور أو يقع ما يمكن أن يؤول إلى المحظور وهو أن يقال عن من يخلفه: خليفة خليفة الله.. ونعوذ بالله من ظن السوء لذا جعل الله سبحانه من يخلف خليفة الله ذو مقام معلوم بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فهو روح الله وكلمته ولن يكون حكمه في أمة محمد إنقاصًا من مقامه المعلوم ولا تقليلًا من مكانته عياذًا بالله من ذلك..

(١) رواه مسلم (١٨٣).

ثالث عشر: خليفة الله:

يقضي على الخلافات[١]، لا تزال الاختلافات تعصف بالخلافة الإسلامية منذ زمن عثمان رضي الله عنه.. ولا يزال الحُكْم يتبع مذهبًا ويقدِّمه على المذاهب الأخرى، ولا تزال المذاهب في صراع الفرضيات من المسائل، والتوسع في النظريات من الفرضيات وفوق هذا وأخطر من هذا هو الاختلاف ما بين السنة والشيعة

فكل هذه الخلافات والاختلافات ستنتهي، وكل الأسماء المصطنعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستزول، وكل مصادر الخلاف وما كان يغذيها من كتب سوف تذهب كأن لم توجد، ويعود الأمر كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمامًا كما قال: «**خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**»[٢]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: [ويذهب الخلاف] الحديث وسوف أذكره بإذن الله.

وهذا ما لا يمكن أن يتحقق بأي خليفة من الخلفاء بعد الخلافة الراشدة ما لم يكن خليفة الله وذلك لتجذر هذا الأمر إلى أعماق الأعماق وجذور الأمة منذ منتصف القرن الأول.

فليس في منهاج النبوة هذه المصطلحات؛ ولم يُعرف في منهاج النبوة سنة أو شيعة إن ارتضاهما من ارتضاهما من أهل الإسلام، فقد كانت هذه لفترة ولمصلحة مؤقتة إلا أنها لن تصلح أبدًا للخلافة على منهاج النبوة القادمة لأنها لم تصلح للخلافة الأولى أبدًا، فإنهما قد استحالا إلى شقين عظيمين يشقان الإسلام وهما يبعثان من حمم العصبية ما الله به عليم.

---

(١) وردت هذه النقطة من قبل في الكلمة الأولى وهي المهدي بتشابه كبير ولا ضير فتعلقها ظاهر، وكونه المهدي وفي كونه [خليفة الله].

(٢) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

وإن مصطلح [المهاجرين] ومصطلح [الأنصار] حين نودي بهما للمواجهة والفتنة اعتبرهما النبي ﷺ من الجاهلية؛ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللهِ؟ فَقَالَ ﷺ: لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١)، وأنا لا أشك أن عودة الاثنين ستكون سباقًا إلى منهج النبوة، وسيعفو الله عن الجميع... والقاعدة الأولى في الأمة ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ [المائدة: ٩٥]، وسيحق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].. فالله ما أرسل المهدي بالعذاب للأمة. ولم يرسله ليقيم محكمة بين الشيعة والسنة ولا بين المذاهب ولا بين الفرقاء.. إنما هو منهاج النبوة وكفى.

وما حاجة الأمة إلى الاختلافات وفيها المهدي عليه السلام.. وكل من خالفه غير مهدي أيًّا كان إذ من الذي تكفل الله ﷻ بهداه فحكمه حكم الله تمامًا... وحكمه كله من الله... وكل تفاصيل التفاصيل في حياته الشخصية هداية من الله... وإلا فكيف يُغَيِّر هذا العالم وهذه الأمم في سبع سنين..

(١) رواه البخاري (٣٥١٨).

رابع عشر: لأنه ختام الخير في خير أمة:

ولأنه خليفة الله فقد قال النبي ﷺ: «**ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ**» وهذا الأمر لازم من لوازم كونه [خليفة الله] إذ لو كان ثمة خليفة مثله أو أحسن منه يأتي من بعده لكان هذا طعن في من سماه [خليفة الله] عياذًا بالله من ذلك أو كان أحد مثله الذي استخلفه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا..

خامس عشر: فالنعم لا مثيل لها نوعًا وكمًّا ومصادر: خليفة الله:

ولأنه [خليفة الله] الذي ليس أحدٌ سواه في الأولين والآخرين يحمل اسمه فإن النبي ﷺ قال: وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْـمَهْدِيُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتَى أُكُلَهَا وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَالْـمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ، فَيَقُومُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ خُذْ**»(١) وهذا يعني أنها نعمة بكل مسمى النعمة.. نعمة بلا فتنة، نعمة خالصة، نعمة متزايدة، لأن معها الشكر.. نعمة لأن هذه [نعمة الله] في عهد [خليفة الله] فهي ليست من الخليفة وإنما هي نعمة من الله الذي استخلفه وحلَّاه بهذا الاسم.

سادس عشر: خليفة الله:

ولأنه خليفة الله فإنه هو الذي يقضي على شر من دبَّ على الأرض.. وهم شر أعداء الله.

القوم الوحيدون الذين تركهم الله من دون الأقوام السابقة الذين أهلكهم الله من دون عقاب مستأصل رغم عدوانهم الدائم على الله ﷻ، ورغم قتلهم الأنبياء عليهم السلام، ورغم الإفساد في الأرض الكبير.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

كما قال ذلك ربنا سبحانه في مطلع سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]، وقال النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ حَتَّى يُقَاتِلَ بَقِيَّتُكُمُ الدَّجَّالُ بِالْأُرْدُنِّ أَنْتُمْ مِنْ غَرْبِيِّهِ وَهُمْ مِنْ شَرْقِيِّهِ**»(١).

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةَ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيُقَاتِلُونَكُمْ قِتَالًا لَمْ يُقَاتِلْهُ قَوْمٌ - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا فَقَالَ - إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ**»(٢)، إذًا فالمنصوص في هذا الحديث أنها الخلافة الأخيرة التي تكون على منهاج النبوة وما من خلافة مطلقًا إلا خلافة الله التي يتولاها خليفة الله المهدي، وهذا الحديث يدل كذلك على أن موضوع المهدي ليس هو موضوع فلسطين وحدها، إنما تطهير فلسطين من المغتصبين هو كتطهيره الأرض كلها، وتطهيره بلاد الإسلام قبلها وبعدها، لكن هذا الحديث فيه بشرى عظيمة لأهل فلسطين خاصة وهي أنها لن تتحرر فحسب بل سيجعلها المهدي في أول الأمر عاصمة الخلافة التي ستحكم الأرض كلها فعمود الإسلام سيكون هناك كما صح في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ**»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٦٣٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٥٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٩) رقم (١٢٥٤٢): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُ الْبَزَّارِ ثِقَاتٌ.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٤)، والحاكم (٨٤٣٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (٨٧٧٥)، والطبراني في الأوسط (٣٥٣٦)، والترمذي (٢٢٦٩)، وقال: حديث غريب حسن.

سابع عشر: **لأنه الذي لا ينازعه أحد مطلقًا**: ولأنه خليفة الله فلا يمكن ولا يجوز ولا ينبغي أن ينازعه أي خليفة آخر فحكمه بغير شك هو حكم الله كما يريده الله، والله يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].. فكيف ولا وجود لخليفة على الأرض مطلقًا إذا ظهر المهدي.. ولذا قال النبي ﷺ قولًا ما قاله في سواه مطلقًا: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْـمَهْدِيُّ**»(١)، فعندها يكون كل مسلم في حل من أي بيعة أو التزام.. **ثم الأمر الآخر**: هو لزوم الخروج إليه إلى ظاهر البلد أو المدينة التي سيمر بها كما ورد في رواية أخرى، **والثالث**: أن الخروج إليه واجب ويُتحمل لأجله المستحيل وليس بعد أمر النبي ﷺ صورة لتخطي المستحيل لأجل الالتحاق به وهو قوله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْـمَهْدِيُّ**»، وهل يمكن الحبو على الثلج لكل الناس؟

ثامن عشر: اجتماع رضا الله ورضا عباده جميعًا عليه:

ولأنه «خَلِيفَةُ اللهِ» فإن الله سبحانه يجمع له رضى الله وملائكته ورضى أهل الأرض بكل قومياتهم وأديانهم وطوائفهم، وهذا ما لم يكن لسواه، وما ذلك إلا لأنه خليفة الله كما قال النبي ﷺ: «**يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ**».

تاسع عشر: اجتماع غنى المال وغنى النفس لأفراد الأمة:

ولأنه «خَلِيفَةُ اللهِ» يجمع الله ﷻ للناس غنى النفس وغنى المال، ومن ذا الذي يستطيع أن يجمع هذين الأمرين ويجمع الغنى من أطرافه إلا «**خَلِيفَةُ اللهِ**»؛

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ غِنًى، فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ**»(١).

عشرون: «خَلِيفَةُ اللّهِ»:

لأنه يأتي في ختام الأمة، وختام الأمة هو الذروة.. هو المحصلة والنهاية لكل ما سبقه من الغراس والبناء.. فإن لم يكن هذا هو ثمر الغراس الأول وأساسه كتاب الله وهَدْي رسوله ﷺ فغراس مَن يكون..؟

ولو نظرنا في كل خلافة في بلاد من بلدان هذه الدنيا لوجدنا أن أنواع الخلفاء الذين خلفوا قد استوعبوا بأسمائهم وأوصافهم كل ما يمكن أن يتصوره الإنسان وبما لم يتصوره، أما [خليفة الله] فهذا ما لم يجعل الله له من قبل سميًّا، ولم يجعل للفكر البشري إليه سبيلًا.. نعم جاء أهل الباطل بمصطلحات باطلل مقاربة من حيث الألفاظ كالحاكم بأمر الله الفاطمي ونحو ذلك.. ولكن هذا شيء و[خليفة الله] شيء آخر.

حادي وعشرون: خضوع الأرض كلها لحكمة؛ ولأنه «خَلِيفَةُ اللّهِ»:

فلن يخرج أحد في الأرض عن حكمه أبدًا؛ فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ**

---

(١) رواه أحمد (١١٤٨٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٢٨٥)، والترمذي (٢٢٣٢)، وابن ماجه (٤٠٨٣) مختصرًا، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حال العلاء بن بشير المزني، فقد انفرد بالرواية عنه المُعَلَّى بن زياد المَعْوَلي -وهو القُرْدُوسي، ومَعْوَلة بَطْن من الأزد-، ولم يُؤثر توثيقه إلا عن ابن حبان، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»(١).

وَعَنِ الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا»(٢)، وهذان الحديثان واضحان والجمع بينهما لا يحتاج إلى عناء فإن العالم كله سيكون خاضعًا لحكم الإسلام مَن أسلم منه ومَن لم يسلم، إلا أن انتشار الإسلام سوف يطبق على الأرض حتى لكأنه لا يوجد على الأرض إلا المسلمون لأن الآخرين وهم القلة القليلة سيكونون خاضعين لحكمه.

ثاني وعشرون: يقضي على وسائل الظلم فيقطع دابره:

ولأنه «خَلِيفَةُ اللهِ»: فهو مَن ينزع وسائل الظلم وأسلحته من أيدي الظالمين: فإن المهدي عليه السلام يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بواحد من من ثلاثة أمور إما أن تهتدي تلك البلاد، أو تستسلم له وتنزل على حكمه، وإما أن تقاتله فيهزمها، وبعد هذا فلا يمكن أن تبقى الأسلحة الذرية بيد أحدٍ دون أحد، لأنها الوسيلة العظمى للظلم وللتحكم في العالم كما هو في دول العالم اليوم، وبقاء الأسلحة الذرية بيد البعض سبيل لعودة الظلم.. وإنها وسيلة إضرار ودمار وتهديد بالدمار، وبمثل هذا السلاح تعلو حفنة من البشر على أقوام كثيرة فتظلمها وهي لا تَقْدر أن تواجهها.. وهذه الأسلحة حتى لمن حوَّلها إلى نفايات كانت مُضِرَّة بالحياة.. لذا كان «خَلِيفَةُ اللهِ» هو مَن يخلص أرض الله من أخطر خطر صنعته يد الإنسان ضد الحياة

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد (٢٣٨١٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

والأحياء والأجواء، وهذا ما سيجعل جميع شعوب الأرض تقف معه.. وستتَّحد معه ضد أنظمتها فيكون الخلاص منها بأيدي أهلها.. وهذه هي وحدة الإنسانية المهيئة لدخول الشعوب في دين الله أفواجًا.

ثالث وعشرون: يقضي على جميع المبادئ الباطلة: ولأنه «خَلِيفَةُ اللَّهِ»:

فإنه لن يترك للمبادئ الباطلة.. ولا الاستباحات وجود ولا تشريعات ولا أتباع، ذلك أنه الذي يحكم أرض الله كلها مَن آمن منهم وهم الأغلبية الساحقة، أو مَن لم يؤمن فإنه لن يسمح لاستباحة من الاستباحات تظهر أو فاحشة تشيع، أو قوم يتبنون حرامًا أو كبيرة أو ما إلى ذلك... ولو سمح فليس هو بخليفة الله عياذًا بالله من ذلك.

رابع وعشرون: ولأنه [خليفة الله]:

فإنه من الطبيعي أن تعظم أمة محمد ﷺ في عهده كما في الحديث الصحيح الذري رواه أبو سعيد الخدري ﵁ قال: «**وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ**»؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْـمَهْدِيُّ، يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْـمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْـمَاشِيَةُ، وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا**»(١). يَعْنِي حِجَجًا. فإذا رأيت هذا وجدت أن الأسباب المادية والصحية والأجواء كلها تدعو إلى التكاثر، فلم يتوقف الرجال عن التعدد، ولم تتوقف النساء عن الإنجاب، ولم لا تترك كل امرأة العزوف عن الإنجاب كما هو الشأن اليوم.. إن المهدي ﵇ يحضُّ الأمة ويطالبها وهي له سامعة مطيعة بأن أقرُّوا عين رسول الله ﷺ الذي قال: «**تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا أُبَاهِي**

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٩٢٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٧١١).

بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١)، وفي رواية: «**تَنَاكَحُوا تَكَاثَرُوا، فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الأُمَمَ**»(٢).

ولإسعاد المهدي بحفظه هذه الوصية عن أبيه رسول الله ﷺ وأقروا عينه يوم القيامة، فما من مؤمن ولا مؤمنة إلا تسابقوا بهذا الشأن.

ثم تعظم الأمة في عهد المهدي إذ ما من بلد من البلدان إلا وفيه من غير السلمين العدد من الملل.. وهؤلاء سيكونون سريعي الدخول في الإسلام.. ومن البلاد دخولًا جماعيًّا - كما أحسب والله أعلم - إلى الإسلام؛ البلاد التي كانت مسلمة مثل أسبانيا والبرتغال والهند والفلبين ونحوها.. وهكذا بقية العالم، وكل هؤلاء سوف ينجبون ويزيدون لأنهم أصبحوا من الأمة وجميعهم يريدون إقرار عين رسول الله ﷺ.. وحسبك من قربة..

وفوق هذا ما سيتغير منهج الزواج م الزواج المتأخر إلى الزواج المبكر.. فكم وكم فيه من زيادة، والرزق وفير وكل هؤلاء أصبحوا من الأمة فكيف لا تعظم الأمة؟!

خامس وعشرون: «خَلِيفَةُ اللّهِ»: لأنه الوحيد الذي يبايع بين الركن والمقام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**»(٣)، وهذه البيعة تأتي بعد الخسف بالجيش الشامي الذي يقصد قتال المهدي

(١) مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني (٣٢٦).

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ١١١): ذكره الشافعي بلاغا عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٧٩١٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وجيشه؛ فَعَنْ حَفْصَةَ ﵂ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ**»(١)

وهذه البيعة لها مزايا:

الأولى: أنها بعد نصر عظيم بل بعد غزوة عظيمة كما سماها النبي ﷺ فَعَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ ﵁ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْـمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ**». قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ(٢).

الثانية: أنها عند الكعبة: فهي بيعة الأمة ومن هو موجود هناك إنما هم من الأمة كلها.. لأن هؤلاء المبايعين غير محددي الأجناس أو الأسماء كما هي العادة عند بيت الله تعالى والحمد لله رب العالمين.. ثم كونها عند الكعبة فإنها عند المكان الذي تتوجه إليه بيوت الله التي في الأرض كلها.

إذًا فهو المكان الذي إذا أطلق فقيل [بيت الله] فلا ينصرف إلا إليه ﷻ.. فلكل مسجد من المساجد اسمه أو انتسابه أما الحرم فهو بيت كما قال عنه أول بناءه وسماه فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

(١) رواه مسلم (٢٨٨٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٠).

الكلمة الثالثة: «تَكْرِمَةَ اللّه هَذِهِ الْأُمَّةَ»

المقدمة:

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(١)، هكذا يجمع النبي ﷺ هذا الموقف ودلالاته بقوله: «**تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»، فالتكرمة ليست للمهدي وحده بل للأمة كلها أولها وآخرها.

ودونك عظمة لهذه التكرمة إذ نُسبت لله ﷻ فقيل: «**تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»، وسوف نأتي لصور تكرمة الله لهذه الأمة.

أولًا: «تَكْرِمَةَ اللّه هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

والتكرمة هنا بإمامة الصلاة من قبل واحدٍ من هذه الأمة لعيسى ﵇، والمعنى أن إمامه ابن رسول الله ﷺ المهدي ﵇ لعيسى ﵇ إنما هي إمامة لأمة نصلي وراء عيسى.. فهل من تكرمة لهذه الأمة مثل هذه التكرمة؟! ولو أردنا أن نذكر لفظًا يبين المعنى لهذا الموقف: لقلنا تقديم الله لهذه الأمة فإن من قدَّم المهدي في الأساس هو رب العالمين سبحانه وهو العليم بأن عيسى سينزل وفي اللحظة ذاتها.. وهو بكل شيء عليم وهو ﷻ من أنزله.. فالله هو من قدَّم المهدي أساسًا، ولو شاء لما أقيمت الصلاة حتى يأتي عيسى ﵇ كما تقام في العادة عند

---

(١) رواه مسلم (١٥٦).

مجيء النبي ﷺ للمسجد وعيسى عليه السلام يعلم هذا تمام العلم.. وقدَّم المهدي عليه السلام لتقديم الله له سلفًا والمهدي ما فعلها إلا تأدبًا مع نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام.

ثانيًا: «تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

توحد الأمة كم ستكون لهذا الموقف من أثر عظيم في أمة محمد ﷺ وفي تضامنها، ووحدتها وتأديب نفوس ربما ما تخلصت من بعض جاهلياتها وعنجهياتها، وجشعها.. فأي نفس بعد هذا الموقف لا تحقر نفسها إن كانت لها ذرة طمع في الحكم بدل المهدي عليه السلام.. كيف تقدم على من قدَّمه الله إمامًا بعيسى عليه السلام.. أي نفس تطيب بأن ترى لها ذرة من الحق وهو [خليفة الله] الذي قدمه الله على [روح الله] عيسى بن مريم عليه السلام.

وهذا أحوج ما تحتاجه الأمة وقتها.. إذ الأمة بلغت أطراف الأرض من كل جهة بالنسبة لمركز الأمة.. ولربما طمع طامع من أبناء الأسر الحاكمة قبل المهدي أو من أصحاب الطمع في حكم بلده الذي تسلل حكمه بآله..

فإن هذا الموقف من تقديم عيسى للمهدي عليهما السلام.. يجعل أهله ومن حوله قبل الآخرين يحقرونه بشناعة فعله فمن أنت يا هذا.. يا من فضلت نفسك على عيسى بن مريم بل قدمت نفسك على من قدمه الله سبحانه ورسوله محمد ﷺ وكلمة الله وروح منه عيسى بن مريم عليه السلام.. إذًا فمن أي ملةٍ أنت؟

ثالثًا: «تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

إن هذا الموقف لن يجعل أي بلد دخل في الإسلام من النصرانية يعود مرتدًا عن الإسلام أبدًا بفضل هذا الموقف العظيم.. فإن من يتقدم من أبناء البلدان النصرانية التي دخلت الإسلام فقد أعلن ردته وتمرده أولًا على عيسى عليه السلام قبل

أن يعلنه على الإسلام أو على الإمام المهدي عليه السلام.. هذا وأغلب بلاد الكفر اليوم تزعم أنها نصرانية وحتى البلاد الأخرى والأديان الأخرى فإن أكثرها يحب شخصية عيسى عليه السلام وبعضهم حاك على خرافة الصلب وحياكة لإلههم الذي هو ابن الإله الأكبر..

وفوق كل هذا ما ألقاه الله عز وجل من القبول والمحبة والرضا في قلوب من في الأرض ومن في السماء على المهدي عليه السلام مع الهيبة والقوة لأنه [خليفة الله] فكأن الأرض كلها بجميع بلدانها بيته الصغير في ترابطه وتواده.

رابعًا: «تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

أول العمل لعيسى عليه السلام الصلاة: إذا كان عيسى عليه السلام قد ائْتَمَّ بإمامة المهدي فهي الدعوة العملية العامة في أول عمل يعمله في الأرض وذلك قبل قتله الدَّجَّال لعنة الله عليه لجميع من آمن بعيسى عليه السلام ان يصلوا بصلاة المهدي عليه السلام، وما الصلاة إلا الشعيرة العظمى من شعائر الإسلام.. فهي إذًا دعوة من عيسى عليه السلام لجميع أَتْباعه وجميع أتباع الأنبياء عليهم السلام أن آمنوا بالإسلام وائتموا بإمامة المهدي عليه السلام فإنه الإمام الممثل للإسلام في آخر الزمان، وهذا من باب ما لا يتم الواجب إلا به فو واجب فأنتم لا يمكن أن تقبل صلاتكم حتى تدخلوا الإسلام أولًا.. فأسلموا من فوركم وقوموا لصلاتكم من لحظتكم، واستقيموا وتوبوا إلى الله، وصدق الله إذ قال: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

خامسًا: «تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

لا يتعلق الاتباع بالصلاة وحدها، وإنما بالقيادة، **فإن الإمامة والإمارة هنا مجتمعة للمهدي** عليه السلام.

إذًا فهو إعلان عملي كذلك في هذه الحياة عن إمامة النبي ﷺ للأنبياء عليهم السلام، وأن هذا الاتباع يتمثَّل في الاتباع التشريعي التفصيلي وما هذا إلا للإقرار بأن البشرية قد بلغت منتهى الكمال التشريعي يتلقاه عيسى وهو آخر الأنبياء السابقين عليهم السلام أجمعين. ويكون مأمومًا لإمامنا «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا**»(١)، فأي تشريع هذا الذي يصلح للأنبياء.. أي كرامة سيعتقدها الناس ويبلغون القناعة الراسخة فيها وهي أن صلاة هذا الإمام أستوي أنا فيها مع الأنبياء عليهم السلام.. إنه لأمر عظيم إذًا فهذه هي الطريق المقبول قطعًا إلى الله.. وهذا هو الدعاء المجاب قطعًا عند الله.

إن هذا من النظرة الأولى لأصحاب ملل في هذه الأرض رأوا هذه الصلاة وهم يصلون صلواتهم ويدعون دعواتهم وهم شاكون في آلهتهم التي يدعون من دون الله، فهل من تكرمة لهذه الأمة مثل هذه التكرمة؟! مؤتم برسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – الذي قال: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢).

سادسًا: «تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ» مقام رسول الله ﷺ هو المقام والأعلى في الخلق:

هنا عيسى عليه السلام قد أصبح مؤتمًّا بالمهدي عليه السلام والحقيقة هي أن الجميع في هذا جواب واضح على بعض من تساءل غيرة في غير محلها بقول: فأين رسول الله! لم كل هذا للمهدي ولم يكن لرسول الله ﷺ؟!

فلا صلاة المهدي ولا صلاة عيسى عليه السلام مقبولة إن حادا – وحاشاهما – عن

(١) رواه البخاري (٣٧٨).

(٢) رواه البخاري (٦٣١).

صلاة رسول الله ﷺ وهكذا كل شيء ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ثم التفكير بهذ الطريقة لا يكون أبدًا بين الأب وابنه، بل ولا بين الصديق الوفي وصديقه.. فهل يتصور أحد ذلك مسلم يؤمن بالله ورسوله؟ هل المهدي أتى بدين جديد، أم أنزل عليه كتاب غير القرآن، أم خلق الله أمة غير أمة محمد ﷺ، كم دعا رسول الله ﷺ طوال الليل والنهار حين أخبره بما سيؤول إليه أمر أمته ﷺ في هذه المرحلة من الزمان خاصة، وإلا فمن الذي أخبرنا عن علامات الساعة تفصيلًا.. وهل كان موقف النبي ﷺسلبيًّا إذ علم أن الأمة سوف تنتكس، وتبيح ما حرم الله، وتترك القرآن، وتترك اتباعه ﷺ وتتبع المغضوب عليهم والضالين، وتستعلن بالكبائر، وتتغير أخلاقها، وتتمزق وحدتها ويقتل بعضها بعضًا.. وأخبر بتفاصيل التفاصيل... فهل كان موقف رسول الله ﷺ من هذه المصائب سلبيًّا.. هل سيكون موقف الأب من أبنائه البعيدين عنه المتعرضين لابتلاء ما أن يسكت أم يشتد دعاؤه لهم.. ليرد الله قدره فالدعاء يرد القدر، أو يلطف بهم فيمره عليهم خفيفًا سريعًا، أو يجعل لهم مخرجًا، أو يثبتهمويثيبهم، أو يجعل العاقبة لهم، أو يهيء لهم قائدًا يجمعهم على الحق ويجعل الدين على الدين كله.. بل موقف رسول الله ﷺ هو ذلك كله، وهم أعظم من ذلك، والله أعطاه أعظم مما أراد، وأقرَّ عينه بوعده ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]. فكل هذه الذي جعل الأمة لمن.. وبمن... ولأجل من سواه ﷺ جمع له في آخر أمته [خليفة الله] و[روح الله].. وكلهم سائر على منهجه كما قال النبي ﷺ: «**خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**» بمعنى أن المنهاج منهاجه وإن اختلفت الكيفيات حسب الزمان والعصر.. بحيث يقطع كل واحد أن هذا

هو قضاء رسول الله وحكمه... فلو أنه كان حيًّا لحكم بهذا الحكم قطعًا ولا تبديل لحكم الله.

سابعًا: «تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

خلافة الله لا تورث: وهنا لا بد من تنبيه وهو أن قول عيسى عليه السلام: «**إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ**» إنما هو خاص بالمهدي عليه السلام ذلك أن عيسى عليه السلام يأتم بإمامة المهدي عليه السلام، وعيسى عليه السلام يقاتل كذلك في الجيش الذي يقوده المهدي ضدَّ الدَّجَّال وجنده، ويَقْتل عيسى عليه السلام الدجال لعنة الله عليه، ويعيش المهدي بعد هذا فترة هو الإمام وهو الأمير إلى أن يتوفاه الله بعد تمام السابعة من ظهوره، ثم يتولى الإمامة والإمارة عيسى عليه السلام ويحكم أربعين سنة كاملة.

فإن قلت: كيف يكون ذلك وعيسى عليه السلام هو مَن قال: «**إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ**»، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مَن قال: «**تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»؟

والجواب عن هذا: هو أن في هذا القول الذي قلته جمع لكل ما ورد من الأحاديث، فلك أن تتصور لو أن المسيح بن مريم عليه السلام منذ أول ما نزل تقدَّم للإمامة لكان في هذا أكبر دليل للنصارى على إمامة النصارى لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن كل الملل تنتظر مسيحها، حتى وإن قتل بعد هذا الدَّجَّال فإن ذلك إنما يدل عندهم على تكذيب اليهود بقتل إمامهم، وأن الإمامة على الأمم كما أخذت من المسلمين لو تقدم عيسى على المهدي في الصلاة فإن القيادة أخذت لعيسى من اليهود في الحياة.

ولهذا فإن تقديم المهدي عليه السلام لعيسى للصلاة.. إنما كان هو ما يعتقده المهدي من حق عيسى عليه السلام عليه وعلى سواه من أبناء هذه الأمة.. وكان جواب عيسى عليه السلام لأنه تحقيق للغاية التي نزل إليها أساسًا.. ولهذا فإن عيسى بعد ما نزل وصلى وراء المهدي وعاش معه كواحدٍ من هذه الأمة على أنه عيسى بن مريم

- كلمة الله وروح منه -، ودخل أتباعه في الإسلام دخولًا عظيمًا لم يبقَ أي تعلُّق لمبطل ان يحتج بعبادة عيسى عليه السلام أو التثليث أو نحو ذلك، ولهذا كان مَن يكسر الصليب هو عيسى عليه السلام، وهو مَن يرفع الجزية ويقتل الخنزير... إذًا فمَن أولى بالحكم بعد المهدي من عيسى بن مريم عليه السلام وقد أصبح من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وزالت كل شبهة للنصارى، بل هذا هو ما أثبته عيسى عليه السلام أول ما نزل والمسلمون في صفوف الصلاة.. نعم هو نزل كما بعثه الله وكما رفعه الله نبي الله ورسول الله وكلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه ولكنه رسول قد أدى الرسالة وانتهى.. نبيٌ قد أخبر بما نُبِّئ به وانتهى وجاء اليوم لمقامٍ جديد عظيم.. لم يتذوقه في حياته ولم يبلغ عظمته أي نبي من أنبياء بني إسرائيل عليه السلام.. فمن ذا الذي يحلم أن الأنبياء عليهم السلام أن يكتب الله ما كان له مع قومه كاملًا.. ثم يقبضه إليه ثم يعيده ثانية لخير أمة في خير أوضاعها بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم.. وفي أعظم وأرفع مقاماتها.. وأكثر أعدادها إذ غطت الأرض كلها حيث الدين كله لله.. وقد امتلأت الأرض أعدادًا بل عبادًا.. يحكمها بما أنزل أربعين سنة تامة وافية ويحكم أربعين سنه هي أعظم السنين سلمًا وسلامًا وغنىً وأمانًا كما في الحديث؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِي: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتُ الدَّجَّالَ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَإِنَّ رَبَّكُمْ عز وجل لَيْسَ بِأَعْوَرَ، إِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ حَتَّى يَأْتِيَ الْـمَدِينَةَ، فَيَنْزِلَ نَاحِيَتَهَا، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ، فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا حَتَّى الشَّامِ مَدِينَةٍ بِفِلَسْطِينَ بِبَابِ لُدٍّ**[(١)]». وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ مَرَّةً: «**حَتَّى يَأْتِيَ فِلَسْطِينَ بَابَ**

(١) بباب لُد، لد: مدينة بفلسطين تقع على بضعة أميال جنوب شرق يافا، وحوالي ثلاثة أميال شرق توأمها الرملة، قال ياقوت: ببابها يُدرك عيسى بن مريم الدجالَ فيقتله.

لُدٍّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى ﷺ فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَمْكُثَ عِيسَى ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا»[(١)]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ[(٢)] إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ[(٣)]، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»[(٤)].

ثامنًا: تكرمة الله:

لا نسبة لهذه النعم إلا لله: ولأنها تكرمة الله فقد جاءت جامعة عاجلة وآجلة.. فما يشهده الناس في الدنيا من إكرام من الله سبحانه وتعالى ليس لا نظير له في الدنيا فحسب وإنما يشهدون شهادة حق بأن هذا النعيم لا يقدر عليه ولا يملكه ولا يمنحه وينعم به أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى ولا تصح نسبة هذه التكرمة إلا إلى الله تكرمة الله.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٤٦٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) المربوع: هو المعتدل القامة.

(٣) ثوبان ممصَّران، أي: فيهما صُفْرة.

(٤) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٩٧)، والحاكم (٤٢٠٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

وهذا الربط الصريح الواضح القاطع في نعم الله مطلقًا شهادة بأن لهذه النعم خصوصية على النعم الأخرى المطلقة نعم هي الأطيب والأكثر والأبرك لأنها نعم منسوبة لله، وهي الواردة في قول رسول الله ﷺ: «فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ»(١)، وهي أنها نِعَمٌ مذكِّرة بالله.. نعم تسوق العبد إلى الله.. تدفع العبد إلى شكر الله.. مثل [خليفة الله] فإن حاله كله مذكرٌ بالله هادٍ إلى الله؛ أليس هو المهدي.. أليس هو من جمع له النبي ﷺ الاسمين معًا في حديث واحد وهو أنه: [فإن فيهم خليفة الله المهدي].. ولا يمكن أن يسميه الله بذلك لو لم يجعله الله كله كذلك.. فأنى نظرت وجدت إلى هداية الله وإلى الهداية إلى الله.

تاسعًا: «تَكْرِمَةَ اللهِ» الإنعام بالنعم الخالصة:

لم يسم الله نعم الله على الناس أو على الأمة بأنها تكرمه حاشا كتاب الله وحاشا رسول الله ﷺ.. بل النعم - في العادة - فيها المقصودَين الخير والشر وقال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أما هذه فجنس آخر من نعم الله.

فإن الذي نعرفه نحن أن دار كرامة الله إنما هي الجنة... وما أعظم إكرام الله ﷻ لآخر المؤمنين في هذه الدنيا وما أعظم تهيئتهم لجنة الله ونعيمها.. فهم المجاورون زمانًا إلى جنة الله... وشتان بين الاثنين شتان.. لكن تبقى هذه النعم من تكرمة الله لهذه الأمة في الدنيا وتلك تكرمة الله للمؤمنين في دار الخلود.. والقاسم المشترك هي أنهم ينقلبون من كرامة الله في الدنيا إلى كرامة الله في الآخرة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

عاشرًا: كرامة الله لهذه الأمة:

نعم الله هذه تدل على الله: لا يزال الأنبياء ﷺ هم أشدة الناس بلاء في الدنيا.. حتى جاء رسول الله ﷺ فكان أشد الأنبياء ﷺ بلاء هو ﷺ واستمر الأمر على هذا يبتلي الرجل على قدر دينه حتى يومنا هذا، وما كان لهذا الحال من الابتلاء والتشريد والتضييق وضيق ذات اليد، والبؤس أن يستمر في الأجيال جيلًا بعد جيل إلى أن تقوم الساعة... فجاء الفرج العظيم وجاءت [تكرمة الله] لهذه الأمة في الختام وفي الجيل الخاتم تكرمة للأمة كلها.. والمؤمنون كجسد واحد أولها وآخرها سواء... وسعادة المؤمنين الأحياء سعادة لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان، وكما أن المؤمنين الأحياء يدعون لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان فلقد أعطاهم الله هم في الدنيا ما دعوا به لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان من نعيم الله وتكرمة من الله كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فما من أحدٍ من المؤمنين الراحلين يُبَلِّغ بهذه النعم إلا ويفرح بها فرحًا عظيمًا وهو في البرزخ.

ولهذا جاءت هذه التكرمة استثناءً من سنن الله مع السابقين في هذه الأمة ومن قبلها.. لأنها تكرمة الله، والله لا حدَّ لكرمه، ولا محجِّر لعطائه بل هو مَنْ يكرم متى شاء وكيف شاء بما شاء، وهنا جاءت صريحة واضحة [تكرمة الله هذه الأمة] والله لا يُسأل عما يفعل.

حادي عشر: [تكرمة الله هذه الأمة]:

الكريم يكرم من إكرام الله: وما دامت تكرمة الله هذه الأمة فإن هذه الأمة سوف تكرم من إكرام الله الأمم الأخرى بغير حد ولا عد..

وما كان لتكرمة الله أن تثمر إلا تكرمة الله العباد بالهداية إلى الله وتأليف قلوبهم على الأخوة في الله ومحبة الله، والإفاضة من نعم الله.

تكرمة الله التي تعم وتخص وتشمل ما ظهر وما بطن، وإذا أَكْرمت هذه الأمة فإنها لن توقف إكرام الله لها على حدودها ولن تقتصر على أبنائها بل تشمل العالمين فالله أعلم أين يجعل رسالته.. والله أعلم من يعطي نعمته ويأتمنهم عليها فيحافظوا عليها وينفقونها فيزيدهم.

أوسع ما تكون نعمة بيد المهديي عليه السلام وأي تكرمة أكبر من أن يحييها الله عز وجل لأكرم الناس وأي تكرمة لهذه الأمة أكبر من أن يجعل الله أكرم كرامها يحملون كرامتها.. وهل أكرم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالكريم ابن الكريم وأين الكريم يكرم فكيف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذريته من بعده... وسبحان الله فإن هذا يعيد الذاكرة لمن يعيش عصر المهدي عليه السلام ويرى الإكرام إلى ما قبل المهدي وقد تولى النعم بيوتات هنا وهناك ولكن الأمة لم تكرم... فيعلم الناس عندها معنى قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ» ويرون كيف أصبحت النعم وافرة واصلة مباركة لكل العالمين بذاك الرجل الكريم ابن الأكرمين ابن أكرم الأكرمين في العالمين صلى الله عليه وآله وسلم.

ثاني عشر: تكرمة الله هذه الأمة:

تكرمة الله هذه الأمة خاصة دون غيرها فلا مثيل لهذه الخاصية في أمة من الأمم.. فالله قد اختص هذا المقام مقام [خليفة الله] لهذه الأمة وحدها من دون

الأمم.. وإكرامًا لها لكرامتها على الله.. وإكرامًا لها ببيت رسول الله ﷺ كما هو في الأساس إكرام لهذا البيت بكرامة رسول الله ﷺ عند الله ﷻ أن اختار من هذا البيت [خليفة الله].

ثم إذا كان الله سبحانه قد أعطى رسوله ﷺ عهدًا أن يعلي دينه ويجعل العاقبة له... أليس هذا وحده كافيًا للوفاء بالعهد، ومن أوفى بعده من الله ولكن أيهما أَقَرَّ لعين النبي ﷺ أن يكون هذا الإعلاء على يد واحدٍ من عامة المؤمنين أم يكون على يد ولدٍ له قد جعله الله للمتقين إمامًا؟!

إن الطبع البشري والإحساس الأبوي الذي خلقه فيه ﷺ يشهد أن يكون ذلك الإمام هو ولده. وهو القائل ﷺ: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**»(١)، كيف وكسب المهدي بغير شك لأبيه ومربيه ومعلمه ﷺ؟!



---

(١) أخرجه النسائي (٤٤٥٢) واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

مسك الختام



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].



فهرس الموضوعات



إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

هَلْ أَعْطَيْنَاهَا حَقَّهَا

الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
زِرُّ الطَّاقَةِ.. وَسِرُّ الْإِفَاقَةِ



تأليف
توفيق بن خلف الرّفاعي